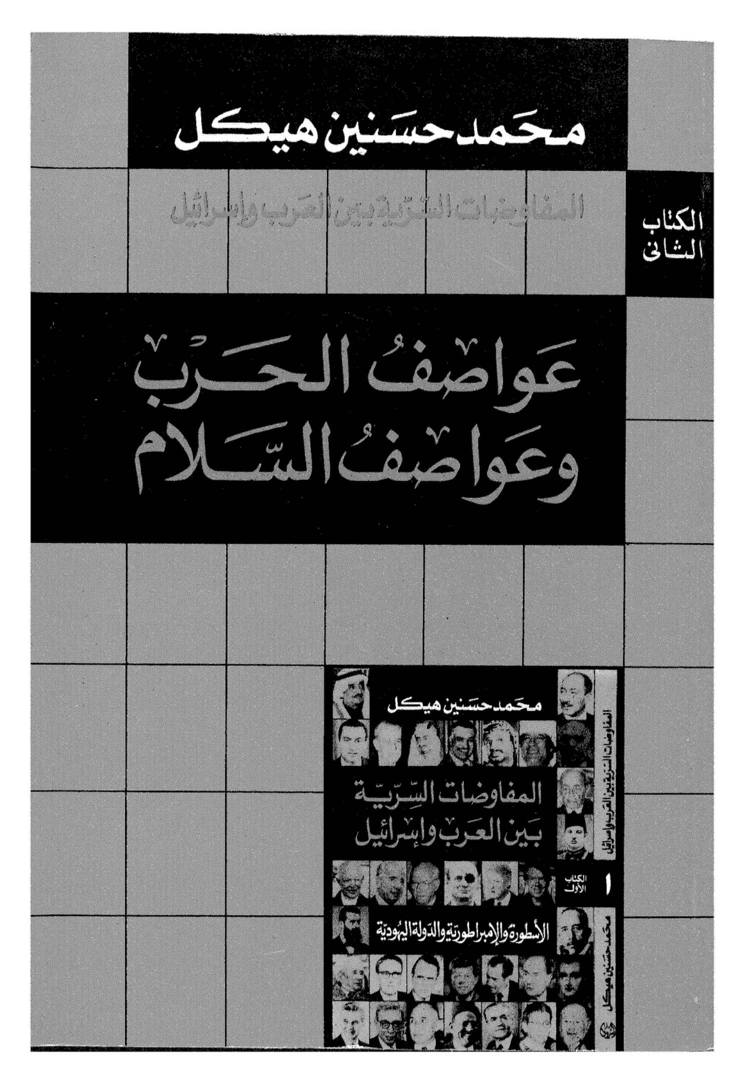

محمد حسنين هيكل
المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل
الكتاب الثاني
عواصف الحرب
وعواصف السلام
محمد حسنين هيكل
المفاوضات السرية
بين العرب وإسرائيل
الكتاب الأول
1
الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية

مُحمّد حسَنين هيكل

المفاوضات السرّيّة بين العرب وإسرائيل

٢

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٠ يونيو ١٩٩٦
الطبعة الثانية
١٥ يونيو ١٩٩٦
الطبعة الثالثة
٢٢ يونيو ١٩٩٦
الطبعة الرابعة
٢٨ يونيو ١٩٩٦
الطبعة الخامسة
١٥ يوليو ١٩٩٦
الطبعة السادسة
٢٣ يوليو ١٩٩٦
الطبعة السابعة
أول أغسطس ١٩٩٦
الطبعة الثامنة
نوفمبر ٢٠٠١



أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية ص.ب : ٣٣ البانوراما - مدينة نصر
هاتف: ٢٦٢٣٣٩٨ - ٢٦٢٣٥٤٨ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

مُحمّد حسَنين هيكل

المفاوضات السِّرّيّة بَين العَرب وإسرائيل



عَواصِفُ الحَرْب وعَواصِفُ السَّلام

- لماذا لم يفاوض جمال عبد الناصر؟
- كيف فاوض أنور السادات ؟

محتويات
الكتاب الثانى

"جمال عبد الناصر"

موازين القوة والضعف

"أنــور الســادات"

صناعــة وتجــارة الســلام

الفصل الأول : الحرب والسلام

الفصل الثاني : اللعب فى الوقت الضائع!

الفصل الثالث: يناير ١٩٧٧ وما بعــده !

الفصل الرابع : متاهــات الســـــلام

الفصل الخامس : كامب دافيــد وما بعـــده !

مفكــــــــرة

هذا المجلد الثانى من كتاب "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل" يواصل متابعته للحوادث من حيث انتهى المجلد الأول قبله . وكان المجلد الأول قد تعرض وتوقف طويلا أمام مراحل وسياسات وأحداث توالت على امتداد أكثر من قرن ، وقد تكفلت هذه الرقعة الزمنية ببناء المسرح (أو تختة الرمل) الذى تكونت عليه أرضية وخلفية الصراع العربى ـ الإسرائيلى ، بما فى ذلك محاولات الاتصال والتفاوض .

إن المجلد الأول توقف طويلا أمام عدد من المسائل قد يكون التذكير بها مناسبا فى مدخل هذا المجلد الثانى :

١ ـ كيف نشأت "المحرمات : المقدسات" فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى ، بما أدى إلى فرض السرية على أية اتصالات أو مفاوضات بين العرب وإسرائيل ؟

٢ ـ كيف حدث اللقاء بين الإمبراطورية والصهيونية فى ضرورة الفصل بين مشرق العالم العربى ومغربه منعا لقيام دولة عربية قوية بعد التآكل الواضح والمستمر فى قوة الخلافة الإسلامية؟ وبالتحديد فقد كان الفصل مطلوبا عند نقطة التقاء الزاوية الاستراتيجية الحيوية جنوب وشرق البحر الأبيض المتوسط ـ أى بين مصر وسوريا بالذات .

٣ ـ كيف استطاع هذا اللقاء بين حركة الخطط الإمبراطورية (من وقت "نابليون" فى فرنسا و "بالمرستون" فى إنجلترا) وبين أحلام الحركة الصهيونية ، أن يصل إلى إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين فى نقطة اتصال مشرق العالم العربى بمغربه ؟

٤ ـ كيف انتقلت القيادة الإمبراطورية فى المنطقة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة ، وكيف توافق ذلك مع قيام الدولة اليهودية فى فلسطين ، ومع عودة مصر إلى اكتشاف هويتها العربية تحت تأثير مدرسة الشرق فى السياسة المصرية ؟

٥ ـ كيف تداخل الصراع العربى ـ الإسرائيلى بعد سنة ١٩٤٨ ليصبح عنصرا رئيسيا وفاعلا فى سياسة كل بلد عربى ، بما فيها شئون الداخل ؟

٦ ـ كيف كانت الأحوال العامة فى العالم العربى فى ظروف الحرب والسلام بين حكومات لا تقدر وشعوب لا تعرف ؟

٧ ـ كيف برزت أهمية منطقة النقب فى المرحلة الحاسمة والحرجة من حرب فلسطين (١٩٤٨) وبعدها ، كحد أدنى ضرورى لاستبقاء صلة برية بين مشرق العالم العربى ومغربه ؟

وكانت نهاية المجلد الأول استشهادا بيوميات "دافيد بن جوريون" أول رئيس لوزراء إسرائيل ، وكان آخر مدخل فى هذه اليوميات توقف عنده المجلد الأول كما يلى :

□□ ١٤ يوليو ١٩٤٩

....

....

جاء أبا إيبان . لا يرى ضرورة للركض وراء السلام فإن العرب سيطلبون منا ثمنا : حدودا ، أو عودة لاجئين ، أو كليهما . فلننتظر بضعة أعوام !

....

....

كانت إسرائيل قد حققت حلمها بإقامة الدولة حربا سنة ١٩٤٨ .

ولم تكن تريد السلام (لا بالتفاوض ولا بغيره) لأنها لم تكن مستعدة لدفع أى ثمن لهذا السلام ، وأكثر من ذلك فقد كان التوسع طموحها .

....

....

محمد حسنين هيكل

"جمــــال عبد الناصـــــــر"

موازيـن القـــوة والضعـــف

"يـا أخـــــوتنـا فى الأندلـــس
لقـد كـان عليكـم أن تصلــوا جـمـاعــة
عندمــــا عرفــتم أن أعداءكم
يتوضئون بالـدم قبل أن يجيئوا للقائكم"

[بيت شعـر فارسـى]

(من نظم سعدى على الأرجح)

ليس هنـــاك مـا هـو أخطـــر ــ فـى السياســة الإقليميــة والدوليــة ـ من حالــة حـــرب توقفت دون نهايــة حاسمـــة ودون توافـــق بالرضـــا يستغـنى عن السـلاح .

فى مثـل هـذه الحالــة يصبـح الانفجـــار واردا فى أى لحظـة ، وحتى دون حاجـة إلى أسبـــاب مقنعـة ، لأن الأسبـاب كامنـة داخـــل الحالـــة نفسهـا وفى طبيعتهـا !

الفصـــــل الأول

دولـــــة بغـيـر حـــــدود!

ذاكـرة الأمــة ملكيـة اجتماعيـة قوميـة عامـة ،
ولا يجـب إخضاعها لسلطة الدولة ،
ولا فتحها لمشاركة أجنبية ، ولا تركها لآلية السـوق ،
ولا التصرف فيها بالخصخصـة !

١

لــــــــــــوزان

" هنـاك ثــورة قادمـة فى مصـــر "

(تقرير أمريكى بتاريخ ٧ يناير ١٩٤٩)

عندما عــادت الجيـوش العربيــة إلى أوطانهــا تـداوى جراحهـا ، وتـدارى انكشـافها ، وتجـتر مشاعرهـا بالمـرارة والإحبـاط كانت الأوطـان فى حـال أشـد سـوءا من حـال الجيـوش. إن القـوات فى ميادين القتال عاشـت تجربـة مريـرة ومؤلمة : لم تعـرف لنفسـها هدفــا ، ولم تجـد لنفسها قـيـادة ، ولم تشعـر أنها تتحرك بموجب خطـة ، ونتيجة ذلك أنهــا تعرضـت للهزيمة والحصار والإهانـة . وأما الأوطان فقد كانت مأساتها أوسـع وأعمـق .

لم يكن ذلـك السـؤال أو التساؤل الذى شـاع فيما بعد بادعاء الحكمـة بأثــر رجعــى قـد طـرح نفســه : لماذا لـم يقبـل العــرب منذ البداية بحـل سلمـى كما فعلـوا لاحقا؟ (كأن خيـار السلم كان قائما ؟) ولماذا لم يرضـوا بحلـول عرضـت عليهم مبكرا ، ولو قبلوها لجنبـوا أنفسهم ضيـاع حقبـة أو حقبتين تبـدد خلالهما الكثير من المـوارد والجهـد والـدم (كأنه كــانت هنـاك حلول معروضة فشـل العـرب فى الاختيـار حتى بين أقلهـا سوءا!) .

- إن الجيوش والشعـوب بعد تجربة ١٩٤٨عــادت تسـأل نفسـها أسئلة تختلـف فـى زمانها عن تلك التى طرحتها الحكمـــة بأثــر رجعــى فـى زمــن لاحــق . كـانت الأسـئلة الحائرة وقتها:
- ما الذى حـدث ؟ وكيـف حـدث ؟ ولماذا حـدث ؟ ثم مــاذا بعــد الآن ؟ وهـل كـان هناك ما يمكن عملـه لتدارك ما وقـع ، أو توجيهـه إلى مسـار آخـر أقـل مأساويـة؟

إن حساب النفـس ، وقد كــان ضروريــا ، لم يكـن فـى وسعــه أن يتغـافل عـن حقـائق موضوعية ليس من العـدل نسيانها :

● عندما بدأت أولى محاولات الهجرة والاستيطان اليهودى فى فلسطين بفضل سياسات "بالمرستون" و"دزرائيلى" ، وبأموال "روتشيلد" و"مونتفيورى" ، كان عدد اليهود فى فلسطين ثمانية آلاف لا يملكون أكثر من خمسة آلاف فدان .

● وعندما نشر "هيرتزل" كتابه عن الدولة اليهودية فى فلسطين سنة ١٨٩٦ كان عدد اليهود فيها لا يزيد عن ٢٥ ألفا يملكون ٢٪ من الأراضى المزروعة فى فلسطين. وكان العرب ٨٠٠ ألف ولديهم ٩٨٪ من الأراضى .

● وعندما صدر وعد بلفور يتعهد بإقامة دولة يهودية فى فلسطين سنة ١٩١٧ ، كان عدد اليهود فيها لا يزيد عن ٤٨ ألفا يملكون ٣٫٥٪ من الأراضى المزروعة فى فلسطين، وكان العرب ٩٢٠ ألفا يملكون ٩٦٫٥٪ من الأراضى .

ـ فهل كان فى مقدور فلسطينى فى ذلك الوقت أن يقبل أو يتفاوض على أساس أحلام "هيرتزل" أوإستراتيجية الإمبراطورية البريطانية ؟

. . . .

. . . .

● ويوم صدر قرار التقسيم عن الجمعية العامة للأمم المتحدة كان عدد اليهود فى فلسطين حوالى ثلاثمائة ألف ، وملكيتهم من الأراضى لا تزيد عن ٦٪ فى مقابل مليون ومائة ألف عربى يملكون ٩٤٪ من أرضها .

● ويوم أعلن عن قيام الدولة اليهودية فى فلسطين كان عدد اليهود فيها لا يزيد مطلقا عن أربعمائة ألف ، وملكيتهم من الأراضى لا تزيد عن ٧٪ ـ فى مقابل مليون ومائة وخمسين ألف عربى يملكون ٩٣٪ من الأراضى .

ـ فهل كان فى مقدور أى عربى أن يقبل بالتقسيم أو بإعلان قيام دولة إسرائيلية؟

. . . .

. . . .

وبرغم ذلك فلا يستطيع أحد أن يدير ظهره إلى شاهدين :

أولهما ـ أن العرب فى واقع الأمر قبلوا بالتقسيم مبكرا ، وحتى من قبل أن تقترب الجيوش من الخطوط.

وثانيهما ـ أن الوكالة اليهودية عرفت ذلك من كل طريق ، لكنها رفضت أن تعترف به، لأن اعترافها به يتعارض مع نيات مضمرة ، وإن كانت معروفة !

يضاف إلى ذلك أن الزعماء اليهود في فلسطين ، و"هيرتزل" أولهم ، أدركوا من أول لحظة أن المحظور الذى يجب توقيه من جانبهم هو التفاوض مع الفلسطينيين ، لأن التفاوض معهم يعنى الاعتراف بوجود شعب فلسطينى ، ويعنى التسليم بأن مقولة "إنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" هى مقولة غير صحيحة ، وذلك يهدم الفكرة الصهيونية من أساسها.

وهكذا فإن الحركة اليهودية الصهيونية كانت أول من قرر والتزم بأنه لا اعتراف ولا تفاوض ولا سلم مع الفلسطينيين . وكان التعامل مع الفلسطينى بالطرد أو القتل أو الاقتلاع، لأن ذلك هو الطريق العملى والسهل . فالعروس الجميلة لا تستطيع أن تتزوج رجلين فى نفس الوقت ، وإذن فإن أحدهما يجب أن يختفى . وهذا هو القدر المكتوب للأضعف .

□

وقد حاولت الوكالة اليهودية والدولة اليهودية بعدها أن تتفاوضا على أساس الأمر الواقع بعد الحرب ، وعند خطوط تتجاوز حدود التقسيم بكثير . وحتى عندما فعلتا ذلك فقد أرادتا أن تتفاوضا مع أى طرف إلا مع الفلسطينيين . فجرى التفاوض مثلا مع الملك "عبد الله" ملك الأردن . ولم تكن المحاولة مفاوضات بالمعنى المتعارف عليه ، والحقيقة أنه يصعب أن يكون هناك تفاوض بين الخيمة والدبابة . وفى كل الأحوال فإن الاتصالات مع الملك "عبد الله" لم تكن عملية سياسية ، وإنما كانت عملية توزيع ثروة فى حياة صاحبها وفى غيبته .

وحاولت الوكالة اليهودية والدولة اليهودية بعدها أن تتفاوضا مع مصر لأنها الدولة العربية الوحيدة وقتها التى يحسب لها حساب . لكن مصر التى استشعرت بعض جوانب الحقيقة قدرت :

أولا ـ إنها لا تستطيع التفاوض نيابة عن الفلسطينيين .

وثانيا ـ إن المشروع الصهيونى يستهدفها هى الأخرى ، وإن كان استهدافه لها يختلف عن استهدافه للفلسطينيين . فمع الفلسطينيين كان المطلوب إلغاء الوجود ، وأما معها (مع مصر) فقد كان المطلوب إلغاء الدور وإلغاء اتصال هذا الدور بالمستقبل العربى الذى تتقرر مصائره فى الشرق .

وتمسكت مصـــر فى النهاية بـأرض منطقة النقب حتـى لا تنعـزل بالكـامل عـن دورهـا ومستقبلهـا ، ولكن إسرائيل كانت مصممـة على إخراجها منه ، وكانت أكثر من مصممة على الوصول إلى إيـلات لإكمال حجـز مصـــر عـن سوريـا ، وتطـل علـى البحــر الأحمـر كمـا أطلـت على البحـر الأبيـض قبلـه .

وأخطـر من ذلك فإن سير المعارك فى النقب خلال شهر ديسمــبر ١٩٤٨ كـان يقصـد عمـدا إلى تدمـير الجيـش المصرى حتى ولو لم تكن لذلك ضـرورة عسكريــة ، وعلـى إثبـات العجز وإهدار الكرامـة بقصد بـث الخـوف والخضـوع فى قلـب مصـر لحقب طويـلة قادمـة لا تجـرؤ فيها أن تخـرج أو تقـترب .

□

وفى هذه الأجواء ومع الخطر الذى انقض على كل المقدسات الدينية والحضارية والوطنية والاستراتيجية والإنسانية ، فإن ضياع المقدسات على هذا النحو جاء بالوجه الآخر للعملــة ــ وهو المحرمات . ومن ثم نشأ وضع نفسى وسياسى فـرض ضروراته وأولها الرفـض .

وكان الرفـض أشـد ما يكون فى سوريـا وفى مصـــر . فقد كان الشعبـان ـ يدركـان بإيحاء الضمير قبل عمـق التحليـل ـ أن ضياع فلسطين لا يقتصـر على أصحابهــا الأصليـــين، وإنمـا هو مؤثـر على دمشق وما يحيط بها حتى الفرات والخليج ، وعلـى القاهــرة ومـا وراءهـا إلى شمال أفريقيا العربـى ، بمقدار تأثـيره على القـدس وعلى فلسطـين .

وتولـد عن رفـض الآخـر نـوع من رفـض النفـس أيضا ، وكانت البداية فى ســوريا حـين قـام الجيش السـورى تحت قيادة "حسـنى الزعـيم" بانقـلاب عسكرى أطاح فيه بالنظام الذى عجـز وانهــزم ، أو هكذا كان الظـن .

وفى مصـــر، وبحجمها ومواريثها الحضارية ، فإن الرفـض أخـذ اتجاها آخـر تمثل فى عملية فـوران شعـبى تداخلت فيها التيارات والقـوى.واشتـد العنـف وإن بـــدا غــير متصــل بفلسطـين مباشـرة، لأن الأسباب تفاعلت مع بعضها واختلــط فيهـا القديـــم والجديــــد. ولم تكن دواعى القلـق والعنـف سـرا خافيـا على المتـابعين لمسار الحـوادث فـى مصـــر . بـل إن ملفـات وزارة الخارجيـة الأمريكيـة تحمـل وثيقـة (رقـم ٧٤٩ ــ ٨٨٣٠٠/١) كـان عنوانهـا : "الثـورة فى مصــر" ، وكان نصهـا كما يلـى :

"لنـدن : ٧ ينايـر ١٩٤٩

(سـرى)

الموضوع : الثـورة فـى مصـر

ما يلـى لا يجب توزيعه ويظـل لمعرفة وزيـر الخارجية والرئيـس فقط .

فى مناقشـة أخـيرة مع رئيس المكتب المصـرى ـ المختص بمتابعة شئون مصرـ فى وزارة الخارجية البريطانية ، أبـدى لمستشار هـذه السـفارة أن المـزاج العـام فـى مصـر يمـر بفـترة اكتئـاب عميـق ، وأن الأمـور هناك تسـير مـن سـيئ إلى أسـوأ . وقد جـاءت الحـرب فى فلسطـين لتزيد الموقـف خطـورة . وبـدل أن يتفهـم القـادة المصريون خطـورة الأوضاع ، فإنهم حاولوا نسيان مـا حـدث وعـادوا يتسابقون علـى الغنائـم فى مصـر وعلى حساب الساخطين والجياع واليائسـين . وقـد أبـدى رئيـس القسم المصرى فى هذا الحديث رأيـا مؤداه أن القـوة الوحيدة التـى يمكـن لهـا إنقـاذ الموقف هى تدخـل مستنـير مـن جـانب الملك فـاروق . لكنـه يبـدو أن هـذا الشـاب يشاطـر كبـار المـلاك الإقطاعيـين فى مصالحهم . وما نستطيع أن نـراه فى مصـر الآن هو صـراع مريـر بين الذين يملكـون والذين لا يملكـون . إن صـبر الذيـن لا يملكـون فى مصـر يشبـه صبر الحمـار . وقد صبر هذا الحمار طويـلا ، وربما أنـه الآن علـى استعداد لأن يركـل ، وأن يركـل فى فـترة غير طويلـة .

وأضاف رئيس المكتب المصـرى أنـه مـن حسـن الحـظ أن حـزب الوفـد خـارج السلطة الآن . فقد يكون بمقدوره إذا حـدث شـيء أن يتقدم لإنقاذ الموقـف . وفى هـذه الحالة فإن الملك لا بد أن يخـرج قبل أن يدخـل النحـاس . ولمـا سـأل مستشـار هـذه السفارة محدثـه عن الشكل الذى يمكن أن تتخـذه الثـورة فى مصـر ، قـال إنهـا فـى الغالـب سوف تكـون على الطريقـة المصريـة ـ تبـدأ بعمليـات اغتيـال ، ثـم تعقبهـا تظاهرات غوغـاء تقـوم بـالتحطيم والنهـب دون أن يكـون لديهـا برنامـج سياسـى واضح للمستقبـل . وهنا فإن الأمـر يتوقف على نـوع النـاس الذيـن سـيتقدمون بعـد الثـورة لأخـذ السلطـة وتوجيـه سياسـة مصـر إلى مسـار جديـد . وقد أنهـى رئيـس المكتب المصـرى هذا التقرير لمستقبل مصـر بقوله : إنه شـخصيا يشعـر أن مستقبـل مصـر سوف يكون كئيبـا .

إمضـاء

هولـــز

(السفـير الأمريكـى فى لنـدن) "

□

والحقيقة أن فلسطين لم تكن بعيدة عن هذه الصورة للموقف الداخلى فى مصر كما بدا لأول وهلة . وتنقل وثائق وزارة الخارجية الأمريكية فى هذا الوقت تقريرا عن مقابلة بين السفير الأمريكى فى القاهرة "ستانتون جريفيث" والملك "فاروق" بتاريخ ـ ٢ يناير ١٩٤٩ ـ يقول فيها الملك للسفير الأمريكى: "من المحتم علىّ أن أمثل إرادة شعبى .. إن شعبى يريد مواصلة الحرب فى فلسطين حتى لو استغرقت الحرب عشر سنوات" . ثم يستطرد الملك طبقا لرواية السفير فيقول : "إننى مندهش لأن الولايات المتحدة لا ترى الصورة كما أراها . فالتدخل الروسى فى الحرب مع إسرائيل واضح وظاهر ، وهو شبيه تماما بالتدخل الروسى الذى أدى إلى الحرب الأهلية فى اليونان . ولقد ظللت أنبهكم إلى أنهم الروس .. الروس .. الروس، ولكنكم لم تلتفتوا ، وتصرفتم فى فلسطين بطريقة تختلف عما تصرفتم به فى اليونان . هناك وقفتم للروس ، وهنا وقفتم معهم فى نفس الصف ."

إن ملك البلاد الذى حاول أن يلقى المسئولية على الروس ــ بينما الولايات المتحدة تعرف أكثر منه عن الخبايا والدخائل ــ لم تكن لديه الأهلية لأداء الدور المستنير الذى تصوره رئيس المكتب المصرى فى لندن ، وبدلا من ذلك فإنه ساعد على تصاعد العنف فى بلاده ، فإذا هو يشكل بنفسه مجموعة إرهابية أطلق عليها اسم "الحرس الحديدى" ترهب خصومه وتقتل أعداءه ، فقد أصبح بدوره خائفا يخشى أن يشير إليه إصبع أو تومئ نحوه إشارة تحمله نصيبه من المسئولية .

ثم وجد العنف لنفسه مخرجا شرعيا ، فاتجه نحو قوات الاحتلال البريطانى فى منطقة القناة مؤمنا فى أعماقه أن الخلل الأكبر هناك . فهذا الاحتلال البريطانى ، فضلا عن عدوانه على حق الأمة فى الاستقلال حرمها إرادتها المستقلة كاملة ، وبالتالى ساهم فى تعريضها لما تعرضت له .

وعندما زادت عمليات المقاومة ضد الاحتلال فى منطقة قناة السويس وقعت السلطة كلها فى مأزق ، بما فى ذلك القصر والوزارة . وحاول "النحاس" باشا أن يخرج من المأزق بقرار إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ . وعندما بدا أن إلغاء المعاهدة لم يكن له أثر خارج الورقة التى كتب عليها الإعلان ، عبرت الجماهير عن تمردها بسلسلة من الأعمال بدت يائسة ، وآخرها إشعال النار فى قلب القاهرة .

وكان هذا احتجاجا صارخا على السلطة وعلى النظام وعلى القانون ، وعلى الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة . لكن ما يمكن ملاحظته ـ وهو فى الغالب دون تعمد ــ أن

حريق وسط القاهرة أصاب مصالح يهودية بأكثر مما أصاب غيرها ، وربما أن السبب وراء ذلك هو أن المصالح اليهودية كانت هى الغالبة على قلب العاصمة .

خلال ذلك كله كانت إسرائيل تتابع ما ثار من زوابع النار نتيجة لقيامها . وكانت هذه الزوابع صحبة مضافة إلى المنطق الذى قدم به "إيبان" نصيحته لـ "بن جوريون":

"لا داعى لأن نتفاوض مع العرب لسنوات . إذا تفاوضنا الآن فسوف تكون لهم طلبات فى حقوق الأرض وحقوق الناس - بما فيها حق عودة اللاجئين - وهى طلبات ليس فى وسع إسرائيل أن تقبلها ."

كان هناك سبب آخر لم يقله "أبا إيبان" ، أو على الأقل لم يسجله "بن جوريون" فى يومياته ، وهو أن أى تفاوض مع العرب الآن ، وأى مطالبة باعترافهم ، سوف يؤديان إلى رسم لحدود دولة إسرائيل ، فيما هى الآن مشروع قابل للتوسع لا يمسك به قيد .

ومن الواضح أن القيادة الإسرائيلية فى ذلك الوقت توصلت إلى سياسة رسمتها لنفسها والتزمت ببنودها ولم تخرج عنها أبدا :

١ - سوف تظل تطلب الاعتراف والتفاوض بقصد السلام .

٢ - لكنه إذا تم لها ذلك فسوف تضع شروطا تجعل السلام مستحيلا .

٣ - وهى الآن ليست فى حاجة إلى خريطة لأنها لم تصل بعد - ولم يكن ممكنا مرة واحدة سنة ١٩٤٨ - أن تصل إلى خريطتها المأمولة .[١]

٤ - وبالتالى فإن عليها أن تنتظر وأن تبنى قوتها وتؤكدها وتعيد تأكيدها حتى يأتى اليوم الذى تستطيع فيه أن تفرض سلامها وفى الحدود التى تراها لنفسها .

٥ - وخلال ذلك كان عليها أن تتابع عملية هدر القوة العربية بالغضب وبزوابع النار المتفجرة منه .

٦ - وخلاله أيضا فإنها مطالبة بتقوية نفسها وبناء تحالفات دولية قادرة على تأييدها وحمايتها إذا اقتضت التطورات .

وظهرت هذه السياسة أوضح ما تكون تقريبا فى أعمال لجنة التوفيق التى شكلتها الأمم المتحدة بعد اتفاقيات الهدنة فى رودس - فى يناير وفبراير سنة ١٩٤٩ - وكان عليها

---

(١) نتيجة لرفض اعتماد خريطة فإن إسرائيل ما تزال حتى الآن بغير دستور لأن أى دستور لا بد له أن يقرر حدود الدولة ، ثم إنها أيضا بغير قانون للجنسية ، وهى فى ذلك الصدد تعتمد على قانون العودة الذى يجعل من كل يهودى قادم إليها إسرائيليا بالأمر الواقع!

أن تجمع الدول العربية التى التزمت بالهدنة مع إسرائيل ، وأن تصل بهم إلى سلام تشير إليه اتفاقيات الهدنة فى أول سطر من مقدمتها .

وفى مايو ١٩٤٩ توجهت لجنة التوفيق إلى "لوزان" فى سويسرا تجرى اتصالاتها ، وحضر العرب ، وحضر الإسرائيليون أيضا . وجرت صياغة بروتوكول يكون منه أساس للمحادثات . وكان نص البروتوكول يقول :

"إن لجنة التوفيق الفلسطينية المنبثقة عن الأمم المتحدة فى تلهفها لتحقيق أهداف قرار الجمعية العامة الصادر فى ١١ ديسمبر ، الخاص باللاجئين واحترام حقوقهم والحفاظ على ممتلكاتهم ، إلى جانب مسألة الحدود وغيرها من المسائل ـ على وجه السرعة ـ قد اقترحت على وفود الدول العربية وعلى وفد إسرائيل أن تأخذ الوثيقة المرفقة كأساس للمباحثات مع اللجنة ."

وكانت الوثيقة المرفقة هى قرار التقسيم الصادر سنة ١٩٤٧ والخريطة الخاصة به . وكان معنى ذلك أن اشتراك العرب فى مؤتمر "لوزان" قبول بقرار التقسيم ، وكذلك كان معنى اشتراك إسرائيل .

إن اجتماعات "لوزان" تعثرت لأن إسرائيل كانت تحتل الآن مساحة تزيد مرة ونصفا عن مساحة الأراضى المخصصة لها فى قرار التقسيم . وكانت هذه الأراضى الزائدة مما استولت عليه بالمخالفة لقرارات الهدنة الصادرة عن مجلس الأمن .

لم تكن إسرائيل مستعدة لمناقشة مشكلة الأراضى المحتلة ، فهذه مسألة خاصة بها ولا ينبغى أن يتدخل فيها غيرها .

ولم تكن إسرائيل مهتمة بمناقشة مشكلة اللاجئين لأن هذه مسألة تهم الآخرين، وعليهم أن يتصرفوا .

وفى حين بدت قضية الأراضى المحتلة عويصة ، فإن قضية اللاجئين بدت قابلة للحل ، خصوصا وأنه كان من الصعب على المجتمع الدولى ـ ممثلا فى الأمم المتحدة ـ أن يشيح بوجهه عن مأساة سبعمائة ألف لاجئ .

ومن المفارقات أن الدول العربية كانت على استعداد لقبول حل وسط فى قضية اللاجئين:

- كان الملك "عبد الله" مستعدا لتوطين مائتى ألف لاجئ فلسطينى فى الأردن .

- وأبدى رئيس سوريا الجديد "حسنى الزعيم" استعداده لتوطين ثلاثمائة ألف لاجئ فلسطينى فى سوريا إذا أمكن تعديل حدود سوريا مع إسرائيل بحيث تضم منطقة الحولة إلى بحيرة طبريه لسوريا .
- وحتى مصر ، وطبقا لمحضر لقاء بين القائم بالأعمال الأمريكى فى القاهرة المستر "باترسون" مع رئيس الوزراء "ابراهيم عبد الهادى" باشا لم يكن لديها مانع ـ "رغم ازدحامها الشديد بالسكان" ـ من توطين أعداد من اللاجئين فيها ، ولو لمجرد أن تضرب مثلا لبقية الدول العربية .

على أن الدول العربية لم يكن فى استطاعتها أن تبدى كل هذا الاستعداد لحل وسط فى مشكلة اللاجئين دون أن تطلب فى المقابل حلا وسطا لمشكلة الأرض المحتلة خارج خط التقسيم الذى وضعته الأمم المتحدة . ولم تكن إسرائيل على استعداد للحل الوسط فى الموضوعين : لا الانسحاب من أراض ، ولا السماح لأى عدد من اللاجئين بالعودة إلى فلسطين .

وكان يمكن أن ينهار مؤتمر "لوزان" من أول يوم .. لكن إسرائيل لم تكن تريد ذلك. فقد كان قرار قبولها عضوا فى الأمم المتحدة معروضا على الجمعية العامة . وحضرت الجولة الأولى من أعمال لجنة التوفيق . ثم صدر قرار الجمعية العامة بقبول عضويتها ، وتم لها ما أرادت ، وتغيبت عن الجلسة الثانية ، وسافر وفدها عائدا إلى تل أبيب ولم يعد إلى "لوزان" .

أى أن "لوزان" كانت بالنسبة لإسرائيل مجرد مناورة حتى تقبل عضوا فى الأمم المتحدة وتكتمل لها بذلك شرعية الوجود الدولى . وحين تحققت لها العضوية تركت اجتماعات لوزان للراغبين فيها والمستعدين لها .

وأضيفت الخديعة إلى كل ما سبقها من أسباب ، وأصبح حجم المحرمات بحجم ما ضاع من مقدسات على الأرض ، وفى العقول وفى القلوب أيضا .

كانت المنطقة بالفعل فى حالة ثورة . وكانت مهيأة لوقوعها . وكان "بن جوريون" نفسه ـ وبنص ما كتبه فى يومياته ـ مشغول البال بهذا الاحتمال إذا صدقت شواهده .

وكان شاغله الثانى تحويل الدولة التى جرى غرس جذرها فى الأرض إلى شجرة قوية قادرة على مواجهة العواصف إذا لاحت نذر هبوبها !

٢

أديـنــــــــــــاور

" هـل تستطيع أن تدبـر للدولـة مائـة ألـف دولار
على عجـل "

(برقية من وزير المالية الإسرائيلى إلى "ناحوم جولدمان")

طبقا لمحاضر مجلس الوزراء الإسرائيلى التى قرأها الأستاذ "مايكل بريشر" ونقـل منهـا فى دراسته العتيدة عن صنع القرار السياسى فى إسرائيل[٢] - فإن هذا المجلس كان من منتصف ١٩٥٠ إلى منتصف ١٩٥١ مثقلا بمجموعة قضايا ملحة وعاجلـة ، وبعضها يهـدد كيان الدولة الوليدة :

١ - كان تسليح الهاجاناه وتحويلها إلى جيش نظامى لدولة ، وتدريبه على هذا الأساس وتسليحه قد استنزف جزءا كبيرا من الموارد المتاحة للوكالة اليهودية ولدولة إسرائيل بعدها . فتكاليف السلاح استنفدت أكثر من مائة مليون جنيه استرلينى (بأسعار ذلك الوقت) . ثم إن نفقات إقامة إدارة جديدة استغرقت فى السنة الأولى مبلغا مماثلا . ويرد فى محاضر مجلس الوزراء تعبير تكرر كثيرا على لسان "بن جوريون" ، وهو قوله : "إن الحرب لم تستطع تركيعنا ، وأخشى أن الإفلاس قد يقوم بهذه المهمة" .

٢ - وكان الشاغل التالى لمجلس الوزراء الإسرائيلى هو مقاومة الضغوط الدولية التى تسعى لتنفيذ قرار الجمعية العامة بالتقسيم وما لحق به من قرارات مجلس الأمن ، متعلقا بعودة اللاجئين إلى أراضيهم ورسم حدود للدولة اليهودية تتفق مع قرار التقسيم ، وتخليها عما عدا ذلك من أراض احتلتها بالسلاح أثناء معارك ١٩٤٨ .

---

(٢) دراسة منشورة على أربعة أجزاء تحتوى جميعا على أكثر من ثلاثة آلاف صفحة .

٣ - وكان الهم الأكبر لمجلس الوزراء الإسرائيلى ، وإن لم يتجاسر أى من أعضائه على البوح به علنا ، هو : خلق الظروف الملائمة لتحقيق السيادة الإسرائيلية الكاملة على القدس رغم معارضة الفاتيكان . وكانت هذه المعارضة فى ذلك الوقت أهم من اعتراضات الدول العربية مجتمعة . ولم تكن إسرائيل تريد استثارة شكوك العالم المسيحى فى مقاصدها بشأن القدس .

٤ - كان مجلس الوزراء أيضا يريد استعادة صورة الدولة اليهودية الضعيفة والمحاطة بأعداء من العرب على كل جانب . فمسار الحرب وما حققته إسرائيل فيها ، شدا أنظار كثيرين فى العالم إلى أن هناك قوة يهودية قادرة بالسلاح . وهذا من شأنه أن يثير حساسيات لدى القوى العظمى المهتمة بالشرق الأوسط ، إلى جانب أن الرأى العام العالمى قد يدير ظهره معتبرا أن إسرائيل قادرة على الوقوف وحدها ، وأن اليهود الذين عادوا إلى "وطنهم التاريخى" لم يعودوا فى حاجة إلى مساعدة من أحد لتحقيق هدفهم .

وكانت كل هذه القضايا تختزل نفسها فى الهمّ الاقتصادى الذى أصبح هاجسا ملحا وبشدة . وفى مناقشات مجلس الوزراء تبدى بجلاء أن المجلس متردد فى طلب معونات على نطاق واسع للمساعدة على إقامة الدولة خشية أن يستغل طلب هذه المساعدات فى طلب مقابل تدفعه إسرائيل ويتمثل فى استجابتها لقرار التقسيم أو قرارات مجلس الأمن .

وفى جلسة مجلس الوزراء الإسرائيلى فى شهر سبتمبر عرض رئيس الوزراء "دافيد بن جوريون" للأحوال بقوله : "إن دولة إسرائيل واجهت منذ أواخر سنة ١٩٤٩ موقفا بالغ القسوة ، وهو يهدد وجود الدولة . وكل المؤشرات أمامنا سلبية . وقد فرضنا برامج للتقشف ، لكن هناك حدودا لما يمكن أن يضحى به الشعب الإسرائيلى . إن المشكلة التى فاقمت من الأزمة هى أن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل زادت بعد قيام الدولة . فقد تدفق عليها منذ مايو ١٩٤٨ وحتى الآن ستمائة ألف مهاجر يهودى ، الأمر الذى ضاعف تعداد سكانها تقريبا . والمشكلة أن هؤلاء المهاجرين الجدد من المعدمين تقريبا . وقد جاءوا وليس لديهم ما يعطونه للدولة وإنما هم يطلبون منها كل شىء ."

ثم ترك "دافيد بن جوريون" الكلمة لوزير المالية "إليعازر كابلان" الذى شرح الحالة الاقتصادية بالتفصيل مظهرا أن إسرائيل تلقت سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ تبرعات قدرها ٩٠ مليون دولار من يهود العالم ، بينما كانت نفقاتها فى نفس السنة ٢٦٣ مليون دولار . وذلك أنشأ حالة عجز شديدة أدت إلى أن ٤٢٠ ألف شخص فى إسرائيل يعيشون تحت حد الفقر .

ولم تكن هموم "بن جوريون" حكرا عليه ، وإنما كان الأمر فيها شركة بين الدولة وبين الحركة الصهيونية العالمية ، والتى كانت رئاستها فى ذلك الوقت قد آلت إلى "ناحوم جولدمان" ، وهو يهودى من ليتوانيا هاجر إلى ألمانيا واستطاع أن يجمع حوله دائرة من المثقفين اليهود . ثم هرب من ألمانيا ـ مع صعود "هتلر" ـ إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهناك راح يدور حول مجموعة من الماليين الأمريكيين اليهود . وكان ذلك من الفوارق الكبيرة بين يهود أوروبا ويهود أمريكا . ففى حين كان عنصر المثقفين هو الأظهر بين يهود أوروبا ، كان عنصر الماليين هو الأظهر بين يهود أمريكا .

كان "ناحوم جولدمان" بالطبع على صلة وثيقة بالأوضاع فى إسرائيل . وقد ألحت عليه احتياجات الدولة اليهودية ، لكنه لم يجد حلا جاهزا للتخفيف من أزمتها . فالحل الذى يخطر على البال هو طلب معونة أمريكية ، لكن الولايات المتحدة قد يكون لها رأيها بشأن الحدود ، وبشأن القدس واللاجئين ، لاسترضاء أصدقائها فى المنطقة وفوق أرضهم مصالحها . وهكذا فإنه كان على "ناحوم جولدمان" أن يبحث عن وسيلة أخرى لإنقاذ إسرائيل بعيدا عن الولايات المتحدة فى هذه المرحلة على الأقل .

ويروى "ناحوم جولدمان" فى مذكراته أنه ذهب إلى "نورمبرج" ليتابع محاكمات القادة النازيين عن جرائم الحرب ، وفى مقدمتهم الماريشال "جورينج" نائب "هتلر" فى الحزب النازى ومسئول الطيران فى الرايخ الألمانى . ويومها كان "جولدمان" حزينا ومشتت التفكير . ولم يكن داعيه إلى هذه المشاعر أنه يحضر محاكمة زعماء النازية ، وإنما كانت مشاعره الحزينة المشتتة راجعة إلى سبب آخر طارئ وعاجل . فقد تلقى صباح ذلك اليوم رسالة من وزير مالية إسرائيل يسأله فيها : "هل تستطيع أن تدبر "للدولة" مائة ألف دولار على عجل ؟"

وكان "جولدمان" على حد تعبيره "مرعوبا" من "دولة" تحتاج إلى مائة ألف دولار بهذه السرعة واللهفة .

وبينما كان "جولدمان" يتابع وقائع المحاكمة تداعت خواطره كما يروى فى مذكراته ، وتساءل : "إن محاكمة هؤلاء القادة النازيين عن جرائمهم عادلة ، وهم يستحقون الإعدام إذا صدر به الحكم عليهم ، ولكن ما الذى يجنيه الشعب اليهودى من إعدامهم ؟" ثم برقت فى ذهنه فكرة : "أليس من الواجب أن يتحمل الشعب الألمانى بتعويض ضحايا النازى من اليهود عما جرى لهم طوال حكم هتلر ، ثم أن يتم توجيه هذا التعويض إلى الوريث السياسى لهؤلاء الضحايا اليهود (وهو فى ظنه دولة إسرائيل الجديدة) ؟". وكان تقديره طبقا لما كتب أن ذلك تحقيق للعدالة فى أفضل صورها ، ثم هو إنقاذ لإسرائيل فى أكفأ

ترتيب. ويقول "جولدمان" فى مذكراته : "كان عقلى يقول لى "يجب أن نجعل الألمان يدفعون"، وكان قلبى يقول لى"وكيف أرضى أن أمد يدى إليهم" ؟"

□

واتصل "جولدمان" ببعض الأعضاء اليهود الذين انتخبوا حديثا فى "البوندستاج" (البرلمان الألمانى) وتحدث معهم فيما خطر له . وشجعه أحدهم ، وهو الدكتور "نواه بارو" ، الذى قام بجس النبض فعلا فى بون ، ثم بحث عن "جولدمان" لإبلاغه فوجده يقضى إجازة على شاطئ بحيرة فى سويسرا . وكانت المصادفات السعيدة تلعب دورها لأن الدكتور "بارو" ذهب إلى "جولدمان" فى قرية "فيفيه" ليقول له : "إن مستشار ألمانيا أديناور موجود فى سويسرا يقضى إجازة هو الآخر ، والفندق الذى يقيم فيه على بعد ساعة واحدة بالسيارة من هنا" . وأضاف الدكتور "بارو" إلى ذلك قوله إنه فاتح "أديناور" فى فكرة دفع تعويضات لليهود عما لاقوه من اضطهاد النازى ، ثم أن تذهب هذه التعويضات إلى دولة اليهود فى فلسطين . وقد وجد استجابة من "أديناور" . ويقتضى الأمر الآن أن يذهب إليه "جولدمان" و يقابله لبحث الموضوع وإتمام الاتفاق عليه .

ويقول "جولدمان" إنه طلب من الدكتور "بارو" أن يعطيه "أديناور" إشارة مسبقة باستعداده للفكرة . ونجح "بارو" فى مهمته ، وأعطى "أديناور" إشارة علنية أثناء اجتماع للبوندستاج قال فيها "إن ألمانيا الجديدة لم تكن راغبة فى حدوث ما حدث فى معسكرات الاعتقال مثل "أوشفيتز" ، وهو يتقبل مسئولية الشعب الألمانى عما حدث لليهود ." وعند هذه النقطة وجد "جولدمان" أن يتصل بالحكومة الإسرائيلية . ومن الغريب أن اقتراح طلب تعويضات من ألمانيا حين عرض على مجلس الوزراء الإسرائيلى أثار انقساما . ففى حين أن رئيس الوزراء "دافيد بن جوريون" ووزير الخارجية "موشى شاريت" ووزير المالية "إليعازر كابلان" تحمسوا للفكرة باعتبارها إنقاذا لإسرائيل ـ فإن الأحزاب الدينية المشاركة فى الوزارة اعترضت عليها بدعوى أن أرواح اليهود من ضحايا النازى تعتبر أى مال ألمانى ملوثا بالنجاسة ! ودافع "بن جوريون" عن الفكرة باعتبارها تحقيقا للعدل . ودافع عنها "كابلان" باعتبارها إنقاذا للاقتصاد الإسرائيلى الواقف على شفا الانهيار . ودافع عنها "شاريت" باعتبارها ـ إلى جانب ما ذكره "بن جوريون" و"كابلان" ـ اعترافا أوروبيا بأهمية دولة إسرائيل ممثلة ليهود العالم ، وإلى جانب الاعتراف الدولى فإنها مؤدية لا شك إلى تعزيز وضع إسرائيل الإقليمى .

وبدأ "ناحوم جولدمان" ـ بعد أن تلقى الضوء الأخضر من إسرائيل ـ يفاوض "أديناور". وقد توسع فى طلباته ، فلم تعد التعويض عن أرواح الضحايا فقط ، وإنما عن ممتلكاتهم أيضا .

وبينما "جولدمان" يتفاوض ، نقل إليه "دافيد هوروفيتز" رسالة من الحكومة تطلب منه الاستعجال لأن دولة إسرائيل على وشك الانهيار . ووجد "جولدمان" تكييفا معقولا لتقديم مطالبه إلى "أديناور" . وكان تكييفه هو أن إسرائيل لن تأخذ ثمنا عن اليهود من ضحايا النازى ، وإنما هى تطالب بتكاليف توطين المهاجرين الجدد إلى إسرائيل . وبحساب أن إسرائيل تلقت نصف مليون مهاجر ، وأن كل واحد منهم يلزمه ثلاثة آلاف دولار لكى يستقر ، فإن ألمانيا مطالبة بأن تدفع ٥ر١ بليون دولار على الفور . وقبل "أديناور" ، ولكن الطلبات الإسرائيلية راحت تتزايد . فقد اكتشف مجلس الوزراء الإسرائيلى أن الثلاثة آلاف دولار لكل مهاجر ليست كافية . ثم إن اعتراف "أديناور" بمسئولية الشعب الألمانى باب مفتوح على مصراعيه للدخول . ويروى "جولدمان" فى مذكراته أن المفاوضين الإسرائيليين فى موضوع التعويضات كانوا يتصرفون بطريقة دعته إلى أن يقول لرئيس الوفد الإسرائيلى المفاوض : "حاذر وإلا أحس الألمان أنهم إزاء دائن يريد أن يقتص دينه من لحمهم الحى" . ويقول "جولدمان" فى مذكراته : "إننا بدأنا بطلب ٥ر١ بليون دولار ، وانتهينا وقد دفعت ألمانيا ٦٠ بليون دولار" . (وبقيمة النقود مقارنة بالنسبة لما كانت عليه وقتها والآن ، فإن هذا المبلغ يساوى تريليون دولار تقريبا) .

كانت عملية إنقاذ إسرائيل من الانهيار الاقتصادى تتم بنجاح .

ولكن المحيط الملتف حول إسرائيل لم يكن ساكنا هادئا ، بل إن رياح الثورة ـ التى تحسّب لها هو قبل غيره ـ لم تعد مجرد نبوءة أرصاد سياسية ، وإنما تلوح الآن على الأفق بوادرها .

٣

جمـــال عبـد النـاصــــــر

"ليس لدينـــا عـداء مع مصـــر بسبب مـا فعلـه الفراعنـة مع أجدادنا فى مصـــر "

(أول تصريح لـ"بن جوريون" بعد قيام ثـورة يوليـو ١٩٥٢)

لا يعـرف التاريخ فجـوات أو فراغـات ، وذلـك لا يعـنى أن التـاريخ حتميـات تـؤدى إحداها إلى الأخرى بحكـم قانـــون تنفـــذ أوامـــره . فمثـــل ذلـك ليـس إنسـانيا ، وبالتـالى ليس تاريخيـا .

على أن حيـاة البشـر وتوجهاتهم لهـا منطـق ، ولهـذا المنطـق أسـبابه ، وهـى أسـباب تحتفظ دائما بثوابتها ولكنهـا تتشـكل فـى كـل عصـر بمـا يلائمـه ، وتعـبر عنـه بلغتــه ، وتضيـف إلى دواعيه بالدرس الواعـى والخلـق المبـدع . وربما أن ذلك هو الذى يحدث الخلــط بين فعـل الثوابت وتصـور الحتمية التاريخيـة .

وفى صباح ٢٣ يوليـــو ١٩٥٢ قامـــت فـى مصـــر ثـورة ، بـــدأت حركـة فـى الجيــش وتحولت إلى يقظـة شعـب استطاع وسـط أزمات تحاصره أن يتجاوز واقعـه وأن يهـم واقفـا .

كانت هناك خمائـر فى فكـر الشـاب الذى قـاد هذه الثـورة صباح ٢٣ يوليـو تومـــئ مـن بعيد إلى أن مدرسـة الشـرق فى السياسـة المصريـة جـاء يومهـا :

● الشـاب الذى قـاد الثـــورة ينتمـى إلى مجموعة من ضبـاط الجيش يعـــتبرون "عزيـــز المصـرى" أبـا روحيا لهـم (و"عزيز المصـرى" هو واحد من أبـــرز شـخصيات الثـــورة العربيـــة التى بدأهـا الضبـاط العـرب فى الجيـش التركـى ، وعقـدوا فى إطارهـا صلاتهـم مـع كثـيرين من مفكـرى وساسـة وأمـراء تلك المرحلة الفـوارة التى واكبـت الحرب العالمية الأولـى) .

● والسياسـى الذى وقـع عليه الاختيار ليكون أول رئيـس لـوزراء العهـد الثـورى "علـى ماهــر" ، هو واحـد من أبـرز أنصـار التوجـه شرقـا فى أواخـر الثلاثينات مع بدايـــة حكـم الملـك "فـاروق" .

● والمستشار الأكبر للثورة فى سنتها الأولى "عبد الرزاق السنهورى" ، هو الرجل الذى وضع معظم التشريعات الحديثة لعدد كبير من البلاد العربية .

● والأعوان الذين اختارتهم الثورة فى شهور تالية لقيامها كانوا من شباب "مصر الفتاة" مثل "فتحى رضوان" و"نور الدين طراف" ، كما كان بينهم آخرون من شباب الإخوان المسلمين مثل الشيخ "أحمد حسن الباقورى" ، أو المتعاطفين معهم مثل الأستاذ "محمد فؤاد جلال" .

● ومن المفارقات أن "جمال عبد الناصر" نفسه دخل السياسة لأول مرة عن طريق تظاهرة لجماعة مصر الفتاة سار فيها مع غيره من شباب الإسكندرية ، وجرح فى الشارع، وقبض عليه وقضى ساعات فى قسم بوليس المنشية .

● ثم إنه فى مرحلة من عمره اتصل بالإخوان المسلمين ، وتعرف على "حسن البنا"، وارتبط بصداقات قوية مع زملاء له كانوا أعضاء فى تنظيم الإخوان .

● وربما أضيف إلى ذلك أن "جمال عبد الناصر" شارك فى حرب فلسطين وأسهم فى معاركها أثناء خدمته كضابط أركان حرب الكتيبة السادسة المشاة العاملة علىمحور "عراق المنشية الفالوجة ـ عراق سويدان" ، وكان بين المحاصرين فى هذا الجيب فى قلب النقب، وكان بين المخططين والمقاتلين لواحدة من أهم معارك الحرب، ثم إنه كان مصاحبا لقائد الكتيبة حينما التقى فى مستعمرة "نجبا" مع "ييجال آللون" قائد الجبهة الجنوبية ، أثناء محاولة لتثبيت خطوط الهدنة .

● قبل ذلك وأثناء دراسته العسكرية كان "جمال عبد الناصر" قد وضع رسالته لامتحان كلية أركان الحرب عن "خطة الجنرال اللنبى فى فلسطين" ، وكان "اللنبى" يعتقد أن الدفاع عن مصر يرتكز على الخط الممتد من غزة إلى بير سبع . وكان "جمال عبد الناصر" مقتنعا بهذا الاتجاه وقد اختبره بنفسه فى فلسطين ، أى أنه توصل إليه دارسا وتأكد منه محاربا .

إن ذلك لا يعنى أن ثورة ٢٣ يوليو كانت وليدة لحركة الضباط العرب فى الجيش التركى ، أو حركة مصر الفتاة ، أو حركة الإخوان ...

ولا كانت متأثرة بحزب الوفد الذى كان "جمال عبد الناصر" يظنه حزب الأغلبية.
ولا كانت قريبة من أحزاب الأقلية الليبرالية رغم أن أقرب المستشارين إلى الثورة فى شهورها الأولى كانوا منها ("عبد الرزاق السنهورى" من السعديين . و"سليمان حافظ" من الحزب الوطنى) .

ولا كانت مفتونة بأحزاب اليسار، وقد استكشفها "جمال عبد الناصر" واختبر مقولاتها ...

وإنما كان معنى ذلك كله أن الأفكار والتوجهات الكامنة فى ضمائر الشعوب والتى يمكن أن تعبر عن نفسها بأشكال بدائية أو مرحلية لا تتآكل بفشل التعبيرات الأولى عنها ، ولا بضعفها ، وإنما تعطى نفسها حياة جديدة ومتجددة فى كل زمن طبقا للظروف ولإمكانيات الفعل المتاحة لها .

وباختصار فإن ثورة ٢٣ يوليو كانت تعبيرا عن عدة أفكار وتوجهات :

١ ـ طلب الجلاء والاستقلال الوطنى .

٢ ـ وحلم التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

٣ ـ وضرورة الاتجاه شرقا نحو قلب العالم العربى والتفاعل معه .

٤ ـ وأهمية إقامة جسور جديدة أعمق وأوسع مع المشرق، وبالذات سوريا ، لأن الأمن القومى المصرى هناك فى مكان ما: على خط غزة بير سبع طبقا لرأى "اللنبى" ، وعلى قمم جبال "طوروس" طبقا لآراء أخرى سابقة منذ عهد "محمد على" .

٥ ـ وفيما بعد وفى مراحل لاحقة تجلى انتماء مصر العربى ، وجعل من تلك الأفكار والتوجهات حزمة واحدة .)

□

وعقب قيام الثورة فى مصر بساعات، اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى وعلى جدول أعماله بند واحد هو : "التطورات الأخيرة فى مصر" . وكانت المخابرات الإسرائيلية قد أعدت بسرعة ملفا عن اللواء "محمد نجيب" ، فقد كان هو الشخصية الظاهرة على قمة الحدث الكبير الذى وقع فى مصر .

كان "دافيد بن جوريون" وقد سجلها فى أربعة مواضع من مذكراته يبدى خشيته من أن يظهر بين العرب "شخص يماثل شخصية "كمال أتاتورك" ليعيد إلى العرب ثقتهم بأنفسهم ، ويقودهم على طريق التقدم والبناء فى مجالات الصناعة الكبيرة والزراعة الحديثة ، والنهوض الفكرى والاجتماعى . وكان ذلك أكبر خطر على إسرائيل !"

وكانت أمام مجلس الوزراء الإسرائيلى أسئلة بغير إجابات فى تلك الساعات المبكرة من صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :

- كان واضحا أن "محمد نجيب" يقود مجموعة من الضباط الشبان ، فما هى هوية واتجاهات هذا الرجل وهؤلاء الضباط ؟
- أى نوع من الناس هؤلاء الضباط الذين استولوا على السلطة فى مصر بهذه السرعة والكفاءة ؟
- وهل هم من نوع الضباط الذين أفرزتهم الانقلابات السورية ("حسنى الزعيم" و"سامى الحناوى" و"أديب الشيشكلى") أم هم شىء آخر ؟
- أو هل هم نوع من الضباط الذين يظهرون فى عواصم أمريكا اللاتينية بين وقت أو آخر أم هم طراز مختلف ؟
- هل قضيتهم داخلية كما يشير البيان الأول الصادر عنهم بعد نجاح حركتهم ؟
- هل أثرت تجربة فلسطين فيهم مع الأخذ فى الاعتبار أن "محمد نجيب" وربما آخرين غيره من رفاقه شاركوا فى الحرب ؟
- هل يتجهون إلى المشرق العربى ؟ وهنا يكون صدامهم مع إسرائيل ؟
- هل يركزون جهدهم على مواصلة طلب جلاء الجيوش البريطانية عن أرض وطنهم لتحقيق استقلالها الوطنى ؟ وإذا حدث فماذا بعد ذلك ؟

وانتهى اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلى فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا ، وصدر عنه بيان موجه إلى القيادة الجديدة فى مصر يقول :

"إن مجلس الوزراء درس باهتمام تطورات الحوادث فى مصر ، وإن الحكومة الإسرائيلية تأمل أن يدرك الضباط الذين استولوا على الحكم فى القاهرة أن حكم الملك فاروق وباشواته قد جر وطنهم إلى مشاكل لا لزوم إليها ، و إلى حروب لا جدوى منها ، بسبب قضايا لا تهم مصر التى يجب أن تركز جهدها على تطورها السلمى . والحكومة الإسرائيلية تأمل أن تستطيع مصر وإسرائيل أن تجدا سبيلا للعيش المشترك الآمن فى جوار حسن وسلام مستقر فى الشرق الأوسط."

ثم أضاف "بن جوريون" إلى بيان مجلس الوزراء تصريحا صحفيا حمل عبارة ذات معنى :

"إن إسـرائيل ليس لديها عـداء مع مصـر بسبب ما فعله الفراعنـة مع أجدادنـا ، ولا بسبب عدوانها علينا مـرة أخـرى منذ أربـع سنوات . ما جـرى جـرى . نحن على استعداد للصفح ونسيان الماضى !"

☐

كان "جمال عبد الناصر" قريبا جدا مـن السـؤال الأخـير الذى طـرح أثنـاء مناقشـات مجلس الوزراء الإسرائيلى بمعنى أن شاغله بالدرجة الأولى كان طلب الجـلاء البريطـانى عـن مصـر وتحقيق استقلالها الوطـنى .

ولم يكن "بن جوريون" يعرف ذلك فى أوانه لأن المعلومات ـ على كثرة مصادرها ـ كـانت تقول إن قيادة الثـورة غير واضحة وغير محـددة ، ثـم بـدأت الصـورة تنجلـى، ويظهـر أن القائد الحقيقى للثـورة ضابـط شـاب فى بواكير الثلاثينات من عمـره ، ولا يعـرف لـه انتمـاء سياسـى محـدد .

ويـروى "بـن جوريون" أن الجنرال "ييجال آللون" والذى أصبح عضوا فى وزارته قال لـه إنه قابل "جمال عبد الناصـر" عندما جـاء إليه مع قائد الكتيبة السادسة فى مستعمرة "نجبـا" أثناء الحـرب . وقد توصـل "آللـون" لهذا الاكتشاف عندما سمـع باسم "جمال عبـد الناصـر" وإنه كان ضابط أركان حـرب الكتيبة السادسة ، وبعد قليل من التحـرى تذكـره وأضـاف أن انطباعه الذى خـرج به هو أنه ضابط وطـنى مشغول بمصـر وحدها وليس مهتما بما هو أكـثر. (وكان ذلك ادعاء لا تـبرره الوقائع ، فلم تكن لدى "آللـون" وسيلـة إلى أحكام أو استنتاجات لأن "جمال عبد الناصـر" لم يفتـح فمـه بكلمـة واحـدة أثنـاء الاجتمـاع ، وكـان تدخلـه فـى الاجتماع مرة واحدة عن طريق كتابة ورقـة صغيرة تحمل ملاحظة رأى أن يضعها تحت نظـر قائـده الأميرالاى سيـد طـه .)

لكن "بـن جوريون" كان لديه مصـدر آخر أقـرب إلى الصـدق من "آللـــون" ، وهـو ضـابط إسرائيلى كلـف بالاتصال مع القوات المصريـة فى "الفالوجة" ضمن اتفاقات الهدنـة ، واسمـه "يريفان كوهين" ، وكان ذلك الضابـط قد التقى والرائد "جمال عبد الناصـر" مرتـين بـالفعل . مـرة فى المنطقة الحرام حين جـاء يرفـع علمـا أبيـض ويحمـل مقترحـات لتثبيـت وقـف اطـلاق النار فى "عـراق المنشيـة" .

والمرة الثانية كانت بعد انتهـاء القتـال ، وحـين تبـين أن القـوة المصريـة التـى يقودهـا "جمال عبد الناصـر" دفنـت مائـة وثمانية عشر جنديـا يهوديا سقطوا فى المعارك ضدها قرب

مواقعها فى مكان لم يستطيعوا الاهتداء إليه بعد انتهاء الحرب . وكان أن سعى الدكتور "رالف بانش" ، وهو الوسيط الدولى الذى حل محل سلفه المقتول "برنادوت" لكى يعود الضابط المصرى الذى قاد المعركة فى "عراق المنشية" إلى ميدان معركته القديمة ويدل على مواقع قتلى العدو الذين دفنوا هناك .

وذهب "جمال عبد الناصر" مع مجموعة من ضباط الهدنة ، ورافقهم ضابط الاتصال الإسرائيلى "يريفان كوهين" . وروى "كوهين" أنه طوال الطريق إلى "عراق المنشية" كان حديث "جمال عبد الناصر" عن الإنجليز والطريقة التى استطاعت بها قوات الهاجاناه أن توجه إليهم ضربات موجعة فى المراحل الأخيرة من حياة الانتداب البريطانى على فلسطين.

(وكان ذلك أقرب إلى الصحة مما رواه "ييجال آللون".)

□

كان "جمال عبد الناصر" بالفعل يركز على طلب الجلاء وتحقيق الاستقلال ، وتلك أولويته الأولى . وبعد ذلك فقد كانت هناك مطالب للتقدم الاجتماعى يمثلها الإصلاح الزراعى ، وكانت هناك أيضا مطالب للتنمية تمثلت فى المشروعات التى عهد بها إلى مجلس الإنتاج الذى أنشئ على عجل ، وأنشئ بجانبه مجلس للخدمات حوّلت إليه حصيلة الأموال المصادرة من ثروة الملك "فاروق" وعائلته ، بعد إلغاء الملكية أساسا وإعلان الجمهورية فى مصر .

ولم تكن فلسطين فى تلك الأوقات شاغل "جمال عبد الناصر" ، بل لعل تجربته فى فلسطين ركزت أنظاره على مصر بأكثر مما استبقتها هناك قرب ساحات القتال :

- لاحظ عند ذهابه مع الكتيبة السادسة إلى فلسطين أنه عبر القناة فى قطار قام الجنود الإنجليز فى قاعدة قناة السويس بالتفتيش عليه والإذن له بالمرور .

وقد استغرب أن يذهب جيش إلى معركة لإنقاذ وطن آخر بينما الوطن الأصلى تحت احتلال قوات أجنبية تفتش جيشه الوطنى وتأذن أو لا تأذن له بالمرور.

- ولقد رأى فى فلسطين كيف تدار الحرب فى القاهرة ، وترسخ لديه اعتقاد أن مشاكل مصر فى القاهرة وليست فى فلسطين .

وقد أشار "جمال عبد الناصر" إلى هاتين التجربتين فى كتيب نشره فى مطلع سنة ١٩٥٣ بعنوان "فلسفة الثورة" .

ويذكر "ناحوم جولدمان" فى مذكراته أنه دخل على "دافيد بن جوريون" ذات يوم فوجده ممسكا بكتاب صغير عليه صورة لضابط مصرى شاب .

وسأله : "ماذا تقرأ يا دافيد ؟"

ورد عليه "بن جوريون" وهو يمسك بالكتيب فى يده :

ــ "هؤلاء الشبان فى مصر لن يعقدوا صلحا مع إسرائيل . هذه مطبوعة كتبها الشاب الذى نعرف الآن أنه قائد "الانقلاب فى مصر" ... لا بد أن تقرأ هذا الكتاب فهو أسوأ من كتاب "كفاحى" الذى نشره هتلر .. إن ما فيه مزعج ، وهؤلاء الشبان سوف يكونون أخطر على إسرائيل مما كان نظام فاروق .. إنهم يرفضوننا . يرفضون إسرائيل ولن يعقدوا سلاما معنا . وسوف نصطدم معهم لا شك عندى ." !

٤

كافـــــــــــــــرى

"منـذ ٢٣ يوليـو لـم أجـد لـدىّ الوقـت لأكتـب رسائـل إلى أى إنسان "

(جمـال عبـد الناصـر" للسـفير الأمريكـى فـى القاهـرة"جيفرسون كافرى")

كانت كتـل الجماهـير العربيـة هى التى ترفـض وهى التى تتمسـك بأحكـام "المقدسات: المحرمات"، وكانت هذه الكتـل الجماهيرية تعلـن نفسها بأنها قد تستطيع ذات يـوم وبإرادة الحيـاة أن تدعـم الرفـض بغطـاء من الإرادة تحولـه من مقاومـة سلبيـة إلى مقاومـة فاعلـة .

لكن الأنظمة والحكومـات كـانت فـى واد آخـر وإن حـاولت أن تغطـى واديهـا بالسرية والكتمـــان . وفى الحقيقة فإنه لم يحـدث فى أى وقـت من الأوقات قبـل ثـورة سـنة ١٩٥٢ أن توقفـت الاتصالات بوسيلة أو بأخرى بين أطـراف عربيـة متعـددة وبين إسرائيل .

ورغم اغتيال الملك "عبد اللـه" سنة ١٩٥١ فإن الاتصالات مع إسرائيل مضت بعده، وإن قـل مستواها وزاد التكتم على تفاصيلها . وكـــانت عمـــان قـد وعـــت درس اغتيـال الملـك "عبد اللــه" وصرفـت النظـر عـن مشـروع معـاهدة صلـح كـان الملـك مستعدا قبـل اغتيالـه لتوقيعها. وفى الواقع فإن ضـم الضفـة الغربية إلى مملكة الملك عبـد اللـه شغـل الأردن بدرجة تكفيه عن البحـث فيما بعدها ، ولم يكن مهمـا عقـد معاهدة سـلام تغـنى عنها وقائع الحـال على الأرض دون استجلاب لمخاطر عقـد مثل هذه المعاهـدة ثم إن إسرائيل أيضا لم تكن تريـــد معاهدة فى ذلك الوقت مع الأردن لأنها قيـد لا لـزوم لـه .

وكانت سوريـا قد بـدأت قناة اتصال مع إسرائيل مـن خـلال اجتماعـات لجنـة الهدنـة بعـد رفـع مستوى التمثيـل فيها بعد انقـلاب "حسنى الزعـيم" ، واستمرت هذه القناة تعمـــل

حتى وقع انقلاب "أديب الشيشكلى" . ومـرة أخـرى كـان الاتصـال تحـت مظلـة لجنـة الهدنــة ، وارتفع مستوى التمثيل فيهــا أكـثر ، وتحـوّل الاتصـال إلى جلسـات منظمـة بـين الجنرال "موشى ديان" رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلى وبين العقيد "غســان جديــد" . وتحفل الوثائق الإسرائيلية والأمريكية فى هذا الوقت بتفاصيل عن اتفاقيات محـدودة ، بينهـا بالذات اتفاق على اقتسام المنطقة المجردة من السـلاح فى منطقـة "الحولـه" .

وكان لبنــان مفتوحا لاتصالات على مستويات متعـددة وأحيانا متنافســة .

بل وكانت السعوديـة على اتصال غير مباشـر ومباشـر بشكل ما .

فخلال مفاوضات الإعـداد لاتفاقية الـ "تابلايـن" كانت الشركات الأمريكية تقــوم بنقــل رسائـل وترتيب اجتماعات ، وبعضها جـرى فى فندق "البـلازا" فى نيويـورك .

وأكثر من ذلك فإن مديـر التخطيـط فـى وزارة الخارجيـة الإسـرائيلية "شـيلواح" حضـر اجتماعا فى جـدة مع الأمير "فيصـل" وزير الخارجيــة ، وكـان حضـور "شـيلواح" الاجتمـاع ضمـن وفـد بترولـى أمريكـى . ولم يكن هناك من يدقـق فى الهويـات .

ولم يكـن الحـال مع مصــر مختلفـا .

قبل حـرب ١٩٤٨ كانت هناك اتصالات مع القصر ومع رؤساء الوزارات والأحـزاب مـع الوكالة اليهودية ممثلـة بــ "إليـاهو ساسـون" بالدرجـة الأولى ، و إلى جانبـه فقـد كـان هنـاك الحاخام "حاييم ناحوم أفندى" وأقطاب الجالية اليهودية فى مصــر .

وبعد الحـرب كانت هناك فـرص متعددة للاتصال ، فى باريس أثناء الـدورة الاسـتثنائية لمجلس الأمـن، ثم فى لــوزان أثناء انعقـاد اجتماعـات لـجنـة التوفيـق ، ثـم فـى نيويـورك تـحـت غطاء اجتماعات الأمـم المتحـدة .

وقبل قيام الثـورة بأسابيع وصـل "إليـاهو ساســون" إلى القاهــرة بجـواز سفـر تركــى ، ونزل فى فنـدق "مينا هاوس" بعيدا عن وسـط المدينة ، والتقى بعدد من الشخصيات المصريــة كان بينها "حسـين سـرى" باشا رئيس الوزراء ، و"أحمد عبـود" باشا وهو مـالى كـبير واسـع النفوذ فى ذلك الوقت ومتداخل فى السياسـة ، والقائمقـام "إسمـاعيل شيـرين" وهـو منـدوب مصــر فى لجان الهدنة (إلى جانب كونـه مستشارا عسكريا للملـك وزوجا لشقيقته) .

وحتى قبل قيام الثــورة بأيام فإن "ساســون" وربمـا غـيره مـن المندوبـين الإسـرائيليين التقوا فى أوروبا بأكثر من واحد من الساسة الوفديين . والمؤكد أن اجتماعا عقـد فـى منتصـف شهر يوليو بين "ساسـون" وبين الأستاذ "محمود أبو الفتـح" صـاحب جريـدة "المصـرى" فـى ذلك الوقت ، وهو إلى جانب ذلك صديـق مقـرب من زعماء الوفـد .

وتـرد الإشارة إلى هذه الاجتماعات واضحـة فى الوثائق الإسرائيلية والأمريكية بالذات .

□

يـوم ٣١ يوليو ١٩٥٢ أى بعـد قيـام الثـورة بأسـبوع واحـد توجـه "أبـا إيبـان" السـفير الإسرائيلى في واشنطن ، إلى وزارة الخارجية الأمريكية على موعـد مع "باركر هـارت" مساعد وكيل الـوزارة لشئون الشرق الأوسـط ، و"ستابلـر" رئيـس شـئون مكتـب مصـر فـى وزارة الخارجية الأمريكية . وكان "أبـا إيبـان" يصحـب معـه "إلياشيف بـن هوريـن" وهـو مسـئول المخابرات في السفارة الإسرائيليـة .

وبـدأ "أبا إيبان" بأن قـال طبقا لمحضر الاجتماع الذى كتبـه "ستابلر" (وثيقة رقم ٣١٥٢ /٧٧٤٠٠/٧) :

"إنه منذ وقعت التطورات الأخيرة فى مصـر فإنه هـو وحكومته لا يكفان عـن التفكير فيما يجـرى ودلالاتـه ونتائجـه" . وأشـار إلى اجتمـاع لهـذا الغـرض سبـق أن عقـده وزيـر خارجيته "موشـى شاريـت" مع السفير "ديفيز" السفير الأمريكى فى تـل أبيـب . وقد تلقـى ملخصا عنه . وقال "أبا إيبـان" إن "الوقــت مـا زال مبكـرا للتنبـؤ بالاتجـاه الـذى ستتخذه الحوادث في مصـر ، لكنه وحكومته يـرون أن الأمـر يقتضـى اتصال الحـوار بين الحكومتـين الأمريكيـة والإسرائيلية بشأن أية علامات أو مستجدات تظهـر فى القاهـرة . وربما يسفـر هـذا الحوار عن أفكار قد تكون مفيـدة ."

ومضـى "أبا إيبان" يعـرض تفكيره فقـال: "إن ذهـاب الملـك فـاروق لا يجـب أن يكـون عنصرا مزعجا لإسرائيل ، فالملك كان متقلبا فى تصرفاته ،ثم إن عـداءه لإسرائيل كان ظاهـرا رغـم أنه قام فى الفترة الأخيرة بإعطـاء بعض مساعديه أوامـر بالتفكير فى شـروط سـلام مـع إسرائيل . ومن ناحية أخرى فإن اللواء "نجيـب" لا تظهـر لـه قسمات واضحـة تشير إلى اتجاهات سياسية يمكن التعـرف عليها والتخطيـط على أساسهـا . على أن هناك ظواهر تثـير الحـذر : فالإشارة إلى اللواء "نجيب" فى الصحافة المصريـة متكـررة باعتبـاره "بطـل حـرب فلسطين".كما أن هناك إشارات كثيرة إلى حرب فلسطين نفسها، بمـا فـى ذلـك الكـلام عـن أسلحة فاسـدة زود بهـا الجيـش المصرى وكـانت هى السـبب فى هزيمته فى الحـرب ."

وقال "أبا إيبان" إن "وزارة الدفاع فى إسرائيل قامت بتحقيق واسع النطاق عن دور اللواء "محمد نجيـب" فى حرب فلسطين ولم تعثر على أثر ظاهر لاشتراكه فى هذه الحـرب . لكـن

ومن وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية فإن مجرد الحديث عن حرب فلسطين ، ولو بأسلوب التذكر ، يمكن أن يوقظ أفكارا عدوانية بين ضباط الجيش المصرى .

ثم انتقل "أبا إيبان" إلى إبداء القلق من ظهور الديكتاتوريات العسكرية فى البلدان المحيطة بإسرائيل ، وأن هذا يؤدى إلى ضمور الفكر المدنى و إلى تضخم الفكر العسكرى كما حدث فى سوريا . وأشار "أبا إيبان" إلى حقيقة أن الولايات المتحدة دعت إسرائيل مرات كثيرة إلى أن تكون أكثر جدية فى اتصالاتها مع "الشيشكلى" فى سوريا ، وهى اتصالات أسفرت عن نتائج محدودة لا تؤثر فى الصورة العامة .

ثم أشار "أبا إيبان" إلى اتصالات أخيرة قامت بها إسرائيل ، وبالتحديد المستر "ساسون" والمستر "ديفون" فى أوروبا حيث كانا هناك على اتصال ببعض الأعضاء الكبار فى حزب الوفد . وأن هذه الاتصالات جرت قبل الانقلاب فى القاهرة ، واستمرت بعده . لكن إسرائيل لا تعرف الآن ما إذا كانت هذه الاتصالات مجدية لأن الشخصيات الرئيسية المصرية التى كانت تقوم بها غادرت أوروبا وعادت إلى مصر . وأضاف "أبا إيبان" إن ممثلى إسرائيل الذين كانوا فى أوروبا تولد لديهم الانطباع بأن زعماء الوفد الذين قابلوهم لم يكونوا معارضين[٣] لإمكانية تسوية بين مصر وإسرائيل على أساس أنه لا يوجد تناقض حقيقى بين البلدين وأنه من المستحسن تصفية التزام مصرى لا لزوم له فى فلسطين .

ووصل "أبا إيبان" فى حديثه مع "هارت" و"ستابلر" فى مبنى وزارة الخارجية الأمريكية إلى النقطة الأساسية التى يبدو أنها كانت تلح عليه ، فقال : "إن السفير الأمريكى فى القاهرة جيفرسون كافرى يتمتع بثقة واحترام كاملين فى القاهرة ، كما أن له نفوذا واسعا فى كل الأوساط السياسية فيها" . ويعتقد "أبا إيبان" أن "كافرى" فى مركز يسمح له بتوجيه النصح إلى النظام الجديد فى مصر فى شأن السلام مع إسرائيل . وقال "أبا إيبان" إنه يعرف أن هناك صعوبات جمة بينها أن الضباط الشبان الذين استولوا على

---

(٣) فى شهر يوليو وقبل الثورة كان "مصطفى النحاس" باشا قد سافر إلى أوروبا ، وودعه جمهور غفير فى ميناء الإسكندرية ، وخطب فى مودعيه قائلا لهم : " سنعود إليكم ويعود معنا دستوركم وحريتكم ، فاستعدوا من الآن للمستقبل وتهيئوا لخوض معركة الانتخابات" . كذلك سافر الأستاذ "فؤاد سراج الدين" باشا إلى أوروبا ، واجتمع قبل سفره مطولا بـ "أحمد عبود" باشا ، وتناولا الغداء معا بنادى اليخت الملكى بالإسكندرية ، ثم استقل قاربا إلى الباخرة ، وهناك قال "سراج الدين" باشا إلى مودعيه إنه سيزور فرنسا وإيطاليا وسويسرا ثم يعود فى أواخر أغسطس . وكان الأستاذ "محمود أبو الفتح" قد سبق الجميع إلى أوروبا قاصدا جنيف ، وقد قام بحجز موعد لـ "مصطفى النحاس" باشا مع أحد أشهر أطباء العيون فى جنيف . وفوجىء هؤلاء جميعا فى أوروبا بقيام الثورة يوم ٢٣ يوليو . وهرع بعض الصحفيين إلى "النحاس" باشا يسألونه عما حدث فى مصر ، ورفض "النحاس" باشا أن يعلق وقال لسائليه "إننى جئت إلى أوروبا طلبا للراحة . وفعل "فؤاد سراج الدين" باشا نفس الشىء وامتنع عن التعقيب على التطورات التى حدثت فى مصر ، طبقا لبرقية نقلتها وكالة الـ "أسوشيتد برس" من جنوا مساء يوم ٢٣ يوليو .

السلطة فى القاهرة سوف يعطون الأولوية فى اهتماماتهم للعلاقات مع بريطانيا . لكنه يأمل أن يستطيع "كافرى" إذا نجح فى إقامة اتصالات معهم أن يقنعهم بأن حل مشاكلهم مع بريطانيا لا بد أن يسبقه تفاهم من نوع ما مع إسرائيل .

وقد رد "هارت" على "إيبان" فقال له إنه يتفق معه فى أن الوقت ما زال مبكرا جدا لمعرفة نيات النظام الجديد فى مصر . لكنه شخصيا متشجع من حقيقة أنه لا"نجيب" قائد الانقلاب ولا "على ماهر" الذى اختير لرئاسة الوزارة أشارا بالتحديد إلى إسرائيل فى أى تصريح صدر عنهما . وبالنسبة لما وصف به "نجيب" من أنه "بطل فلسطين" ، فإن ذلك لا ينبغى له أن يلون نظرة إسرائيل إلى الأوضاع الجديدة فى مصر . وبالنسبة لمخاوف إسرائيل من الديكتاتوريات العسكرية المحيطة بها، فإن الولايات المتحدة لا توافق على مبدأ تغيير الحكومات بالقوة . ومع ذلك فإنه لا بد من التسليم بأن الضباط قد يستطيعون فرض نوع من الاستقرار تنتفى فيه عوامل الفساد والرشوة . وعلى أى حال فإن الحكومة الأمريكية سوف تواصل باهتمام متابعة ما يجرى فى مصر ، وهى ترى أن الاهتمام بموضوع العلاقات مع بريطانيا لا يعنى إهمال ضرورات السلام بين إسرائيل وبين جيرانها العرب . "

□

وطوال شهر أغسطس كانت إسرائيل لا تكاد ترفع نظرها عن القاهرة . وحين أشار اللواء "محمد نجيب" فى واحد من الأحاديث الصحفية التى أدلى بها بعد الثورة إلى انتقاداته للطريقة التى اتخذت بها مصر قرار الاشتراك فى حرب سنة ١٩٤٨ وقف "دافيد بن جوريون" رئيس وزراء إسرائيل فى اليوم التالى (١٨ أغسطس) أمام الكنيست ليقول مرة أخرى :

"إنه ليس هناك أساس حقيقى لعداء بين مصر وإسرائيل . ولقد أظهرت إسرائيل حسن نياتها تجاه مصر . فعندما تأزمت المشاكل بين الإنجليز والمصريين بحوادث الإسماعيلية يوم ٢٥ يناير الماضى ، ونشب بينهما نوع من النزاع المسلح فإن إسرائيل لم تحاول استغلال الفرصة ." ثم أضاف "بن جوريون" : "إننا مع اللواء نجيب نرى أن اشتراك مصر فى غزو إسرائيل فى مايو ١٩٤٨ كان عملا من أعمال الحماقة ارتكبه حكام مصر فى ذلك الوقت ،ونحن نأمل أن تقوم مصر بانتقال مستنير من عصر إلى عصر آخر ، لكن إسرائيل سوف تظل تتابع الموقف فى مصر بيقظة كاملة ."

وفي نفس اليوم ، وطبقا لبرقية من السفير الأمريكي في تل أبيب إلى وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن (وثيقة رقم ٢٢٥٢ ــ ٨/أ ٧٦٤٠٨٤) فإن وزير الخارجية "موشى شاريت" قال للسفير الأمريكي "إن كلام بن جوريون في الكنيست كان بمثابة نداء موجه إلى القادة المصريين الجدد ، وهو خطوة سياسية رتبت بعناية . وكان هو أي شاريت الذي أشار بها على بن جوريون وطلب إليه إظهار حسن نياته إزاء النظام الجديد في مصر علنا ومن فوق منصة الكنيست بدلا من إرساله عن طريق دولة ثالثة أو عن طريق أحد الوسطاء ." وقال "شاريت" للسفير الأمريكي أيضا "إن بن جوريون قال له إنه يعرف على ماهر رئيس الوزراء المصري الجديد جيدا ، وقد تقابل معه وأجريا مناقشات عديدة أثناء اجتماع مؤتمر المائدة المستديرة في لندن سنة ١٩٣٩ ، وكان على ماهر هو الذي يرأس الوفد المصري ."

ثم قال "شاريت" للسفير الأمريكي "إنهم يشعرون أنه قد تكون هناك محاولات مصرية لجس النبض، ولديهم من باريس إشارات من بعيد توحي بهذا الاحتمال. وقد قررت لجنة الأمن في مجلس الوزراء أن تبعث بشاموئيل ديفون ــ الذي سبق له الاشتراك في اتصالات مع المصريين وبينهم زعماء من الوفد ــ أخيرا إلى باريس، وسوف يلحق هناك مستشارا بسفارتهم في فرنسا . ومن المحتمل أن يتصل به "بعضهم" هناك أو في برن، وهم يرغبون في إقامة قناة اتصال وجعلها مستعدة بما يشبه قرون الاستشعار لتلقي أية رسالة."

□

وفي يوم ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ ، كان أحد مستشاري السفارة المصرية في باريس مدعوا على عشاء في بيت البارون "منشة"[٤] الذي كانت له ولأسرته مصالح كبيرة في مصر . وهناك وجد نفسه وجها لوجه أمام المستشار الجديد الملحق بالسفارة الإسرائيلية في باريس، وهو "شموئيل ديفون" . وتقدم المستشار الإسرائيلي في اتجاه المستشار المصري ، وراح ينقل إليه مشاعر إسرائيل تجاه النظام الجديد في مصر بما لا يخرج عما قاله "دافيد بن جوريون" أمام الكنيست، وأضاف بسرعة أنه مستعد لتوصيل أي إجابة وتلقي أي سؤال.

---

(٤) كان الأستاذ "محمود أبو الفتح" هو الذي نقل دعوة البارون "منشة" إلى المستشار المصري وأقنعه بتلبيتها ، وكان "أبوالفتح" صديقا للبارون "منشة" الذي كان بدوره قريبا من الاتصالات التي رتب لها "أبوالفتح" بين بعض الساسة المصريين وبعض المبعوثين الإسرائيليين .

وكتبت السفارة المصرية فى باريس تقريرا بالواقعة . ووصل التقرير إلى "على ماهر" باشا وكان وزيرا للخارجية إلى جانب رئاسته لمجلس الوزراء . وأشـر "علـى ماهـر" علـى التقرير كاتبا "إننا لا نستطيع إجراء أى اتصالات قبل أن نعـرف بوضـوح موقـف الإسرائيليين مـن تطبيق قرارات الأمم المتحـدة" .

وطـال انتظار المستشار الإسرائيلى دون أن يصله رد من نظيره المصرى ، ثم إذا هـو بعـد ثلاثة أسابيع من لقائهما الأول يبعث إليه برسالة كتب فيها "إنه يتوقـع أن يتلقـى منـه ردا على ما نقلـه إليه باسم حكومته ، وإذا لم يتلـق مثل هذا الـرد فإنه سوف يكون فـى حـل من إبـلاغ وسـائل الإعلام بأن إسرائيل اتخذت مبادرة من أجـل السـلام مـع النظـام المصـرى الجديد وأن هذه المبادرة لم تلـق غير الصمـت . وهذا سوف يسـىء إلى مصـر لدى الرأى العـام فى أوروبا وفى أمريكا ."

وقـام "على ماهـر" باشا باستدعاء السفير الأمريكى "جيفرسون كافـرى" ليقول له إن هـذه التصرفات الإسرائيلية تحمـل طابع الابـتزاز .

ولم تكـن تلـك نهايـة القصـة .

□

فى يوم ١٧ سبتمبر ١٩٥٢ بعـث السفير الأمريكى فى إسرائيل "ديفيز" ببرقية إلى وزيـر خارجيته (وثيقـة رقـم ١٧٥٢ـ ٩/٣٢٠) قـال فيها :

"أخبرنى وزير الخارجية شاريـت بعـد ظهـر اليوم أن مستشـار سفارتهم فـى باريس قد أبـرق إليهم بأنه تلقـى ما يمكن أن يعتبره دعـوة للقـاء مـن مندوبـين عـن النظـام الجديـد فى مصـر . فقد أخبره رجـل يزعـم أنه ممثل شخصى للـواء نجيـب بأنه يحمل رسالة منـه مؤداهـا أن نظامـه لا يضمـر أيـة نيـات عدوانيـة لإسـرائيل ، وأنهم إذا قـرءوا فـى الصحـف تصريحـات منسوبة إليـه أو إلى غـيره مـن الزعمـاء المصريـين فليس لهـم أن يأخذوهـا مأخـذ الجـد . وقد قـال هـذا الشخـص للمستشـار الإسرائيلى إن نجيـب مشغول الآن فى التحضير للمفاوضات مـع البريطـانيين ، ومـع ذلك فإنه سوف ينتهـز أى فرصـة ملائمة ليبحـث مع الإسرائيليين أمـورا معينـة . ولـم يفصـح هذا الشخص عن هـذه الأمـور المعينـة . وقـال لى شاريـت وهـو يبلغنـى بهذه القصـة إنه لا يعتقد أن مصـدر هـذه الرسالة هـو علـى ماهـر . كمـا أضـاف أن الحكومة الإسرائيلية لا تملك أى وسيلة للتحقـق مـن صحـة هـذه الرسـالة ، وسـوف يتعاملون معها فى الوقت الحاضر باعتبارها ردا على الرسالة التى وجههـا المستشـار

الإسرائيلى إلى نظيره المصرى فى باريس . وأبلغنى شاريت أنه بعث بتعليمات إلى شاموئيل ديفون يخوله فيها إبلاغ الشخص الذى اتصل به بالرد التالى :

١ ـ إنهم يقدرون هذه الرسالة على الأقل لأنها ليست عدائية .

٢ ـ إن إسرائيل تتابع باهتمام وفهم جهود مصر لتحسين أحوالها

٣ ـ وهم يقترحون أن تبدأ مصر فتحاول الاستفادة من تجربة إسرائيل فى استصلاح الأراضى الجديدة بما أن النظام الثورى فى مصر مهتم بهذا الموضوع . وسوف تكون إسرائيل على استعداد لوضع تجربتها الزراعية أمام مصر ."

ويبدو أن السفير الأمريكى فى القاهرة "جيفرسون كافرى" أراد أن يجس النبض بشكل ما حول ما يبلغه من اتصالات فى باريس ، فطلب موعدا من رئيس الوزراء "على ماهر"، لكن ذلك تصادف مع اليوم الذى قدم فيه "على ماهر" استقالة وزارته . واتصل مدير مكتب "على ماهر" بالسفير الأمريكى يبلغه بأن موعده مع رئيس الوزراء تأجل لأن وزارته قدمت استقالتها . وكان "كافرى" يحس بإلحاح السؤال عليه ، وبدلا من أن يوجهه إلى رئيس الوزراء فقد سأل مدير مكتبه عما إذا كانت هناك أية اتصالات مع إسرائيل عن طريق باريس . وكان مدير المكتب قد اطلع على تأشيرة "على ماهر" التى علق بها على تقرير سفارة مصر فى باريس . وهكذا فإنه رد على "كافرى" بقوله "إن مصر لا تعارض إجراء اتصالات شريطة أن تعلن إسرائيل اعترافها بقرارات الأمم المتحدة وتلتزم بها" . وسأله "كافرى" : "أية قرارات تقصد ؟" ورد مدير مكتب "على ماهر" بقوله : "كل قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم وعودة اللاجئين ووضع القدس" .

ولم يصل "كافرى" إلى جواب شاف فى شأن ما كان يجرى فى باريس .

□

وفى واقع الأمر فإن شيئا بدأ يجرى فى باريس ، ولكنه كان أبسط مما حلم به "شاريت" ، وما خشى منه "على ماهر" ، وما حاول "كافرى" أن يتأكد منه ، وكانت حقيقته أن النظام الجديد فى مصر بدأ أول محاولة لتنظيم وسائل معلوماته تحت شعور أن أجهزة الدولة التى ورثها لم يتأكد ولاؤها له أو قدرتها على خدمته فى وقت يحتاج فيه إلى أكبر قدر من المعلومات حتى يستطيع أن يدير علاقاته مع الأطراف فى مفاوضات ينتظر أن

تبدأ قريبا حول مستقبل قاعدة قناة السويس . وكانت هناك عاصمتان جديرتان بالاهتمام : لندن بسبب القاعدة العسكرية البريطانية على جانبى قناة السويس ، وباريس بسبب شركة قناة السويس نفسها ، وكان معروفا أن شركة قناة السويس ولو من وراء ستار قوة ضغط مؤثرة على مسار أية مفاوضات .

وهكذا فإن الجهاز المكلف بالمعلومات فى ذلك الوقت بعث بمندوبين : واحد إلى لندن، والثانى إلى باريس .

ولم تكن هناك مشكلة فيما يتعلق بمندوب لندن، ولكن مندوب باريس كان مشكلة.

كانت له من قبل علاقات سياسية وارتباطات ، وقد خطر له أن خير سبيل يستطيع أن يحصل منه على معلومات تبدو خطيرة فى القاهرة أن يتحرك بمرونة . وحين سمع بعد وصوله إلى باريس بما فعله المستشار الإسرائيلى مع المستشار المصرى ، فقد خطر له أن يستكمل الرواية لحسابه ، أو لحساب جمع معلومات فى ذلك الوقت ، وهكذا قدم نفسه لـ "شموئيل ديفون" على أنه مبعوث من اللواء "محمد نجيب" ، ولم يكن ذلك صحيحا . وكان تقديره أن ذلك سوف يفتح له بابا يحصل منه علىالمعلومات من عرين الأسد نفسه .

ولم يكن الإسرائيلى من السذاجة بحيث يعطى للمندوب المصرى أى قدر من المعلومات الحقيقية . وفى نفس الوقت فإن الجهاز الذى بعث هذا المندوب إلى باريس لم يلبث أن اكتشف أن حسابات مصاريفه فى باريس تزيد باستمرار ، فى حين أن محصول ما يبعث به من أخبار لا يزيد عن تكهنات منشورة فى الصحف الفرنسية !

وتحوّل السر الخطير إلى لعبة صغيرة !

□

ولم يكن المندوب المصرى فى باريس هو وحده الذى حاول أن يستفيد من تشوق "شاريت" إلى إنشاء قناة اتصال سرية مع مصر . بل إن "يوريفان كوهين" ضابط الاتصال الإسرائيلى الذى التقى بـ "جمال عبد الناصر" أثناء ترتيبات الهدنة وخلال عملية البحث عن مقابر القتلى اليهود فى الفالوجه جرب حظه فى اللعبة أيضا .

ويكتب رئيس قسم الشرق الأوسط "هارت" إلى السفير الأمريكى فى القاهرة "كافرى" برقية (وثيقة رقم ١٥٥٣ـ ٦/أ ٦٧٤٠٨٤) يقول فيها :

"يظهر أن هناك أخبارا طيبة فيما يتعلق بالاتصالات بين مصر وإسرائيل . فقد فهمت من أحد الدبلوماسيين فى السفارة الإسرائيلية هنا أن الكولونيل ناصر أرسل خطابا إلى شخص فى إسرائيل يطلب منه أن تبذل حكومته نفوذها مع بريطانيا لتسهيل المفاوضات المقبلة مع مصر . إننى لم أعرف شخصية المرسل إليه ، ولا يبدو أن الخطاب تعرض لأى شىء بالتفصيل ، لكن الواقعة نفسها قد تنطوى على احتمالات مشجعة ."

ومرة أخرى أراد "كافرى" أن يستوثق من الأمر . ثم كتب بجهوده فى هذا الشأن ردا إلى "باركر هارت" (وثيقة رقم ٢٣٥٣ ـ ٦/أ ٦٧٤٠٨٤) قال فيه :

"إننى قرأت باهتمام رسالتك إلى عن خطاب يفترض أن " ناصر " بعث به إلى شخص معين فى إسرائيل . وكنا قرأنا فى الصحف المصرية أن جمال عبد الناصر التقى بضابط إسرائيلى فى ظروف الحرب . وقد وجدت أن أفضل سبيل لتحقيق الموضوع هو التوجه مباشرة بالسؤال إلى ناصر نفسه . وكان رده : "إننى منذ يوم ٢٣ يوليو لم أكتب خطابا واحدا لأى إنسان .. ليتنى أجد الوقت لأكتب خطابات!" . وهكذا فإنه يبدو أن القصة التى وصلت إليكم ليست صحيحة ."

ثم اتضح فيما بعد أن "يوريفان كوهين" كان يحاول أن يبيع لبعض الصحف الإسرائيلية مسلسلا طويلا عن لقاءاته بالرجل الذى ظهر على قمة الحوادث فى مصر باعتباره القائد الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو .

كانت أوجه الشبه بين ما حدث فى باريس وما حدث فى تل أبيب قريبة .

فى الحالتين رجل يريد شيئا لنفسه .. فرصة للظهور ، أو فرصة للحصول على نقود .. وهى مطالب لا علاقة لها بإنشاء قنوات اتصال سرية بين مصر وإسرائيل !

٥

فوســـــــتر دالاس

"يا ســـيدى الوزيـر: إســـرائيل تملـك نفـس المزايـا التى تملكها مصـر وزيادة "

("دافيد بن جوريون" رئيس وزراء إسرائيل لـ"جـون فوستر دالاس" وزير خارجية الولايات المتحدة)

طوال النصف الثانى من سنة ١٩٥٢ كانت الثورة المصريـة تعـزز مواقعها . وبعد أن أتمت بعض الخطوات التمهيدية فى مجالات العمل الداخلى مثل الإصلاح الزراعى ، وإعلان الجمهورية ، وإلغاء الألقاب ، وإنشاء مجلسى الإنتاج والخدمات لمهام التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كان الواجب الأكبر الذى طرح نفسه عليها هو مطلب جلاء القوات البريطانية عن مصر وتحقيق الاستقلال الوطنى .

ولم تكـن المواجهـة مـع إسـرائيل سـلاما أو حربـا تطـرح نفسـها فـى جـدول الأولويات المتقدمة .

وفى نفس الوقت كانت هناك تغيرات كبرى تفرض نفسها ، وأهمها أن وضع بريطانيا فى المنطقة راح يتراجع بينما تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة ترتب مواقعها فى منطقة الشرق الأوسط على ضوء حقائق تأكدت لدى صناع القرار فيها :

١ - إن الالتزام الأمريكى تجاه إسرائيل يـزداد رسوخا . فالدولة اليهودية قامت فعلا فى فلسطين وأثبتت بالسلاح أنها قوة لا يستهان بها فى المنطقة . بل لعلها ولسنوات طويلة القوة الأقدر والأكفأ . ولن يكون فى مقدور أحد أن يطلب منها أية تنازلات بشأن الأراضى أو بشأن اللاجئين ، لأنها لن تتطوع بدفع ثمن لتهديد عربى لا وجود له !

٢ - إن الولايات المتحدة ، وهى ترى تداعى التطورات فى مصر نحو موقف ثـورى ، آثرت فى تلك الفترة أن تحتفظ لنفسها بمسافة وتنتظر ما سوف تفعله بريطانيا ،

بينما تؤسس قواعد دورها فى العالم العربى على السعودية ، وهى أهم موطن لثروات البترول. وقد حدد تقرير لهيئة أركان الحرب المشتركة الأمريكية هدف الولايات المتحدة من السعودية بقولها إن "المملكة العربية السعودية هى البلد الأكثر أهمية بالنسبة للأمن المستقبلى للولايات المتحدة .

٣ ـ وبما أن الأوضاع فى السعودية هشة ، كما أن أحوال منطقة الشرق الأوسط كلها تبدو معرضة لشتى الاحتمالات فإن الولايات المتحدة عليها أن تتمسك بثلاثة مواقع فى المنطقة : موقع إيران ، وموقع ليبيا ، بالإضافة إلى موقع إسرائيل .

٤ ــ وبتقدير أنه لا يبدو فى الأفق احتمال سلام مباشر وقريب بين العرب وإسرائيل، فإن الولايات المتحدة عليها أن تحتوى كل الأطراف فى شكل من أشكال التنظيم الجماعى الذى يستكمل حلف الأطلنطى ويكفل احتياجات الدفاع عن العالم الغربى ومصالحه . ومن شأن ذلك إذا تحقق أن يذيب الحساسيات المفرطة بين العرب وإسرائيل ، لأن تعاون الطرفين معا فى إطار ترتيبات جماعية عسكرية وسياسية يفتح الباب لما هو أبعد .

وبالفعل فإن الولايات المتحدة،وطبقا لما توصلت له من حقائق ، تقدمت إلى المنطقة بما سمى بـ"مشروع معاهدة الدفاع عن الشرق الأوسط".ولم تكن الولايات المتحدة وحدها هى التى تقدمت، وإنما جاءت ومعها بريطانيا وفرنسا وتركيا. ولم تقبل معظم دول المنطقة بهذا المشروع لسببين :

أولهما : أن دولا مؤثرة فى المنطقة ، مثل مصر والعراق ، كانت حريصة على بلوغ استقلالها أولا ، ثم النظر فى أمر الدفاع عن الشرق الأوسط بعد ذلك .

وثانيهما : أن معظم الدول العربية كانت على اقتناع ـ تحت ضغط جماهيرها ــ بأنه من الصعب عليها الالتحاق بتنظيم للدفاع عن الشرق الأوسط فى حين أن التهديد الأقرب إليها هو إسرائيل التى أظهرت رغبة فى التوسع واستعدادا لفرضه بالقوة .

وكانت الجماهير العربية فى حالة فوران ، ففضلا عما كان يجرى فى مصر فإن سوريا راحت تتعرض لتقلصات عصبية وعنيفة تمثلت فى سلسلة متلاحقة من الانقلابات العسكرية أحدها وراء الآخر .

وكان الملك "عبد الله" يتصور أنه فى انشغال الدول العربية المجاورة لإسرائيل مصر وسوريا فهو يقدر على النفاذ بصلح مع إسرائيل ليس هناك من يقاومه . ولم يكن الملك "عبد الله" يريد أن يحاول وحده ، وإنما جرب أن يقنع لبنان وهو مثله دولة صغيرة لا تقدر على الحرب وتحتاج إلى السلام ، وهى مهيأة لأن تنضم إليه .

وكانت النتيجة مأساوية ، فقد اغتيل الملك "عبد الله" على عتبات المسجد الأقصى ، كما اغتيل "رياض الصلح" رئيس وزراء لبنان السابق ، الذى كان الملك "عبد الله" يحاول إقناعه بمسايرته ، وكان اغتيال "رياض الصلح" فى عمان ذاتها ، وبعد لقاء طويل مع الملك "عبد الله" .

□

كان الرئيس "ترومان" عبر سنتى ١٩٥١ و ١٩٥٢ قد حاول أن يفتح مسالك مع الدول العربية فى شأن مستقبل الدفاع عن الشرق الأوسط . وبالفعل فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وكان الشرق الأوسط كما سلف هو مسئوليتها الأولى بعثت بمندوب فوق العادة عنها إلى المنطقة ، هو المستر "كيرميت روزفلت" الذى عمل فى المنطقة سنوات الحرب تحت غطاء الصحافة ، وكتب كتابا اشتهر وقتها وهو "العرب وتاريخهم وبترولهم" .

وفى النصف الأول من سنة ١٩٥٢ تكررت زيارات "كيرميت روزفلت" إلى مصر . والتقى فيها عدة مرات بالملك "فاروق" وبثلاثة من رؤساء الوزارات فى ذلك الوقت ، هم "على ماهر" باشا و"نجيب الهلالى " باشا و"حسين سرى" باشا . كما أن أحد أصدقائه ، وهو الدكتور "أحمد حسين" رتب له مقابلات مع عدد من الشخصيات الوفدية وبعض ممثلى حركة الإخوان المسلمين . وخرج "كيرميت روزفلت" من هذه المقابلات وقد توصل إلى نتيجة مؤداها أن كل هؤلاء القادة والزعماء أسرى حالة عجز لا تعطيهم مجالا واسعا للحركة . وعاد "كيرميت" إلى واشنطن وقدم تقريرا إلى رئيسه المستر "دونوفان" يقول فيه ما ملخصه "إن مصر بالفعل فى حالة ثورية ، وهى فى هذه اللحظة مهيأة لأى شىء، وفى هذا المناخ الذى يسودها فإنه لا يوجد ـ فيها أحد من الملك فاروق إلى الإخوان المسلمين ـ يملك القدرة على أن يبت فى أمر له علاقة بالمستقبل" .

وقرر "كيرميت روزفلت" بعد أسابيع من قيام الثورة (يوليو ١٩٥٢) أن يجىء إلى مصر لاستطلاع الظروف المستجدة . وقد اكتشف أن اتجاه النظام الجديد لم يتغير عن اتجاه النظام القديم فى شأن مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط .

ولم يكن "كيرميت روزفلت"، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية وراءه ، على استعداد لممارسة دور نشيط فى هذه المرحلة لسبب متعلق بالسياسة الأمريكية ذاتها ، لأن الرئيس "ترومان" لم يعد يملك سلطة إنشاء مبادرات دولية جديدة بسبب قرب انتهاء مدة رئاسته . ثم إن حزبه فى مواجهة معركة انتخابية حامية بين المرشح الذى اختاره

الحزب الديمقراطى الذى ينتمى إليه "ترومان" وهو المستر "آدلاى ستيفنسون"، وبين الجنرال "دوايت أيزنهاور" الذى اختاره الحزب الجمهورى اعتمادا على شهرته الذائعة كقائد للجيوش التى حررت أوروبا .

وبينما كان "ترومان" يستعد للخروج من المكتب البيضاوى و"أيزنهاور" يستعد لدخوله فى البيت الأبيض لم تكن إسرائيل تريد أن تنتظر ، وإنما كان "بن جوريون" يريد ـ كما قال ـ أن يختبر "درجة حرارة المياه فى نهر النيل". وفى ذلك الوقت ـ الشهور الثلاثة الأخيرة من سنة ١٩٥٢ ـ والاهتمام المصرى كله مركز على المفاوضات مع بريطانيا ـ كانت مصر تشجع مجىء شخصيات بريطانية خصوصا من نواب مجلس العموم توسمت أنها تستطيع إقناعهم بعدالة مطلبها ، وتمارس من خلالهم تأثيرا على الحكومة والمعارضة يجعل رئيس الوزراء "ونستون تشرشل" ووزير خارجيته "أنتونى إيدن" أكثر استعدادا وتفتحا لوجهات النظر المصرية .

وكان عدد من أعضاء مجلس العموم البريطانى ـ وبحقائق الأشياء وقتها ـ هم الرواد الأول فى عملية اختبار حرارة المياه فى نهر النيل .

كان بين أعضاء مجلس العموم الذين جاءوا فى ذلك الوقت النائب العمالى الشهير "ريتشارد كروسمان" . وكان أول ما طلبه "كروسمان" فى القاهرة موعدا مع "جمال عبد الناصر" . ومن الغريب أن السفارة البريطانية لم تكن هى التى طلبت لـ "كروسمان" موعده ، وإنما كان الطلب من مستشار السفارة الأمريكية "ويليام ليكلاند" الذى رتب عشاء فى بيته دعا إليه "جمال عبد الناصر" واثنين من زملائه وواحدا من أصدقائه ، كما دعا إليه المستر "ريتشارد كروسمان" .

كان كروسمان فى انتظار "جمال عبد الناصر" فى شقة "ويليام ليكلاند" فى عمارة فى شارع "النزهة" المطل على النيل أمام الطرف الشمالى لجزيرة الزمالك . ولم يكد "ليكلاند" يقدم كليهما إلى الآخر حتى قال "كروسمان" : "إننى أحمل معى رسالة إليك" . ثم استطرد "كروسمان" وهو يتخذ مقعدا بجانب "جمال عبد الناصر" يقول : "إننى أحمل رسالة إليك من رجل يتابع ما تقوم به ثورتك فى مصر بهتمام وعناية" . وتصور " جمال عبد الناصر " أن صاحب الرسالة هو "هيو جيتسكل" رئيس حزب العمال الذى ينتمى إليه "ريتشارد كروسمان"، لكنه فوجئ بـ "كروسمان" يقول له إن الرسالة التى يحملها هى من "دافيد بن جوريون" رئيس وزراء إسرائيل . وبرغم المفاجأة التى بدت على ملامح "جمال عبد الناصر "، فإن "كروسمان" واصل كلامه قائلا : "إن دافيد بن جوريون حملنى تحياته إليك ورسالة منه بأن سلاما مع إسرائيل هو وحده الذى يعطيك الفرصة لكى تقدم لبلادك ما تتمنى أن تقدمه".

وكان "كروسمان" يتحدث بسرعة وكأنه يريد أن ينهى رسالته دون أن يستوقفه أحد ، فقال : إن بن جوريون يريد أن يدخل معك فى محادثات لحل ما بين مصر وبين إسرائيل . وهو لا يتوقع مفاوضات رسمية الآن ، لكنه يريد وبشدة أن يجد وسيلة لاتصال منظم بينكما يجعل كل طرف فى هذه المرحلة على الأقل على علم بما يفكر فيه الطرف الآخر ، ثم يكون من ذلك تمهيد لما بعده . وبالتالى فأنا لست هنا متفاوضا باسم بن جوريون ، وإنما مجرد رسول يحمل إليك رغبته."

وتمالك "جمال عبد الناصر" مشاعره ، وقال لـ "كروسمان" : "إنه بضغوط أولوياته ليس منشغلا الآن بموضوع إسرائيل ، وليس بين همومه الاتصال مع بن جوريون سرا أو علنا ، فقضية الجلاء وتحقيق الاستقلال الوطنى هما شاغله الآن فى مجال العمل الخارجي" . ورد "كروسمان" قائلا : "إنك لا تستطيع إخراجنا (يقصد بريطانيا) ولا إنجاز شيء فى المجال الداخلى بغير تسوية مع إسرائيل" . ورد "جمال عبد الناصر" بأن المفاوضات مع بريطانيا بدأت فعلا . ورد "كروسمان" بإلحاح : "إن ذلك لن يصل إلى شيء ، وأنا أعرف بلدى جيدا ، إنهم لن يخرجوا من عندك بالتفاوض وإنما سوف يتراجعون أمام القوة وحدها . هذا ما فعله الإسرائيليون . قاتلونا نحن الإنجليز حتى اضطررنا أن نسلم لهم بحقوقهم فى فلسطين . وسؤالى الآن لك " هل تستطيع أن تفعل مثلهم وتحاربنا بكل قوتك وتثبت ويثبت شعبك معك أنكم قادرون عل القتال وقادرون على هزيمتنا ، وفى نفس الوقت تقاتل إسرائيل ؟" ."

ومضى "كروسمان"فى إلحاحه يقول : "هل أنت وشعبك مستعدون لقتال إنجلترا مع بقاء حالة الحرب مع إسرائيل فى نفس الوقت ؟ وهل شعبك مستعد للتضحيات التى يتطلبها ذلك ؟" وحاول "جمال عبد الناصر" أن يعيد تأكيد أولوياته ـ لكن " كروسمان" أضاف : "إن قضية مصر ليست مشكلة محلية ، وإنما هى مشكلة ترتبط بمواجهة أكبر تتفاقم كل يوم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى" . وتوسع "كروسمان" ليقول : "لن نخرج من هنا قبل أن نتأكد نحن والأمريكيون أنه لن ينشأ فراغ فى الدفاع عن قناة السويس . ولن نترك قناة السويس لتكون مكشوفة أمام الاتحاد السوفيتى ، أو معرضة لقلاقل وضع لم يستقر بينكم وبين إسرائيل ."

وتجنب "جمال عبد الناصر" أن يدخل فى مناقشة حول هذا الموضوع ، وآثر بدلا من ذلك أن يتحدث عن ضرورات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وقال إن "كل ركن فى مصر يطالب الثورة بأن تهتم به ، وسبيلها إلى ذلك هو رفع مستوى الإنتاج والخدمات" . وراح يستفيض فى ذلك ويشرح .

ولم يصل "كروسمان" إلى نتيجة يطمئن إليها . ورأى أن يسافر من القاهرة إلى قبرص ، ثم من قبرص إلى إسرائيل ليطلع "بن جوريون" على فحوى حديثه مع "عبدالناصر" . ثم عاد بعد أسبوعين إلى القاهرة وطلب مقابلة "جمال عبد الناصر"، ورأى "جمال عبد الناصر" أن يفوض الدكتور "محمود فوزى" لمقابلته ، فقد ساوره شعور بأنه إذا قابل "كروسمان" بنفسه فمعنى ذلك أن هناك حوارا يجرى بينه وبين "بن جوريون" بالوساطة . ومن ناحية أخرى فقد كان مهتما بأن يعرف بما يحمله "كروسمان" . وكان أهم ما قاله " كروسمان" للدكتور "فوزى" هو إنه عندما التقى "بن جوريون" نقل إليه تفاصيل جلسته مع "جمال عبد الناصر" بما فيها اهتمامه بأوضاع مصر الداخلية . وقال " كروسمان " مقاطعا نفسه وهو يروى ما لديه " إن دافيد بن جوريون قال له بعد أن أصغى إلى تقريره من القاهرة دون أى مقاطعة : "ديك (الاسم المختصر لريتشارد) ، هذا اسوأ ما سمعته" . ثم واصل كلامه : "إننى لا أريد رجلا فى القاهرة يهتم بالتنمية قبل أن يعقد صلحا مع إسرائيل"."

ولم تصل بعثة "كروسمان" إلى نتيجة يركن إليها فى القاهرة ، وقد توالى بعده رسل من نفس النوع ، معظمهم من نواب حزب العمال البريطانى فى مجلس العموم ، وبينهم رجال من أمثال "أنيورين بيفن" و "جورج براون" و"وودرو ويات" والسيدة "باربرا كاسل" . كما كان بينهم بعض كبار الصحفيين من أمثال :كنجزلى مارتن" رئيس تحرير الـ "ستيتسمان" ، و"دنيس هاملتون" رئيس تحرير"التيمس".

وفيما بعد ، وعنما بدأ توافد الصحفيين الأمريكيين عل مصر ، لم يكد "بن جوريون" يعرف عن صحفى بارز منهم إلا وحمله رسالة إلى القاهرة . وتكرر ذلك مع "ولتر ليبمان" و "جوزيف ألسوب" و "جيمس رستون" و "إد مورو" وغيرهم كثيرون .

□

لم يكن الوسيط الثانى مع "جمال عبد الناصر " مكلفا من "بن جوريون" بمهمة مثل نواب حزب العمال البريطانى أو العديد من الصحفيين الذين خطر ببالهم أن نقل الرسائل يساعد مهامهم الأساسية فى إجراء المقابلات والحصول على الأخبار . وإنما كان ذلك الوسيط متطوعا، تصور أن واجبه يفرض عليه أن يسعى بوساطة بين مصر واسرائيل . وكان هذا الرجل هو أشهر يهودى فى القرن العشرين ، وهو العالم العظيم "ألبرت آينشتين"

[كان "محمد حسنين هيكل" فى رحلة إلى واشنطن (أواخر ١٩٥٢ وأوائل ١٩٥٣) ، وعاد منها إلى نيويورك حيث التقى بأستاذ وصديق قديم هو الدكتور "محمود عزمى" الذى كان نائبا لرئيس

الوفد المصرى فى الأمم المتحدة . وفيما عدا مقابلات فى الأمم المتحدة فقد كان "هيكل" مهتما بزيارة معهد الدكتور "جورج جالوب" لاستقصاء الرأى العام فى جامعة "برينستون" . وحين عرف الدكتور "محمود عزمى" بذلك فقد تساءل كيف يمكن لأحد أن يزور "برينستون" ويلتقى هناك بـ "جالوب" ولا يلتقى بأعظم شخصية فى "برينستون" وهو "آينشتين" . وبشكل ما فقد بدا أن الدكتور "عزمى" فى وضع يسمح له بترتيب مثل هذا المقابلة. وبالفعل ، فإن موعدا تحدد لها بعد ظهر نفس اليوم الذى تحدد صباحه لزيارة معهد "جالوب" .

كان"هيكل" يتصور أن لقاءه مع "آينشتين" سوف يتيح له الفرصة أن يسأل "آينشتين" عن منجزاته العلمية فى مجال الطبيعة ، وعن تجربته الإنسانية ، وعن رؤيته لاحتمالات حرب نووية ، وغير ذلك من الموضوعات . لكنه عندما تمت المقابلة لم يأخذ العلم ونظرية النسبية والأسلحة النووية أكثر من ربع ساعة ، ثم إذا بـ "آنشتين" يفتح حديث السياسة.

وكان العالم الكبير قد عرف بوسيلة ما أن زائره يرتبط بصداقة مع "جمال عبد الناصر" ولم يكن قد سمع باسم "جمال عبد الناصر" إلا من رواية صحفية طويلة نشرتها جريدة " النيويورك بوست" قبل أسبوع من اللقاء . وبدأ "آينشتين" بالقول " إنه فهم مما نشر أن ضيفه يعرف "الجنرال" نجيب ، كما أنه صديق لكولونيل شاب ـ يبدو أنه القوة الحقيقية فى الثورة ، وقد قرأ اسمه فى النيويورك بوست لكنه لم يعد يتذكره ، وإنما يذكر فقط اسم "نجيب" ." ثم تساءل "آينشتين" : "ماذا يريد صديقك من قومى ؟" وتطلع إليه زائره مستفسرا . وواصل " آينشتين " كلامه قائلا : "أنا أقصد اليهود ... أمريكا بلدى واليهود قومى" . ومضى "آينشتين" يشرح فحوى رسالة يريد نقلها إلى " جمال عبد الناصر":

- هو أولا (ألبرت آينشتين) كيهودى يعرف مأساة اليهود لأنه عاشها بنفسه فى ألمانيا النازية .
- وهو بضميره لم يكن متحمسا لقيام دولة لليهود لا فى فلسطين ولا فى غيرها . فاليهود شعب عالمى ، وكان الأفضل أن يظلوا كذلك .
- وهو بصراحة يخشى على اليهود من حمى الوطنية ، وهم لم يعرفوها فى تاريخهم . وفى رأيه ان اليهودية قيمة إنسانية أكبر من أى دولة ، وهو بنفسه ذهب مرة إلى فلسطين سنة ١٩٤٣ ونصح زعماء الوكالة اليهودية الذين قابلهم هناك أن يمدوا يدهم إلى عرب فلسطين وأن يتصالحوا معهم . وما زال هذا رأيه.
- لكنه ، وقد قامت لليهود دولة فى إسرائيل ـ يشعر بنوع من العاطفة تربطه بهذه الدولة وتفرض عليه الاهتمام بمصيرها . وهو لا يريدها أن تتحول بفعل الحصار ــ حتى وإن كانت مسئولة عنه ـ إلى مجتمع حامية عسكرية لأن ذلك معاد للروح اليهودية .
- وأكثر من ذلك ، فلقد دعى قبل أيام بواسطة "بن جوريون" ليكون رئيسا لجمهورية إسرائيل بعد أن توفى رئيسها الأول "حاييم وايزمان" . واعتذر عن هذا العرض لأن ذلك

خارج شواغله واستعداده . لكنه أحس فى الوقت الذى اعتذر فيه عن عدم رئاسة إسرائيل أن واجبه يدعوه إلى أن يفعل من أجلها شيئا .

- وعندما عرف من الصحف ، وبوسائل أخرى ، أن فى الولايات المتحدة الآن زائرا يعرف قادة الثورة المصرية وتربطه صداقة وثيقة مع الرجل الأول بينهم ، فقد خطر له على الفور أن يبعث برسالة إلى هذا الرجل مؤداها أن "سلاما بين مصر وإسرائيل هو ضرورة حضارية وأخلاقية وسياسية أيضا" .
- وهو لا يريد أن يدخل فى تفاصيل عملية ، ويفضل أن يقوم بها غيره . لكنه يريد أن يطمئن أولا إلى .. أنهم فى "القاهرة" مستعدون لذلك .
- وإنه ينتظر ردا على سؤاله عن استعداد القاهرة . ثم هل فى الإمكان أن يعود إليه زائره برد؟ - أو هل يمكن للقاهرة أن تحدد له شخصا يتصل به لإتمام الترتيبات العملية للمسعى الذى بدأه ؟

وعاد "محمد حسنين هيكل" إلى نيويورك ، وأبلغ الدكتور " محمود عزمى" بما حدث ، ورجاه أن يبعث ملخصا له بالشفرة إلى قيادة مجلس الثورة فى القاهرة . ولم يكن باديا على الدكتور "محمود عزمى" أنه فوجئ بما سمع ، بل اكثر من ذلك فقد قال إنه لا يخفى عن صديقه أنه بعد أحداث سنة ١٩٤٨ لم يستطع أن يقطع اتصالاته تماما باليهود ، وإن لم يسع إلى لقاء معهم ، لكنه حدث فى مرات عديدة أن بعض أعضاء الوفد الإسرائيلى، وبينهم "آبا إيبان" ، كانوا يجيئونه بلا موعد فى الفندق الذى يعرفون أنه ينزل فيه وهو فندق "باربازون بلازا" . وأضاف الدكتور "عزمى" إنه لم يندهش لاهتمام "آينشتين" بإمكانية فتح قناة اتصال بين مصر وإسرائيل .

والحاصل أن هذه المحاولة من جانب "آينشتين" لم تصل لنتيجة ،فلم يكن "جمال عبد الناصر" عندما سمع بالتفاصيل مستعدا لتبادل الرسائل ، مع أن "آينشتين" لا يزال ينتظر ردا ، وحاول استعجاله . وعندما نشرت الصحافة العالمية أن "جواهر لال نهرو" رئيس وزراء الهند سيقوم بزيارة إلى مصر ، طلب "آينشتين" من صديق مشترك بينه وبين " نهرو" ، وهو الفيلسوف البريطانى الكبير " برتراند راسل" ، أن يحصل له من "نهرو" على رد من "جمال عبد الناصر" يجيب على سؤال سبق أن بعث به إليه .

وبالفعل ، فإن "نهرو" فاتح "جمال عبد الناصر" فى الموضوع . وكان رد "جمال عبد الناصر" أنه عرف بالتفاصيل وطلب عدم إرسال رد إلى "آينشتين" - لكنه من ناحية أخرى ، ومراعاة لمكانة العالم الكبير ، طلب إبلاغ الدكتور " محمود عزمى" فى نيويورك أن يتصل بـ "آينشتين" ويبلغه برد عام مفاده أن أفكاره سوف توضع فى الأعتبار عندما يجيء الوقت المناسب لبحث مشكلة العلاقة مع إسرائيل .][٥]

---

(٥) لمزيد من التفاصيل عن محاولة "آينشتين" يمكن الرجوع إلى كتاب "زيارة جديدة للتاريخ" لـ "محمد حسنين هيكل" .

ولم تكن تلك كلها جهودا منظمة يمسك بها خيط واحد ، وإنما كانت أقرب ما تكون إلى بالونات طائرة فى الهواء تمتحن قوة الريح واتجاهها ، وليس أكثر على الأرجح .

وهكذا شهدت هذه الفترة محاولات كان الهدف منها محدودا بطبائع الظروف ، وكان يصدق عليها وصف "بن جوريون" : "إختبار حرارة المياه فى نهر النيل" .

□

ومع بداية سنة ١٩٥٣ فقد كان محتما أن يبدأ جهد منظم ومركز فى البحث عن تسوية للأوضاع فى الشرق الأوسط ، وكان ذلك راجعا بالدرجة الأولى إلى عنصرين :

● أولهما : أن هناك رئيسا جديدا للولايات المتحدة، وهو رئيس غير عادى تنتظره مهام غير عادية ، فهو القائد السابق لقوات الحلفاء فى انتصارها الضخم على النازية . ثم إنه المرشح الذى اختارته الولايات المتحدة رئيسا وهى تواجه حربا من نوع جديد هى الحرب الباردة . وكانت كفاءات "أيزنهاور" مما يرشحه لإدارة هذه الحرب الجديدة الباردة كما أدار من قبلها الحرب الأخرى الساخنة . إن "أيزنهاور" لم يكن قائدا عسكريا عبقريا من نوع "روميل" أو "رونشتيد" أو حتى "مونتجمرى"، ممن ظهروا على مسارح القتال المختلفة . وإنما كانت ميزته أنه يستطيع قيادة تحالف قوات مشتركة تابعة لدول مختلفة وخاضعة لتوجهات سياسية متنوعة ، ثم يجمعها هو ويركز جهدها نحو هدف واحد . كما أن قدرته غير العادية تجلت فى إدارته للرجال .

فتحت قيادته كانت هناك قوات بريطانية وفرنسية وأسترالية وأمريكية، إلى آخره ...

وتحت قيادته كانت هناك مجموعة من القادة النجوم ، مثل "برادلى" و"مونتجمرى" و"باتون" و"دوكليرك"، والقائمة حافلة !

وكان الناخب الأمريكى الذى اختار "أيزنهاور" ينتظر منه أن يصنع فى السلام ما صنعه فى الحرب . وكان "أيزنهاور" يطلب ذات الشىء . فقد تمنى أن يقود الحرب الباردة إلى انتصار أمريكى . وكان سلفه "ترومان" قد فتح جبهات الحرب الباردة ، وتركها معلقة سواء فى إيران أو فى البلقان أو فى الشرق الأقصى . وكان ما حدث فى الشرق الأقصى قد تحوّل فى كوريا من البارد إلى الساخن على نحو ينذر بعواقب وخيمة. ونجح "ترومان" فى إنشاء حلف الأطلنطى وحلف جنوب شرق آسيا ، لكنه ترك خلفه فراغا فى الشرق الأوسط لم يملأه شىء ، وقد حاول أن ينشئ فيه حلفا دفاعيا يكفل تأمين

المصالح الحيوية للولايات المتحدة فى هذه المنطقة ، ولم ينجح . وبالتالى فإن المنطقة التى طرحت نفسها على "أيزنهاور" فى بداية رئاسته كانت بالذات هى الشرق الأوسط ، وفيها مهمتان تنتظرانه ، وقد تداخلتا معا إلى حد أنهما أصبحتا شاغلا واحدا . فالدفاع عن الشرق الأوسط أصبح مرتبطا بحل لمشكلة الصراع العربى الإسرائيلى ، وهو العائق الكبير الذى يمنع إعادة ترتيب المنطقة بما يناسب مطالب الحرب الباردة .

وكان "أيزنهاور" بدوره مرحبا بهذه المهمة . وربما بدا له أن دور صانع السلام فى الأرض المقدسة هو الدور الذى يختم به حياته كمحارب قديم .

● وثانيهما: أن الأوضاع فى الشرق الأوسط كانت فى حد ذاتها تنادى فى طلب حل. فالحرب العربية الإسرائيلية انتهت بطريقة غير حاسمة . فإسرائيل استطاعت عسكريا أن تفرض حربها ، ولكنها عجزت سياسيا عن فرض سلامها . والعرب من جانبهم خسروا الحرب ، لكن الحجم الجغرافى والسكانى والموارد الاستراتيجية والاقتصادية المتاحة لهم لا تجعل من أى هزيمة واجهوها فى ميدان القتال نهاية للتاريخ. وقد تحفزهم على تعبئة قواهم بطريقة أفضل، والعودة مرة أخرى إلى ميادين الصراع علّهم ينجحون مرة ثانية فيما فشلوا فيه مرة أولى. وبالتالىفإن الأوضاع فى المنطقة مليئة بأسباب القلق والتحفز، وزاد عليها أن الحقائق الاقتصادية والاجتماعية فى المنطقة تداخلت مع الخطر الإسرائيلى، ونتجت عنها شحنة معبأة بالاحتمالات الخطرة والمتفجرة . ولم يكن ذلك على الجانب العربى فحسب ، وإنما كانت الأمور متقاربة على الجانب الآخر، وهو الجانب الإسرائيلى . فهناك كانت تكاليف الدولة مرهقة ، وبرغم التعويضات الألمانية السخية فإن التقدم والاستقرار والأمن لم تكن جميعا سلعا جاهزة يملكها من يقدر على دفع الثمن .

وطرأ على ذلك أن مصر، وهى أكبر البلاد العربية، عاشت تغييرا ثوريا بعيد المدى جاء بمجموعة من الضباط الشبان إلى موقع قيادتها،وربما موقع القيادة فى العالم العربى بأسره.

وبالتالى فهى أوضاع جديدة وتحديات قائمة وإمكانيات محتملة لا حدود لها إذا تجاسر أحد وملك الخيال والإرادة وتقدم إلى الساحة .

وكان "أيزنهاور على استعداد . وكان "جمال عبد الناصر" فى حالة تأهب .

□

وبدأت المعركة الحقيقية على مستقبل الشرق الأوسط بتلك الرحلة الشهيرة التى قام بها "جون فوستر دالاس" وزير خارجية "أيزنهاور" إلى المنطقة ، مستكشفا طريقا إلى خطة لترتيب أوضاعها .

وكانت القاهرة أول محطة وصل إليها "دالاس"، وقد وصلها يوم ١١ مايو ١٩٥٣ . وكان أول من التقاه فيها هو الدكتور "محمود فوزى" وزير الخارجية . ويسجل محضر اللقاء (وثيقة رقم ١٥٦ ملف الاجتماعات) أن الدكتور "فوزى" بدأ حديثه بشرح لحالة المفاوضات المصرية البريطانية من أجل الجلاء ، ثم وصل بعد ذلك إلى أن يقول ما نصه :

"إن مصر مهتمة بإعادة بناء قوتها وتحقيق رفاهية شعبها ، وهى تؤمن أن عليها أن تعتمد على نفسها ، وهى مستعدة لأن تعطى طاقتها لإصلاح أحوالها الاقتصادية والاجتماعية . وإذا شاء أصدقاؤها أن يساعدوها فإن ذلك سوف يكون موضع ترحيبها إذا لم يكن فيه مساس بسيادتها أو حقوقها ."

ثم انتقل وزير الخارجية المصرى إلى الكلام عن الأوضاع فى المنطقة ، فقال :

"إن الاجتماع الأخير لمجلس جامعة الدول العربية ركز جهده على ميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية" .

ثم وصل وزير الخارجية إلى موضوع فلسطين ، وقال :

"إنه يريد أن يذكّر المستر دالاس بأن الأوضاع التى قامت فى "فلسطين" (لاحظ "دالاس" وسجل فى محضره أن الدكتور "فوزى" لم يذكر "إسرائيل") قد أدت إلى تقسيمين: تقسيم لفلسطين ، وتقسيم للعالم العربى فى نفس الوقت إلى نصفين: نصف فى أفريقيا، ونصف فى آسيا ."

ووجد "دالاس" نفسه مباشرة أمام القضية الكبرى فى الشرق الأوسط من أول لحظة لوجوده فى مصر .

كان قيام إسرائيل كعازل وحاجز بين مصر وبقية العالم العربى هو القضية الأكبر، وبعدها جاءت مشكلة اللاجئين والقدس والحدود بين العرب واليهود فى فلسطين .

ويوم ١٣ مايو كان "دالاس" فى إسرائيل . وكان أول اجتماع له مع وزير خارجيتها "موشى شاريت" . ووجد "دالاس" أنه يواجه نفس المعضلة وإنما من زاوية أخرى ، فقد قال له "شاريت" وفقا للمحضر (وثيقة رقم ٢ ـ د ت س) ما نصه :

"إننى فى دهشة من تفكير العرب . فهم يجمعون صفوفهم بطريقة عدوانية كما رأينا فى ميثاق الأمن العربى المشترك . ومع ذلك يقولون إنهم يخشون من تهديد إسرائيلى . وهم يدّعون أننا سوف نضطر إلى التوسع لأن إسرائيل صغيرة ، وهم فى نفس الوقت يطالبوننا بأن نتخلى لهم عن أراض تسمح لهم باتصال برى بينهم وبين بعضهم ."

ثم أضاف "شاريت" :

"إن أصدقاء إسرائيل لا ينبغى لهم أن يطلبوا منها تحت أى ظرف من الظروف :

- أى انسحاب من أراض فذلك فى رأيها بمثابة انتحار .
- ولا أن يطلبوا منها إعادة لاجئين فذلك أيضا قريب من الانتحار .
- ولا أن يطلبوا منها دفع تعويضات لأن ما لديها يكفى بالكاد مطالبها . وإذا أصر أحد على دفع تعويضات عن ممتلكات أو للاجئين فليكن مستعدا لتدبير الموارد اللازمة."

وفى لقاءات بعد ذلك مع "بن جوريون" ، ومع "ليفى أشكول" و"تيدى كوليك" ، وغيرهم من قادة إسرائيل سمع "دالاس" إضافات أخرى لا تقل أهمية .

كان "بن جوريون" المتحدث الأساسى أمام "دالاس" فى اجتماع صباح ١٤ مايو ١٩٥٣.

وقال "بن جوريون" طبقا لمحضر الاجتماع (وثيقة رقم ١٥٦ ملف المقابلات) ما نصه :

"إنك يا سيدى الوزير تطوف بالمنطقة بحثا عن صداقة العرب ، وأتمنى أن ينجح مسعاك وإن كنت أشك فى ذلك" .

ثم يستطرد "بن جوريون" يتحدث عن إسرائيل فيقول :

"إن إسرائيل أمر مختلف . فهى تاريخيا وثقافيا وروحيا جزء من العالم الحر . وهى الدولة الوحيدة بجانب تركيا التى تقدر على القتال من أجل الحرية والدفاع عن الديمقراطية . ولكم أن تتذكروا كيف حارب جنودنا معكم فى الحربين العظميين الأخيرتين ، ثم تقارنوا ذلك بما فعله العرب فى الحربين . إنهم ترددوا وتلاعبوا بكم ، ووضعوا شروطا عليكم فى الأوقات العصيبة من كفاحكم . إن قدراتهم فرادى ومجتمعين لم تكن لها قيمة رغم حجمهم . وقد استطعنا فى حرب الاستقلال ضدهم أن نقاتل بموارد محدودة ، وهم لم يقاتلوا بكل ما لديهم من موارد."

وينتقل "بن جوريون" من هذا المدخل العام لكى يركز كلامه عن مصر ، فيقول :

"إنكم مهتمون بمصر . وأريد أن ألفت نظركم إلى أن إسرائيل تملك نفس المزايا التى تملكها مصر . فكلاهما يطل على البحر الأبيض والبحر الأحمر . وما بين ميناء إيلات وميناء حيفا يمر نفس الشريان الحيوى الذى يمر بين بورسعيد والسويس ، وهو مهيأ لحفر قناة جديدة فيه تصل ما بين البحرين . وهذا الموقع مهيأ أيضا للدفاع عن العالم الحر وبدون شروط ، على عكس الموقع المصرى . يضاف إلى ذلك أن الموقع الإسرائيلى يتمتع باستقرار سياسى ، فى حين أن الموقع المصرى معرض لهزات عنيفة ، وسوف يظل كذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية . إنكم مهتمون بمواجهة الاتحاد السوفيتى ، والعرب لن يقفوا معكم أبدا فى وجه الاتحاد السوفيتى ، وهم لا يقدرون على ذلك بسبب الفقر والجهل . بل إنهم لا يستطيعون أن يتمثلوا حتى بالفكر حقائق الصراع بينكم وبين الاتحاد السوفيتى . وأنا لا أعرف لماذا يريد المصريون أن نخرج من النقب . إن لديهم صحارى بأكثر مما يكفيهم. ولديهم أرض تزيد عن حاجتهم. وحجم بلادهم يساوى ٣٦ مرة حجم إسرائيل ."

ثم وصل "بن جوريون" إلى تحديد أكثر لما يريد ، فقال :

"نحن نريد أن نتعاون معكم إلى أقصى الحدود ، ولا نريد توريطكم فى صراعنا مع العرب. ونحن ندرك أن الصلح معهم الآن مطلب بعيد المنال . وكل ما نطلبه هو ترتيبات مؤقتة تؤكد وتقوى وتوسع اتفاقيات الهدنة ."

وكانت تلك النقطة الأخيرة أهم ما قاله "بن جوريون" . فإسرائيل لم تكن على استعداد لأن تدفع ثمنا فى اتفاقية صلح ، وإنما هى تريد أوضاعا مؤقتة تسمح لها بمواصلة التوسع إلى حدود جديدة تستطيع أن تصل إليها بقوة السلاح فى ظروف لا يقدر أحد على تحديد موعدها ، وإنما هى مرهونة بتطورات الحوادث .

□

وفى بقية العواصم العربية سمع "جون فوستر دالاس" كلاما كثيرا قريبا من المشكلة وبعيدا عنها :

● فى بيروت تحدث إليه الرئيس " كميل شمعون" طويلا عن ضياع مركز بريطانيا فى المنطقة وضرورة أن تحل الولايات المتحدة محلها ، وأن تمارس فيها دورا قياديا يحقق مطالب المواجهة مع الاتحاد السوفيتى . وفيمايتعلق بمشاكل المنطقة ذاتها ، فقد كان "شمعون"

واضحا فى أن قضية فلسطين هى قضية العرب الأولى ، وأن مصر (وهى أكبر بلد عربى) قد تبدو منشغلة فى نزاعها مع بريطانيا ـ لكن مشكلة فلسطين هى التى ستفرض نفسها عليها فى النهاية ، لأن مصر لا تستطيع أن تعيش فى عزلة عن بقية العالم العربى .

● وفى بغداد تحدث إليه السيد "فاضل الجمالى" وزير الخارجية فى حضور السيد "نورى السعيد" وزير الدفاع ، و "أحمد جميل المدفعى" رئيس الوزراء ــ قائلا له : " إن العرب يريدون صداقة الولايات المتحدة ، ولكن ذلك سوف يتوقف إلى حد بعيد على ما سوف يحدث فى فلسطين . وإن حكومة العراق ترتب نفسها وشعبها للإنضمام إلى أية ترتيبات دفاعية يقيمها الغرب فى المنطقة ، لكنها تعرف فى قرارة نفسها أن ذلك لن يكون فاعلا إلا بحل لقضية فلسطين ."

● وفى دمشق تحدث إليه اللواء "أديب الشيشكلى" رئيس الدولة قائلا " إنه رجل عملى، وهو يرى الحقائق كما هى على الأرض ، وليس واحدا من هؤلاء الذين يتوهمون أن إسرائيل ليست موجودة . وبالعكس ، فأنه يعترف أن إسرائيل كيان موجود وحى ، لكن أمله هو أن توازن الولايات المتحدة علاقاتها بالعرب وتعاملهم بمثل ما تعامل به إسرائيل ."

● وفى الرياض وجد "دالاس" أن الملك "عبدالعزيز" مشغول عن قضية فلسطين بما بدا له من تصرفات السياسة البريطانية التى راحت تمهد لإنشاء كيانات صغيرة تستطيع أن تتحكم فيها على شواطىء شبه الجزيرة العربية المطلة على الخليج . ثم إنها فى ذلك تعطى لهذه الكيانات ولشيوخها أراضى يعتبرها الملك حقا له ، مثل واحة " البوريمى" . ويروى محضر المقابلة أن الملك قال لوزير الخارجية الأمريكى بالحرف : "فى يوم من الأيام كان الإنجليز يقولون إننى صديقهم فى الليالى السود ، والآن يتهموننى بأننى المعتدى" .

● وفى لقاء لـ "دالاس" فى اليوم التالى مع الأمير " فيصل " ، كان نائب الملك فى الحجاز ووزير الخارجية مشغولا بشكوى الشيخ " تركى بن عطيشان" أمير " البوريمى " الذى أبلغه أن دورية بريطانية صادرت جماله التى يعتمد على لحمها ولبنها وتعتمد عليها قبيلته .

● وفى دلهى استمع "دالاس" إلى رئيس الوزراء " نهرو" يركز حديثه على المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، ويقول : "إن بريطانيا لا بد أن تخرج من منطقة قناة السويس أو تحتل مصر كلها إذا استطاعت .. ولكن ماذا تفعل بعد ذلك ؟" ـ ثم يضيف "نهرو" ساخرا : "إن أسنة الحراب ليست أفضل موقع تقعد عليه الإمبراطوريات" .

● وفى كراتشى كان رئيس الوزراء "محمد على" مهتما بأن يقوم لـ "دالاس" إن "مستقبل قناة السويس أمر لا يخص مصر وحدها" .

• وفى أنقرة كان " عدنان مندريس" يركز همه على إقناع "دالاس" بأن الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يقترب من الشرق الأوسط بما فيه موارد البترول إلا إذا مر من تركيا أولا . وبالتالى فإن كل المساعدات الأمريكية المنتظرة يجب أن تنصب على تركيا لأنها الباب الوحيد الذى يمكن إغلاقه أمام الاتحاد السوفيتى ويظل الشرق الأوسط كله وراءه فى مأمن .

□

وعاد " دالاس" إلى واشنطن يعرض نتائج ما توصل إليه فى المنطقة على اجتماع لمجلس الأمن القومى برئاسة " أيزنهاور" وبحضور نائب الرئيس " ريتشارد نيكسون" . وطبقا لمحضر الجلسة (مجموعة أوراق " أيزنهاور" الخاصة ـ ملفات يوتمان ـ مجلس الأمن القومى الاجتماع رقم ١٤٧) ـ فإن "جون فوستر دالاس" عرض ملاحظاته على النحو التالى :

• مصر : إننا وصلنا إلى القاهرة وفى تصورنا أن مصر يمكن أن تكون قاعدة مشروعاتنا للدفاع عن الشرق الأوسط ، لكن ما رأيته هناك جعلنى أغير رأيى فى الوقت الحاضر . لقد وجدت أن "نجيب" ليس الرجل القوى الذى تصورته ، وإنما هو واجهة لأربعة من أعضاء مجلس قيادة الثورة يمارسون من ورائه السلطة الحقيقية . وشاغلهم الأساسى فى هذا الوقت هو إخراج الإنجليز من قاعدة قناة السويس . وهم يمارسون ضد القاعدة حرب عصابات قد تجعل البريطانيين يفكرون فى احتلال القاهرة والإسكندرية لحماية رعاياهم . وإذا حدث ذلك فسوف تكون كارثة للغرب . وقد وجدت هناك شعورا بالشك فى الولايات المتحدة ظهرت علاماته فى الشهور القليلة الأخيرة ، وحاولت بكل جهدى تخفيف أثره . وكان علىّ أن أعطى اللواء محمد نجيب درسا فى أهمية قاعدة قناة السويس بالنسبة للعالم الغربى . وقد وجدت لدى زملاء نجيب إهتماما واضحا بالمشكلة الفلسطينية ، لكن ظروف الاستقرار السياسى والاقتصادى فى مصر قد لا تسمح لها ولسنوات طويلة أن تمارس دورا مؤثرا .

• إسرائيل : إن إسرائيل كما رأيتها تواجه أزمة اقتصادية كبيرة ، وسوف تساعدها التعويضات الألمانية . وهم لا يفكرون فى الصلح مع العرب مرة واحدة ، وإنما يفضلون سلسلة من الخطوات التدريجية عن طريق التفاوض مع الأطراف العربية ، ولكن ليس بصفة جماعية. وقد وجدت أن الإسرائيليين لديهم قلق تجاه السياسة الأمريكية واهتمامها بالعرب . ولا بد أن نلاحظ أن قوة الجيش الإسرائيلى وحده أكبر من قوة كل الدول العربية مجتمعة . وهذه حقيقة يجب أن تدخل فى حساباتنا .

● سوريا : وجدت أن سوريا بلد لديه إمكانات حقيقية . واكتشفت أن الشيشكلى شخصية تتفوق كثيرا على شخصية نجيب فى مصر . فقد كانت رؤاه أوسع ، وتفهمه للمشاكل أعمق . واعتقادى أن سوريا تستطيع أن تستوعب أعدادا كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين .

● العراق : لقد وجدت أن العراق هى البلد العربى الأكثر تنبها للتهديد السوفيتى ، ربما لأنها أقرب إليه جغرافيا ، وأيضا لأنها مجاورة لإيران .

● المملكة العربية السعودية : لا أحتاج أن أقول إن المملكة العربية السعودية أهم بلد فى المنطقة بالنسبة لنا ، لأن امتيازاتنا من البترول هناك لا يمكن تعويضها ، وكذلك فإن قواعدنا الجوية فى المملكة حلقة أساسية فى خططنا الدفاعية . لكن الملك متضايق من البريطانيين ، ونحن نحاول التوسط بين الطرفين ...

وهنا تدخل الرئيس "أيزنهاور" فى العرض فسأل "دالاس" لماذا يقوم البريطانيون بإنشاء هذه المشيخات والمحميات على حدود السعودية ؟ ورد "دالاس" بأنه يظنها وفاء بتعهدات قديمة . وعقب "أيزنهاور" إنه " لايزال يستغرب كيف تكون أهمية السعودية بالنسبة لنا ما هى عليه الآن ثم يقوم الإنجليز بمضايقتهم بإمارات ومشيخات معلقة على الساحل ؟".

□

وفى أعقاب رحلة "دالاس" مباشرة انعقد مؤتمر لرؤساء البعثات الدبلوماسية فى الشرق الأوسط ، وكانت آراء "دالاس" واستخلاصاته أمام المؤتمر . وقد توصلوا إلى نتيجة أجملها تقريرهم (وثيقة رقم ١٤٥٤ ـ ١٢٠٠٤٣٨٢/٥) ومؤداها كما هو وارد فى البند "٩" من تقرير المؤتمر أن الخطوة التالية فى خطط الغرب يجب أن تكون الفصل بين الحزام الشمالى فى العالم العربى وبين الجنوب . بمعنى أن العراق متنبه كما لاحظ "دالاس" خلال زيارته لبغداد للخطر السوفيتى ، ويمكن إقناعه الآن بالاشتراك فى حلف دفاعى غربى ضد الاتحاد السوفيتى . وفى مرحلة لاحقة يمكن "سحب" سوريا إلى هذا الحلف مع العراق ، وكذلك الأردن ولبنان .

ومضى تقرير المؤتمر بعد ذلك يقول : "إن الاهتمام بالحزام الشمالى لا يجب أن يضعف اهتمام الغرب بمصر . فسوف تظل مصر بلدا مهما إذا كان مطلوبا فى يوم من

الأيام تحقيق تسوية بين العرب وإسرائيل ، ذلك أن مصر لا بد أن تكون هى التى تقود هذه التسوية لأنها وحدها فى العالم العربى تملك الوزن الذى يجعل الآخرين يقتفون أثرها إذا ما وقعت صلحا مع إسرائيل .

وبالفعل فقد بدأت شحنات من الأسلحة الأمريكية تجد طريقها إلى العراق تمهيدا لانضمامه إلى الحزام الشمالى . ثم حدث أن قرأ وزير الخارجية الأمريكى "جون فوستر دالاس" تصريحا لرئيس وزراء العراق عن تطلعه لإقامة صلات أوثق مع سوريا ومع مصر. وكتب "دالاس" توجيها إلى وكيل وزارته "هنرى بايرود" يقول فيه (وثيقة رقم ٢٣٥٤ /٧٨٠/٨) :

"إننى قبلت نظرية إمداد العراق بأسلحة على أساس انضمام هذا البلد إلى الحزام الشمالى ، ولكن ليس لكى يتعاون مع أى من دول الجامعة العربية ضد إسرائيل . إننى عندما التقيت رئيس وزراء العراق هنا أخيرا ، حدثنى عن طموحهم إلى صلة وثيقة بسوريا . وقلت له إن ذلك مرفوض بالنسبة لنا لأن ذلك يضع قواتهما مجتمعة على حدود إسرائيل . وعليهم أن يدركوا أن ما هو متاح لهم الآن هو التحرك مع تركيا وباكستان . وبصراحة فأنا لا أحب ذلك ، وعلى سفارتنا فى بغداد متابعة الأمر ."

وكان معنى توجيه العراق ثم سحب سوريا ولبنان والأردن معه بجوار تركيا وباكستان فى حلف موجه ضد الاتحاد السوفيتى ، أن مصر سوف تظل وحدها فى الجنوب أمام إسرائيل ، معزولة عن بقية العالم العربى جغرافيا بدولة إسرائيل، ومعزولة عنه سياسيا بالحزام الشمالى الذى يسحب الدول العربية الواقعة فى الشام والهلال الخصيب .

وكانت إسرائيل تتابع وتدرك معنى التطورات الجارية وما تحمله من فرص!

الفصـل الثانـــــى

زلـــــزال الســـويس

إن تحقيـق السـلام بين الأمـم والـدول
ليس عمليةأخلاقيـة أو إنسانية ،بل إنـه عملية بالغـة التعقيـد ،
فعليها أن تحقـق توازنا مقبولا بالرضا بين مصالح ومصـالح،
وبين مطالب ومطالب ، وبين عناصر قـوة وعناصر قـوة تواجـهها
وإلا فإن السـلام الـذى ينتج بغير هـذا التـوازن
يصبح هـو نفســه لا أخلاقـيا ولا إنسانـيا ، لأنه لا يصبح سلامـا
وإنما يصبح سكوتـا يمليه القهـر على الضعـف !

١

إيـــــــــــدن

" لا ينبغى السماح لناصر بأن يتصور أن فى
مقدوره أن يقول لنا : لا "

(وزير خارجية أمريكا لرئيس وزراء بريطانيا)

عاد "جون فوستر دالاس" من زيارته إلى الشرق الأوسط مقتنعا بالكامل بنظرية رآها غيره من قبله ، لكن رؤيته لها بنفسه أعطتها الآن قوة مضافة تلقى وراءها بثقل يوفر لها وزنا لم يتحقق لها حتى الآن ، وهو وزن إدارة أمريكية جديدة يقودها "دوايت أيزنهاور".

كانت نظرية "دالاس" أنه فى كل مكان ذهب إليه فى الشرق الأوسط يتحدث عن مشروعات الدفاع عنه ضد الاتحاد السوفيتى ، وجد أمامه عاملا آخر يسبقه وهو "الصراع العربى الإسرائيلى" . وبالتالى فإن تسوية هذا الصراع هى المقدمة التى لا يمكن الالتفاف حولها لإقامة نظام دفاعى شرق أوسطى .

الدول العربية كلها لديها أولوية تسبق غيرها .

وحتى إذا قبلت هذه الدول أن تغير أولوياتها فإن هذا التغيير ليس مجديا ، لأنها ما لم تقبل بإسرائيل معها فى هذا النظام الدفاعى الجديد عن الشرق الأوسط ، فهذا النظام محكوم عليه . لأنه لا يمكن لنظام دفاعى أن يقوم وفيه ثغرة فى القلب منه تماما .

وهكذا فإنه فور عودة "جون فوستر دالاس" إلى واشنطن ، كانت المناقشات حول الخطوة التالية للسياسة الأمريكية تربط عضويا بين الدفاع عن الشرق الأوسط ضد الاتحاد السوفيتى وبين السلام بين العرب وإسرائيل . وطرح "دالاس" نظرية تبلورت فى ذهنه بعد

تفكير طويل ، مؤداها أنه ربما كان الأفضل أن تبدأ عملية السلام بين العرب وإسرائيل بالدول العربية الصغيرة : الأردن ولبنان ، فهذه يسهل إقناعها ، على عكس الدول العربية الكبيرة ، خصوصا وأن العراق لا يستطيع أن يتحمل بما هو أكثر من المشاركة في الحزام الشمالى ، وذلك تيسر لـ"نورى السعيد" لأن العراق لا تربطه حدود مشتركة مع إسرائيل ، كما أن سوريا مقبلة على مشاكل داخلية بعد تضعضع مركز "أديب الشيشكلى" ــ على عكس ما تصور "دالاس" إلى جانب أن الرأى العام فى سوريا عنيد فى عروبته ويصعب تطويعه لقبول سلام مع إسرائيل . وجرت مناقشات طويلة بينه وبين خبرائه الذين استطاعوا إقناعه فى النهاية بأن البدء بالدول الصغرى كالأردن ولبنان مستحيل ، وقد جرت تجربته بالفعل وانتهت بطريقة مأساوية باغتيال الملك "عبد الله" ملك الأردن ، و"رياض الصلح" أكبر سياسى مسلم فى لبنان .

ثم توصل "دالاس" ومعه مستشاروه إلى "أنه إذا كانت هناك فرصة لتحقيق سلام بين العرب وإسرائيل ، فإن السبيل الوحيد لتحقيقه لا بد أن يبدأ من القاهرة . فوزن مصر التاريخى وتأثيرها فى العالم العربى ، إلى جانب ظروفها الراهنة ، قد تغريها بالقيام بهذا الدور خصوصا إذا ساعدتها الولايات المتحدة عليه . وإذا تحقق ذلك ، فإن بقية الدول العربية لن يكون أمامها مفر من أن تسير على نفس الطريق ، وهذا هو الذى حدث تماما فى تجربة اتفاقيات الهدنة فى أعقاب حرب فلسطين .

□

وفى أوائل سنة ١٩٥٤ كانت لدى "دالاس" "مبادئ عمل" تتلاقى عند الهدف المزدوج الذى يريده ، وهو تحقيق سلام بين العرب وإسرائيل أولا ، وحتى تستطيع المنطقة كلها ثانيا أن تدخل منسجمة ومتسقة فى خطة المواجهة مع الاتحاد السوفيتى . وكانت "مبادئ العمل" التى تدور فى فكر وزير الخارجية الأمريكى كما يلى :

١ ــ مساعدة مصر وبريطانيا على التوصل إلى اتفاق يؤدى إلى جلاء القوات البريطانية من قاعدة قناة السويس .

٢ ـ وبما أن تنفيذ هذا الاتفاق سوف يقتضى فترة زمنية لازمة لتحقيقه ، فإن مصر فى هذه الفترة وبحرصها على إتمام الجلاء سوف تكون متفتحة للمساعى الأمريكية بشأن السلام مع إسرائيل .

٣ ـ إنه يمكن مساعدة "تفتح" مصر فى هذه الفترة الحساسة بإعطائها مساعدات عسكرية ومالية ، كما أنه يمكن التلويح لها بالمساعدة على تنفيذ السد العالى الذى أصبح يحتل مكان الصدارة بالنسبة للقيادة المصرية وللشعب المصرى .

٤ ـ إن الولايات المتحدة يجب أن تكون جاهزة لاستغلال هذه الفترة الحساسة بمشروع كامل لتحقيق السلام ، أو على الأقل لقطع شوط كبير منه تستحيل العودة عنه ، وذلك قبل إتمام انسحاب القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس .

ولوهلة ظهر وكأن "مبادئ العمل" الأمريكية تمشى على أرض المنطقة كما قدر لها "دالاس" ومستشاروه .

والحاصل أنه بالرغم من صعوبة المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، فإن البلدين توصلا إلى اتفاق على الجلاء ، وقعه "جمال عبد الناصر" بوصفه رئيسا للوزراء مع "أنتونى ناتنج" وزير الدولة للشئون الخارجية فى بريطانيا . وأعلن ذلك الاتفاق فعلا فى يوليو ١٩٥٤ ، وكانت الولايات المتحدة بالفعل عنصرا مساعدا أساسيا فى التوصل لهذا الاتفاق .

وكان اتفاق الجلاء فى يوليو يعطى مهلة لإتمام الانسحاب مدتها ثمانية عشر شهرا، وكانت هذه بالضبط هى فرصة النافذة المفتوحة أمام "دالاس" . ولم يضيع وقتا وإنما انهمكت مجموعة من خبرائه ، وعلى رأسهم "فرانسيس ـ راسل" الذى عين مساعدا خاصا له فى وضع مشروع كامل وتفصيلى لخطة تحقيق سلام بين العرب وإسرائيل . وكانت تلك هى الخطة التى اشتهرت بالاسم الرمزى "ألفا" .

إن الخطة "ألفا" ما لبثت أن أصبحت عملية دقيقة إلى درجة استدعت وضعها تحت الاختصاص المباشر لمجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض . واستغرق وضع خطوطها ثلاثة شهور ، ثم جرت مناقشتها بواسطة ممثلين عن المخابرات المركزية الأمريكية ووزارة الدفاع ووزارة الخزانة ، ثم صيغت نهائيا طبقا لتوصيات كل جهات الاختصاص . وكان البلد الوحيد خارج الولايات المتحدة الذى دخل فى إطارها هو بريطانيا بحكم أنها شريك أساسى فى الشرق الأوسط ، ثم إن نافذة الوقت المتاحة للفرصة متصلة بجلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس . وفى النهاية تم وضع الخطة : الخطوط العريضة ، والتفاصيل ، وتوقيتات المهام ، والمسئولون عن هذه المهام ، وفسحة الزمن المتاحة لكل منهم لأداء دوره ، والأساليب التى يستطيع الاعتماد عليها فى مجلد واحد وصلت صفحاته إلى ٢٣٨ صفحة .

كان الملحق "ب" فى الخطة "ألفا" على سبيل المثال يركز على "المغريات والعناصر السيكولوجية" التى تضمن قبول مصر للخطة "ألفا" . وقد ورد فيه ما يلى بالنص :

١ - "إن مصـر أبـدت رغبتها بإلحاح فى الوصول معنا إلى صفقة سـلاح . ويمكن لنـا فى فـترة الخطـة أن نصـل إلى اتفاق معها بإعطائهـا تصريحـا مصحوبـا بضمانـات ائتمانية لشـراء سـلاح طبقا للبنـد "١٠٦ ب" من قانـون الأمـن المتبـادل . ويمكـن أن يكون الاتفاق على ثـلاث سنوات . ويمكـن أن نصـل بحجمـه إلى ٢٠ مليـون دولار ، على أن نوضح لحكومة مصـر أننا سـوف نتابع تصرفاتها فى فترة المفاوضات . وقد نرفع حدود الصفقة إذا وجدنا أن التصرفات المصريـة فـى هـذه الفـترة متماشـية مـع سياساتنا . ويمكن لنـا أن نلاحـظ أن موقـف "جمـال عبـد الناصـر" بعـد اتفاقـه مـع بريطانيا سوف يتعرض لانتقادات لأن هناك من الوطنيـين مـن يطلبـون أكـثر . فإذا كان عرض المسـاعدات العسكرية مطروحا على الفور فى أعقاب الاتفاق مع بريطانيـا ، فإن "ناصـر" قد يجـد لذلـك جاذبيـة تغريـه . وليـس لنـا أن نخشـى مـن اعـتراض إسرائيلى على تسليح " ناصـر " لأنه إذا توافق حصولـه علـى السـلاح مـع استعداده للصلـح مع إسرائيل، فإن مخـاوف إسرائيل حينئـذ تصبح غير مـبررة."

٢ - "إن " ناصـر" لديه برنامج تنميـة يحتـاج إلى خـبراء . فإذا عرضنـا عليـه بعثـات أكثر فى الجامعات الأمريكية لشباب مصـرى ، فـإن ذلـك قـد يضـع قطعـة سكـر إضافية فى فمـه . ثم إننا أيضا نستطيع أن نجـد أماكن فـى الكليـات العسـكرية لعـدد من ضباطه الذين يجب أن يتدربوا على السلاح الأمريكـى الذى ستحصـل عليـه بلادهـم."

٣ - "ونظرا إلى أن مشـروع السـد العـالى تـتزايد أهميتـه اقتصاديـا ومعنويـا فـى مصـر ، فإننا نستطيع أن نتقدم إلى الكونـجرس بطلب اعتماد مبلـغ محـدد يخصـص للمساعدة فـى تمويـل السـد العـالى فـور انتهـاء الدراسـات الهندسـية اللازمـة ، ونستطيع أن نتقدم للكونجـرس بطلـب اعتمـاد قـدره ٢٠ مليـون دولار فـى المرحلـة الأولـى ، وحتى نتغلـب على أى تـردد من جانب ناصـر ."

٤ - "إذا بـدا أنه مستعد للقبول فإننا نستطيع إقناعه بمواصلـة الطريـق بـالبحث فى إمكانيـة تقديم ٢٠ مليون دولار كل سنـة لـمدة خمـس سنوات مـن البنـك الدولـى تخصص للسـد العالى ."

٥ - "إن مصـر لديها طموحات فى مجالات مختلفة للتحديث . ونحـن نسـتطيع المساعدة فى توسـيع معمـل للنظـائر المشعـة يجـرى بنـاؤه الآن فـى مصـر فعـلا . وكذلـك نستطيع أن نقـدم برنامجـا للتدريـب فـى المجـالات النوويـة ، ويمكـن أن نضيـف إليه فيما بعد مفاعـلا نوويـا ."

٦ - "نستطيع أن نعـرض على ناصـر ــ فـى ظـرف ملائـم ــ إمكانيـة تزويـد بـلاده بكميات من فوائض القمـح الأمريكـى ."

٧ - "نستطيع مساعدة مصر فى تسويق محصولها من القطن ، ويمكن أن نسمح لها بحصة أكبر فى السوق الأمريكية ."

٨ - "إن مصر سوف تقيم معرضا دوليا كبيرا فى يناير سنة ١٩٥٦ ، ونستطيع الاشتراك فيه على نطاق واسع بما يحدث أثرا كبيرا ."

٩ - "ونستطيع أن ندرس إمكانية مساعدة الأمانى المصرية فى مجالات مختلفة . ومن ذلك مثلا أن نحوّل مصر إلى مركز للاتصالات والمواصلات الإقليمية ، آخذين فى الاعتبار ألا نغضب العراق باعتبار أن هناك منافسة تقليدية بين القاهرة وبغداد ."

١٠ - "وإذا ما توصلنا إلى مشروع اتفاق للأمن المشترك ، فإننا نستطيع على الفور أن نعد مصر بكل ما نقدمه من امتيازات لتركيا وباكستان ."

□

ويوم ٢٧ يناير ١٩٥٥ ، عقد اجتماع على مستوى عال فى وزارة الخارجية الأمريكية بين ممثلين أمريكيين وممثلين بريطانيين لوضع اللمسات الأخيرة على الخطة (ملف رقم ٥٩ - د ٥١٨ محفوظات وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٥٥). كان الطرف الأمريكى ممثلا فى "هربرت هوفر" المساعد الأول لـ "دالاس" ، ومعه "فرانسيس راسل" المساعد الخاص لوزير الخارجية والمسئول عن وضع الخطة "ألفا" ، والسفير "ريموند هير" . ومن الطرف البريطانى كان هناك "روبرت سكوت" القائم بأعمال السفارة البريطانية فى واشنطن ، و"إيفلين شاكبوره" الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية . وطبقا لمحضر الاجتماع فقد قام "راسل" بعرض عام للخطة "ألفا" ، ثم قال إنه "نظرا لاهتمام الرئيس (أيزنهاور) ووزير الخارجية (دالاس) بإعطاء هذه الخطة كل فرص النجاح ، فإنه تقرر تعيين "هنرى بايرود" وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سفيرا فى مصر حتى تكون له الهيبة التى تمكنه من الاتصال مباشرة بالكولونيل ناصر . وهناك اعتقاد كبير بأن بايرود بشخصيته الذكية وبخلفيته العسكرية عندما كان مساعدا للجنرال "مارشال" يستطيع أن يفهم " ناصر" ويوحى إليه بأكثر مما يستطيع ذلك سفير عادى وتقليدى ." وأضاف "راسل" أن "جزءا كبيرا من نجاح الخطة يعتمد على تقبل ناصر لفكرتها العامة" . ثم قال "راسل": "إنه يدرك أن العقبة الكبرى التى تواجهها الخطة هى أن" ناصر " بخبرته الاستراتيجية وبتجربته فى فلسطين سوف يكون مصرا على فتح الاتصال البرى بين مصر وبقية العالم العربى ، وبالتالى فإن موضوع النقب سوف يكون النقطة الأهم بالنسبة له ." ورد وكيل

وزارة الخارجية البريطانى "شاكبوره" بأن المسألة التى تطرح نفسها هى "ما إذا كانت إسرائيل مستعدة لأن تتنازل عن أى أراض فى النقب". ثم استكمل "شاكبوره" كلامه قائلا "إن هناك مشاكل أخرى أيضا متولدة عن تجربة الحرب ، وأهمها هى كيف يمكن التغلب على الحاجز النفسى الذى نشأ لدى العرب إزاء إسرائيل" .

وبعد مناقشات طويلة تم الاتفاق على أن تقدم الخطة إلى "جمال عبد الناصر" بواسطة وزير الخارجية البريطانى "أنتونى إيدن" أولا عندما يجتمع به فى القاهرة فى شهر فبراير. وبعدها يكون "بايرود" قد وصل إلى القاهرة وتسلم مهام عمله ، ومن ثم يواصل دوره بعد افتتاحية "إيدن" . لكن الطرف الأمريكى كان يريد أن يكون "بايرود" هو الذى يفتح الموضوع لأول مرة . فـ "جمال عبد الناصر" لديه حساسيات من الإنجليز ، وقد يخطر بباله أن مشروع "ألفا" مناورة جديدة من بريطانيا لكى تعود من الشباك إذا خرجت من الباب. واكتفى "شاكبوره" بأن يحتفظ لـ "إيدن" بـ"الحق فى مجرد إبداء ملاحظة لـ "جمال عبد الناصر" عندما يلتقيه مؤداها أن هناك "جهدا أمريكيا بريطانيا مشتركا" لترتيب أوضاع المنطقة بالاشتراك مع أهلها ، وأن "بايرود" سوف يتقدم إليه بإطار ما تفكر فيه القوتان الكبيرتان."

وبعد ظهر نفس اليوم اجتمع الطرفان مرة ثانية ، وانضم اليهما فى رئاسة الاجتماع وزير الخارجية "جون فوستر دالاس" بنفسه . وكان "دالاس" يريد أن يطرح نقطة رآها بالغة الأهمية ، وقد أثارها متسائلا "هل بحثتم ما يمكن أن يكون عليه رد فعل اليهود فى هذا البلد (يقصد الولايات المتحدة) بينما أنتم ترتبون لمراحل تنفيذ الخطة "ألفا" ؟ إننى فهمت أن رأيكم بحث الخطة مع ناصر أولا، فإذا تسرب شىء من ذلك إلى اليهود فى الولايات المتحدة فلا بد أن نكون مستعدين لذلك ، وأنا أسأل لماذا لا نتصل بإسرائيل أولا؟" ورد "هوفر" بأنه "من الأفضل أن تكون نقطة البداية مع جمال عبد الناصر، فإسرائيل تعلن أنها تريد مفاوضات مع العرب ، والعرب لا يظهرون مثل هذا الاستعداد إلا بشروط ، وبالتالى علينا أن نبدأ معهم لإقرار المبدأ ثم نفاتح إسرائيل ." وأضاف "هوفر" أن "البدء مع جمال عبد الناصر سوف يرضى كبرياءه ويعطيه إحساسا بأهميته وأهمية مصر، وهذا يسهل كثيرا من الأمور" . ويبدو أن "دالاس" عند هذه النقطة اعترته العصبية، فقد قال :

"لا بد أن تفهم مصر أن رفض الخطة ليس واردا ، وأن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة يعنيان ما يقولانه وليس هناك مجال للرفض . ويتعين جعل العرب يفهمون أن اليهود الأمريكيين لهم قوة موجودة ودائمة ، وإذا تصرف العرب بطريقة غير مسئولة فإن مشاعرنا ستتجه ضدهم ."

وتدخل "شاكبوره" ليقول : "إن إسرائيل هى الواقعة تحت ضغط المقاطعة العربية لها ، ولا نستطيع أن نمارس ضغطا عليها ، بينما العرب فى وضع أفضل ، فهم يستطيعون الانتظار ورفض تقديم تنازلات ، ومن ثم يضعوننا فى مأزق ، ولذلك فالبداية معهم أوفق ، ثم إن الضغط عليهم ممكن ."

وتدخل "دالاس" مرة أخرى ليقول بالنص : "إن "ناصر" لا ينبغى السماح له بأن يتصور أن فى مقدوره أن يقول لا. وإذا قالها فإننا سوف نتصرف بما يجعله يقول نعم."

□

ويبدو أن "دالاس" ظل غير مقتنع بفكرة مفاتحة "جمال عبد الناصر" أولا ، وهكذا فإنه بعث برسالة منه إلى رئيس وزراء إسرائيل "شاريت" يوم ١٤ فبراير ١٩٥٥ يقول فيها : "لقد مضى وقت منذ أن أبلغنى السفير أبا إيبان بقلقك من استمرار شعور إسرائيل بالعزلة وعدم الأمان ، وقد طلبت منه أن يبلغك بتعاطفى مع مشكلتك وعزمى على إعطائها أكبر قدر من الاهتمام . وأنا أبعث إليك بهذه الرسالة لكى تعرف أن المشكلة تحصل على اهتمامى الكامل ، وإننا نقوم بدراسة كل الاحتمالات الملائمة والعملية التى يمكن للولايات المتحدة أن تقوم بها ....."

وكان "دالاس" يعرف أن وزير الخارجية البريطانى "أنتونى إيدن" فى طريقه إلى القاهرة، كما أنه اطلع على نقاط مقترحة لحديثه المنتظر مع "جمال عبد الناصر" أعدتها وزارة الخارجية وكانت تحتوى على خمسة بنود :

- البند الأول يطلب من "إيدن" أن يقول لـ "جمال عبد الناصر" : إننى أعرف أنك مهتم بالضرر الناشئ عن وجود توتر مستمر بين الدول العربية وإسرائيل . وأنا على اطلاع بما قاساه اللاجئون العرب . ثم إننى متخوف من احتمال أن يستغل السوفيت مخاوفكم من إسرائيل ومأساة اللاجئين الفلسطينيين، ثم يجدون ثغرات ينفذون منها إلى تقويض مجتمعاتكم .

- والبند الثانى يطلب من "إيدن" أن يقول لـ"جمال عبد الناصر" : إن حكومة صاحبة الجلالة الملكة تتمنى أن ترى مصر قوية وذات نفوذ فى شرق البحر الأبيض ، وإنها تتابع بإعجاب جهوده لتنمية بلاده ، وكذلك تتابع الولايات المتحدة ، وكلاهما على استعداد للمساعدة . لكن استمرار الصراع مع إسرائيل سوف يؤثر على مقدار ما تستطيع الحكومتان أن تقدماه إلى مصر. وإنك سمعت بنفسك من "دالاس" أنه إذا

تعاونت مصر فى سبيل حل الصراع مع إسرائيل فإن الولايات المتحدة سوف تكون مستعدة لرعاية مستقبل مصر .

- والبند الثالث يطلب من "إيدن" أن يدغدغ كبرياء "جمال عبد الناصر" وغروره بأن يقول له إنه سمع عنه كثيرا من كل الذين قابلوه ، وبينهم زميله فى الوزارة "أنتونى ناتنج" ، وبينهم أيضا "إريك جونستون" (مبعوث الرئيس الأمريكى فى مشروع استغلال نهر الأردن) . وإن عمله من أجل تسوية للصراع العربى الإسرائيلى سوف يرفعه إلى مقام رجل دولة عالمى .
- والبند الرابع يعطى "إيدن" مجموعة الحجج التى يمكن أن يستعملها للضغط على "جمال عبد الناصر" إذا أحس بتردده .
- والبند الخامس يعطى "إيدن" مفاتيح يتصرف بها لفتح الأبواب إذا وجد أن "جمال عبد الناصر" لديه الاستعداد .

لم تنجح زيارة "إيدن" رغم كل ترتيبات وزارة الخارجية البريطانية . وعندما التقى "أنتونى إيدن" مع "جون فوستر دالاس" فى بانكوك حيث كانا يحضران اجتماعا لحلف جنوب شرق آسيا ، استمع "دالاس" من زميله البريطانى إلى تفاصيل ما دار بينه وبين "جمال عبد الناصر" . وكان تعليق "إيدن" أنه يشعر أن رئيس وزراء مصر "يسعى لزعامة العالم العربى" . وكان تعليق "دالاس" كما كتبه بنفسه هو : "إننى قلت لإيدن إننا على استعداد لأن نؤيد " ناصر " فى طلبه لزعامة العالم العربى ، ولكن ذلك لن يحدث قبل أن يعقد سلاما مع إسرائيل" .

وكان السفير الأمريكى الجديد "هنرى بايرود" قد وصل إلى القاهرة ليبدأ مهمته الكبيرة فى عرض الخطة "ألفا" . لكنه حين وصل كانت القاهرة فى حالة توتر شديد بسبب الغارة الشهيرة على غزة ، فقد قام الجيش الإسرائيلى بمهاجمة مواقع مصرية ، وقتل ٢٢ جنديا مصريا . وكان واضحا أن هذا التصرف وراءه عاملان :

١ ـ إن "بن جوريون" الذى تخلى عن رئاسة الوزارة قبل قرابة العام ليعطى فرصة لـ"شاريت" "يصنع فيها سلاما كان يحلم به مع العرب" عاد إلى السلطة وزيرا للدفاع بعد شبه انقلاب قام به الجيش الإسرائيلى على "شاريت" بقيادة "موشى ديان" .

٢ ـ إنه من المحتمل أن "شاريت" وافق على غارة غزة كوسيلة لجعل مصر تحس بالخطر، ومن ثم تكون مستعدة أكثر للاستجابة لمبادرات أمريكية بريطانية أشار إليها "دالاس" فى رسالته، وبلغته تفاصيل كافية عن الخطة "ألفا" من شخصيات يهودية نافذة فى واشنطن .

٢

بــايــــــــــــــرود

" هـاتـوا لـى خريطـة نهائيـة لحـدود إسرائيل ..! "

("جمال عبد الناصـر" لـ "أونـو" رئيس وزراء بورمـــا)

كتب "هنرى بايرود" تقريره الأول من القاهرة بتاريخ ٤ مارس ١٩٥٥ (وثيقة رقم ٤٥٥ ــ ٨٦/٣ أ ٦٨٤) . وفى هذا التقرير فإن "هنرى بايرود" ـ السفير فوق العادة إلى القاهرة والمكلف بتمرير الخطة "ألفا" ـ شرح الجو السائد الذى وجده عند وصوله إلى مصر فى أعقاب الغارة على غزة ، كما وصف ردة الفعل التى وجدها فى انتظاره . ورأى أن يبدا تقريره بعرض لبعض عناوين الصحف لكى يظهر لـ "دالاس" حدة المشاعر فى مصر . ثم وصل إلى النقطة المركزية التى أراد أن يستهل بها مهمته فى الظروف المتغيرة التى وجدها أمامه ، فقال :

"إن وزارة الخارجية لا بد أن تكون على علم بما تمثله هذه الأجواء الغائمة بالنسبة للخطة ألفا ، واعتقادى أن جدول توقيتاتنا يستحق إعادة النظر فيه ، لأننى لا أستطيع بسرعة أن أبدأ اقترابى من طرح ألفا ."

ثم استطرد "بايرود" فى تقريره إلى تفصيل يستحق التأمل ، فقال : "لقد قلت لأبا إيبان قبل سفرى من واشنطن إننى سوف أبذل كل جهدى فى مصر للحصول على تقدم سريع بالنسبة لتقدم العلاقات بين مصر وإسرائيل بصفة عامة ، وبالذات بالنسبة لموضوع رفع الحظر عن مرور السفن والبضائع الإسرائيلية فى قناة السويس ، وهو أمر اعتبرته فى صالح بلدى كما هو فى صالح إسرائيل . لكنى الآن أدعو إلى الحذر حتى نهيئ المناخ الذى يمكن أن نعمل فيه . وفى الأجواء التى وجدتها هنا فإن أى محاولة لتحقيق ما تحدثنا فيه ("بايرود" و"إيبان") قد تؤدى إلى سد الطرق .

إننى وسفارتى هنا سوف نستخدم كل فرصة متاحة لكى نفتح الطريق للعملية ألفا . لكننا يجب فى ذلك أن نزن كل عوامل الموقف ."

□

ونوقشت نصيحة "بايرود" بالحذر فى واشنطن وفى لندن . ويوم ١٩ مارس ١٩٥٥ بعث "هوفر" (مساعد وزير الخارجية الأمريكية) إلى "بايرود" بتعليمات — (تضمنتها الوثيقة رقم ٨٦/٣ أ ٦٨٤) ـ جاء فيها :

"إننا نتفهم أسباب حذرك ، لكننا نرى وجاهة الرأى الآخر الذى عبر عنه وزير الخارجية البريطانى إيدن فى اتصالات معنا فى لندن . إن إيدن يظن أن انتظار أوقات أفضل فى العالم العربى ليس أمرا مضمونا . وفى تقديره أن المسائل قد تسوء أكثر بسبب الموقف الداخلى الذى يواجهه "ناصر" . إننا نقدر مصاعب مفاتحته الآن فى موضوع ألفا ، ومع ذلك فإننا نظن أن مفاتحته الآن قد تكون أفضل من التأخير . ولهذا فإننا نرغب أن تناقش الأمر مع ستيفنسون (السير "رالف ستيفنسون" السفير البريطانى فى مصر) وأن تتفقا معا على أفضل وسيلة عملية لمفاتحة ناصر . إنك تستطيع أن تؤكد له أننا سوف نحافظ على سرية الموضوع . ونحن نترك لك طريقة الاقتراب ومناسبته ، ولكن عليك فى حديثك معه ألا تعطيه شيئا يمكن أن يستغله ضد المفاوضات الجارية بين البريطانيين والعراق والأتراك لبحث مستقبل الدفاع عن الشرق الأوسط . وإذا وجدت أن " ناصر" منفتح لبحث الخطة ، فقد يكون من الضرورى لك أن تلتقى مع راسل (مصمم وواضع الخطة ألفا) ومع شاكبوره (الوكيل الدائم للخارجية البريطانية) ، فى أى مكان يلائمك لتطلع منهما على أية تفاصيل تكون فى حاجة إليها . ويستحسن أن يكون اجتماعك بهما سرا ، ولكن فى هذه الحالة لا تدخل فى أى تفاصيل مع ناصر حتى تتلقى أنت ويتلقى ستيفنسون تعليمات جديدة يتفق عليها .

إننا نود أن تتذكر أن من المهم مفاتحة ناصر والحصول على رد إيجابى منه قبل أن يتوجه إلى اجتماع باندونج ."

وكان "بايرود" لا يزال مقتنعا بأن الأجواء فى القاهرة غير ملائمة لفتح ملفات "ألفا" . ويوم ٢١ مارس ١٩٥٥ كتب إلى وزير الخارجية "دالاس" برقية (الملف رقم ٢١٥٥ — ٨٦/٣ أ ٦٨٤) قال فيها :

"ناقشت تعليماتكم مع ستيفنسون وفى رأينا المشترك، ومع أسفنا الشديد،فإننا توصلنا إلى :

(أ) إن " ناصر" لا يستطيع فى هذه الظروف أن يجد فى نفسه القابلية لبحث العملية "ألفا". وحتى إذا كان هو مستعدا ، فإن المناخ العام بما فيه موقفه الداخلى وموقفه إزاء بقية الدول العربية سوف يدعوه إلى الرفض .

(ب) إن هناك مضاعفات جديدة ناشئة بسبب الاندفاع إلى إقامة نظام الحزام الشمالى الذى تشارك فيه العراق وتركيا . وقد طغت أخباره أخيرا على الصورة العامة هنا . وليس من رأينا أن نترك ألفا تتداخل مع الحزام الشمالى .

ومن هنا فإن كلينا يرى أنه من الأنسب تجنب فتح موضوع ألفا فى الوقت الراهن آملين أن تسنح فرصة خلال الأسابيع القادمة لفتح الموضوع ."

بعث "بايرود" بهذه البرقية فى الساعة الثالثة بعد الظهر إلى واشنطن . وفى الساعة الرابعة أى بعد ساعة واحدة رأى أن يعززها ببرقية ثانية (الملف رقم ٢١٥٥ - ٨٦/٣ أ ٦٨٤) قال فيها :

"فى مناقشاتى مع ستيفنسون توصلنا إلى النقاط التالية :

١ - إن " ناصر" يشعر بالمرارة بعد ما حدث فى غزة ، كما أن الشكوك تراوده حول سياساتنا . واعتقادنا أن الوقت غير صالح لأى مفاتحة سرية له عن ألفا فى الوقت الراهن .

٢ - إنه سوف يبادر بالربط بين الخطة ألفا وبين تحركاتنا فى شأن الحزام الشمالى، وقد يتوصل بشكوكه أننا نحاول قسم العالم العربى وعزل مصر .

٣ - إن مشاعره فى هذه اللحظة حادة من الناحية الوطنية ، وتلك حالة سوف تقلل استجابته لأى مبادرة نقوم بها .

٤ - إن الغارة على غزة لم تخفه ،ولكنها ببساطة رفعت درجة حدة عدائه لإسرائيل .

٥ - وإذا فاتحناه الآن وفى هذه الظروف فإن طلباته للتسوية قد تكون أعلى مما نتوقعه .

٦ - إن المشاكل العربية التى ثارت بسبب الحلف العراقى التركى، وكذلك مشاركته فى مؤتمر باندونج، قد تؤدى إلى تليين موقفه وتجعل فترة ما بعد المؤتمرأنسب للمفاتحة .

٧ ـ وفى هذا الوقت فنحن نأمل أن تتمكن حكومة الولايات المتحدة والحكومة البريطانية من عمل يستعيد ثقة ناصر فينا وفى نفسه ، وهو لا يزال فى رأينا أفضل رجل يستطيع قيادة عملية التسوية ."

☐

ولم يكن "دالاس" برغم هذا كله مستعدا للانتظار . فعاد يكتب إلى "بايرود" بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٥٥ (مجموعة وثائق الملف ٥١٨ د ٥٩) قائلا له :

"إننا نعلق أهمية كبيرة على العملية ألفا . وتستطيع أن تشرح لناصر أننا سوف نتعاون معه على بناء زعامته فى العالم العربى ، وسنبذل كل جهدنا فى تقوية مركزه . وتعاونه فى الخطة ألفا هو السبيل الوحيد لإقناعنا بعمل ذلك ."

وتوصل "بايرود" تحت الضغط إلى حل وسط . فقد رأى أن يبدأ بجس نبض الدكتور "محمود فوزى" ، وهو بذلك يكون قد فتح الموضوع دون تفاصيل ، ولم يتحدث فيه إلى "جمال عبد الناصر" وسط الأجواء المتوترة .

والحاصل أن "بايرود" تحدث مع الدكتور "فوزى" بمنطق أنها "محاولة للتفكير الاستراتيجى تصل إلى حد الأفق" .

وكتب "بايرود" إلى "جورج آلن" وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط خطابا شخصيا بما توصل إليه . بدأ أولا بكتاب شخصى موجه إلى "جورج آلن" (ملف رقم ٢٠٥٥ ـ ٦١١٠٧٤) قال فيه :

"نظرا لحساسية الموضوع فلن أبعث بأى برقيات إلى الوزارة عن الاتصالات التى سوف أجريها بشأن ألفا ، والسبب أننى بعد خدمة ثلاث سنوات كوكيل للوزارة أصبحت أعتقد أنه من الصعب على وزارة الخارجية أن تكتم سرا عن الإسرائيليين . فكل شىء كما عرفت بتجربتى يصل إليهم . ولست ضد ذلك كمبدأ ، وحين تكون معرفتهم بسياساتنا ضرورية .ولكنى أخشى أنهم فى هذا الموضوع بالذات يحتمل أن يقوموا بتسريب الأخبار إلى وسائل الإعلام بقصد الإضرار بالمسعى كله. واعترف لك أننى لا أستبعد أن يكون من أسباب قيامهم بالغارة الأخيرة على غزة هو رغبتهم فى الإضرار بمشروع ألفا .إن هذا مجرد تخمين .لكنى أحيانا أتساءل إذا كان أصدقاؤنا فى إسرائيل يريدون تسوية بالفعل ."

وبعد هذا الخطاب الخاص انتقل "بايرود" إلى لقائه مع الدكتور "فوزى" فقال :

"إننى فاتحت الدكتور فوزى فى أوضاع الشرق الأوسط ، وقد شاركنى الرأى فى أن الموقف جد خطير . فسألته عما يستطيع المعنيون بالأمر أن يفعلوه لتدارك الخطر ، وما هى القضايا الأولى بالعلاج ؟ وكان رأى فوزى أن هناك ثلاث مشاكل ملحة فى العالم العربى هذه اللحظة :

أولها : الخلافات العربية العربية .

وثانيها : الصراع العربى الإسرائيلى .

وثالثها : التوتر الذى نشأ بسبب الأحداث الأخيرة(يقصد الغارة الإسرائيلية على غزة) .

وقال فوزى إن المشكلتين الأولى والثالثة مؤقتتان فى تقديره . وإن المشكلة رقم ٢ (أى الصراع العربى الإسرائيلى) هى المشكلة الكبرى . وقال فوزى إن هذه المشكلة تتمثل فى نقطتين أساسيتين : الأولى هى مسألة اللاجئين ، والثانية هى مسألة الأراضى .

وسألت فوزى عن مشكلة الأراضى ، ورد بأن بلاده يستحيل أن تقبل انقطاع الصلة بينها وبين بقية العالم العربى ، وإن الأمر ليس كما سمع من بعض الناس فى واشنطن مما يمكن حله بالاتفاق على ممر وسط الأرض التى تحتلها إسرائيل يصل بين مصر والأردن . أى أنه ليس corridor وإنما هو يتحدث عن أرض حقيقية تربط وتصل .

وسألته إذا كان يتصور أن هناك زعيما إسرائيليا يستطيع أن يتنازل عن أرض . ورد أنه يعرف أن ذلك صعب بالنسبة لهم ، لكنه ثمن معقول إذا كان السلام هو ما يريدون . واتفقت مع فوزى على أن نواصل الحديث فى الموضوع بعد عودته من باندونج لأنه مسافر إليها فى الأسبوع القادم مع جمال عبد الناصر لحضور المؤتمر الآسيوى الأفريقى ."

□

وكانت "باندونج" قد أصبحت معركة سياسية مع إسرائيل من وراء ستار . فدول مجموعة "كولومبو" التى رتبت من الأصل لعقد مؤتمر الشعوب الآسيوية ـــ الأفريقية ، لم تكن تستبعد اشتراك إسرائيل فيه باعتبارها دولة آسيوية . وكانت بورما إحدى دول

مجموعة كولومبو ، وكان "أونو" رئيس وزرائها صديقا لـ "شاريت" و"بن جوريون" ومن المعجبين بحركة المستعمرات فى إسرائيل ، بحسبها تجربة اشتراكية ناجحة .

وهكذا فإن "أونو" وضع إسرائيل ضمن قائمة الدول المرشحة لحضور مؤتمر"باندونج" . وكان الذى تولى إخطار "جمال عبد الناصر" بذلك هو رئيس وزراء الهند "نهرو" . واعترض "جمال عبد الناصر" . وكان رأى "نهرو" أن الجغرافيا تقول إن إسرائيل دولة آسيوية ، وإنه يستحيل استبعادها إلا إذا كان هناك سبب يقنع الداعين والمدعوين بقبول استبعادها . وراح "جمال عبد الناصر" يشرح طبيعة الدولة اليهودية وسياساتها من يوم أنشئت . وبدا أن "نهرو" مقتنع ، لكن "أونو" الذى سمع منه باعتراضات "جمال عبد الناصر" أبدى عدم اقتناعه بمنطق "أن حضور المؤتمر ليس شهادة بحسن سير وسلوك الدول والنظم ، وإنما هو بوجودها الشرعى والقانونى" . واتصل "جمال عبد الناصر" بـ "أونو" مباشرة يقول له "إن وجود أساس شرعى وقانونى لأى دولة لا بد أن يكون ضمن حدود مقبولة ومعترف بها . والحدود التى رسمها المجتمع الدولى لإسرائيل هى حدود التقسيم ، لكن إسرائيل تخطت هذه الحدود بالعدوان ، وهذا ثابت من قرارات متصلة للجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ." وبعث "أونو" يسأل "هل أفهم من ذلك أنكم لا تمانعون فى حضور إسرائيل إلى باندونج إذا هى اعترفت بخطوط التقسيم ؟" وبعث إليه "جمال عبد الناصر" بأنه إذا اعترفت إسرائيل بخطوط التقسيم والتزمت بها عملا وتقدمت بخريطة نهائية لحدودها على هذا الأساس ، فإنها بالقطع تصبح مهيأة لحضور مؤتمر باندونج ، وتثبت فوق ذلك أنها مستعدة للسلام فى الشرق الأوسط ."

وقام "أونو" باتصالاته مع أصدقائه فى إسرائيل يطلب اعترافا منهم بقرار التقسيم وبخريطة نهائية لحدود بلدهم . ولم تستجب إسرائيل، وتراجع "أونو" عن إصراره على دعوتها .

واعتبر استبعاد إسرائيل من مؤتمر "باندونج" هزيمة سياسية كبرى . وراح "بن جوريون" يحاول أن يلقى مسئوليتها على رئيس الوزراء "شاريت" ، رغم أن "بن جوريون" نفسه شارك فى الاتصالات مع "أونو" .

ويوم ٥ ابريل ١٩٥٥ ، ومؤتمر "باندونج" على وشك أن يبدأ أعماله فى تلك المدينة الخضراء الجميلة فى أندونيسيا ، قام "موشى شاريت" باستدعاء "لوسون" السفير الأمريكى فى إسرائيل ليقول له "إن الضغوط تتزايد عليه وإن بن جوريون وأصدقاءه يشددون الحصار حوله وإن المخرج الوحيد هو أن تقوم الحكومة الأمريكية بترتيب اجتماع على مستوى عال بيننا وبين مصر ." وأبدى استعداده للقاء "جمال عبد الناصر" سرا فى أى بلد أو مطار يمكن أن يمر عليه فى آسيا عائدا من أندونيسيا .

وفى اليوم التالى ، ٦ أبريل ١٩٥٥ ، كان "أبا إيبان" السفير الإسرائيلى فى واشنطن يقابل "جورج آلن" ، لينقل إليه اقتراح عقد اجتماع سرى على مستوى عال بين مصر وإسرائيل ، سواء عند الكيلو ٩٥ على طريق غزة أو فى أى مكان فى أوروبا .

وكان رأى وزارة الخارجية الأمريكية أن ذلك ليس أوانه ، وأنه قد يفسد الخطة "ألفا".

ومع منتصف شهر ابريل و"بايرود" يتوقع عودة "جمال عبد الناصر" من رحلته إلى آسيا ، اجتمع هو والسفير البريطانى "رالف ستيفنسون" ليبحثا الأسلوب الذى يتبعانه فى شأن الخطة "الفا". وكتب "بايرود" إلى "جورج آلن" يوم ١٤ أبريل برقية (وثيقة رقم ١٤٥٥ـ٨٦/٤ ٦٨٤٠) يقول فيها :

"يبدو لنا هنا فى القاهرة أن موضوع الخطة ألفا تداخل مع موضوع الحزام الشمالى وأصبح الاثنان ربطة واحدة تقريبا :

- من ناحية فإن " ناصر" على وجه اليقين يحس الآن أن هناك مجموعة من الدول العربية تتقدمها العراق يجرى سلخها عن بقية العالم العربى . ونتيجة لذلك فإنه يرى أن مصر سوف تكون وحدها فى الجنوب فى مواجهة القوة الإسرائيلية .
- ومن ناحية ثانية فإن مصر على وجه عملى مقطوعة جغرافيا عن بقية العالم العربى. وهذا سوف يقلل من دورها فى كل أمور الشرق الأوسط . ومعنى ذلك أنه ليس فى استطاعة ناصر أن يدخل فى مناقشات عن "ألفا" إلا إذا اطمأن إلى وجود اتصال جغرافى بين بلاده وبقية البلاد العربية .

إننى فى كل مناقشاتى معه ومع فوزى أحسست أن موضوع هذا الاتصال الجغرافى بين مصر وبقية العالم العربى هو عنصر حيوى فى تفكيره . وأحسست نفس الشىء مع فوزى . ورالف ستيفنسون معى فى نفس التقدير ، كما أن كلينا يرى أن مصر فى هذا الشأن لن تقبل بمجرد ممر يصلها بالعالم العربى. وهم فيما يظهر لنا يفكرون فى كل منطقة النقب ، من بئر سبع وجنوبا . إن ستيفنسون وأنا نأمل أن تفكروا فى هذه النقطة، وأن تفكر فيها وزارة الخارجية البريطانية أيضا . إن إقتراح إعطاء ممر لمصر إلى العالم العربى لن يكون مقبولا . وفى هذا الصدد فأنا أتذكر أن ناحوم جولدمان فى حديث معى قال صراحة "إن فكرة الممر ليست فكرة صائبة للمستقبل" . وفى تقديره كما قال لى فإنها سوف تكون كمينا أو مصيدة تؤدى إلى مشاكل لا حصر لها فى المستقبل . إننى فى هذا اللقاء مع جولدمان سمعت منه اقتراحا بوضع النقب تحت إدارة مشتركة مصرية إسرائيلية ، وقال لى إن بن جوريون قد لا يعارض هذا الاقتراح ."

ويوم ٥ مايو ١٩٥٥ كتب "بايرود" (وثيقة رقم ٥٥٥ ــ ٥/٠٨٦ أ ٦٨٤) لوزير الخارجية "جون فوستر دالاس" يقول له :

"إنه قرر أن يفاتح "ناصر" مباشرة فى شأن الخطة ألفا، وهو يريد أن يعرضها عليه بطريقة عفوية . ولهذا فإنه لن يطلب موعدا معه،وإنما سوف ينتظر حتى يطلبه ناصر، وهو يعرف أن ذلك سيحدث بعد أن تراكمت مسائل كثيرة أثناء غيبته لعدة أسابيع عن مصر." (غيبة "عبد الناصر" فى رحلته إلى باندونج)

ويبدو أن وزير الخارجية "دالاس" بدأ يشعر أن عملية "ألفا" على الأبواب فعلا ، فدعا نائبه "هربرت هوفر" ليتحدث معه فى التكاليف المالية التى يمكن أن تترتب على العملية ، وكان تقديرهما أنها قد تصل إلى بليون دولار . ووجد أنه والأمر كذلك فإن الرئيس "أيزنهاور" ينبغى أن يكون على اطلاع كامل بالتفاصيل . وتوجه "دالاس" فعلا إلى البيت الأبيض . وعندما عاد من لقائه مع "أيزنهاور" أملى مذكرة لاستكمال وقائع الملف بتاريخ ٦ مايو ١٩٥٥ ، قال فيها :

"عرضت على الرئيس ما وصلنا إليه حتى الآن فى المشروع ألفا الخاص بالشرق الأدنى. ذكرته بأحاديثنا السابقة وأبلغته أن الأمور تقدمت إلى درجة تسمح لبايرود أن يتحدث مباشرة مع ناصر . وقلت للرئيس إننى لا أستطيع أن أتقدم فى هذا الموضوع خطوة أكثر بدون إشارة نهائية صريحة منه . وعرضت على الرئيس أن الشهور القليلة القادمة سوف تشهد تطورات مهمة فى علاقاتنا بالشرق الأدنى ، وأن دورنا فى ذلك يتطلب التزامات مالية لتحقيق الانطلاق فى الموضوع ، وأن تقديرنا المبدئى أننا سوف نحتاج إلى ما بين خمسمائة مليون دولار إلى ألف مليون دولار على مدى خمس سنوات . وقد عرضت على الرئيس أن حدود هذا الالتزام يمكن أن تكون فى خلفية تفكير بايرود حين يعرض الخطة ألفا على ناصر . وقال الرئيس إنه يتفهم المسألة ، لكنه يعتمد على كفاءة وبراعة بايرود حتى لا يلتزم بشىء محدد ونهائى فى أى حديث له مع ناصر ."

إن "جون فوستر دالاس" أملى المذكرة ، وعندما عرضت عليه بعد طبعها على الآلة الكاتبة أراد أن يكون قاطعا أكثر فكتب بخط يده عليها : "الرئيس يقول امشوا فى المسألة ولكن بدون التزامات محددة" (President says go ahead but no firm commitments) .

وفى اليوم التالى رأى "دالاس" أنه مما يمكن أن يقوى موقف "بايرود" حينما يطرح على "جمال عبد الناصر" موضوع "ألفا" أن يحمل معه رسالة شخصية مباشرة إليه من الرئيس "أيزنهاور". وأعد بالفعل مشروعا لهذه الرسالة أرسله إلى البيت الأبيض، جاء فيه :

"صديقى العزيز

لقد طلبت من السفير بايرود أن يبحث معك مسألة شديدة الأهمية بالنسبة لى وهى تحقيق تسوية بين البلاد العربية وبين إسرائيل . إننى شديد التأثر بالتشوق الذى تبديه كل شعوب العالم لعصر من الهدوء بعيد عن شبح الصراع المسلح . إن المؤتمر الأفريقى الآسيوى فى باندونج وأحداثا غيره فى أوروبا عكست هذا الشعور العالمى . وقد لاحظت أن البيان النهائى الصادر فى باندونج عبر بصدق عن الترابط بين الحرية والسلام ، والعلاقة الوثيقة بين السلام والتقدم الاجتماعى والاقتصادى . وإذا ما عدت بالتحديد إلى الشرق الأدنى فإننى أستطيع أن ألحظ حالة إرهاق لدى كل الأطراف من المأزق الذى تواجهه المنطقة .

. . . .

إننى أتفهم المصاعب التى تعترض تسوية عربية إسرائيلية ، لكنى أعتقد أنه فى الإمكان الوصول إلى اتفاق يضع الأطراف جميعا فى موقف أفضل من الموقف الذى هى فيه الآن ، ويزيل احتمالات التوتر والخطر ، ويفتح الفرصة لآمال كبيرة أعرف أنها تراودكم، وأتابع جهودكم فى سبيل تحقيقها .

. . . .

إننى أعرف أن السير أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا العظمى الحالى عبر لكم مباشرة عن مشاعر مشابهة حينما التقاكم فى يناير من هذه السنة . وأنا الآن أقترح عليكم أن تأخذوا زمام القيادة فى هذا الأمر ، مدفوعا إلى ذلك باحترامى العالى لجهودكم وإحساسى بأننا نستطيع الاعتماد عليكم كرجل دولة .

. . . .

إننى أبعث إليك بأخلص أمانى الطيبة وبأملى فى استمرار تقدم مصر تحت قيادتك .

المخلص

دوايت أيزنهاور "

٣

فيصـــل آل سعـــود

" لا أعرف متى يقتنع الأمريكان أنهـم لن يستطيعوا تغيير موقفنا ؟! "

(الأمير فيصل آل سعود للقائم بالأعمال الأمريكى)

وصح ما توقعـه "بايـرود" . فقد دعاه "جمال عبد الناصـر" بالفعل إلى لقائه بعد أسبوعين من عودته إلى مصر قادما من أفغانستان التى كانت نهاية رحلته الآسيوية بعد مؤتمر "باندونج" . لكن "جمال عبد الناصر" كان لديه ما يقوله لـ "بايرود" الذى كتب تقريرا إلى وزير الخارجية عن هذا اللقاء (وثيقة رقم ١٧٥٥ـ ٦/أ ٦٧٤٠٨٤) قال فيه :

"دعانى ناصـر إلى لقائه قبل ساعات ، وسألنى إذا كنت قد تلقيت ردا منكم عن طلب بشراء سلاح أمريكى "تقدموا" به إلينا من فترة طويلة ، ثم جددوا الطلب وألحوا عليه بعد غارة غزة . ووجه لى سؤالا محددا سألنى به: هل تستطيع مصر شراء سلاح أمريكى أم لا ؟ ـ وقد أقلقتنى صيغة السؤال ، ورددت عليه بقولى إننى أرجوه أن يتفهم أنه فى الأجواء الحالية فى المنطقة فإن أى طلب للسلاح سوف ينظر إليه الآن فى ضوء معتم وغير ملائم .

وخلال مناقشة طويلة تلت ذلك قال جمال عبد الناصر إن أمامه فرصة للحصول على سلاح سوفيتى ، وهو يدرك أن ذلك سوف يثير مشاكل ، لكنه سيجد نفسه مضطرا إذا لم يستطع الحصول على سلاح أمريكى . فالغارة على غزة أثبتت فى رأيه أن مصر مكشوفة أمام السلاح الإسرائيلى، وإنه شخصيا يعرف أحد الضباط الذين قتلوا فى الغارة ، وقد مشى فى جنازته . وكان تفكيره طوال الوقت أن قواته يجب أن تكون مستعدة للدفاع عن نفسها.

ثم طلب منى ناصر بصرف النظر عن تفكيرى الشخصى أن أنقل طلبه إلى واشنطن وأن أذكر بصراحة أنه ينوى شراء سلاح من الاتحاد السوفيتى . وأنا أعرف من مصادر خاصة أنه فى انتظار أن يتحدث معى قام بتأخير سفر بعثة عسكرية مصرية إلى موسكو للبحث فى صفقة سلاح مع الاتحاد السوفيتى .

وبدا لى أن" ناصر" ليس لديه أمل كبير فى أننا سوف نستجيب لطلبه . وهو مثل كثيرين من زملائه يظن أننا نريد أن نترك مصر ضعيفة أمام إسرائيل . ومن وجهة نظرى فإننى أقترح عليكم إخطارى بأن فى مقدورى إبلاغه بـ "أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ليس عندها من ناحية المبدأ أو من ناحية السياسة اعتبار يمنعها من السماح لمصر بشراء أسلحة أمريكية" . إن هناك وقتا سوف يمضى فى مناقشة التفاصيل ونستطيع أن نطلب منه تحديد طلباته بطريقة عملية . وفى النهاية فأنا أعلم أن ما تقدر مصر على شرائه من السلاح قليل لأن مواردها المالية محدودة .

وفى ختام المقابلة طلب منى ناصر أن أبلغكم بما قاله لى وأن أستعجل ردكم عليه ."

□

وكان "دالاس" لا يزال مشغولا بأن الباب على وشك أن ينفتح أمام الخطة "ألفا" . وهكذا فإنه فى منتصف أغسطس ألقى خطابا مسهبا أعلن فيه أن الولايات المتحدة سوف تتقدم بمبادرة لتسوية الصراع العربى الإسرائيلى ، كما أنه أشار إلى بعض الملامح من الخطة "ألفا" . وتلقى "بايرود" من وزير خارجيته تعليمات باستطلاع رأى "جمال عبد الناصر" فى تصريحات "دالاس" .

وكان ظاهرا أن الولايات المتحدة على وشك أن تقوم بعملية واسعة تستهدف تحقيق سلام بين العرب وإسرائيل . وطلبت وزارة الخارجية الأمريكية من سفرائها فى المنطقة استطلاع رأى زعمائها فى تصريحات "دالاس". وذهب "بايرود" إلى لقاء مع "جمال عبد الناصر"، وكتب بعد انتهاء اللقاء تقريرا إلى وزير الخارجية الأمريكية (وثيقة رقم ٢٧٥٥ ـ ٨/٠ أ ٦٨٤) قال فيه :

"سألت " ناصر" عن رد فعله على البيان الذى ألقاه وزير الخارجية ، وسلمته نصا كاملا له . وقد وجدت أن رد فعله أقل مودة مما تمنيت . وقد راودنى إحساس

أنه يشعر بحيرة إزاء ما قاله وزير الخارجية . وكان أول تعليق أبداه هو قوله "إن العالم العربي يجد من الصعب عليه أن يقبل فكرة تشريد اللاجئين الفلسطينيين على هذا النحو ، ثم إن هناك أيضا موضوع النقب . وأضاف أنه قرأ تصريحا لبن جوريون قال فيه إن إسرائيل لديها خطة لتوطين مليوني يهودى فى النقب . وقلت له إننى قرأت هذا التصريح مثله ، واعتقادى أنه نوع من الدعاية لسبب بسيط وهو أن إسرائيل ليس لديها كمية المياه المطلوبة لرى النقب على فرض أنهم وجدوا الناس . ولفت نظره إلى أن كل مياه الأردن لا تكفى لرى النقب حتى لو خصصت له بالكامل ."

وكان بقية السفراء الأمريكيين فى المنطقة قد تلقوا تعليمات مماثلة لتلك التى تلقاها "بايرود". وكتب "جالمان" السفير الأمريكى فى بغداد بنفس التاريخ الذى كتب فيه "بايرود" (٢٧ أغسطس) تقريرا إلى وزير الخارجية "دالاس" (وثيقة رقم ٢٧٥٥ ـ ٨/٠٨٦ أ ٦٨٤) يقول فيه :

"قابلت رئيس الوزراء نورى (السعيد) فى بيته صباح اليوم الباكر ، وكان فى طريقه إلى اجتماع لمجلس الوزراء ، وقد سلمته نسخة من خطاب الوزير فى نيويورك . وقال لى نورى إنه سمع عن طريق الإذاعات بعض النقاط ، ووضع الخطاب فى جيبه وقال لى إنه سيقرؤه على مهل فى مكتبه . وقلت له إننى آمل بعد أن يقرأه أن يجد نفسه متفقا مع آراء الوزير فى أهمية الوصول إلى تسوية للصراع العربى الإسرائيلى ، وقد يرى مناسبا أن يعلن تأييده لذلك فى بيان يصدر عنه . وكان تعليق نورى أن أشاد بكفاءة وأمانة الوزير دون أن يشير إلى موضوع خطابه فى نيويورك ."

وكان تقرير الوزير المفوض الأمريكى فى جدة عن رد فعل وزير الخارجية السعودى الأمير "فيصل" هو أكثر تقارير السفراء الأمريكيين وضوحا فى شأن ما قاله "دالاس" . فقد كتب "وادسوورث" تقريرا إلى "دالاس" جاء فيه :

"إن الأمير فيصل بعد أن تسلم نسخة من تصريحات الوزير ، قال "لماذا تريد أن أقرأه أنا ؟ إننى أوثر أن أترك التعليق عليه لهؤلاء الذين يعنيهم أمره . إننى قلت لكم مرارا وتكرارا إننا لا نستطيع العيش مع إسرائيل . ولا أعرف متى يقتنع الأمريكان أنهم مهما فعلوا فإنهم لن يغيروا موقفنا . سوف يقولون فى واشنطن إننى معاد للسياسة الأمريكية كما نقل إلى أن أحد خبرائكم فى مكتب الشرق الأوسط قال أخيرا ولا أعرف لماذا يتهموننى بعدائكم . إننى أتحدث بالحق ـ بالحق (كررها مرتين) عن شعور كل عربى . إن تصريحات الوزير لن تغير شيئا ، ولا أعرف لماذا

تهـتم أمريكا لهذا الحـد بنا أو بإسرائيل . اتركونـا وشـأننا . فهـذا التدخـل المسـتمر سوف يجرح العلاقات السعودية الأمريكية . إن ما يحاولون عمله هو ضـد الطبيعـة ، وحتى إذا أتى بنتائج مؤقتة ، فإن هذه النتائج غير قادرة على البقاء . وفى المحصلة النهائية هناك واحد من الطرفين فقط سوف يبقـى فى فلسطـين ."

وكان تقرير السفير "لوسون" من إسرائيل يحـوى تفاصيل لقاء مع رئيس الوزراء "شاريت" (وثيقة رقم ١٠٥٥ ٩ـ ٠٨٦/ أ ٦٨٤) أخذ فيه "شاريت" المبـادأة ، وافتتحـه معربـا عـن ثنائـه على "دالاس" وعلى استقامة شخصيته وعلى اهتمامه بقضية السلام فى الشرق الأوسـط . ومـع تقدم الحديث أبدى "شاريت" عدة ملاحظات كاشفة :

"بالنسبة لما قاله دالاس عن اللاجئين فهو يفضل لو أن وزيرالخارجية الأمريكـى لم يسـتعمل كلمــة "عـودة اللاجئـين" repatriation واسـتعمل بدلامنهــا كلمــة resettlement . ورأيه أن إعادة التوطين ممكنة حيث هم. وأما عودتـهم فهىمستحيلة لأن إسرائيل ليس لديها مكان لهم.

وبالنسبة لما قالـه دالاس عن تعويض اللاجئين فإن إسرائيل ليس مطلوبـا منهـا أن تتحمل عـبء إعادة توطين اللاجئين ، وهذا هو الوصــف الـذى تقبلـه إسـرائيل . ومعنى توطينهم حيث هـم أن المسئولية على الدول المضيفة لهـم الآن وعلـى المجتمـع الدولى المشغول بحـل مشكلتهم .

وبالنسبة لما قاله دالاس عن الحدود والأمـن فـإن إسـرائيل كـانت تفضـل لـو أن وزير الخارجية الأمريكى شـرح مـا يعنيـه بوضـوح فـى كـل مـن هذيـن العنصريـن . وأضاف شاريت أن الأمن بالنسبة لإسرائيل معنـى أوسـع بكثير من أى خطوط حدود . وفيما يتعلق بموضوع الحدود ذاته فهو لا يفهـم تصريحات دالاس فى هذا الشـأن لأن دالاس أشار إلى احتمال تغييرات على الأرض . وعند هذه النقطة قال شاريت للسـفير الأمريكى "لا أظن أن أحدا يمكنه أن يطلب من إسرائيل أن تتخلى عـن أيـة أراض فـى حوزتها الآن . وحتى تلـك الأراضـى التـى يعتبرهـا بعـض النـاس جـرداء بـلا قيمـة اقتصادية ، اكتسبت بعد سنـة ١٩٤٨ قيمـة معنوية لا يمكن إغفـال تأثيرهـا ، وهـى تجعل التنـازل عنها مستحيـلا ."

ثم توجـه "شاريت" مباشرة إلى نقطـة أراد أن يعالجها ، وقد علـم بالطبع أنها مثارة فـى القاهرة باستمرار ، وهى قضيـة النقب باعتباره المنطقة التى تحقق اتصـال الأراضـى العربيـة فى آسيا وأفريقيا . وقال "شاريت" للسفير الأمريكى : "إننى لا أعـرف من أين جـاء المصريون بهذا الذى يقولونه عن الاتصال الـبرى بينهم وبين العالم العربـى . ذلـك لم يحـدث قـط فـى التاريخ . فالحكم البريطانى كان موجودا فـى فلسـطين يحجزهـم عـن بقيـة العـالم العربـى ،

والحكم العثمانى قبله كان يفعل نفس الشىء . وإذا قبلت إسرائيل بهذا المنطق فإن مصر سوف تجىء ذات يوم وتقول إن إسرائيل تعترض خط السكة الحديد القديم بينها وبين بيروت . وعليه فلا بد أن تزول إسرائيل لتمشى القطارات ."

وأخيرا وصل شاريت إلى موضوع القدس ، فرجا عدم تناوله طالبا من الولايات المتحدة إذا تطورت مبادرتها يوما وأدت إلى إدخال الأمم المتحدة فى جهود التسوية ، ألا يكون هناك إقحام لموضوع القدس فى أى شىء مع الأمم المتحدة .

□

ولم تكن الرياح ساكنة فى انتظار أن يفرغ وزير الخارجية من قراءة تقارير سفرائه عن صدى تصريحاته بشأن الحل السلمى للصراع العربى الإسرائيلى . والواقع أن الرياح تحولت إلى عواصف عندما وقف "جمال عبد الناصر" ليعلن بعد ظهر يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ أن مصر عقدت صفقة أسلحة سوفيتية الصنع .

ولم يفاجأ السفير "هنرى بايرود" فى القاهرة بإعلان الصفقة . من ناحية لأن "جمال عبد الناصر" لم يخف عنه نياته ، ومن ناحية ثانية لأنه عندما بعث إلى واشنطن بحديث "جمال عبد الناصر" عن نياته فى آخر لقاء بينهما ، تلقى من واشنطن ردا لا يظهر فهما عميقا لواقع الأحوال فى القاهرة . كان الذى رد عليه هو "هربرت هوفر" مساعد الوزير ، وجاء رده (طبقا للوثيقة ٢٠٥٥ ـ ٩/٠٨٦ أ ٦٨٤) :

" بالإشارة إلى ما قاله لك ناصر عن طلب أسلحة ، فنحن لعلمك لا نستطيع أن نقدم أسلحة لمصر قبل أن يحدث تقدم ملحوظ فى برنامج التسوية السياسية بين العرب وإسرائيل على النحو الذى شرحه الوزير فى خطابه الأخير ."

وإذا كان "بايرود" لم يفاجأ بإعلان صفقة الأسلحة فإنه من الغريب أن واشنطن تصرفت وكأنها فوجئت . كانت المعلومات لديها من مصادر متعددة وقد أكدها "بايرود" فى برقية له نقلت عن "جمال عبد الناصر" مباشرة .

وفى البداية تصور "دالاس" أنه يستطيع إقناع "جمال عبد الناصر" بالعدول عن صفقة الأسلحة .

ثم تصور فى اليوم التالى أن جهوده يجب أن تبذل فى اتجاه موسكو لكى يتراجع الاتحاد السوفيتى عن الصفقة .

ولم ينجح "دالاس" لا فى القاهرة ولا فى موسكو . ثم بدأ يطلب تفاصيل عن حجم الصفقة ، وقدمت إليه المخابرات العسكرية تقريرا (وثيقة رقم ٢٣٥٥ـ ٧٧٤٠٥٦/٩) يقول :

"إن حجم الصفقة طبقا لمصادر موثوقة هو :

٢٠٠ طائرة نفاثة ، يجرى تسليم ١٠٠ منها قبل ديسمبر ١٩٥٥ ، ويكون ضمن هذه المائة طائرة الأولى سبع وثلاثون قاذفة متوسطة ، وبقية المائة من طراز ميج ١٥.

٦ طائرات تدريب

١٠٠ دبابة ثقيلة

٦ قوارب طوربيد

٢ غواصة

تكاليف الصفقة حسب ما وردنا من معلومات ٣٠ مليون جنيه استرلينى تدفع فى مقابل صادرات مصرية .

تؤكد معلوماتنا أن الشحنة الأولى غادرت ميناء أوديسا فعلا ، وكانت هناك بعثة عسكرية مصرية تابعت عملية الشحن .

هناك ما يشير إلى أن مجموعة خبراء سوفيت سوف يصلون إلى مصر ويقيمون فيها لمدة ثلاثة شهور للقيام بمهام تركيب بعض المعدات ، والتدريب ."

وتشير أوراق "دالاس" الخاصة المودعة فى جامعة "برنستون" إلى أن تفكيره أيام أزمة الأسلحة كان موزعا بين اتجاهات شتى :

- فى لحظة من اللحظات خطر له توجيه إنذار إلى "جمال عبد الناصر" يشترك معه فيه وزير الخارجية البريطانى ، أو يكون الإنذار بخطاب مشترك من "أيزنهاور" و"إيدن" يقولان فيه "إنه لا يمكن قبول الصفقة ، كما أنه يستحيل من ناحية عملية إجراء تغيير فى موازين القوة العسكرية فى المنطقة قبل التوصل إلى تسوية. وإذا تم التوصل إلى تسوية فلن تكون هناك حجة ولا حاجة عند أحد تدعوه إلى سباق تسلح ."

- وفى لحظة تالية كان تفكيره يتجه إلى أن الصفقة تعنى أن الحرب وشيكة فى الشرق الأوسط . فإما أن تقوم إسرائيل بمهاجمة مصر قبل أن تستوعب صفقة الأسلحة

السوفيتية ، وإما أن تقوم مصر بمهاجمة إسرائيل فور استيعابها صفقة الأسلحة السوفيتية .

- وفى لحظة أخرى يبعث "دالاس" إلى "إيدن" يسأله عن حجم القوات البريطانية التى لا تزال موجودة فى منطقة القناة ، وعما إذا كان يمكن تعطيل سحب القوات الباقية ، وعلى العكس من ذلك تعزيزها . ويرد عليه "إيدن" بأن الجزء الأكبر من القوات البريطانية فى قاعدة قناة السويس قد رحل عنها ، والقوات الباقية يصعب تعطيل جلائها عن المواعيد المقررة فى اتفاقية الجلاء مع مصر ، وإلا فإن هذه القوات قد تجد نفسها فى وضع غير ملائم بالنسبة للزيادة المفاجئة فى حجم السلاح المصرى .

- وفى لحظة أخيرة كان "دالاس" يغالب حدة مشاعره ويحاول إقناع نفسه بأن استمرار العملية "ألفا" ممكن ، وربما أن الحل الوحيد لتجنب الحرب بين مصر وإسرائيل إذا: تعهدت مصر بأنها صفقة واحدة غير قابلة للتكرار وإذا حصلت إسرائيل على بعض التعويض من حلف الأطلنطى عن طريق فرنسا أو إنجلترا ،وإذا أمكن إغراء ناصر بتمويل السد العالى .

لكن "دالاس" كان يعود دائما إلى العقبة المستعصية فى رأيه ، وهى إصرار ناصر على وجود صلة بين مصر والعالم العربى عن طريق أن تكون منطقة النقب عربية .

□

ووصل "دالاس" يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥ إلى أن طلب من شقيقه "آلن دالاس" ، وهو مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، تقريرا عما يمكن عمله إزاء "جمال عبد الناصر"، وما إذا كان فى الإمكان التخلص منه . وكتب إليه مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (شقيقه) تقريرا بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٥٥ (الوثيقة مودعة فى مكتبة "أيزنهاور" وفى مجموعة أوراق "دالاس" فى جامعة "برينستون" وفى محفوظات البيت الأبيض) قال فيه :

"فيما يلى تقدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ردا على سؤالكم :

١ - إن "ناصر" كسب لنفسه هيبة ومكانة قيادية بارزة فى العالم العربى نتيجة لصفقة السلاح السوفيتى . وهو مصمم على أن يفعل كل ما فى وسعه للاحتفاظ بهذه المكانة .

٢ - إنه فى هذا الوضع الحالى حريص على ألا يقع فى مجال النفوذ السوفيتى نفس حرصه على عدم الانضمام إلى تحالف غربى . وهو يثق فى قدرته على الاحتفاظ بهذا الموقف الوسط .

٣ - وإذا استطاع تدعيم استقلاله بترتيب من نوع ما مع الغرب ، فهو يفضل ذلك على صلة أوثق بالسوفيت .

٤ - وإذا أحس أن الغرب قد أدار له ظهره تماما فسوف يقبل معونات سوفيتية أكثر وسوف يحاول وربما بنجاح كبير أن يجر سوريا والسعودية إلى جانبه .

٥ - إن أى مفاوضات غربية مع ناصر سوف تكون طويلة وصعبة وغير مؤكدة. وإذا ما كان قرارنا تجاهه هو عزل مصر وتدميره شخصيا ، فإن هذا قد يخلق وضعا خطيرا لأنه يغرى إسرائيل بشن الحرب على مصر .

٦ - وإذا أعطينا "ناصر" ميزة مساعداتنا الاقتصادية وغيرها فسوف نضطر إلى مجاراة مساعداتنا له بمساعدات إضافية لدول الحزام الشمالى حتى نحافظ على مراكز أصدقائنا .

٧ - وإذا حدث لسبب أو لآخر أن اختفى ناصر بالموت ففى الغالب أن مجلس قيادة الثورة فى مصر سوف يواصل نفس السياسة تحت قيادة عامر الذى سيكون فى هذه الحالة واقعا بالكامل تحت سيطرة الجيش .

٨ - (حذف هذا البند من الوثيقة بالكامل لحساسيته ، وفى الغالب فإنه تحدث عن احتمال ازاحة "جمال عبد الناصر" ، وربما غيره فى مصر ، بالاغتيال) .

٩ - إن إمكانية انضمام الأردن إلى دول الحزام الشمالى فى هذه المرحلة قد يقلل من إمكانية إجراء مفاوضات مع مصر .

١٠ - ليس هناك حل جيد سريع متاح لنا ، ولكننا إذا استطعنا منع الموقف المصرى الإسرائيلى من الانفجار فإننا نعطى أنفسنا بعض الوقت لاستكشاف البدائل سواء مع مصر، أو مع تركيا والعراق ، أو مع غيرهم .

١١ - إن هذا التقييم يفترض أنه لا الولايات المتحدة ولا الحكومة البريطانية مستعدتان الآن لفرض سياساتهما على المنطقة بواسطة قواتهما العسكرية."

٤

أنـدرســــــــــــون

" سوف نعبر هذا الجسر حين نصل إليه "

("بن جوريون" لهيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلى)

كانت صفقة الأسلحة ـ نقطة تحول خطيرة بالنسبة "للمقدسات : المحرمات" التى تراكمت طبقات فوق طبقات على الصراع العربى ـ الإسرائيلى طوال نصف قرن من الزمان تقريبا .

كان شعور العرب بأن إسرائيل تكسر الجغرافيا والتاريخ فى منطقتهم ، وتمارس معهم وسائل الإرهاب والقمع والخديعة ، وتغتصب أراضيهم وتشرد أهلهم ، وتعرقل اتصالهم ، وتؤلب العالم ضد حقوقهم المشروعة ـ طاغيا قبل سنة ١٩٤٨ . وفى هذه السنة فقد حاولوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه بالمقاومة المسلحة لكنهم اكتشفوا بعد حرب فلسطين أن "المقدسات : المحرمات" ـ رغم قوة تأثيرها عليهم ـ لا تملك نفس التأثير على أرض الواقع لأنها بلا حماية من أى نوع ، بما فى ذلك حماية القانون أو حماية القوة أو حماية الأخلاق .

والآن جاءت صفقة الأسلحة التى عقدتها مصر مع الاتحاد السوفيتى ، وساد إحساس عميق فى كل العالم العربى بأن "المقدسات : المحرمات" اكتسبت لنفسها أخيرا درعا من الفولاذ يستطيع أن يحمى رفضها للأمر الواقع الضاغط عليهم .

وكان هناك إحساس عارم فى كل عاصمة عربية بأن الشهور القادمة ـ اللازمة حتى تتمكن مصر من تسلم الصفقة واستيعابها ـ شهور حاسمة تفرض على كل إنسان عربى أن يهرع إلى حماية مصر حتى يستطيع درع الفولاذ الذى اكتسبته أن يؤدى دوره .

كانت الصورة أشبه ما تكون بذلك الوصف الذى استعمله "ونستون تشرشل" أثناء الحرب العالمية الثانية حين استسلمت فرنسا أمام الألمان ، واضطرت الجيوش البريطانية إلى

الانسحاب من أوروبا لتحتمي بالجزيرة البريطانية حتى تنمو لها "قشرة" جديدة تحمي خلاياها العارية .

في ذلك الوقت كان "تشرشل" يقول "إن بريطانيا في ذلك الوقت كانت أشبه ما تكون بنوع الأسماك القشرية التي تسمى الهومار Homard يهاجمها أعداؤها ويمزقون قشرتها الواقية ، وتشعر بالانكشاف أمام أعدائها وتهرع إلى جحر وسط الصخور في قاع البحر تنتظر أياما حتى تنمو لها قشرة جديدة ، ثم تعود مرة أخرى إلى السباحة تسابق غيرها من الأسماك وسط موج البحر ."

وكان الزمن بمعيار الذهب وقتها نفيسا ونادرا .

ولم تكن الشعوب العربية وحدها هي التي رأت هذه الحقيقة وتمثلت صورتها سواء عرفت وقبلت بتشبيه "ونستون تشرشل" ، أو وجدت من تراثها وصفا آخر لهذه اللحظة التاريخية الموجعة .

كانت إسرائيل ترى الحقيقة .

وكذلك كان "دالاس". وقد استقر رأيه أخيرا على القيام بجهد أخير "لشراء مصر"!

لكن بريطانيا لم تكن معه في هذا الرأي ، وقد أخطره "إيدن" مبكرا في نوفمبر ١٩٥٥ بأنه "بعد التطورات الأخيرة فإن الحكومة البريطانية لا ترى أن أحوالها الاقتصادية ، بما في ذلك العجز البادي في ميزان مدفوعاتها ، تسمح لها بالمساهمة في أي صفقة "لشراء مصر" !"

ولم تكن فرنسا أيضا معه لأن مساعدات مصر للثورة في الجزائر أصبحت تهدد مركز فرنسا في شمال أفريقيا .

ثم إن إسرائيل كانت قد اختارت طريقها ، فاضطر "موشي شاريت" إلى الاستقالة من رئاسة الوزارة واكتفى بمنصب وزير الخارجية ، وعاد "بن جوريون" إليها مرة أخرى مع احتفاظه بمنصب وزير الدفاع ، وكان ذلك في ٣ نوفمبر ١٩٥٥ .

وكتب القائم بالأعمال الأمريكي تقريرا إلى "دالاس" بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٩٥ (وثيقة رقم ٢٣٥٥ ـ ٦٨٣٠٨٤/٤٨) يقول في البند السادس منه :

"إن بن جوريون عقد اجتماعا مع هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلي ، وقال لكبار الضباط الإسرائيليين إن أمامهم "شهرين أو ثلاثة" ـ وطبقا لرواية أخرى "ثلاثة شهور أو أربعة" ـ من الصبر ، وبعدها فإن إسرائيل سوف تقرر لنفسها ما يقتضيه أمنها" .

وقد سأله أحد الضباط : "وبعد هذه المهلة .. ماذا سيحدث ؟"

ورد بن جوريون بقوله : "إننا سنعبر هذا الجسر حين نصل إليه" !"

وقرر "دالاس" أن يقوم بمحاولته الأخيرة لإنقاذ الخطة "ألفا" . وراوده الإحساس بأنه في سباق مع الأيام والأسابيع وشهور قليلة وليس أكثر، خصوصا عندما تلقى برقية (وثيقة رقم ٥٥٥٦ ـ ١م٠٥٦ أ ٧٨٤) من القائم بأعمال السفارة الأمريكية في باريس يقول فيها :

"اتصلت وزارة الدفاع الفرنسية بنا تطلب الموافقة على التصريح بتسليم سرب طائرات من طراز ميستير لإسرائيل من حساب البرنامج العسكري المشترك لحلف الأطلنطي."

ثم تلقى في نفس الوقت برقية (وثيقة رقم ٥٥٦ ـ ١/٠٨٦ أ ٦٨٤) بعث بها إليه سفير الولايات المتحدة في إسرائيل يقول فيها :

"إن التوجهات الحالية في إسرائيل كما أراها لن يوقفها إلا قبول مصر باجتماع سري أو علني بين ناصر وبن جوريون كضرورة أولية لخلق مناخ من الثقة بين البلدين".

□

كان الرئيس "دوايت أيزنهاور" هو الذي تولى بنفسه قيادة المحاولة الأخيرة . ووقع اختياره على صديقه ونائب وزير الدفاع السابق ووزير الخزانة اللاحق "روبرت أندرسون" لكي يقوم بالاختبار النهائي للخطة "ألفا" . وكتب "أيزنهاور" في يومياته بتاريخ ٩ يناير ١٩٥٦ ما نصه :

"وقعت اليوم خطابين مني إلى كل من رئيس الوزراء المصري ناصر ورئيس الوزراء الإسرائيلي بن جوريون ، أخطرهما أنني طلبت إلى أندرسون أن يبحث معهما كل المشاكل الخطيرة في علاقات مصر وإسرائيل ، والشرق الأوسط عموما . وقلت لهما إن أندرسون هو ممثلي الشخصي ، وهو رجل يفهم مشاعري وآمالي لهذه المنطقة . وأنا أطلب أن يتعاونا معه بكل إخلاص وأن يساعداه في تحقيق مهمته ."

ويوم ١٩ يناير ١٩٥٦ كتب "أندرسون" أول تقرير له عن مهمته من القاهرة (وثيقة رقم ٥١٨ د ٥٩ ـ ألفا) قال فيه :

"عقدت أول اجتماع مع رئيس الوزراء ناصر فى بيت الكولونيل زكريا محيى الدين، وتناولنا العشاء معا . وعلى العشاء دارت أحاديث عامة . وبعد انتهائه قال رئيس الوزراء إنه مستعد لسماع ما عندى . وبدأت فأوضحت له أن الرئيس أيزنهاور بعث بى إلى هذه المهمة عن إيمان لديه بمزايا السلام العالمى وبضرورة تحقيق فرصه لكل الشعوب من أجل رفع مستواها . وقلت له إنه هو والرئيس يستطيعان أن يفهما بعضهما جيدا بحكم خلفيتهما العسكرية . ثم تطرقت من ذلك إلى أن قلت له إن مصر والبلد المجاور لها بينهما علاقات معقدة لأسباب كثيرة متعلقة بالتاريخ والثقافة والسياسة ، وكلها اعتبارات تتداخل لتجعلنا أمام مشكلة معقدة . ثم أوضحت له أننى لم أجىء إلى لقائه حاملا إجابات جاهزة عن كل الأسئلة التى تطرحها المشكلة ، لكن الرئيس يأمل وأنا آمل معه أن نستطيع عن طريق الحوار أن نجد ما نغطى به مساحات ما لا نعرفه من إجابات الأسئلة المطروحة . وأملى أن أناقش معه كل عناصر الإمكانيات التفاوضية بين مختلف وجهات النظر وكيفية التوفيق بينها . وقلت له إننى سأذهب بعد مقابلاتى معه إلى إسرائيل ، وهناك آمل أن تكتمل الصورة لدى .

ومن هنا انتقلت فطلبت منه أن يعطينى صورة من تفكيره وآرائه عن المشكلة التى نواجهها . وبدأ رئيس الوزراء ناصر فقال لى إنه لا يريد أن يثقل على بخلفيات تاريخية طويلة ، ولو أن الخلفيات التاريخية فى هذه الحالة مهمة ، لكنه يتركها الآن إلى الأوضاع الراهنة ومخاطرها . ثم قال "نحن أمام مجموعة من المشاكل المتداخلة مع بعضها" . ثم أبدى أن هناك ثلاث مشاكل تسبق غيرها فى تقديره :

أولاها : مشكلة الأراضى العربية فى فلسطين .

وثانيتها : مشكلة اللاجئين باعتبارها قضية سياسية إلى جانب كونها إنسانية .

وثالثتها : هى المحاولة الظاهرة لقسم العالم العربى إلى قسمين : قسم ينضم إلى الحزام الشمالى ويتجه لخطر الاتحاد السوفيتى ، وقسم آخر فى الجنوب ينعزل عن بقية العالم العربى ويجد نفسه وجها لوجه مع خطر التهديد الإسرائيلى .

ثم أضاف رئيس الوزراء ناصر إلى ذلك قوله "إن الأزمة الآن أكثر حدة مما كانت قبل عام مضى ، بسبب التطورات التى حدثت طوال سنة ١٩٥٥ ، ابتداء من الغارة على غزة ، إلى حلف بغداد ، إلى الضجة التى قامت بسبب صفقة الأسلحة ، ثم إلى التهديدات الإسرائيلية الظاهرة والتى يشجعها تأييد الغرب لإسرائيل سياسيا وعسكريا ودعائيا .

ثم قال ناصر إنه يرى أن أى تفكير فى حل الصراع العربى الإسرائيلى يصعب الكلام فيه بغير أن يكون العالم العربى فى وضع يسمح له بأن يقرر بصورة جماعية وطوعية نوع الحل الذى يحقق له مطالبه ولو عند الحد الأدنى . وبالتالى فهو يرى أن ترتيب الأوضاع العربية العربية يتحتم أن يسبق أى محاولة لترتيب العلاقات العربية الإسرائيلية. وأضاف أنه يلمح عدة أسباب لسوء الفهم فى العالم العربى ، وقد عد هذه الأسباب على النحو التالى :

١ - إن هناك خلافا فى أولويات الأمن بين عدد من الدول العربية . فالنظام فى العراق يرى أن الخطر من الاتحاد السوفيتى أولا وبعده إسرائيل . "ونحن فى مصر نرى الترتيب عكسيا" .

٢ - وهو قلق من النفوذ الذى يمارسه المال السعودى فى صنع مشاكل لا لزوم لها بين العرب .

٣ - وهو - ويقولها صراحة - يخشى من الطريقة التى تمارس بها الولايات المتحدة نفوذها على عدد من الدول العربية ، كما "رأينا" فى حلف بغداد .

٤ - وهناك أيضا وبصفة عامة تصرفات بعض الدول الغربية فى العالم العربى (مشيرا بذلك فيما أظن إلى الضغوط التى تمارسها الحكومة البريطانية فى عمّان لكى ينضم الملك حسين إلى حلف بغداد) .

ثم خلص ناصر إلى القول " إننى أستطيع أن أرى على هذا النحو الذى عرضته أن معظم المشاكل العربية العربية ناشئة فى الواقع من سياسات وضغوط تمارسها الدول الغربية. "

إننى لم أخف عنه بعد أن سمعته أننى أجده مشغولا بالمشاكل العربية العربية أكثر من انشغاله بالمسألة العربية الإسرائيلية . وقد وافقنى على هذا الرأى . ورحت أحاول طرح بعض المسائل التى أراها معقدة فى العلاقة بين مصر وإسرائيل. ولمست موضوع النقب . وأبدى زكريا محيى الدين الذى كان ساكتا معظم الوقت رأيه بأنه يستغرب أننا لا نستطيع أن نفهم أهمية موضوع النقب بالنسبة لمصر. وتابعه رئيس الوزراء ناصر فى موضوع النقب."

□

ويوم ٢١ يناير ١٩٥٦ كتب "أندرسون" تقريرا ثانيا من القاهرة ، فقال :

"اجتمعت في الساعة السابعة من مساء اليوم مع رئيس الوزراء ناصر في شقة الكولونيل زكريا محيي الدين . وبدأت فقلت إن الرئيس (أيزنهاور) يتصور إمكانية الوصول إلى تسوية سريعة ، ولهذا فإنني أقترح أن ندخل في صميم المشاكل بهمة . وقاطعني ناصر قائلا "إن التوصل إلى تسوية سريعة أمر مستحيل تماما" . ثم أوضح أن أي تسوية تحتاج إلى قبول عربي عام، والقبول العربي العام لفكرة التسوية ببساطة ليس موجودا الآن . وقد عاد بسرعة من حيث انتهينا في اجتماع الأمس إلى موضوع النقب مؤكدا أنه لا يمكن البحث في تسوية على أساس تقسيم العالم العربي نصفا في أفريقيا ونصفا في آسيا بدون اتصال بين الاثنين . وهنا سألته "هل الموضوع موضوع نفسي أو هو أكبر من ذلك ؟" وتناقشنا طويلا في هذه النقطة ، وجئنا بخريطة ، وسألت الكولونيل " ناصر" عن حدود الصلة التي يقترحها لربط العالم العربي في أفريقيا وفي آسيا . ونظر الكولونيل ناصر إلى الخريطة ـ ويظهر أنه كان جاهزا للإجابة ـ وقال : على أقل تقدير لا بد أن تكون المنطقة من "الظهرية" إلى "الخليل" إلى "غزة" ـ عربية . ورددت عليه بأنه من المستحيل على إسرائيل أن تقبل ذلك ، وإصراره عليه سوف يؤدي إلى زيادة شكوك إسرائيل ، وهذا هو طريق الحرب . على أني سألته إذا كان يتصور تعديلات أخرى على الأرض . وهنا قال إنه يعتقد أن مثلث "سمخ" والمنطقة المحيطة ببحيرة طبريه يجب أن تكونا في يد سوريا، وفي كل الأحوال أن تكونا عربيتين .

وفاجأته بسؤال "أليس من المستحسن أن يكون حديثك في هذا كله وغيره في لقاء مباشر وسري مع رئيس الوزراء بن جوريون ؟" وأضفت "إن اعتقادي أن إسرائيل قد تكون مستعدة لإعطاء بعض التنازلات على الأرض ، لكن بن جوريون لن يعطي هذه التنازلات لوسيط ، وقد يطمئن أكثر إلى تقديمها للطرف المعني مباشرة ." وأبدى ناصر عدم استعداده لقبول الفكرة . وتراجعت إلى خط دفاع ثان ، فسألته : "إذا كان الاجتماع بينكما مستحيلا في رأيك ، فهل تكتب ما تريد في خطاب منك موجه إليه أحمله معي وآتيك برد عليه ؟" ولم يكن "ناصر" للمرة الثانية مستعدا لأن يكتب إلى "بن جوريون" . وعرضت عليه اقتراحا ثالثا وهو أن يكتب إلى الرئيس "أيزنهاور" خطابا بمطالبه في التسوية ، وأن نحصل في نفس الوقت على خطاب مماثل من "بن جوريون" ، وأن نحاول تحديد نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف ثم نرى بعد ذلك إلى أين وكيف نتقدم على ضوء ما نتوصل إليه ؟ ورد "ناصر" بأنه سوف يفكر في الاقتراح ."

٥

أنـدرسـون (٢)

" لا بد أن تجيء بناصر إلى موقف تقبله إسرائيل "

(تعليمات وزير الخارجية الأمريكي للمبعوث الرئاسي الخاص "روبرت أندرسون")

وسافر "أندرسون" من القاهرة إلى قبرص ، ومنها إلى إسرائيل . وعن طريق السفارة الأمريكية في إسرائيل تلقى من وزير الخارجية "جون فوستر دالاس" رسالة (نصها مودع ضمن مجموعة الوثائق ٥١٨ ألفا ـ د ٥٩) يقول فيها :

* "إنك أدرت الحديث مع ناصر بكفاءة ، وكنا نتمنى طوال الوقت أن تستطيع جرّ ناصر إلى موقف يمكن أن تقبله إسرائيل ونستطيع بالتالي أن نعرضه عليها .

* إن شرط ناصر بشأن تخلي إسرائيل عن النقب خط الظاهرية غزة تستحيل مناقشته من الأساس .

* اقتراحك بشأن خطابات يكتبها ناصر إلى بن جوريون ويرد بن جوريون عليه ، وتتصل المراسلات بينهما اقتراح ممتاز ، وينبغي لك أن تصر عليه . إن الإسرائيليين سوف يلحون على لقاء مباشر وسريع بين الطرفين . لكن أعصابهم قد تهدأ إذا أحسوا أن خطابا من ناصر في الطريق إلى بن جوريون ..

* نقترح في حديثك مع بن جوريون أن تتحدث بطريقة عامة ، فإذا سألوك في إسرائيل عن نتائج حديثك مع ناصر فنحن نفضل أن تقول "إنه لم يكن حديثا مشجعا ، لكنه في نفس الوقت ليس غير مشجع" ، ولكنك رأيت قبل أن تدخل مع ناصر في العمق أن تتأكد من مدى استعدادهم .

* إن الإسرائيليين يخشون أن تستغرق مهمتك شهورا يكون فيها الجيش المصرى قد استوعب سلاحه السوفيتى ، ولعله يخفف من حدة الموقف أن يقدم كل طرف منهما تعهدا مكتوبا بأنه لن يلجأ إلى استخدام قواته المسلحة على أن نضمن نحن وبريطانيا وفرنسا هذا الالتزام . "

ويوم ٢٣ يناير كتب "روبرت أندرسون" أول تقرير له من إسرائيل عن اجتماعه مع رئيس الوزراء "دافيد بن جوريون" (نصه مودع ضمن مجموعة الوثائق ٥١٨ ألفا ـ د ٥٩) :

"وصلت إلى إسرائيل الساعة الخامسة بعد ظهر الأحد ، وسافرت بالسيارة إلىالقدس حيث تناولت العشاء مع تيدى كوليك وزوجته ومعنا المسترشاريت ولم نتحدث فى الموضوع.

هذا الصباح التقيت مع بن جوريون لمدة ساعتين ونصف الساعة ، وشارك معنا فى الاجتماع كل من شاريت ، وكوليك ، وهرتزوج الذى كان يكتب محضرا للاجتماع .

بدأت فشرحت لبن جوريون أسباب هذه المحاولة الأخيرة للسلام التى قرر الرئيس أيزنهاور أن يشرع فيها ، واقترحت على بن جوريون أن يرسم لى تصوره .

وبدأ بن جوريون بعرض تاريخى ، ثم وصل إلى أسباب التوتر الحالية ، وعزا كثيرا منها إلى سوء نية ناصر .

وأفاض بن جوريون فى الحديث عن رغبته فى السلام ، ولكن ذلك يتطلب أن يكون الطرف الآخر مستعدا لذلك .

ودلل على عدم استعداد ناصر لذلك بالحملة الشرسة التى يشنها ضد حلف بغداد والتى تطال الغرب .

وحاولت أن أعطيه فكرة عامة عن مخاوف ناصر ، وأشرت بعد ذلك إلى أن إسرائيل أيضا لديها أسبابها للتخوف ، خصوصا وأن معادلة القوة بين الطرفين تغيرت بصفقة الأسلحة . وهذا هو الذى دعانى إلى أن أقترح تعهدا من الطرفين بعدم اللجوء إلى القوة يقدمه كل منهما إلى الرئيس أيزنهاور وتضمنه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . سألته إذا كان مثل هذا الاقتراح يساعد على خلق جو من الثقة يسمح لنا بالتقدم . ورد بأن ذلك ممكن، لكن هذه التعهدات يتحتم أن تكون مصحوبة باجتماع على مستوى عال بين مصر وإسرائيل.

إن بن جوريون ظل يعود مرة بعد أخرى إلى شكه فى نيات ناصر . وقد قال "إنه لا يصح منا أن نسمع كلامه ، ولكن الصحيح أن نراقب تصرفاته"، مؤكدا مرة

أخرى أن معيار اتساق كلامه مع تصرفاته هو قبوله باجتماع على مستوى عال بين البلدين ، وليس ضروريا أن يكون الاجتماع الأول على مستوى الرؤساء ...

إن بن جوريون أشار عدة مرات إلى مخاوفه من تنامى قدرات مصر فى الجو لأن المدن الإسرائيلية على بعد عشر دقائق من القواعد المصرية ."

وفى اليوم التالى التقى "أندرسون" على الغداء مع "شاريت" وحده وكتب "أندرسون" (الملف ٥١٨ ألفا ـ د ٥٩) إلى وزارة الخارجية فى واشنطن يقول :

"تناولت الغداء مع شاريت وحدنا . وجه إلى أسئلة كثيرة عن "ناصر" و"زكريا" (محيى الدين) وسألنى : هل تحدثا معك بصراحة ؟ وهل وجدت عندهما فعلا اهتماما ببرنامج للنمو الاقتصادى فى مصر ؟ وهل يتحدثان اللغة الإنجليزية جيدا ؟ وهل هما جادان فى إدراك أهمية المسعى الذى تقوم به ؟

وقلت له إن الاثنين يتكلمان الإنجليزية جيدا ، وفى بعض المرات كانت بعض التعبيرات تحتاج إلى شرح ، وإنهما بالفعل مهتمان ببرنامج للنمو ... وقاطعنى شاريت ليسألنى عن عناصرهذا البرنامج ، وقلت له : مشروعات رى ـ مراكز خدمة اجتماعية ـ مشروعات مياه نظيفة فى القرى ـ مدارس ... وأشياء من هذا النوع .

وسألنى شاريت إذا كنت سألت "ناصر" عن رأيه فى اجتماع بين المصريين والإسرائيليين يعقد سرا فى بلد محايد ، ولو كان أقل من المستوى الأعلى ؟ وقلت إننى لم أسأله فى ذلك مباشرة .

وقال شاريت إنه يوافق معى على أن مشكلة الأراضى والحدود هى المشكلة الرئيسية التى قد تؤدى إلى فشل المحاولة كلها . وأضاف شاريت "إنه يخشى أن يكون هدف ناصر من الإصرار على اتصال جغرافى مع العالم العربى عن طريق النقب هو فى الواقع منع إسرائيل من الإطلال على البحر الأحمر وخنق إيلات" . وقد طلب منى أن أستوثق من هذه النقطة فى لقائى المقبل مع ناصر وأن أسأله صراحة عنها ."

□

إن قراءة دقيقة لكل محاضر اجتماعات "أندرسون" فى القاهرة والقدس تؤدى إلى استنتاج رئيسى هو أن الولايات المتحدة كانت بالفعل ـ على حد التعبير الذى استعمله "دالاس" فى رسالته إلى "أندرسون" ـ تريد "المجىء بناصر إلى موقف يمكن أن تقبله إسرائيل ."

وكان الأسلوب واضحا :

- الضغط على "جمال عبد الناصر" لفتح علاقة مع "بن جوريون" بلقاء مباشر بين الاثنين ، أو بمراسلات بينهما .
- وإن ذلك مسعى قاصر على مصر وحدها ، وبعد نجاحه فإن مصر تستطيع أن تأتي معها بمن تشاء وبمن يقبل فى العالم العربى .
- إن الهدف من المسعى كله لم يكن تفاوضا بما يعنيه التفاوض من توازن بين مطالب الأطراف . فإسرائيل لم تكن تريد أن تقدم شيئا لا فى موضوع الأراضى ولا فى موضوع اللاجئين .
- والمطلوب من مصر بصرف النظر عن كل شيء هو تقديم اعترافها بوجود إسرائيل ، وبحدود إسرائيل فى كل الأراضى التى توسعت إليها سنة ١٩٤٨ .

وقبل أن يغادر "أندرسون" إسرائيل بعث إليه "دالاس" بتوجيهات رئاسية جديدة (يتضمنها الملف ٥١٨ ألفا ـ د ٥٩) جاء فيها :

"إن جولتك الأولى انتهت الآن ، وعند بدء جولتك الثانية بعودتك ثانية إلى القاهرة فإنك تستطيع أن تقول لناصر ـ وبعده لبن جوريون ـ إن الجولة الأولى كانت استطلاعا لوجهات النظر ولسماع آرائهم .

إننا الآن فى حاجة إلى "إعلان مبادئ" يمكن على أساسه للطرفين أن يتوصلا إلى تسوية بينهما ، وعليك أن تلح على فكرة "إعلان المبادئ" خصوصا مع ناصر ، وإفهامه بطريقة واضحة أننا لا نستطيع الانتظار أكثر من شهر أو شهرين على أكثر تقدير ."

ثم توصل "جون فوستر دالاس" بعد ذلك إلى خطة إجراءات كانت جديدة بالكامل على الطرف المصرى .

كان رأيه أنه من الأسهل ألا تنتظر الولايات المتحدة أن يتقدم لها الطرفان بمقترحاتهما لإعلان المبادئ[1] ، فذلك سوف يجعل كل طرف يصوغ فيها الحد الأقصى من طلباته. وبدلا من ذلك وتوفيرا للوقت فإن حكومة الولايات المتحدة وبعد أن استمعت إلى كل

---

(١) مجموعة الأوراق التى أعدها "أندرسون" وهى ثلاثة : (أ) خطاب مقترح يكتبه "جمال عبد الناصر" إلى "أيزنهاور" (ا) ـ (ب) إعلان مبادئ بين مصر وإسرائيل ـ (جـ) رسالة مقترحة يرسلها "جمال عبد الناصر" إلى رئيس البنك الدولى ـ منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت أرقام (١) و (٢) و (٢) . ويلاحظ أن التعبيرات والصياغات الواردة فيهما لا تختلف كثيرا عن تعبيرات وصياغات ترددت فيما بعد وما زالت تتردد فى المنطقة .

الآراء تستطيع هى أن تقوم بصياغة الوثائق اللازمة لإعلان المبادئ وعرضها على الأطراف للمناقشة، ثم تجهيزها بعد ذلك للتوقيع والإعلان .

. . . .

. . . .

وكانت الأوراق التى أعدتها الولايات المتحدة لمصر ولتوقيع "جمال عبد الناصر" ثلاث أوراق تتعلق مباشرة بالتسوية بين مصر وإسرائيل :

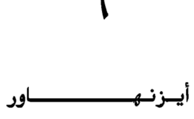
أولاهما : خطاب مطلوب من "جمال عبد الناصر" أن يوجهه إلى الرئيس "أيزنهاور".

والثانية : بيان مقترح بالمبادئ العامة التى توفر الأساس لحل النزاع العربى ـ الإسرائيلى .

والثالثة : رسالة مقترحة يرسلها "جمال عبد الناصر" إلى رئيس البنك الدولى .

□

وكان أسلوب صنع السلام غريبا، ثم إن مضمون السلام المقترح أكثر غرابة. وتعثرت الخطة "ألفا" ، ثم بدا أنها على طريق محقق إلى نهايتها . وتعاقبت الحوادث بين فعل ورد فعل حتى وصل التداعى إلى قرار أمريكى (وغربى) بسحب العروض المقدمة بالمساعدة على بناء السد العالى ، ولم يكن المستهدف مجرد مشروع مائى عملاق ، وإنما كان الهدف كسر إرادة وطموح وطن وأمة . وكان الرد قرارا مصريا بتأميم شركة قناة السويس ، ولم يكن المستهدف شركة عالمية عملاقة ، وإنما كان الهدف بالدرجة الأولى هو إعلان رفض الانكسار سواء فى الإرادة أو فى الطموح .



أيـزنـهــــــــــاور

" أتفهـم موقفكـم من الناحية التاريخيـة ، ولكن
الواقـع العملـى لـه حكـم مختلـف"

(الرئيس "أيزنهاور" للرئيس "جمال عبد الناصـر")

يـوم ٣١ يوليـو ١٩٥٦ كان هناك اجتماع فـى البيـت الأبيـض لمجلس الأمــن القومــى رأسـه "دوايت أيزنهاور" بنفســه . وطبقـا للمحضـر (وهـو مـودع فـى مكتبـة "أيزنهـاور" فـى "بيلـين" ملف "ويتمان" وبخـط وتوقيع الجنرال "جودباستر" المساعد الخاص لرئيس الولايـات المتحدة) فإن هذا الاجتماع انعقـد فـى السـاعة العاشـرة إلا ربعـا صباحـا ، وشـارك فيـه مـع الرئيـس "أيزنهـاور" كل من : وزير الـخارجية "دالاس" ـ ومساعد الوزيـر "هوفـر" ـ ونـائب الوزير "روبرتسون" ـ ورئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للقوات الأمريكية المسـلحة الأمـيرال "بـيرك" ـ ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية "آلـن دالاس" والمستشار القـانونى للبيـت الأبيـض "فيلجـر" .

وتـؤدى قراءة محضـر الاجتماع ، وكذلك مجموعة الوثائق المرفقة بـه ، وأهمها تقرير مـن هيئـة أركان الحـرب المشتركة ، إلى جـانب تقريـر من وكالـة المخابـرات المركزية الأمريكيـة ـ إلى الصـورة العامـة التاليـة :

١ـ إن الإجـراء الذى قامت به مصــر(تــأميم شـركة قنـاة السـويس) لا يمكـن قبولــه ، وتتحـتم مقاومته بكل الوسائل المتاحة بما فيها القـوة شـرط توفـير الأجـواء السياسيــة التى تجعـل استخـدام القــوة فاعــلا وحاسمــا . وإذا تــرك هـذا الإجــراء المصـرى ينجـح فإن ذلك سوف يؤثــر علـى اســـــتراتيجيات المنطقـة العربيــة كلهـا وعلـى موازين القـوة العالمية على نحـو غير مــوات لمصـالح الولايـات المتحـدة ، فهـو يهــدد

مصـــالح البترول والأهمية المتعددة الجوانب للشرق الأوسـط ، كمـا أنـه خطـر داهـم على إسرائيل .

٢ ـ إن المؤسسات العسكريـة الأمريكيـة هى الأشـد حماسـة لأسلوب التصـدى ، وقد عـبر الأميرال "بـيرك" عن رأيهـا حين جـاء دوره للكـلام ، فقـال بالحـرف: "إن "ناصـــر" يجـب كســره" (Nasser must be broken) .

٣ ـ ومن ناحية أخرى فإن "آلـن دالاس" مدير وكالة المخـابرات المركزيـة الأمريكيـة وزع على الحاضـرين تقريـــرا مفصلا للوكالـة حول رأيـه (تقرير مخـابرات أمـــن قومـــى ـــ الملف أ. ن. ر. ن. أ. أ.) ـ جـاء فيه :

"إن قيام الرئيس ناصر بتأميم قناة الســويس أضـاف قــوة عظيمـة إلى مركـزه ، ليس فقط كزعيم لمصر ، وإنما كرمز القومية العربية فى الشرق الأوسـط . وقوتـــه الآن لا تعتمد فقط على حجـم التأييد الذى يلقاه فى مصـر ، ولكن هذا التأييد يـزداد قــوة وحرارة فى العالم العربـى، وخارجـه ."

٤ ـــ وكـان تقديـر "أيزنهـاور" أنـه فـى هـذه الحالـة فـإن " التعـرض لـــ "جمـال عبـد الناصـــر" بالقـــوة يمكـــن أن يـــؤدى إلى عواقـــب وخيمـــة فـــى العـــالم العربــــى وخارجـــه"، وإن العمليـة المطلوبـــة ليســت عمليــة عســكرية موجهـــة لمصــــر ، فهـذه أمرهـا سهـــل وتنفيذهـا ممكـن ، وبسرعة تسبـق أى محاولـــة مـــن الاتحـــاد السـوفيتى للتدخـل فـى الأزمـــة . وكـــان رأى "أيزنهـــاور" أن "اســـتعمال القـــوة يجـــىء دوره بعـد تهيئـة للمسرح تجعـل اسـتعمال القـــوة فـــى النهايـــة جراحـــة لاسـتئصال ورم بعـد السيطرة على كـل عوامـل الالتهـاب المحيطـة بـــه ". وكـــان رأى "دالاس" أن "أخطر نقـط الالتهاب هى سوريـا التـــى تتعامـــــل مـــع مـــا حـدث فـى مصـــر بحيويـــة وفـوران ، ناشـرة عدواهـــا فـى العالـم العربـــى" !

٥ ـ وكانت كل الإشارات فى اجتماع مجلس الأمن القومى ووثائقـه الملحقة واضحة فى أن المجتمعين يعرفون تماما ما يتناقشون فيه ،فلم يكن شاغلهم هـــو تـأميم شركـــة ، لكنـه كان إعادة ترتيب منطقة بأسرها من العالم . وفى واقع الأمـر فإنهم كانوا يتحــــدثون بالضبـط عن كيفية مواجهة "مقدســـات : مـحرمات" ، نشـــأت من الملابسات التـــى أحاطت بسقوط الإمبراطورية العثمانية ، وبدخول بريطانيا وفرنسـا وريثـتين للتركـة ، وباستمرار أهميـة ضلعى الزاوية الشرقية الجنوبية للبحـر الأبيـض المتمثلـة فـى مصـر وسوريا ، وبفكـرة ومشـــروع وقيـام دولـة إسـرائيل ، وبظهـور وتنامىحركـة القوميـة العربيـة التى بـدأت مصـر تتصدر قيادتهـا وتحمـى "المقدسـات: الـمحرمات" فيهـا

بالرفض أولا ـ ثم بدرع من الفولاذ يراد له أن يحمى هذا الرفض ثانيا ـ ثم ثالثا وأخيرا بإرادة عربية تبدو مستعدة لقبول التحدى .

كانت هذه هى التقديرات ، وبعدها جاء الدور لوضع الخطوط العامة للموقف :

١ ـ إن التصدى للعمل المصرى يجب أن تكون بدايته سياسية ونفسية . حملة عداء دولية واسعة ، وحصار اقتصادى يبدأ من تجميد الأرصدة المصرية فى الخارج ويصل إلى محاولة تجويع بقصد التركيع . وإذا فشلت هذه الوسائل فى إسقاط النظام أو تأخر مفعولها فالعمل العسكرى لازم ويمكن أن تشارك فيه بريطانيا وفرنسا ، ولكن قيادته وتوجيهه يظلان فى يد الولايات المتحدة .

٢ ـ فى نفس الوقت الذى يتحتم فيه إسقاط النظام المصرى ، فإنه لا بد من تحجيم الدور الأوروبى ، وإلا فإن انفراد بريطانيا وفرنسا بالعمل فى مصر كفيل بأن يجعل الدولتين "تكرّان عائدتين" إلى المواقع الإمبراطورية السابقة التى حاولت الولايات المتحدة زحزحتهما منها . وهكذا فإنها سياسة ذات إيقاع مختلف : "دفع مصر بسرعة إلى الهاوية ، وشد اللجام على شدقى بريطانيا وفرنسا " .

٣ ـ إن إسرائيل يستحسن أن تظل خارج العملية ، فدخولها ينقل المعركة من قناة السويس إلى البترول ، لأنه سوف يفرض على دول عربية حتى بالرغم منها أن تتخذ مواقف مؤيدة لمصر ضد إسرائيل .

٤ ـ إذا كانت سوريا هى بؤرة الحيوية والفوران ، فإن العمل ضد مصر لا بد له أن يحصن نفسه فى ذات التوقيت بانقلاب عسكرى فى سوريا يأتى إلى الحكم فى دمشق بنظام أكثر ميلا إلى المحافظة ، وأقرب إلى بغداد منه إلى القاهرة وهذا ممكن .

وبالفعل فإن السياسة الأمريكية فى أزمة السويس من أولها لآخرها يصعب فهمها فى عزلة عن التقديرات الرئيسية التى أوحت بها ، وبدون الخطوط العامة التى قادت إليها. وفى المحصلة النهائية فإن السياسة الأمريكية :

١ ـ وقفت ضد قرار مصر بتأميم قناة السويس، وصممت على الوصول إلى حد القوة المسلحة على أن يسبق ذلك "ترتيب المسرح" .

٢ ـ إن خلافها مع بريطانيا وفرنسا ـ مما تبدى فى أزمة السويس ـ لم يكن سببه اختلاف الأهداف ، وإنما اختلاف الرؤى ، ذلك أن الحليفتين الأوروبيتين :

(أ) فكرتا فى العمل لحسابهما ، ولاسترجاع مواقع إمبراطورية لهما ضاعت منهما أو هى مهددة بالضياع ، تقترب منها الولايات المتحدة .

(ب) فعلتا ذلك من وراء ظهرها ، وتعمدتا إخفاء تحركاتهما وتوقيتات هذه التحركات .

(ج) ورطتا إسرائيل معهما ، أو تورطتا هما وراء إسرائيل يستوى الأمر. والنتيجة إحراج للولايات المتحدة لا تريده فى منطقة قلقة فى ظروف أشد قلقا .

٣ ــ إن القصد الأمريكى كان يتضمن إعطاء درس أمريكى لبريطانيا وفرنسا فى السويس مغزاه :

- العقاب على التصرف المنفرد .

- والتعرية أمام الخطر السوفيتى و إلى درجة محسوبة تسمح بالانكشاف لكى يعرف الآخرون حدود قدرتهم ، ثم لا تسمح بالتهديد لكى لا يتجاوز العدو المشترك للجميع حدود قوته .

٤ ـ وأما بالنسبة لمصر فقد كان القصد أن تستكمل الولايات المتحدة بعد الحرب فى السويس نفس الاستراتيجية الغربية ، فى الفصل والحجز بين مصر وسوريا ، وأن تواصل ذلك على ضلعى الزاوية :

الضلع الجنوبى وهو مصر : بالضغطين الاقتصادى والنفسى .

والضلع الشمالى وهو سوريا : بالضغط على حالة الفوران وضبطها ولو بالانقلاب العسكرى .

□

وفى هذه الظروف لم يكن هناك مجال لقنوات سرية ولا لاتصالات من أى نوع مباشر أو غير مباشر مع إسرائيل لأن قوة "المقدسات : المحرمات" كانت كذلك فى ذروة سلطانها.

كانت السويس بمثابة زلزال هائل فى المنطقة له توابعه كما يحدث فى أى زلزال [٢] ، ولعل أهم توابع زلزال السويس هو اشتداد حالة الفوران فى سوريا مما أدى إلى إصرارها على وحدة اندماجية كاملة مع مصر .

وفجأة ـ فى فبراير ١٩٥٨ ـ عاد ضلعا الزاوية إلى الالتقاء : الضلع السورى جنوب شرق البحر الأبيض. والضلع المصرى على الشاطئ الشمالى الغربى .

ولم يكن اللقاء جسرا مفتوحا على الأرض ومتصلا ، وإنما جسر معلق تمسك به إرادة سياسية واحدة ، يحركها بالوعى أو باللاوعى شعور بفعل "مقدسات : محرمات" لها سلطانها الغلاب .

□

ولم يكن العالم العربى وحده تحت سلطان "المقدسات : المحرمات" . والحقيقة أن سلطان هذا النوع من القناعات والمعتقدات لم يكن غريبا فى أجواء الحرب الباردة ، وإنما كانت تلك واحدة من أهم سمات عصر الحرب الباردة وملامحه ، فقد كان العصر كله عصر مواقف الرفض والنفى الكبرى ، وإن تفاوتت درجاتها بمقدار حجم الحقائق الموضوعية الكامنة فى القناعات والمعتقدات .

- كانت الولايات المتحدة ترفض الصين الشعبية ولا تعترف بها ، وتعتبر أن الصين الحقيقية ليست تلك القارة التى يسكنها ألف مليون من البشر ، وإنما تلك الجزيرة الصغيرة وسط بحر الصين ، وهى "فورموزا" التى غيرت اسمها إلى "تايوان" والتى يسكنها عشرون مليون صينى ، أى ما نسبته ١ : ٥٠ قياسا بالصين بشرا ، وأما أرضا فقد كانت النسبة ١ : ٢٦٦ .
- وكانت القارة الأفريقية كلها ترفض جنوبها : جنوب أفريقيا ، وهو أكثر المواطن تقدما فى القارة ، وأكثرها نموا وقوة .
- وكان نصف ألمانيا يرفض نصفها الآخر ، وألمانيا الغربية تضع مبدأ "هالستين" (وكيل وزارة الخارجية الألمانية) والذى كانت بون تقطع على أساسه علاقاتها بأى دولة فى العالم تعترف بألمانيا الشرقية .

---

(٢) قصة هذا الزلزال كاملة وبوثائقها فى كتاب "ملفات السويس" لمحمد حسنين هيكل .

- وكان شمال كوريا يرفض جنوب كوريا ، وجنوب فيتنام يرفض شمال فيتنام .
- وكانت الولايات المتحدة على وشك أن ترفض كوبا ، وهى التى اعتبرت من قبل شظية من اليابسة انفصلت عن ولاية "فلوريدا" الأمريكية ووقعت على مرمى حجر وسط البحر أمامها .

وعندما التقى "أيزنهاور" و"جمال عبد الناصر" وجها لوجه ، ولأول وآخر مرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ ـ قال الرئيس الأمريكى أثناء المناقشة : "إنه ورئاسته تصل إلى نهايتها لا يريد أن يدخل فى تفاصيل الصراع العربى ـ الإسرائيلى ، وإنما يترك ذلك للرئيس القادم : كنيدى أو نيكسون" .

لكن سؤاله للرئيس "عبد الناصر" ولغيره من القادة العرب هو : "كيف ينكرون أمرا واقعا أمامهم يتمثل فى قيام دولة إسرائيل" ؟

وكان رد "جمال عبد الناصر" عليه سهلا ، وهو "كيف يمكن للولايات المتحدة أن تنكر وجود الصين الشعبية وهى أكبر دولة فى العالم سكانا ومن أكبرها حجما" ؟

وأضاف "جمال عبد الناصر" : "هذا رغم أن الصين كانت وسوف تظل هى الصين.. شعبها فى مكانه ، وحدودها مقررة . وأما فى حالة فلسطين فإن شعبها اقتلع من أرض وطنه ، واستولى على هذه الأرض غرباء جاءوا فى نصف القرن الأخير فقط من أوروبا الشرقية، وأخذوا كل شىء وأنكروا على أصحابه الوطنيين الأصليين حتى حقهم فى الوجود ."

وقال "أيزنهاور" : "إننى أتفهم موقفكم من الناحية التاريخية ، ولكن الواقع العملى له حكم مختلف" .

ورد "جمال عبد الناصر" مذكرا مرة أخرى بـ "أن الصين واقع عملى ، وأكثر من ذلك فهو واقع حقيقى وأصيل" .

ولم تصل المناقشة إلى تراض ، ولكنها كانت تعبيرا عن حالة سادت فى ذلك العصر وفى أماكن مختلفة من العالم ، وفرضت دواعيها وأحكامها !

الفصــل الثالــث

السلاح .. تقليدى وغير تقليدى

" حينما تتوحـد أى قيـادة سياسيـة مع شعبهـا
وتصبح تجسيـدا شرعيا لإرادتـه
فإن أى قـرار بمـا فى ذلك قرار الحرب أوالسـلم ،
لايصبـح اختيـارا فرديـا يخضع للظروف الطارئة
أو لمناورات السياسـة أو للضغوط الخارجية مهما زاد ثقلها .
وربما كان بين الأخطاء الكبرى لسـاسـة الغـرب
أنهم حين يـرون زعيما أو رئيسا فى العالم الثالث يملك ما
يظنونه سلطة مطلقة
يخطر ببالهم أن مقاليد الأمور كلها فى يـده ،
وأنه إذا أراد فعـل ، وإذا لم يفعـل فاللـوم كله عليه .
يكون ذلك تـحميـلا للحقـائق
بما هو مخالـف لطبائعهـا . "

١

كنيـــــدى

" ناصر ليس شيوعيا ... ولكنه أخطر بالنسبة لإسرائيل "

("بن جوريون" للرئيس الأمريكى "جون كنيدى")

فى شهر نوفمبر سنة ١٩٦٠ فاز "جون كنيدى" برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية باسم الحزب الديمقراطى، وهزم منافسه "ريتشارد نيكسون" الذى خاض المعركة الانتخابية أمامه باسم الحزب الجمهورى . وعندما بدأ "كنيدى" يعد نفسه لمهام منصبه بحيث يكون جاهزا لمسئوليات المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض قبل يوم ٢٠ يناير ١٩٦١، كانت أمامه ـ شأنه شأن أى رئيس أمريكى ـ مهمتان :

الأولى: أن ينتهى من اختيار وزرائه فى الحكومة ومستشاريه فى البيت الأبيض.

والثانية: أن يتسلم من أركان إدارة سلفه ـ "أيزنهاور" ـ مفاتيح السياسة الجارية للولايات المتحدة ، بالذات فى مجالى السياسة الخارجية والأمن القومى الأمريكى .

ويوم ١٧ نوفمبر ١٩٦٠ كان "آلن دالاس" مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على موعد مع الرئيس المنتخب . وقد راح يعرض عليه تفاصيل البؤر الحساسة من وجهة نظر وكالته ، وكان الشرق الأوسط وما يجرى فيه مثار اهتمام من الرئيس المنتخب وقد توقف عنده طويلا ، وبدا أنه مهتم بإمكانيات تحقيق السلام فى الأرض المقدسة . وشرح له "آلن دالاس" كل ما يعرف من تفاصيل، ووعد أن يرسل إليه ملفا كاملا بالوثائق السرية للوكالة . لكن "آلن دالاس" توقف عند نقطة وجدها هامة لعلم الرئيس الجديد لأنها ستكون من أكثر ما يواجهه دقة وتعقيدا . وكانت النقطة التى توقف عندها "آلن دالاس"هى

مفاعـل "ديمونـة" . وقـد شـرح "دالاس"ـ طبقـا لمـا سـجله "مـاك جـورج بـاندى" ، مستشـار الأمـن القومـى الـذى اختـاره "كنيـدى" وكـان حـاضرا فـى الاجتمـاع ـ خلفيـة حصـول إسـرائيل علـى هـذا المفـاعل الـذى تبلـغ قوتـه ٢٤ ميجـاوات ، وكيـف أن الحكومـة الفرنسيـة بعـد النهايـة التـى وصلـت إليهـا حـرب السـويس قـررت أن تعطـى لإسـرائيل "عنصـر الأمـن النهـائى" متمثـلا فـى سـلاح نـووى تنتجـه ويكـون رادعـا لأعدائها عـن التفكـير فـى أى تهديـد لأمنهـا .

وسـأل "كنيـدى" عـن إمكانيـات السـلام فـى المنطقـة ، وكـان رد مديـر وكالـة المخـابرات المركزيـة الأمريكيـة أن الولايـات المتحـدة حـاولت بطريقـة جـادة فـى وقـت "أيزنهـاور" ، لكـن السـلام أثبـت أنـه "مـراوغ" . فالعـرب ليسـوا مسـتعدين لـه إلا بثمـن تـراه إسـرائيل فادحـا ، كمـا أن إسـرائيل لم تسـتكمل خريطتهـا المأمولـة بعـد . ولهـذا فـإن الحـرب فـى الشـرق الأوسـط متوقعـة بأكـثر مـن توقـع السـلام . ثـم قـال "دالاس" إن مـا يخشـى منـه هـو أن المنطقـه علـى وشـك أن تشهـد سـباقا نوويـا يهددهـا ويهـدد العـالم كلـه . واستكمل "دالاس" كلامـه بـأن معلومـاتهم أن مصـر هـى الأخـرى لديهـا برنـامج نـووى ، وإنهـا تحـاول ، وإن كـان تقديـر الوكالـة أن إسـرائيل سـابقة بمفـاعل "ديمونـة" (٢٤ ميجـاوات) ، فـى حـين أن مصـر لا تملـك فـى الوقـت الراهـن إلا مفـاعلا واحـدا بقـوة ٢ ميجـاوات ، لكنهـا فيمـا تقـول بـه بعـض المعلومـات تتفـاوض مـع الاتحـاد السوفيـتى للحصـول علـى مفـاعل أكـبر .

□

كـان العـامل النـووى وعواقبـه المحتملـة فـى الشـرق الأوسـط ضمـن العوامـل التـى دعـت الرئيـس "جـون كنيـدى" إلى القيـام بمبادرتـه الشـهيرة مـن أجـل تسويـة الصـراع العربـى ـ الإسـرائيلى ، إلى جـانب الحلـم التقليـدى الـذى خطـر ببـال كـل رئيـس أمريكـى قبـل "كنيـدى"وبعـده ، بـأن يـأخذ لنفسـه دور صـانع السـلام فـى الأرض المقدسـة ، أو تمهيـد المنطقـة علـى الأقـل للسـلام الأمريكـى فـى إطـار الحـرب البـاردة مـع الاتحـاد السوفيـتى ، وبعـد انتهـاء هـذه الحـرب إذا انتهـت !

وفى مايـو ١٩٦١ ـ أى بعـد أقـل مـن أربعـة أشهـر مـن دخولـه البيـت الأبيـض ـ كـان "جـون كنيـدى" يكتـب إلى رئيـس وزراء إسـرائيل "دافيـد بـن جوريـون" وإلى رئيـس الجمهوريـة العربيـة المتحـدة "جمـال عبـد النـاصـر" بادئـا اتصـالات رسميـة لتحقيـق

"صلح بين العرب وإسرائيل"[1] . وفيما بعد كتب "كنيدى" لعدد من رؤساء الدول العربية بمثل ما كتب لـ "جمال عبد الناصر" .

إن خطاب "كنيدى" درس فى القاهرة باهتمام . ورد عليه "جمال عبد الناصر" بشرح واف للقضية الفلسطينية ، لكن أحدا لم يتنبه فى القاهرة إلى الدافع الأساسى الذى حدا بالرئيس "كنيدى" إلى تناول الصراع العربى ـ الإسرائيلى فى هذا الوقت المبكر من رئاسته . فقد كانت القاهرة تفكر فى القضية الفلسطينية ، وكان "كنيدى" يفكر فى مشاكل وعواقب سباق نووى فى الشرق الأوسط .

إن "دافيد بن جوريون" كتب ردا أرسله إلى "كنيدى" . ثم لم يلبث بعد هذا الرد أن قصد بنفسه إلى الولايات المتحدة ليقابل الرئيس "كنيدى" شخصيا ويتحدث إليه . ولعل المعلومات الوافية لديه من الجالية اليهودية فى الولايات المتحدة أبلغته بالدافع الحقيقى إلى مبادرة "كنيدى" .

□

إن محضر اللقاء بين الرئيس الأمريكى الجديد وبين رئيس وزراء إسرائيل ــ جرى تسجيله بواسطة المستر "فيليبس تالبوت" مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون الشرق الأدنى ، وجاء نصه كما يلى :

"مذكرة عن مناقشة

الموضوع : اجتماع الرئيس كنيدى مع رئيس الوزراء دافيد بن جوريون .

التاريخ : ٣٠ مايو ١٩٦١ .

المكان : الجناح الرئيسى بفندق والدورف أستوريا ـ نيويورك .

المشاركون : الرئيس (جون كنيدى) ــ المستر دافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل ـ المستر أبراهام هارمان سفير إسرائيل فى واشنطن ـ المستر فيليبس تالبوت مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى ـ المستر ماير فلدمان نائب المستشار الخاص للرئيس .

---

(١) تفاصيل ووثائق مراسلات الرئيس "جون كنيدى" والردود عليه منشورة بالتفصيل وبالصور فى كتاب "سنوات الغليان" لمحمد حسنين هيكل ــ صادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٨٨ .

بعد تبادل التحية ، وبعد أن عبر الرئيس ورئيس الوزراء بن جوريون عن سعادة كل منهما بلقاء الآخر ، قفز (plunged) المستر بن جوريون مباشرة إلى موضوع المفاعل النووى الإسرائيلى فى ديمونة ، وما يثار حوله . وقال الرئيس إنه سعد عندما عرف أن اثنين من الخبراء الأمريكيين زارا المفاعل ، وقد قرأ تقريرهما ووجده تقريرا طيبا . لكن المفاعل ما زال تحت البناء وإمكانياته ليست ظاهرة للجميع . وبما أن بعض الدول المجاورة لكم يساورها القلق فى شأن قيام إسرائيل ببناء مفاعل كبير له إمكانية إنتاج البلوتونيوم ، فإن الرئيس يرى أهمية أن تكون مسألة هذا المفاعل مفتوحة على أساس نظرية أنه "لا يكفى لأى امرأة أن تكون بالفعل فاضلة وإنما لا بد أن يكون مظهرها كذلك أيضا" . وفى رأيه أن خير وسيلة لتحقيق فضيلة مفاعل ديمونة أن تكون المعلومات عن طبيعته كافية لإزالة أى شك بالنسبة لنيات إسرائيل السلمية .

وقال رئيس الوزراء بن جوريون إنه يريد أن يتحدث عن المفاعل فى إطار مشاكل إسرائيل العامة . واستطرد بن جوريون يقول "إن أهم هذه المشاكل المستعصية هو نقص المياه النقية فى إسرائيل . وحتى عندما يتم الحصول على كل مياه مشروعات الأردن ، فإن المنطقة الجنوبية من إسرائيل - وهى النقب - سوف تظل محرومة مما يكفيها من الماء . ولهذا فإن أكبر تحد تواجهه إسرائيل هو عملية تحلية مياه البحر . وهذه عملية صعبة علميا ومكلفة ماليا ، وتأمل إسرائيل أن تتوصل للتغلب عليها بواسطة الطاقة النووية . ومع أن هذه الطاقة الآن غالية ، فإنه من الممكن أن تصبح هذه الطاقة اقتصادية فى وقت قريب . وإنه تحادث فى هذا الشأن مع الدكتور بهابها (المشرف على برنامج الطاقة النووية الهندى) وكذلك مع خبراء من انجلترا ، وقد اتبعت إسرائيل نصائحهم جميعا وأهمها الحصول على المعرفة فى مجال الطاقة النووية . وفى الواقع فإن هذه هى مهام مفاعل ديمونة الذى قدمته فرنسا مساعدة لإسرائيل بعد أن تخلى عنها الجميع - بمن فيهم فرنسا - بعد السويس ."

وقال بن جوريون "هذا إذن هو وضعنا الآن : التعرف على الطاقة النووية وعلومها واستخدامها فى الأغراض السلمية لتحلية مياه البحر" . ثم أضاف رئيس الوزراء "إننا لا نستطيع أن نقدر ما يمكن أن يجرى فى المستقبل ، بعد ثلاث أو أربع سنوات . فقد نحتاج إلى إضافة مصنع يستطيع استخلاص البلوتونيوم ."

وعلق رئيس الوزراء بن جوريون بعد ذلك على الاحتمالات الاستراتيجية لدخول الطاقة النووية لمنطقة الشرق الأوسط ، وقال "إنه لا يعتقد أن روسيا تريد أن تعطى لمصر امكانية نووية الآن ، ولكنه يعتقد أنه فى ظرف عشر سنوات فإن المصريين سوف يكونون فى وضع يسمح لهم بتحقيق هذا الهدف بأنفسهم" .

وعقب الرئيس على ما سمعه بقوله "إنه يتفق مع تقديرات رئيس الوزراء ، لكن ما قاله هو بنفسه يعنى أننا بأفعالنا سوف نصنع سباقا نوويا فى الشرق الأوسط" . وأضاف "إن سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة مرتبطة تماما بإسرائيل وبمصلحة مشتركة تجمع الاثنتين، فإذا كانت إسرائيل بتصرفاتها سوف تساعد على الانتشار النووى فى المنطقة ، فمن المؤكد أن الجمهورية العربية المتحدة لن تسمح لإسرائيل بأن تسبقها فى هذا المجال" .

وتساءل الرئيس عما إذا كانت الدول العربية قد أتيح لها أن تطلع على تقرير الخبيرين الأمريكيين اللذين زارا مفاعل ديمونة ؟ ثم أضاف "إنه من مصلحتنا المشتركة أن يكون لدى العرب ولو بعض العلم عن الحقيقة لكى لا يندفعوا فى الظلام إلى سباق نووى" . وعقب رئيس الوزراء بقوله "إنكم أحرار تماما لتفعلوا ما تريدون بهذا التقرير ، وإذا وجدتم أن هناك ضرورة لنشره فإننا لن نعترض" .

وأبدى الرئيس تقديره لما سمع من رئيس الوزراء بن جوريون ، وأضاف : "إن الولايات المتحدة كما تعرف محل شبهات فى العالم العربى بسبب علاقاتها الوثيقة مع إسرائيل" . ثم طرح الرئيس اقتراحا بأنه قد يكون مطمئنا للعرب أكثر لو أن خبراء محايدين زاروا المفاعل . وتساءل المستر بن جوريون "ليس هناك محايدون هذه الأيام". وقال له الرئيس "إنك تتكلم مثل خروشوف الذى يقول إنه لا يوجد رجل محايد ، ومع ذلك فأنا أعتقد على العكس أن هناك رجالا يمكن أن يكونوا محايدين من بلاد مثل سكندنافيا (السويد والنرويج والدنمارك) ومن سويسرا ، وإنه يأمل أن يستطيع مثل هؤلاء فى المستقبل زيارة مفاعل ديمونة ."

وانتقل رئيس الوزراء بن جوريون إلى موضوع أمن إسرائيل ، وإلى ما تحتاج إليه من أسلحة . وعرض لمقارنة بين تسليح إسرائيل وتسليح الجمهورية العربية المتحدة، وخلص إلى أن هناك فجوة ، ومع تسليمه بأنها فجوة تضيق إلا أنه لا يستطيع أن ينسى أن هدف ناصر المعلن هو تدمير إسرائيل وليس مجرد هزيمتها . وإنه إذا حقق العرب هذا الهدف فإنهم سيفعلون باليهود أكثر مما فعله بهم هتلر.

ثم قال رئيس الوزراء بن جوريون للرئيس "إنك سوف تلتقى مع خروشوف بعد أيام ، وسوف يكون مطمئنا لنا أن يصدر عنكما معا تصريح تتعهد فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بضمان الحدود القائمة الآن فى الشرق الأوسط" . وأخبره الرئيس بأنه سوف يحاول جس نبض خروشوف فى هذه المسألة ، وإن كان يشك أنه مستعد لها لأنها قد تغضب " ناصر ". وهنا توجه الرئيس بسؤال مباشر إلى بن جوريون عن رأيه فى علاقات "ناصر" بالاتحاد السوفيتى ؟ وأجاب بن جوريون "إن العلاقات بين الاثنين وثيقة ، ولكن "ناصر" ليس شيوعيا ، إلا أن

الاتحاد السوفيتى يستغل علاقته به فى الدخول إلى أفريقيا .. إن "ناصر" لديه خطط كبرى فى أفريقيا ، وهو يعمل بجد مع الزعماء الجدد فيها ، وهؤلاء الزعماء - بمن فيهم سيكوتورى - ليسوا شيوعيين . لكنه يتبقى أن " ناصر" يفتح أبواب أفريقيا أمام الاتحاد السوفيتى."

وانتقل الرئيس إلى إمكانيات تحقيق سلام فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل . وتساءل عما انتهت إليه أعمال لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بين الطرفين ، ولاحظ أيضا أن هذه اللجنة عليها أن تصدر تقريرا عن أعمالها فى خريف ١٩٦١ . وأبدى الرئيس رغبته فى أن يعرف بصورة مبدئية مشاعر رئيس الوزراء بن جوريون فى هذا الشأن . ورد بن جوريون بأن الرئيس لا بد يعرف أن سلفه الجنرال أيزنهاور اهتم بهذا الموضوع منذ سنة ١٩٥٣ ، وإنه فى بداية سنة ١٩٥٦ كان المستر أندرسون يمثله مندوبا فوق العادة فى اتصالات بين العرب وإسرائيل . وفى البداية فإن "ناصر" اهتم بالموضوع ، لكنه عندما وجد إسرائيل جادة فيه غيّر رأيه . ثم أضاف رئيس الوزراء "إن كل شئون الشرق الأوسط تتوقف على "ناصر" . وعقب الرئيس بقوله "يظهر أن "ناصر" سوف يجعل حياتنا كلنا صعبة" . ووافقه رئيس الوزراء على ذلك مضيفا قوله "إلا إذا مارسنا عليه أكبر ضغط ممكن من أجل السلام".

وسأله الرئيس "هل هناك من يستطيع التأثير عليه ؟ نهرو مثلا ؟" ورد بن جوريون "إن موقف نهرو فى هذا الموضوع لا تبريرله فى رأيى ، ففى مقدوره أن يبذل جهدا من أجل السلام ، لكنه لا يفعل" . ثم أضاف "لست أنا الذى يحكم على رجل مثل نهرو ، إنه رجل عظيم وأنا معجب به ، وهناك ديمقراطية فى الهند ، ولا أعرف ماذا سيحدث لها إذا اختفى نهرو ، لكن نهرو فى موضوع الشرق الأوسط لا يريد أن يفعل شيئا" .

وبدأ الرئيس يسأل رئيس الوزراء بن جوريون عن تصوره لحل مشكلة اللاجئين ؟ ورد بن جوريون بأنه ليست هناك مشكلة لاجئين فى واقع الأمر ، وإنما هى قضية يستغلها العرب ."

. . . .

. . . .

وفى نهاية المقابلة أخرج رئيس الوزراء بن جوريون مجلدا مكتوبا باللغة اللاتينية منشورا سنة ١٦٨٠ ، وهو يروى قصة رحلة إلى الأرض المقدسة قام بها المؤلف "رادزيفيلى" ، وهو جد أكبر للأمير "رادزويل" وهو متزوج من شقيقة السيدة جاكلين كنيدى قرينة الرئيس . وتقبل الرئيس الهدية شاكرا ، قائلا إنه

سوف يحضر تعميد ابن جديد لرادزويل فى لندن فى الأسبوع القادم ، وهو يستأذن رئيس الوزراء فى تقديم هذا المجلد هدية للطفل الوليد الذى سيكون هو أباه الروحى ."

إن "دافيد بن جوريون" كذب عامدا على رئيس الولايات المتحدة . فقد كان يعرف فى قرارة نفسه أنه اتخذ قرارا استراتيجيا فى أعقاب فشل الحملة الثلاثية على مصر فى السويس سنة ١٩٥٦ مؤداه أن إسرائيل لم تعد تستطيع أن تعتمد فى أمنها النهائى على أسلحة تقليدية ولا على تحالف دولى ، وإنما يتعين أن تكون لديها قدرة نووية مستقلة تستطيع التلويح بها ردعا واستعمالها فعلا إذا أحست أن المخاطر المحيطة بها توشك أن تهدد وجودها .

وتسجل محاضر لجنة الأمن القومى فى إسرائيل فى جلسة حضرها الدكتور "أرنست برجمان" رئيس لجنة الطاقة الذرية بتاريخ يناير سنة ١٩٥٧ قول "بن جوريون" : "إننى لا أعرف إلى أين يمكن أن نصل ببرنامجنا النووى ، ولكنى أتطلع إلى اليوم الذى تستطيع فيه إسرائيل أن ترغم أعداءها على توقيع اتفاقية سلام على أساس الأوضاع القائمة على الأرض وقتها ، ثم لا يكون فى مقدور هؤلاء الأعداء مناقشة شروط إسرائيل لأنهم يعرفون ما يمكن أن ينتظرهم" .

وربما أن "كنيدى" وهو يتحدث إلى "بن جوريون" لم يصدق تأكيداته بالكامل عن الطبيعة السلمية للبرنامج النووى الإسرائيلى . لكن المشكلة أن "كنيدى" أيضا لم يكن يعرف، فيما هو ظاهر من تصرفاته وبنصوص محاضر الاجتماعات التى جرت فى مكتبه ، أن إدارة العمليات فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ورئيسها فى ذلك الوقت هو "جيمس أنجلتون" ، كانت تتفاوض مع المخابرات الإسرائيلية لتزويد إسرائيل بمفاعل نووى جديد تضاف طاقته إلى طاقة مفاعل ديمونة .

□

إن جهود الرئيس "جون كنيدى للقيام بدور صانع السلام فى المنطقة[٢] لم تصل إلى نتيجة رغم أنه حاول، وربما بصدق نية فى بعض الأحيان . فاللحظة التاريخية — ما

(٢) تبادل "جمال عبد الناصر" و"كنيدى" حجما من المراسلات وصل إلى ٩١ خطابا مكتوبا — غير الرسائل الشفوية .

بين سنتى ١٩٦٠ و ١٩٦٣ـ كانت لحظة قابلة لمختلف الاحتمالات ، بما فيها احتمال وفاق عالمى ، أو على الأقل تحويل الصراع الدولى إلى نوع من المنافسة السلمية فى توفير الرخاء ، وغزو الفضاء ، ومساعدة العالم الثالث ، والتمكين لما كان يوصف وقتها — وربما بشىء من الأمل ـ بأنه : "نظام عالمى جديد" .

كانت تلك هى الفترة التى احتل فيها مواقع القمة فى العالم رجال من طراز "جون كنيدى" والمجموعة اللامعة من نجوم إدارته ،"نيكيتا خروشوف" والوجه الإنسانى الذى أعطاه للنظام الشيوعى لأول مرة ، و"شارل ديجول" و"كونراد أديناور" وحلمهما الأوروبى ، والبابا "يوحنا الثالث والعشرين" الذى علا نجمه فى الفاتيكان بدعوة مساواة موجهة إلى كل البشر .

وفى العالم النامى كان هناك طراز من الرجال الذين قادوا حركة التحرر الوطنى، واستطاعوا أن يتمثلوا الآمال الكبيرة التى تتطلع إليها شعوبهم : "جواهر لال نهرو" فى الهند ، و"شواين لاى" فى الصين ، و"جمال عبد الناصر" فى العالم العربى ، و"جوزيب بروز تيتو" فى يوجوسلافيا . ثم جيل جديد قادم فى أفريقيا : "انكروما" فى غانا ، و"سيكوتورى" فى غينيا ، و"موديبوكيتا" فى مالى، و"بن بللا" فى الجزائر ، و"جوليوس نيريرى" فى تانزانيا ، بل وكان اسم "نيلسون مانديللا" قد بدأ يسمع فى جنوب أفريقيا .

لكن العصر كله انتكس لسوء الحظ ، وكان اغتيال "كنيدى" من أظهر علامات انتكاسه ليس بسبب انتهاء حياة رجل ــ تختلف فيه الآراء مهما كان من بريق شخصيته ـ ولكن لأن عملية الاغتيال كشفت عن عوامل للخلل والتشوه فى قلب المجتمع الأمريكى . وبعد أشهر من اغتيال "كنيدى" سقط "خروشوف" بمؤامرة من النوع التقليدى فى الكرملين .

وترافق ذلك مع مظاهر تراجع فى أفريقيا .

ثم أصبح التراجع ظاهرة عالمية عامة، ظهرت آثارها فى أسوأ صورها فى فيتنام ، وفى الحرب التى مضت تتصاعد يوما بعد يوم .

كان التورط الأمريكى فى فيتنام قد بدأ فى عصر "كنيدى" .

وبعد "كنيدى" فإن هذا التورط تفاقم إلى درجة مخيفة .

٢

جونســـــون

" مصــر تستعـد لبنــاء مفاعــل نــووى بقــوة ١٥٠ ميجاوات ، وهذا الحجم يجعل المفاعل قادرا على صنـع رؤوس نوويـة "

(برقيـة مـن السـفير الأمريكـى فــى القاهــرة إلى وزارة الخارجية فى واشنطـن)

عندما اغتيل "جون كنيدى" ـ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ ـ حل محله نائب الرئيس "ليندون جونسون" . وعندما دخـل "ليندون جونسون" إلى البيت الأبيض لم يكن دور صـانع السـلام فى الشرق الأوسـط ضمن نياته أو خططـه ، ولا كان هذا الـدور أصـلا من طبائعـه .

لم يكن ضمـن نيـاته ، لأنه كنائـب للرئيس "كنيـدى" تابـع عن قـرب محاولاته لصنـع السـلام فى الشرق الأوسط ، ورآها عملية مستحيلة : مصـر لن تقبـل عازلا يحجز بينها وبين العالم العربى فى المشرق (فى آسيـا) ، وإسرائيل لن تقبـل التنازل عن شـبر من أرض احتلتهـا سنة ١٩٤٨ ـ بل هى على العكس تضمر التوسع ، وبخاصة فى الضفـة الغربيـة وفى القدس .

ولم يكن ضمن خططـه ، لأنه وهو يسعـى لرئاسـة مسـتقلة باسمـه وليـس تكملـة لرئاسـة "كنيدى" عليه أن يحصـل علـى تأييـد الجماعـات اليهوديـة والصهيونيـة ، وهـو واثــق مـن تأييدها له ، فهو صديق اختـبر وقت الضيـق ، وكانت له فـى أزمــة السويــس ، وكزعيـم للأغلبية الديمقراطية فى مجلس النواب وقتها ، مواقف معارضـة لسياسـة "أيزنهـاور" . لكنـه الآن يريد دعما أكبر من أصدقائه لأنه إلى جانب طلبه لرئاسة مستقلة ، يتصور إمكانية تصعيد فى حـرب فيتنام يصـل منه إلى انتصار عسكرى يمهـد له طريق الرئاسة المسـتقلة . ولـما كـان جـزء كبير من المعارضين لسياسة التصعيد فــى فيتنـــام مـن المفكريـن والمثقفـين الليـبراليين ، وبعضهم من اليهود المؤيدين لإسرائيل ـ فـإن "لينـدون جونسـون" كـان أكـثر مـن أى وقــت مضـى يريـد تأييـد النفـوذ اليهودى والصهيونى سواء فى تمويل حملتـه الانتخابيـة ، أو فـى حشـد الأصوات له بين الناخبين عن طريق وسـائل الإعـلام المختلفـة خصوصـا فـى التلفزيـون الذى بـرزت سطوتـه .

ولم يكن ذلك فى طبيعته لأن "ليندون جونسون" كان بالمزاج نصيرا لسياسة أمريكية تستعمل العصا أكثر مما تستعمل الجزرة (حسب التعبير الشائع) .

مُضافا إلى ذلك أن قوة العرب ـ التى بلغت ذروتها فى السويس وما بعدها ـ أخذت تشهد نوعا من الارتباك بعد التوجهات الاجتماعية لحركة القومية العربية ، وبعد وقوع الانفصال بين مصر وسوريا ، وبعد الدخول المصرى فى اليمن ، وبعد المخاوف التى راودت المؤسسة العسكرية الأمريكية وشركات البترول الكبرى ، وكلها أقلقها أن يظهر وجود عسكرى مصرى فى شبه الجزيرة العربية ، حتى وإن كان بعيدا عن مواقع الحقول والآبار ، ومقصورا على ركن بعيد هناك فى اليمن .

وزاد على ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية راحت تنشغل أكثر وأكثر بسباق فى السلاح غير التقليدى يدخل إلى المنطقة . بدأت إسرائيل ، وكانت مصر تظن أنها لا تستطيع أن تنتظر . وراحت إسرائيل تحاول عرقلة محاولات مصر للحاق بها . وأصبحت الصورة العامة فى المنطقة توحى بحالة من السيولة تدعو إلى الحذر من الانزلاق على حافة خطرة .

□

كان برنامج الأسلحة غير التقليدية المصرى يشغل إسرائيل منذ وقت مبكر ، وقد ظهر اهتمامها عمليا فى حرب أعصاب وإرهاب وجهت إلى العلماء المصريين والأجانب الذين يعملون فى برامج الصواريخ وفى صناعة الطائرات المصرية . وكان الخبراء الألمان بالذات موضع تركيز شديد .

لكن الولايات المتحدة لم تكن أقل اهتماما ، وإن كان اهتمامها أكثر بالمراقبة والمتابعة. وحتى من أيام "كنيدى" فإن الوثائق الأمريكية تظهر اهتماما واضحا بهذا الجانب غير التقليدى فى التسليح المصرى .

وطبقا لوثيقة أمريكية بتاريخ ٩ يوليو ١٩٦٣ (تحت رقم ٤٤٤٥ ـ ١٣٨) فإن وزير الخارجية الأمريكى "دين راسك" كتب إلى السفير الأمريكى فى القاهرة برقية كان نصها كما يلى :(٣)

---

(٣) توجد صورة من هذه البرقية فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٤) .

"... إلى السفير

مع أننـا لا نتوقـع أن يظهــر أى شــىء جديـد بشأن الصواريـخ المصريــة فـى الاستعراض العسكـرى السنوى الذى يقـام يوم ٢٣ يوليـو - فـإنك وأعضـاء سفـارتك عليكم وبأسـرع ما يمكن موافاتنا بأى شـىء تلاحظونه أثناء العـرض ويكون من شأنـه أن يعكـس تقدمـا أو تغيـيرا فى تطوير الصواريخ . إن هذا الموضوع مهـم ، وهو مثـار فى اتصالاتنا مع الإسرائيليـين .

راســـك "

□

وتحت رئاسـة "جونسون" فـإن متابعـة جهــود التسليح المصـرى خصوصـا فـى مجـال الصواريخ تعـدت مجرد المتابعة . وبعـث "جونسون" إلى "جمال عبد الناصر" برسالة نقلهـا إليه السفير الأمريكى فى القاهـرة "لوشيوس باتل" حـوت أربعة عشر بنـدا اتسمـت صياغتهـا جميعا بنـبرة تهديـد ظاهـر أو مستـتر .

وكانت أهـم بنـود الرسالـة كما يلـى :

● إن رئيس الولايات المتحدة تزايد قلقـه بسبب التوترات التى تظهر فى العلاقات بـين الولايات المتحدة والدول الغربيـة من جانب وبين دول عربيـة فى الشرق الأوسـط .

● إن رد الفعـل الإسرائيلى جـاء شـديدا إزاء ما بـدا لهـم من معانـى الحقـد والضغينـة فى المشروعات العربيـة لتحويل ميـاه الأردن .

● إن هناك خطـرا يتأتى من أنه إذا ظفـر جـانـب بمـيزة عسـكرية كبـيرة فـإن ذلـك قد يدعـو الطـرف الآخر إلى شـن اعتـداء يستبـق بـه ذلـك ،خصوصا إذا أحـس أن مـا لديـه من مزايـا يقـل ويضمـر .

● وإذا أبـى الطرفان الاهتداء إلى توفيق سلمـى أو ترتيب من نــوع مـا لتخفيـف سبـاق السلاح فلا بديل أمام المجتمع الدولـى إلا أن يصحـح هـذا الخلـل فـى المـيزان مـن أجــل صيانـة السلـم . وعلى أساس هذا المبـدأ فإن حكومة الولايات المتحدة باعــت لإسـرائيل نظام صواريخ من طراز "هـوك" حتى تبـدد مخاوف الإسرائيليين من قاذفات القنـابل التـى تملكهـا

الجمهورية العربيـة المتحدة . والآن ولهذا السبب ذاته فإن الولايات المتحـــدة مستعدة لبيــع أنواع وكميات من السلاح مطلوبة لإسرائيل لأغـراض الدفـاع عنهـا .

- إن قيام الولايات المتحـدة ببيـع أسلحة لإسرائيل محكوم بما يفعله العـرب.وإذا شـاء العـرب أن يجعلوا من بيـع أسلحـة أمريكيـة محـدودة لإسـرائيل ـــ قضيـة كـبرى ، فـإن هذا سوف يثير رد فعـل شعبيا فى الولايـات المتحـدة يضـر بضبـط النفس الـذى تتمسـك بـه حكومة الولايات المتحـدة حتى الآن .

- إن حكومة الولايات المتحدة ستواصل جهدها مع إسرائيل حتى لا تتجـه ببرنامجهـا النـووى وجهـة عسكـرية. وكما تعلمون فقـــد قـــام خـــبراء أمريكـــيون بزيـــارة أخـيرة إلى مفاعل ديمونـة .

- وأخيرا ، فإن الرئيس "جونســون" سوف يرحـب بأية آراء لـــدى الرئيـس "ناصــر" وحكومـة الجمهورية العربيـة المتحـدة حول الكيفيـة التى يمكن بها نـزع فتيـل التفجـــير مـن الصـراع العربـى ـ الإسرائيلى . والرئيس "جونسـون" يأمـل أن تقبـل آراؤه الصريحة فى هــذه الموضوعات بنفس الـروح التى قدمـت بهـا .

□

ومضـت أسابيع قليلة وإذا "جونسون" يصعـد طلباتــه . فقد بعــث إلى القاهــرة بوكيـل وزارة الخارجية الأمريكيـة "فيليبس تالبـوت" يناقـش مـع "جمــال عبـد الناصــر" موضــوع البرنامج النـووى المصـرى .

وعندما التقـى "فيليبس تالبـوت" بـ "جمال عبد الناصـر" يوم ١٨ أبريـل ١٩٦٥ ، فإنـه بـدأ ـ طبقا لتقريره الرسمى ـــ بالإشـارة إلى قـــرار قدمتـه أيرلنـدا فـى الأمـم المتحـدة بشـأن ضمانات الرقابـة على صنع الأسلحة النووية . ثم تطرق من ذلك إلى التسـاؤل عـن الضمانـات التى يمكن لمصـر تقديمها لطمأنـة الولايـات المتحـدة وإسرائيل إلى حـدود المشـروع النـووى المصرى ومجـالات عملـه . وألمح "تالبـوت" فى معرض حديثه إلى أن الولايات المتحـدة تريـد أن تكون لديها فرصة التفتيش على المفاعل المصـرى . ورد "جمـال عبـد الناصــر" بأنـه يــرى خطورة الموضوع النـووى ، وإن الجمهورية العربيـة المتحدة من تقديرها لهذه الخطورة أعلنـت فى وكالة الطاقة فى فيينـا قبولها بالضمانات الدوليـة، لكنـه :

"١ ـ سيعارض أن يكون للولايات المتحدة حق التفتيش حتى وإن أطلق عليه وصف "فرصة التفتيش" .

٢ ـ وهو يعطى حق التأكد من الضمانات للوكالة الدولية للطاقة النووية وليس لغيرها ، شريطة أن تقوم الوكالة بهذه المهمة فى كل من مصر وإسرائيل ."

ثم أضاف "جمال عبد الناصر" إلى ما قاله إن المفاعل النووى المصرى صغير وليس له أن يثير قلقا لدى أحد . والذى يجب أن يثير القلق هو المفاعل النووى فى ديمونة، فقوته توازى عشر مرات قوة مفاعل أنشاص الذى تملكه مصر .

وانتقل "تالبوت" إلى القول "إن الرئيس جونسون لم يتلق من الرئيس ناصر ردا حتى الآن عن سؤال طرحه عليه فى آخر رسالة بعث بها إليه ، ففيها سأله عن تصوراته لنزع الفتيل وهو الآن يكرر نفس السؤال ، ويتوقع أن يسمع فكر الجمهورية العربية المتحدة فى شأن تسوية الصراع العربى ـ الإسرائيلى" . وأشار "جمال عبد الناصر" إلى محاولات سابقة مماثلة ، وقال إن له الآن ملاحظتين :

الأولى: أن الصراع العربى ـ الإسرائيلى كما هو ظاهر ليس قضية مصر وحدها ولكنه قضية كل العرب ، وفى مقدمتهم الشعب الفلسطينى . وبالتالى فإن رأيا مصريا منفردا فى هذا الموضوع أمر غير وارد . وإذا كان لدى الولايات المتحدة من جانبها تصور ، فإنها مدعوة إلى طرحه . فلقد سبق للعرب أن أبدوا آراءهم، لكنهم ووجهوا دائما بإصرار إسرائيل ليس على التوصل لحل ولكن على فرض الأمر الواقع .

والثانية : أنه فيما يتعلق بمصر فإن الأمر الذى يخصها مباشرة هو صعوبة أن تتصور استمرار قطعها إلى الأبد عن بقية أجزاء الوطن العربى .

وكتب "تالبوت" فى تقريره ما نصه : "إننى فى نهاية لقائنا قلت له إننا على استعداد لأن نقدم له ميزة أخرى إذا هو تخلى عن جهوده لصنع أسلحة متطورة . نحن على استعداد مثلا لمساعدته فى مجال الطاقة النووية بعيدا عن مجالات السلاح . وقلت له أيضا إننا على استعداد أيضا لمساعدته فى بعض تجارب الفضاء ، ولكنه لم يبد اهتماما كبيرا بذلك ، ويظهر أنه لا يثق فينا . وحين قلت له "إنك قليل الثقة فينا" رد علىّ بسرعة قائلا "أكثر بعض الشىء من قليل" ، وابتسم ".

وطالت المناقشات فى هذه الموضوعات وما يتصل بها ، ولم تصل بالطبع إلى نتيجة .

ولم تكن الولايات المتحدة ـ فى حقيقة الأمر ـ تنتظر إجابات من "جمال عبد الناصر" حول البرنامج النووى المصرى ، وإنما جندت كل وسائلها لكى تعرف أكثر مما

يمكن أن يتطوع بقوله لها . وبتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٦٤ بعثت السفارة الأمريكية فى القاهرة إلى وزارة الخارجية برقية (رقم ٢٣٠١٦ / ٣٦٣) - جاء فيها بالنص :

"إن السفارة فى القاهرة تعتقد أن الجمهورية العربية المتحدة تعطى أولوية عالية للحصول على مفاعل نووى، وهى تشك فى أنها مستعدة فى هذا الوقت أن تقبل شروط الضمانات التى تضعها وكالة الطاقة الذرية ، وتتفق بشأنها مع الحكومات المعنية ، وذلك هو المطلب الذى تصر عليه الولايات المتحدة . ومن ناحية أخرى فإننا نعتقد أن الجمهورية العربية المتحدة تريد هذا المفاعل لأغراض الهيبة السياسية، بأكثر مما تريده لإنتاج الوقود النووى الذى يصلح وتنشأ الحاجة اليه لصنع أسلحة نووية،أو لاستخدام الطاقة فى تحلية مياه البحر.

ونعتقد فى الوقت نفسه أن التمويل سوف يكون عائقا كبيرا أمام المشروع المصرى ."

ومن المزعج أنه فى نفس الوقت لم يكن لدى الولايات المتحدة شك بالنسبة للنيات الإسرائيلية بشأن الأسلحة النووية .

□

وفى ٩ أبريل ١٩٦٥ ، كتبت السفارة الأمريكية تقريرا شاملا عن المشروع النووى الإسرائيلى (التقرير رقم ٤٧٢ ـ أ)(٤) . ولأهمية هذا التقرير الذى أعده كل من كبير المستشارين العسكريين الأمريكيين فى إسرائيل ورئيس الإدارة العلمية فى السفارة ، فإن توجيهه كان لوزير الخارجية ووزير الدفاع ومستشار الرئيس للأمن القومى، وكان سياقه على النحو التالى :

"عندما يجرى سؤال المسئولين الإسرائيليين على مختلف المستويات عن البرنامج النووى الإسرائيلى فإن إجابتهم تكاد تكون واحدة "إنه يسعدهم أن يبقوا "ناصر" قلقا keep Nasser worried من هذا الموضوع . وهم يحاولون الإيحاء بأن غموض نياتهم هو جزء من حربهم النفسية ضد ناصر ، وهم بنفس الإيحاء يحاولون تفسير إجراءات السرية التى يحيطون بها مفاعل ديمونة . لكنه

(٤) فى ملحق الوثائق توجد صور لصفحات من هذا التقرير ـ تحت رقم (٥) .

من الصعب على أى مراقب أن يتصور أن المبالغ التى صرفتها إسرائيل على مفاعل ديمونة حتى الآن يمكن أن تصرف على بند من بنود الحرب النفسية.

إن كل المعلومات التى فى حوزتنا تقطع بأن مفاعل ديمونة ، بتاريخه وإمكانياته وبالكفاءات العلمية المنقطعة له ، لا يمكن إلا أن يكون لأهداف عسكرية ، وبدون ذلك فإن المشروع كله يصبح نوعا من العبث.

. . . .

. . . .

إن مجموع المبالغ التى صرفت حتى الآن على مفاعل ديمونة تزيد عن ٦٠ مليون دولار .

ونحن نقدر أن العاملين فى نطاق المشروع النووى الإسرائيلى مائتا عالم ومهندس غير المساعدين والباحثين . والعمل من أجل هذا المشروع لا يقتصر على ديمونة فحسب ، وإنما هو يجند إمكانيات معهد وايزمان والتخنيون والجامعة العبرية .

. . . .

. . . .

إن آخر زائر دخل إلى "ديمونة" قدم لنا الوصف التالى لأقسام العمليات التى تجرى تهيئتها هناك :

١ - قسم لإعداد كميات كافية من خام اليورانيوم الذى تحصل عليه إسرائيل من مصادر غير معروفة .

٢ - قسم لتحويل خام اليورانيوم إلى معدن يورانيوم نقى .

٣ - قسم لسبك وكبس وإعداد معدن اليورانيوم ليتحوّل إلى وقود .

٤ - قسم لتحويل هذا الوقود إلى وقود مشع .

٥ - قسم لتبريد هذا الوقود المشع .

٦ - قسم لكسر أجزاء هذا الوقود المشع .

٧ - مصنع كيميائى لفصل البلوتونيوم عن الوقود المشع .

٨ - قسم لصب وتحضير البلوتونيوم .

٩ - منشأة يبدو أنها معدة لاختبار السلاح ، والجزء الأهم منها تحت الأرض.

. . . .

. . . .

إن معلوماتنا تؤكد الجدول التالى لبرنامج إسرائيل النووى :

١٩٦٥ إحلال وقود إسرائيلى محل الوقود الفرنسى الذى جاء مع المفاعل. وبداية بناء مصنع الفصل الكيميائى .

١٩٦٦ بدء العمل فى إعداد ميدان التجارب (تحت الأرض) .

١٩٦٧ تشغيل مصنع الفصل الكيميائى .

١٩٦٨ تجميع واختبار وتفجير جهاز نووى .

. . . .

. . . .

إن السفارة سوف تواصل رقابتها على أية تطورات فى ديمونة ، وسوف توالى إخطاركم بكل ما ترى أنه مهم .

ويليام ديل "

□

ولم تكن القاهرة غائبة عن صورة ما يجرى فى إسرائيل ، ولم يكن لها أن تقف ساكتة فى الانتظار . ومرة أخرى كانت الولايات المتحدة تتابع .

وكتب السفير الأمريكى فى القاهرة "لوشيوس باتل" برقية (برقم ٢٨١٠١) يقول فيها :

"علمنا اليوم أن هناك مفاوضات بين الحكومة المصرية وبين شركة سيمنز من ألمانيا الاتحادية لبناء مفاعل نووى يتكلف سبعمائة مليون مارك ألمانى . إن هذه المعلومات من موظف مصرى كان يعمل فى وزارة الصناعة وكان يحبذ أن تشترى مصر مفاعلا أمريكيا . لكن الحكومة المصرية تفضل شراء المفاعل الألمانى لأنه يستعمل اليورانيوم الطبيعى ، وهذا يجعله أفضل لإنتاج الأسلحة النووية . وظاهر أن عناصر قوية فى الحكومة المصرية تؤيد شراء المفاعل الألمانى من شركة سيمنز .

باتل "

□

كانت السياسة المصرية منذ سنة ١٩٥٧ وللسنوات التالية تركز بالدرجة الأولى على إعداد كوادر العلماء والفنيين ، وهم الأساس فى إقامة أى مشروع نووى . وكانت بعض المؤسسات الصناعية الكبرى فى مصر قد بدأت بالفعل فى الاستعداد لعمليات تتصل بالمشروع [شركة كيما فى أسوان لمعالجة اليورانيوم ولإنتاج الماء الثقيل ، وشركة المطروقات فى حلوان لأعمال المعادن والسباكة] .

وكان مفاعل "أنشاص" الصغير قد أدى دوره وزيادة . وفى ١٧ يناير ١٩٦٥ كتبت السفارة الأمريكية فى القاهرة لوزارة الخارجية ولوزارة الدفاع ولوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ولهيئة أركان الحرب المشتركة ولقيادة الأسطول الأمريكى فى البحر الأبيض — برقية عاجلة جاء فيها :(٥)

"مصر تستعد لبناء مفاعل نووى بقوة ١٥٠ ميجاوات فى منطقة برج العرب غرب الإسكندرية . إن حجم المفاعل يجعله قادرا على إنتاج رؤوس حربية نووية .

إن السفير باتل ليس فى القاهرة حاليا، وإنما فى استشارات دُعى إليها فى واشنطن، ولكن لديه معلومات سوف يناقشها مع وزارة الخارجية أثناء وجوده هناك."

---

(٥) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه البرقية - تحت رقم (٦) .

٣

جوليان إيمرى

" لماذا تصبرون على جمال عبد الناصر ؟ "

(الملك "فيصل" للسفير الأمريكى فى السعودية)

فى تلك الظروف كانت الأطراف الأقرب إلى مصر ـ وبينها الاتحاد السوفيتى ـ كل مشغول فيما يهمه. ومثلا فإن الاتحاد السوفيتى اختار هذه اللحظة بالذات ليقوم بدور حمامة السلام .

كان الاتحاد السوفيتى يتابع ما يجرى على ساحة الشرق الأوسط . وقد أحس بأن الرئيس الأمريكى "ليندون جونسون" يدخل بكل قوته وبدرجة واضحة من العنف فى قضية الصراع العربى الإسرائيلى . ولوهلة ، خطر لقيادة الاتحاد السوفيتى أنها تستطيع ـ وربما أكثر من "جونسون" ـ أن تسبق الحوادث وأن تجد طريقا إلى سلام بين العرب وإسرائيل يساعدها عليه أن العرب يثقون فى القيادة السوفيتية ، وقد يقبلون منها ما يتعذر عليهم قبوله من رئيس أمريكى فى البيت الأبيض مساير لإسرائيل ، وفى حالة "جونسون" فهو أكثر من مساير ، وإنما هو مساند يكاد يكون محرضا .

كان الاتحاد السوفيتى قد نجح فى الجمع بين الهند وباكستان بعد حرب قصيرة بين البلدين فى شبه القارة الهندية . وقام رئيس الوزراء "كوسيجن" بدعوة الرئيس الباكستانى "أيوب خان" ورئيس وزراء الهند "شاسترى" ـ الذى خلف "نهرو" بعد وفاته ـ إلى اجتماع معه فى "طشقند". وهناك فى يناير ١٩٦٦ ، أمكن مؤقتا حصر الخلاف بين البلدين الآسيويين الكبيرين، وجرى توقيع اتفاق بينهما شهد عليه "كوسيجن" ووقع بهذه الشهادة على الاتفاق . وساد يومها تعبير شهير عما سمى بـ "روح طشقند" ، بمعنى رغبة وإمكانية السلام بين الأطراف المتحاربة .

وكتب "كوسيجن" إلى "جمال عبد الناصر" خطابا يقول له فيه إنه يتصور أن "روح طشقند" قد تستطيع أداء دور فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى. وأحس

"جمــال عبد الناصر" بالقلق لأن النظرة السوفيتيـة للموضـوع بـدت مبسطـة بأكـثر مما هـو لازم، مما يوحـى بأن نجـاح القيـادة السوفيتية مع الهنـد وباكستان شجعها علـى لعـب دور وسيـط السـلام فى العالـم .

وبصرف النظر عن الاعتبارات الموضوعية فى الصـراع ، فإن خشية "جمال عبد الناصـر" كانت أن تختل قواعد الحساب الدولى فـى معادلـة الشـرق الأوســط . فقد كـانت القـاعدة الحسابية أن واحـدة من القوتـين العظميين وهى الولايات المتحـدة تقـف مع إسرائيل ، فى حـين أن القـوة الثانية وهى الاتحاد السوفيتى تقـف مع العــرب . ومعنـى دخـول الاتحـاد السوفيتى إلى دائرة "صناع السلام" فى الشرق الأوسـط ـ أن الاتحاد السوفيتى سوف يتحـول إلى وسيط يرغب فى إثبات حياده فى حين أن الولايات المتحـدة سوف تظـل علـى موقفهـا مؤيـدا ونصـيرا لإسرائيل . وهذا من شأنه الإخـلال بقواعـد الحســاب الدولـى فـى الصــراع العربـى ـ الإسرائيلـى .

ورد "جمال عبد الناصـر" على "كوسيجن" يلفـت نظــره إلى أن أزمــة الهنــد وباكسـتان تختلف عن الصـراع العربـى ـ الإسرائيلى. فما كان بين القوتـين الآسيويتــين لـم يـزد عـن كونـه صـراع حـدود ، لكنه وراء هذه الحـدود بقـى الهنـود فى الهنــد وبقــى الباكسـتانيون فى باكستان . وأما فى أزمـة الشرق الأوسـط فإن المسألـة مختلفـة أشــد الاختــلاف ، لأن شعـب فلسطـين اقتلـع من أرض وطنـه ، كما أن دولـة غــير عربيــة أقيمــت حشــرا وســط العالم العربـى لتقطع اتصاله وامتـداده .

ثم أضاف "جمال عبد الناصـر" فى رسالته أنه سوف يبحـث الأمـر تفصيــلا مـع القيـادة السوفيتية فى زيارة قادمة له إلى موسكو، وسوف يسمع ما لديهــا بقلــب مفتـوح . وبــردت حـرارة "روح طشقنـد" لـدى "كوسيجـن" .

كان الاتحاد السوفيتى قد جـاء متأخرا إلى دور صانـع السـلام فى الشرق الأوسـط ، لكن محاولته كانت فى كل الأحـوال دليـل اهتمـام .

□

ومثلا فإنه فى النصف الحـرج من الستينات بــدت المملكـة العربيـة السـعودية وكأنـه لا شاغـل لها ولا هـمّ غير اليمـن . وفى بعض الأوقات وصلـت حالـة الملك "فيصـل" فيما يتعلـق باليمـن إلى حدود المـرض . ويسجـل السفير الأمريكى فى جـدة "باركر هـارت" فى برقيـة إلى

وزارة الخارجية (وثيقة رقم ٤٣/٣٦٦٥١ بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٦٤) محضر مقابلة جرت بينه وبين الملك "فيصل" :(٦)

"اتصل بى البروتوكول صباح أمس لإبلاغى أننى مطلوب فى الطائف فى الساعة ٤:١٥ ولم يعطنى البروتوكول أى إيضاحات فيما عدا أن هناك طائرة سوف تحملنى إلى الطائف بعد الظهر .

استقبلنى الملك فيصل فى قصر الشبرة (Al-Shubra) فى الساعة التاسعة مساء فى حضور السقاف وفرعون . وقال الملك إن هناك شيئا حدث وهو يريد إخطارى به بنفسه كصديق شخصى لى وكممثل لبلد صديق له ولأسرته . ثم قال الملك إنه خلال يومين سابقين ـ يومى ١٣ و ١٤ ـ قامت ثلاث طائرات مصرية باختراق المجال الجوى السعودى جنوب شرق جيزان فوق مناطق قبائل الحارث وأبو عريش ، وإن هذه الطائرات قامت بعدة دورات على ارتفاعات منخفضة فى محاولة ظاهرة للاستفزاز . كما أن معلومات لديه من داخل اليمن تؤكد أن هناك قوات مصرية تتحرك صوب الحدود السعودية . وقد حاولت أن أسأل الملك بإلحاح عن تفاصيل أكثر بشأن هذه المعلومات ، ولم يكن لديه شىء لا عن حجم هذه القوات ولا عن تسليحها ولا عن مواقعها . وقد قال الملك "إن هذه التطورات تثير فى ذاكرته ما سبق أن سمعه عن مؤامرة بين مصر والعراق والأردن (!) لغزو وتقسيم بلاده على النحو التالى : حسين يأخذ الحجاز باعتبارها مملكة هاشمية فى السابق ، والعراق تأخذ المقاطعة الشرقية ، واليمن تأخذ الجنوب ، وباقى المملكة يدخل تحت سيطرة ناصر .

قال لى الملك أيضا "إن "ناصر" أوحى إلى صديقه هيكل بأن ينشر خطة عن منظمة عربية للبترول"(٧) . ثم أضاف الملك "إن السعودية محاصرة ، وقد لا تكون السعودية دولة كبيرة أو قوية ، ولكنها دولة تريد أن تحتفظ بأرضها وشرفها ، وإذا كان ناصر كما هو واضح يريد أن يضع يده على المملكة متصورا أن "فيصل" سوف يقف ساكتا فى انتظار أن يخنق ، فهو مخطئ فى ذلك" . وأشار الملك إلى أنه سوف يقاوم عسكريا ، وهو قد اتخذ عدة قرارات يريد أن يبلغنى بها الآن :

---

(٦) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من الوثيقة ـ تحت رقم (٧) .

(٧) فى ذلك الوقت كتبت بالفعل مقالا عن ضرورة إنشاء تنظيم يجمع الدول المنتجة للبترول وينسق سياساتها فيما يتعلق بالإنتاج والأسواق والأسعار . ولم يكن المقال إيحاء من الرئيس "جمال عبد الناصر" وإنما كانت الفكرة اقتراحا أوحت به ودعت إليه حقيقة أن البترول العربى أصبح "قوة" تحتاج إلى "نظام" يصونها. وقد حدث فعلا أن هذا الاقتراح لاقى قبولا ، وكان ضمن العوامل التى أدت إلى إنشاء منظمة "الأوابك" التى تحتل فيها المملكة العربية السعودية دور القيادة ـ مما يوحى بأن شكوك الملك "فيصل" كلها فى هذه الفترة لم تكن مبررة .

١ - قرر أن يدخل أسلحة إلى المنطقة المنزوعة السلاح على حدود اليمن . وقد أصدر أمرا بذلك فعلا .

٢ - إنه أعطى أوامر بالفعل إلى قواته أيضا بأن تحتشد على حدود اليمن لتكون فى وضع يسمح لها بأن تدافع عن السعودية .

٣ - وهو الآن لا يعتبر نفسه مرتبطا باتفاق فصل القوات فى اليمن . وسوف يساند الملكيين بأى طريقة يراها مناسبة .

إننى أبديت دهشتى للملك ، كما أبديت له استغرابى لكل ما قاله عن الاتفاق الثلاثى بين مصر والعراق والأردن .

ثم أطلعنى الملك على تقرير مخابرات سعودى يحوى معلومات عن أن ضباطا من الجيش المصرى رتبوا عملية لقتل ناصر يوم ٢٦ يوليو .

وأضاف الملك "إن "ناصر" مريض جدا" . ثم أمر الملك بإخلاء القاعة من كل الحاضرين عداه وعداى ، وانتهزت الفرصة ورجوت الملك ألا يبعث بقوات إلى حدود اليمن ، وأن يحتفظ بما يشاء من قوات فى أوضاع تأهب فى أى مكان يراه بعيدا عن الحدود ، وقلت له إننا لسنا متحمسين لتوسيع نطاق الحرب فى اليمن. وتدخل بحدة قائلا "أخرجوا القوات المصرية من اليمن وسوف ينهار هذا النظام الذى يدعون بمساعدته فى شهر أو اثنين على أكثر تقدير .

ثم استجمع الملك كل حيويته ليقول لى "إنكم يجب أن تبذلوا أقصى جهد للخلاص من هذا الرجل الذى يفتح الطريق للتسلل الشيوعى" ـ وكان يعنى "ناصر" . ثم قال "لماذا تصبرون عليه ؟ ألا ترون أنه لا يكف عن مهاجمتكم يوميا ، مرة بسبب فيتنام ، ومرة بسبب كوبا ، ومرة بسبب الكونجو ؟ ما الذى يخصه فى الكونجو ؟ إن مقترحاته بشأن نزع السلاح فى جنيف جاءته مباشرة فى شكل تعليمات من موسكو ." وأبديت تحفظى . ولكن الملك كان لا يزال يصر على أن "ناصر" يعادينا ويخدعنا ، وإننا ما زلنا نحاول استرضاءه . وذكرته بأننا عطلنا توريد القمح إلى مصر طبقا للقانون ٤٨٠ . وعقب الملك "أوقفوا عنه الطعام تماما وسوف ترون ما يحدث" ."

□

كان ذلك المشهد فى الطائف غريبا ، وأكثر من ذلك لا يحمل الكثير من المصداقية . وأبسط شاهد أن الملك "حسين" لم يكن فى ذلك الوقت يعمل ضد السعوديين ، وإنما كان حليفا لهم وفى اليمن على وجه التحديد .

وكانت الحوادث تجنح إلى اتجاه خطر يتعدى الخلافات العربية ـ العربية ويمد أثره إلى "المقدسات : المحرمات" التى أجمعت عليها الأمة .

وفى هذه الظروف وقع شرخ خطير فى جدار الرفض العربى ، وإن ظلت الألوان والأصباغ تغطيه فترة من الزمن :

كانت الحرب فى اليمن تهدأ فترة وتشتعل أخرى . وفى ذلك الوقت كانت درجة الحرارة فى اليمن مرتفعة ، وقد زادت حدتها بسبب تعاون فرنسى مع النظم التقليدية التى كانت تحارب معركة الملكية فى اليمن . وقد طرأ أن الإدارة الفرنسية فى جيبوتى دخلت مع الإدارة البريطانية فى عدن لتعزيز جهد قوات المرتزقة الأجانب (بتمويل سعودى) والتى انتشرت فى أرجاء مختلفة من اليمن،ودخلت فى معارك استنزاف كبيرة ضد قوات الجمهورية اليمنية وقوات الجمهورية العربية المتحدة التى تساندها فى حماية النظام الجمهورى فى اليمن .

كانت إسرائيل من جانبها مهتمة بالحرب فى اليمن . وكانت راغبة فى إطالتها إلى أقصى حد ممكن ، وهدفها فى ذلك أن يظل جزء كبير من القوة العسكرية المصرية بعيدا عن الجبهة معها ومشغولا بالقتال فى جبال اليمن. وبالإضافة إلى ذلك ، فإن هذا الانشغال بالقتال فى جبال اليمن كان فى رأيها عنصر استنزاف مستمر للطاقة العسكرية المصرية . وحتى هذا الوقت كانت إسرائيل تشجع التحالف المساند للملكيين فى اليمن ، وهو تحالف ضم أنظمة تقليدية عربية مع الإدارة الاستعمارية البريطانية فى عدن ،إلى جانب الإدارة الاستعمارية الفرنسية فى جيبوتى المواجهة لليمن على الناحية الأخرى من مياه باب المندب .

وليس معروفا على وجه التحديد من بين هذه الأطراف من خطر له أن إسرائيل تستطيع أن تقوم بدور مساعد فى المعركة تقدر عليه أكثر مما يقدر عليه غيرها . فقد اشتدت حاجة قوات المرتزقة فى اليمن إلى مؤن وذخائر تلقى على مواقعهم من الطائرات بالباراشوت . ولم يكن هناك طرف عربى من المشاركين فى العملية يملك هذه الإمكانية . وفى نفس الوقت فإن الإدارة الاستعمارية البريطانية فى عدن لم تكن مستعدة للقيام بها ، وكذلك كان الحال فى الإدارة الاستعمارية الفرنسية فى جيبوتى .

□

وعندما طرح موضوع تعاون إسرائيل لأول مرة فى اجتماعات للتنسيق كانت تجرى بين الأطراف ، فإن الطرف السعودى استهول دعوة إسرائيل للقيام بهذا الدور ،

واقترحت المخابرات السعودية بدلا من ذلك محاولة جس نبض شاه إيران "محمد رضا بهلوى" بشأن استعداده لأدائه وعلى أساس أن إيران وقتها تملك قوة جوية لا بأس بها، ثم إن قائد هذه القوة وهو الجنرال "خاتمى" متزوج من الأميرة "فاطمة" شقيقة الشاه . وبذلك فإن الموضوع كله يمكن كتمانه والتستر عليه . وحدثت بالفعل محاولة لمفاتحة الشاه قام بها مسئولون فى المخابرات السعودية والأردنية .

ولم يكن الشاه مستعدا . كان يعطى كل تأييده السياسى والمادى لنصرة أهداف الملكيين فى اليمن ، لكنه رأى أن قيام إيران بدور مباشر فى العمليات العسكرية مع قوات المرتزقة الأجانب فى اليمن قد ينكشف ذات يوم ويؤدى إلى الإضرار بسمعة إيران فى العالم الإسلامى . ومع تردد الشاه فإن المسألة عادت تطرح نفسها من جديد . ولم يكن هناك وقت طويل للتردد أو للتمنع .

وكانت إسرائيل تتابع عن كثب ومن الداخل ، وقد رأت أن تقوم بالخطوة الأولى وتأخذ المبادرة . ولم تشأ أن تتقدم بعرضها للمساعدة مباشرة ، وإنما آثرت أن تجس النبض بواسطة مجموعة من النواب البريطانيين شكلوا بين أنفسهم ما سمى بـ "مجموعة السويس" التى ضمت ما يقرب من عشرين عضوا من أعضاء مجلس العموم يتزعمهم السير "جوليان إيمرى"(٨) الذى كان فى وقت من الأوقات وزيرا للحربية فى بريطانيا .

كان "إيمرى" نفسه يهوديا ،وكان تشيعه للصهيونية معروفا . وكانت معارضته ــ هو ومجموعة أعضاء مجلس العموم العاملين معه ـ شديدة منذ البداية للثورة المصرية . وقد وقفوا جميعا ضد اتفاقية الجلاء ، ثم كانوا أكبر مشجعى "إيدن" على المشاركة فى مؤامرة السويس . ثم قاموا بحملة عنيفة ضد الوحدة بين مصر وسوريا . وحين نشبت الحرب فى اليمن، فإن "مجموعة السويس" برئاسة "جوليان إيمرى" كانت هى الواجهة التى تصدرت عملية تجنيد المرتزقة الأجانب فى لندن وفى باريس للقتال فى صفوف الملكيين فى اليمن . وكانوا هم الذين رتبوا حملة اتهام الجيش المصرى باستخدام الغازات فى معارك اليمن ، وقد ذهبوا بحملتهم إلى الأمم المتحدة ، وهناك أثاروا ضجة كبرى ترددت أصداؤها فى الصحافة العالمية وبالذات فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.

(٨) إن "جوليان إيمرى" نفسه اعترف بهذه اللقاءات أثناء مناقشة بينه وبين "محمد حسنين هيكل" دارت فى منزل الليدى "جيليكو" أرملة القائد البريطانى الشهير للأسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط ــ فى شهر يونيو سنة ١٩٩٤ . وأضاف "إيمرى" إلى تسليمه بالواقعة قوله "إن كل الأطراف كانوا مستعدين للتعاون مع الشيطان ضد ناصر فى ذلك الوقت" . ثم أردف ضاحكا : "وعلى أى حال ، فإن إسرائيل ليست شيطانا مهما كان رأيك فيها" .

وكان أن اتصلت إسرائيل فى هذا الوقت بـ "جوليان إيمرى" فى شأن دور تقوم بـه فـى معركة اليمن . ومـن جانبـه تـولى "جوليـان إيمـرى" مهمـة الاتصـال بـأطراف عربيـة منـاصرة للملكيين فى اليمن ، وعرض عليها استعداد إسرائيل للعمل ، واستعدادها أيضا لتغطية دورهـا بأقصى درجات الكتمان . وهناك أدلة موثوق بها إلى أن عـدة اجتماعـات عقـدت فـى بيـت "جوليان إيمرى" فى "إيتون سكويـر" حيث يسكـن رئيـس "مجموعـة السويـس". وقـد كـان أولها قاصرا على مندوبـين عـرب ، ثم اشـترك مندوبـون إسـرائيليون فـى الاجتمـاع الثـانى منها. وتكررت الاجتماعات . وكان ذلك فى شهـر مـارس سنـة ١٩٦٥ .

□

إن هذه الاجتماعات فى بيـت "جوليان إيمرى" فى "إيتون سكوير" توصلت إلى تخصيص دور فى حـرب اليمـن لإسرائيل . وقد أطلـق على هذا الـدور الاسـم الرمزى "مانجـو" . ومن الغريب أن المخابرات المصريـة التقطـت رسائـل صـادرة عـن قيـادة الملكيـين فـى "الجـوف" يتردد فيها ذكـر كلمـة "مانجو" . ولم يفطن أحد فى ذلك الوقت إلى أن الكلمة إشـارة إلى دور إسرائيلى فى معارك اليمن .

والحاصل أن هذا الـدور الإسرائيلى فـى اليمـن بالتعـاون مـع جبهـة عربيـة محافظـة معادية للنظام الجمهورى فى صنعاء ، لم يكن مجـرد عمـل عسكـرى توافقـت عليه أطـراف تختلـف رؤاها وسياساتها ، وإنما كان ذلك اختراقا إسرائيليا رئيسيا فى قلـب الموقف العربى الموحد وفى صلبه . وفى المحصلة النهائية فإنه كـان ثغـرة كـبرى فـى جـدار "المقدسـات : المحرمات" فى الصراع العربـى الإسرائيلى . ولعل نجـاح إسرائيل فـى هـذا الاخـتراق كـان بـين العوامـل التى شجعتهـا مطمئنـة على عـدوان سنـة ١٩٦٧ ، عارفـة مقدمـا أن العالـم العربـى سوف يواجـه حربهـا المفاجئة ضـد مصـر وهـو منقسـم تمامـا إلى قسمـين !

٤

١٩٦٧

"لا أستطيع أن أبدأ الآن صداقة جديدة مع الولايات المتحدة لأن لدىّ شكوكا مأساوية فيها"

("جمال عبد الناصر" للقائم بالأعمال الأمريكى"دونالد بيرجيس")

كانت لإسرائيل فى معركة يونيو ١٩٦٧ ثلاثة أهداف محددة :

١ ـ كسر الدرع الفولاذى الذى احتمت به "المقدسات : المحرمات" العربية فى موقف الرفض الذى اتخذته إزاء الدولة اليهودية .

٢ ـ الإمساك بأكبر مساحة من الأراضى العربية واستعمالها رهينة لإرغام العرب على التفاوض من أجل صلح معها ، تطبيقا عمليا لنظرية "بن جوريون" فى"فرض السلام" .

٣ ـ احتلال القدس كاملة لتكون عاصمة موحدة لإسرائيل .

وكانت الشروط الإسرائيلية التى قدمها كل من "أبا إيبان" وزير خارجية إسرائيل و"أفرايم إيفرون" مسئول المخابرات فى آخر اجتماع فى البيت الأبيض مع الرئيس الأمريكى"ليندون جونسون" فى مكتب مستشاره للأمن القومى "والت روستو" يوم ٣١ مايو ـ كما يلى :(٩)

---

(٩) لمزيد من التفاصيل عن مواقف ووثائق البيت الأبيض فى معركة سنة ١٩٦٧ ـ يمكن مراجعة كتاب "الانفجار" ، وهو الجزء الثالث ضمن مجموعة "حرب الثلاثين سنة" لـ"محمد حسنين هيكل" والصادرة عن مركز الأهرام للترجمة والنشر .

١ - إن الرئيس "جونسون" الذى يعطى لإسرائيل كل ما طلبته لضمان تحقيق عملية ضرب مصر عسكريا سوف يواصل استعمال نفوذه لتكملة توريد قائمة معدات فى اللحظة الأخيرة . وقد تعهد أيضا بأن يكون مسئولا عن أى رد فعل سوفيتى يظهر. وإن الرئيس سوف يعمل من أجل أن يتوفر لإسرائيل سيل من معلومات المخابرات يجعل ميدان القتال مكشوفا أمامها من بداية العمليات إلى نهايتها . ثم إن الرئيس "جونسون" يتعهد شخصيا بالتغطيتين السياسية والإعلامية للعمل الإسرائيلى الذى يتحمل به الجيش الإسرائيلى منفردا، وهو واثق من قدرته عليه .

٢ - بعد توقف القتال ، ومن المؤكد أنه سيتوقف بقرار من مجلس الأمن يقضى بذلك — فإن الولايات المتحدة لا يجب أن تسمح بتكرار ما حدث سنة ١٩٥٦ من قبل ، مما أدى إلى انسحاب إسرائيل من سيناء دون تحقيق شروطها بإملاء الصلح على مصر. وقد أدى ما حدث سنة ١٩٥٦ إلى تصور فى العالم العربى كله بأن انسحاب إسرائيل راجع إلى إنذار سوفيتى ، أو إلى موقف فى الأمم المتحدة قام بتنسيقه فى ذلك الوقت سكرتيرها العام "داج همرشولد" ، ولا ينبغى "لمثل هذا التصور أن يحصل على فرصة للتنفس مرة أخرى"!

٣ - ترتيبا على ذلك ، فإن الولايات المتحدة عليها أن تعرقل صدور أى قرار من مجلس الأمن - وهو حتما سيجتمع فور نشوب العمليات - يقضى بعودة القوات إلى المواقع التى كانت فيها قبل بدء القتال .

٤ - وكذلك فإن الولايات المتحدة عليها أن تصر على ضرورة إجراء مفاوضات مباشرة بين الأطراف كوسيلة وحيدة أمامهم لاستخلاص أراضيهم الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلى.

٥ - ثم إنه لا ينبغى طوال عملية التفاوض المنتظرة أن يكون هناك دور للأمم المتحدة أو دور للقوى الكبرى بمن فيها بريطانيا وفرنسا . وإنما لا بد من حصر جهود التفاوض مباشرة بين الأطراف المعنية، وبرعاية من بعيد تقوم بها الولايات المتحدة، حتى يتعود العرب والإسرائيليون على التعاون مع بعضهم مباشرة ، وينكسر بذلك جدار الرفض العربى .

□

لم يكن ذلك كله غائبا عن فكر "جمال عبد الناصر" حتى وإن لم تصله تفاصيل الاتفاقات السياسية التى سبقت قيام معارك يونيو ١٩٦٧ والتى لحقت بها . كانت

الخطوط العريضة لهذه الاتفاقات عنده ، لكن التفاصيل الدقيقة أخذت وقتا حتى تتسرب من مخابئها ، ومع ذلك فما لديه كان كافيا ليجرى عليه تقديراته :

● تقديره الأول : "أن الأمة العربية ــ فى معركة يونيو ١٩٦٧ ــ أصيبت بنكسة خطيرة، ولا بد من الاعتراف بذلك وتحمل المسئوليات التى تنجم عنه،ورسم الخطط التى تكفل مواجهته" .

● وتقديره الثانى: "أن المطالب العربية الكبرى عليها أن تنزوى فى الانتظار ، فلم تعد هذه المرحلة مهيأة للكلام عن امتداد الاتصال الجغرافى بين أرض الأمة العربية (النقب)،ولا عن حق الشعب الفلسطينى فى العودة إلى وطن له كيان وله حدود .

* وإنما الموقف الآن يقتضى العمل على مرحلتين :

* مرحلة أولى من أجل إزالة آثار عدوان ٥ يونيو بالنسبة لأراضى مصر وسوريا والأردن.

* وإذا تحقق ذلك فإنه قد يفتح الباب لمرحلة ثانية يصعب التخطيط لها إلا بإتمام مهام المرحلة الأولى ، والمهم ألا يفرط العرب أثناء سعيهم لتحقيق مهام المرحلة الأولى فى أية حقوق تتصل بالمرحلة الثانية ."

● وتقديره الثالث : "أن العمل العربى فى وضع لم يسبق له أن واجهه ، فالحرب صعبة فى ظل هذا الوضع ، والسلم مستحيل . وليس هناك حل من نوع ما حدث سنة ١٩٥٦ تتولى فيه القوى الكبرى والأمم المتحدة وموازين القوى العالمية مهمة إيجاد حل للأزمة ."

● وتقديره الرابع : "أنه لا حل على الإطلاق فى ظل موازين القوة الحالية ، وأنه لا بد من تغييرها بعمل عسكرى يصبح به العمل السياسى ممكنا ."

● وتقديره الخامس : "أنه لكى يصبح العمل العسكرى قادرا على التمهيد للعمل السياسى فإن موقف الاتحاد السوفيتى أساسى لأنه القوة الوحيدة التى تستطيع أن تعطى العرب ما يحتاجونه للحرب ، وذلك يقتضى اشتراكهم أيضا فى العمل السياسى، فليس معقولا أن تقبل قوة عظمى أن يقتصر دورها على الحرب ،فإذا جاء الدور على عمل سياسى قيل لها إنه لم يعد لها فيه دور."

● وتقديره السادس : "أن الولايات المتحدة الأمريكية ، ومهما بلغ ضيقه بتصرفاتها المعادية مما أدى إلى معركة ١٩٦٧ ومهد لها ــ عنصر رئيسى فى احتمالات العمل العسكرى والعمل السياسى على حد سواء ."

ومن مجمل هذه التقديرات تفرعت السياسات :

١ - قبول قرار مجلس الأمن ٢٤٢ - مع التسليم بأن هذا القرار لا يعنى أكثر من إظهار الاستعداد لتسوية تسوء أو تتحسن شروطها بمقدار ما يتحقق فى مجال العمل العسكرى . وقد تأكد ذلك بصورة جلية بعد أن قام السفير "جونار يارنج" المبعوث الدولى للأمم المتحدة بزيارة المنطقة عدة مرات ليسمع وجهات نظر أطراف الصراع فى إمكانيات حله على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذى كلف بمتابعة تنفيذه .

٢ - إعادة ترتيب العلاقات مع الاتحاد السوفيتى والتغلب على مخاوفه فى مجال إمداد العرب بالسلاح - تحسبا من مواجهة مع الولايات المتحدة - وذلك بإعطائه فرصة تجربة مباشرة فى الاتصال بالولايات المتحدة ، وبإسرائيل إذا أراد ،وحتى يتأكد من أن ما يفكرون فيه ويخططون له لا يصلح أن يكون أساسا للسلام ، وبالتالى فإنه لا يعود أمام مصر وبقية العرب الا العمل العسكرى لتحرير أراضيهم ، وهو هدف مشروع تختبر فيه المبادئ والصداقات .

وبالتالى فإن الاتحاد السوفيتى مخوّل بأن يتصل ببقية القوى الدولية المؤثرة على مستوى الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن - وحتى بإسرائيل - على أساس أن مصر على استعداد لقبول ما يتوصل اليه بشرطين اثنين لا ثالث لهما :

أولهما : ألا يطلب منها فى أى مشروع حل أن تتنازل عن أراض عربية تحت ضغط الاحتلال .

وثانيهما : ألا يطلب منها التفاوض مع إسرائيل مباشرة طالما هى تحتل أرضا عربية مما دخلته بالقوة سنة ١٩٦٧ .

وهكذا شارك الاتحاد السوفيتى فى محادثات رباعية فى نيويورك ، ثم فى محادثات ثنائية بين واشنطن وموسكو .

٣ - فتح قنوات محدودة للاتصال مع الولايات المتحدة الأمريكية بقصد الاستكشاف المباشر، ثم لعل وعسى !

□

وكانت المهمة الأصعب هى فتح قنوات اتصال مع الولايات المتحدة .

إن الاتصالات لم تنقطع بين مسئولين مصريين ومسئولين أمريكيين طوال الفترة التى سبقت قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ - ففى إطار الأمم المتحدة اجتمع وزير خارجية مصر "محمود رياض" أكثر من مرة مع وزير الخارجية الأمريكى "دين راسك".

كما أن أعضاء الوفدين المصرى والأمريكى لدى الأمم المتحدة تكررت لقاءاتهم أثناء إعداد مشروعات القرارات المعروضة على الجمعية العامة وعلى مجلس الأمن .

لكن الاتصالات الرسمية لها حدودها باستمرار ، وتظل الحاجة قائمة إلى قناة سرية تتحسس وتجرب . وفى تلك الفترة تطوع كثيرون لنقل رسائل من القاهرة إلى واشنطن وبالعكس، لكن جهود هؤلاء المتطوعين أثارت من السحب أكثر مما بددت. ومن ذلك فإن أحد هؤلاء المتطوعين بالوساطة ـ كان وزيرا باكستانيا بارزا ـ نقل عن صديق له فى القاهرة أن "جمال عبد الناصر" مستعد للذهاب إلى واشنطن والالتقاء بالرئيس "جونسون" بنفسه .

وتصادف فى ذلك الوقت أن جاء إلى مصر "ويليام آتوود" رئيس تحرير مجلة "لوك" ـ وهى وقتها من أكبر المجلات الأمريكية وأوسعها نفوذا ـ وطلب موعدا مع "جمال عبد الناصر"(١٠) وأثناء المقابلة قال "آتوود" : "إنه يحمل إلى الرئيس ناصر تحيات الرئيس جونسون الذى قابله قبل سفره إلى مصر ، وطلب إليه بعد نقل التحية أن ينقل عتابه لأن "الرئيس ناصر" اتهم الإدارة الأمريكية علنا بأنها ساعدت فى التخطيط والترتيب للعدوان يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ."

ورد "جمال عبد الناصر" بأنه يقبل التحية شاكرا ،ولا يقبل العتاب،وهو على أى حال يعتبر الحديث عن التواطؤ الأمريكى مع إسرائيل مسألة فات وقتها، وهى متروكة للتاريخ يحكم فيها على ضوء ماسوف يظهر من الوقائع، لكنه يتبقى على الجميع الآن أن يواجهوا ما هو قائم بدون التوقف طويلا عند الملابسات التى أحاطت به فى وقت من الأوقات "

ورد " آتوود" : إننى فهمت من الرئيس جونسون أنكم أبديتم رغبة فى زيارة الولايات المتحدة ولقائه هناك،وربما أن تلك الزيارة إذا أمكن ترتيبها أن تعطى لكليكما فرصة تنقية الأجواء بشأن ما حدث،والنظر بعده إلى المستقبل .

وقاطعه "جمال عبدالناصر " قائلا :" إننى كنت مستعدا فى وقت مضى ـ قبل الحرب ـ لزيارة واشنطن ، ولكنى لا أعتقد أن الوقت مناسب " .

وتدخل "آتوود" مقاطعا : "إن الرئيس لديه معلومات بأنكم تطلبون زيارة واشنطن" .

ورد "جمال عبد الناصر" بأنه "لم يطلب ذلك،ولا يتصور كيف يطلبه والعلاقات مقطوعة منذ ٧ يونيو ١٩٦٧" .

---

(١٠) كان "ويليام آتوود" صديقا قديما لـ "محمد حسنين هيكل" ، وقد تعرف الاثنان إلى بعضهما وكلاهما مراسل فى حرب كوريا سنة ١٩٥١ .

وكان "آتـوود" يظهـر دهشتـه مما وجـده التباسـا ظاهرا فى قنوات الاتصال . وقد عـرض "آتـوود" أنه سوف يقابل الرئيس "جونسـون" فـور عودته إلى واشنطـن ، وسـوف يرجـوه فـى استجلاء الأمـور بحيث يكون كل طرف على شىء من الإحاطة، وحتـى ينتفـى أى سـبب للالتبـاس لا تحتملـه الظـروف ."

□

وعـاد "ويليام آتـوود" إلى واشنطن والتقـى بـالرئيس "جونسـون" وحدثـه عـن لقائـه بـ "جمال عبد الناصـر" . وعلى هذا الأسـاس رأى "جونسـون" ومستشـاروه أن الفرصـة ملائمـة لفتـح قناة اتصال مع "جمال عبد النـاصـر" تستغـنى عن المتطوعين بالوساطة والناقلين لرسائل ملتبسـة . وهكـذا تلقـى القائـم بالإشـراف علـى المصـالح الأمريكيـة والملحـق بالسـفارة الأسبانيـة، وهو وقتها الدبلوماسـى الأمريكـى "دونـالد بيرجـس"، تعليمـات مـن واشنطـن بطلـب موعـد لمقابلة الرئيـس "جمال عبد النـاصـر" لينقـل اليه رسالة هامـة من واشنطـن .

وكتـب "دونالد بيرجس" بتـاريخ ٦ ينايـر ١٩٦٨ برقيـة (برقـم ٦٠٠١٠١٣١/٥١٤) ـ قال فيهـا:

"استقبلنى ناصر فى مقـر إقامتـه الساعة الثانية عشرة والنصف ظهـر اليـوم ٦ يناير . دام لقائى معه أربعين دقيقة . بـدا لى ناصـر فى صحـة ممتـازة وفـى روح معنوية عالية . وكان يرتدى بنطلونا وفوقه بلوفـر من الصوف. ولم تكـن هنـاك أيـة أعـراض لعصبيـة لوحظـت فيـه أحيـانا عندمـا يجلس ليتحـدث مـع زواره ويهـز ركبتيه . وكان طوال المقابلة مجاملا ووديا . وقد سـألنى عـن أسرتـى وعـن أحـوال عملنـا فى الظـروف الجديـدة .

١ ـ بدأت فأشرت إلى زيارة قام بها إلى القاهرة المستر "بيردسويل" ومعه الوزيـر الباكستانى السابق صدّيقى . ثم أشرت إلى أن بيردسويل بعد عودته من القاهرة طلـب مقابلة الرئيس جونسـون وهـو علـى معرفـة سـابقة بـه . وحدثـه عـن مقابلاتـه فى القاهـرة ، ونقل إليه رسـالة منسوبة إلى الرئيـس ناصـر أبـدى خلالهـا رغبتـه فى ترتيـب لقـاء لـه مـع الرئيـس جونسـون فـى واشنطن . وأضفـت أن أحـد الأسـباب التىدعتنـى إلى طلـب مـقابلته هـوأن أسـأله عمـا إذا كـانت المعلومـات التـى حملهـا بيردسويل تـمثل وجهـة نظره . وقلت له "إننى أحمل نسخـة من تقرير عمـا نقلـه

بيردسويل إلى الرئيس جونسون" . وأخرجت من مظروف معى ورقة تحمل ما نقله بيردسويل . وأمسك ناصر بالورقة وراح يقرؤها ، وكانت عيناه تزدادان اتساعا كلما مضى فى قراءة الورقة . وعندما انتهى منها أعادها إلى وهو يضحك .

٢ - إن "ناصر" قال لى: "إننى لا أعرف حتى من هو "بيردسويل" ولا من هو "صدّيقى"، وإن كنت قد سمعت عن وجودهما فى القاهرة ، وقد جاءا عن طريق أحد الضباط الأحرار وقابلا بعض المسئولين ،ولكنى لم أعلق على ذلك أهمية لأن هناك كثيرين يجيئون ويروحون ولدى كل منهم دافع مختلف" . وأعطيته ما لدىّ من معلومات عن الاثنين .

وقد سألته عن مقابلته لبيل آتوود ، وقال إنه فعلا قابله مع هيكل .

٣ - قلت للرئيس "ناصر" إن هناك اقتراحا بتحديد دائرة الوسطاء بين إدارة جونسون وبينه ، ونفضل أن تكون الاتصالات باسم الرئيسين فى البلدين ،حتى نقلل من إمكانية الالتباس ونعطى أنفسنا فرصة للتشاور فى مواقف معقدة يواجهها كلانا . وأبدى ناصر أنه يرحب بقيام اتصالات بينه وبين الرئيس جونسون ،لكنه لا يعتقد أن الوقت مناسب للقاء بينهما . وهو يريد أن يكون واضحا فى أنه لم يطلب ذلك اللقاء لا مباشرة ولا بالوساطة . وهو يعتقد أن العلاقات بين البلدين مليئة برواسب كثيرة لا بد من تصفيتها قبل أن تجدّ ظروف تسمح بإجراء لقاء .

٤ - وقلت لناصر "إن الرئيس جونسون يريد أن يبدأ مرحلة جديدة تدخل فيها العلاقات بين البلدين إلى طور بناء يقوم على الثقة . وقال "ناصر" إنه يريد أن يتحدث معى بوضوح ، فهو يرى أن بين البلدين شكوكا مأساوية (tragic suspicions) . ثم قال "ناصر" : "إذا قلت لك إننى أستطيع الآن أن أنتقل إلى مرحلة جديدة من الصداقة فلن أكون نفسى (I will not be myself) . من الصعب علىّ جدا أن أقول ذلك . من الصعب علىّ أن أثق بحكومة الولايات المتحدة ، فهذا أمر يحتاج إلى وقت ."

٥ - ألمحت بطريقة غير مباشرة إلى مسألة العلاقات بين البلدين ، وأشرت إلى أن ذلك ورد فيما نقله بيردسويل . ورد ناصر بأنه إذا كان أحد يقصد استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، فالوقت مبكر بالنسبة لذلك . لكن إذا كان المقصود هو العمل على تحسين العلاقات بين البلدين ، فهذا أمر واجب وضرورى، وعن طريقه نستطيع استعادة بعض الثقة الضرورية .

٦ - ثم تطرق ناصر إلى ما يعتبره حملة عداء موجهة ضده فى الولايات المتحدة، وقال إنه تعوّد على الحملات فى الصحف الأمريكية ، وهو يعرف أن هناك مؤثرات تصنع كل هذه الضوضاء التى نراها ونسمعها . كذلك أيضا أستطيع أن

أتفهم تصريحات تصدر عن شيوخ ونواب فى الكونجرس ، وهذه عملية حدودها معروفة . ولكن الذى لا يستطيع أن يفهمه ـ طبقا لما قاله ـ هو التصريحات الرسمية من نوع ما صدر أخيرا عن ماكنمارا وقال فيه إن مصر هى التى بدأت بالعدوان فى يونيو ١٩٦٧ . وماكنمارا كوزير للدفاع فى الولايات المتحدة يعرف من الحقيقة ما يخالف أقواله .

٧ ـ وحين انتقلت بالحديث إلى إمكانيات التسوية على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢، قال إنه يرحب بأى جهد نقوم به ، لكنه يرى أن ذلك سيأخذ وقتا طويلا لأنه من الواضح له أن إسرائيل لا ترغب فى سلام حقيقى ، ومن سوء الحظ أن الولايات المتحدة سوف تتقبل فى النهاية وجهة النظر الإسرائيلية . وهنا قال ناصر إنه يعرف أن أمامه سنوات صعبة ، وبالغة الصعوبة . وكان أصعب شىء بالنسبة له بعد الحرب واجبين عليه أن يقوم بهما :

الأول : أن يصارح شعبه بأن الهزيمة حلت "بنا" .

والثانى : أن يصارحه أيضا بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

وهو قد أدى هذين الواجبين ، ولهذا فهو مرتاح نفسيا برغم ما يراه أمامه من صعوبات . فهو الآن يقدر أن شعبه مستعد لأن يتحمل الثمن المطلوب للسلام الذى يقبله . وقد أضاف أن السلام هو هدفه ، وإنه عندما قام بثورته كان يريد بناء سلام عن طريق التنمية . وعندما واجه الحرب مضطرا فقد كان يعرف أن الدافع إليها بالضبط هو اعتراضه فى عملية التنمية التى عبأ من أجلها إمكانيات بلاده."

وفى ختام تقريره قال "بيرجس" إنه شعر خلال المقابلة أن "جمال عبد الناصر واع تماما بصعوبات الظروف التى تنتظره ، وإنه يريد بالفعل علاقات طيبة مع الولايات المتحدة ، لكن الشكوك المترسبة فى نفسه عميقة . وقد أحس أيضا "أن "ناصر" لا يثق كثيرا فى السوفيت وإنه يمد يده إليهم مرتديا قفازا" .

وعلى أثر تقرير "بيرجس" تقدم وزير الخارجية "دين راسك" بمذكرة إلى الرئيس "جونسون" (تحمل رقم ١٤٦٩ فى مجموعة أوراقه) جاء فيها :

" السيد الرئيس

إن قلقى يتزايد بشأن إمكانيات حل أزمة الشرق الأوسط . ويبدو أن يارنج لا يستطيع التقدم كما كان يتصور لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . فإسرائيل من

ناحية تقول إنها لن تناقش صميم المشاكل مع يارنج ، وإنما هى مستعدة لمناقشتها وجها لوجه مع جيرانها العرب . وفى نفس الوقت فإن جيرانها العرب ليسوا مستعدين لأى مناقشة إذا هى لم تنسحب من أراضيهم . وخشيتى أن النفوذ السوفيتى قد يتزايد مع حاجة العرب إلى أسلحة .

إننى حاولت أن أفكر فى بديل يخرج بنا من هذا الطريق المحفوف بالخطر والمؤدى إلى سد مغلق ، واقتراحى الذى أزكيه ـ ويبدو لى قابلا للتحقيق ـ أن ننشط نحن إلى حوار مع العرب ومع إسرائيل . وأن نقوم بذلك مباشرة مع العرب بدون الاتحاد السوفيتى ، وهذا يعنى أن عليك أن تعيّن مندوبا مفوضا يمثلك مع كل طرف من الطرفين ، بحيث يستطيع هذا المندوب أن يتحدث باسمك وبسلطة رئاسة الولايات المتحدة . واعتقادى أن آرثر جولدبيرج (المندوب الأمريكى الدائم وقتها لدى الأمم المتحدة) يمكن أن يكون مندوبك لدى إسرائيل ، وهو يستطيع أن يترك منصبه الحالى فى الإدارة ويتفرغ لهذه المهمة ، وأعتقد أنه أفضل شخص يمكن أن يجرى محادثات جادة مع الإسرائيليين ، فهو صاحب عقلية ممتازة ، كما أنه مفاوض بارع، إلى جانب أن الإسرائيليين يثقون فيه . وفيما يتعلق بمن يكون مندوبك لدى العرب ، فقد فكرت فى عدة أسماء أعرضها عليك بترتيب تزكيتى لكل منهم : دافيد روكفللر ـ يوجين بلاك ـ جون ماكلوى ـ روبرت أندرسون .

وأنا أضع هذا الاقتراح أمامك ، وفى انتظار أن تعطيه عنايتك فقد كلفت السفير لوشيوس باتل بإعداد مقترحات لكل من العرب والإسرائيليين يمكن أن نتقدم بها .

إمضاء

دين راسك "

ويبدو أن أحاديث الحل كانت تدور كثيرا فى البيت الأبيض وحوله . وتحوى مجموعة أوراق "ليندون جونسون" وثيقة برقم ٣٥٣١ - جاء فيها :

" إلى الرئيس

من والت روستو (مستشار الأمن القومى)

تلقيت من الجنرال جودباستر اليوم اقتراحا من الجنرال أيزنهاور بما يعتبره أنسب وسيلة لحل أزمة الشرق الأوسط . وهو يرى أن الحل عن طريق مفاوضات

لا تقدم أى إغراء للأطراف لن يصل إلى شىء . والطريق كما يرى أيزنهاور هو أن تطرح الولايات المتحدة مشروعا ضخما لزيادة موارد المياه فى الشرق الأوسط ، فالمياه أكثر "السلع" اللازمة للمنطقة فى المستقبل . وإذا قامت الولايات المتحدة بإنشاء هيئة consortium تشرف على تنفيذ ثلاثة مفاعلات نووية ضخمة لتحلية مياه البحر ، وتوفير مياه الرى والكهرباء للأردن وسوريا وإسرائيل ومصر ، فإن هذا يمكن أن يكون "جزرة" نافعة يذوق فيها الأطراف طعم السلام . إن حجم هذا المشروع كما هو فى ذهنى يتراوح ما بين ٢ إلى ٣ بلايين دولار ، وإذا بدأ العمل فى مثل هذا المشروع فسيجد العرب والإسرائيليون معا حافزا يجمعهم سويا لتحقيق مشروع عملى تعم فوائده على شعوبهم بدلا من تضييع الوقت فى الخلاف على مواقع تائهة وسط الصحراء .

٥

نيكسون

" مصير الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى
مرهون هنا على جبهة السويس "

("جمال عبد الناصر" فى تقدير موقف
سنة ١٩٦٩)

برغم كل الاتصالات والمذكرات والرسائل والرسل ، فلم يكن هناك حل أو أمل فى حل طالما كان "ليندون جونسون" رئيسا فى البيت الأبيض . وبصرف النظر عما يمكن أن تقوله وزارة الخارجية أو تقوله أوراق صادرة عن البيت الأبيض نفسه ، فإن العلاقات المباشرة بين إسرائيل وأصدقائها من ناحية ، والرئيس الأمريكى "ليندون جونسون" من ناحية أخرى ، ظلت هى العنصر المسيطر على القرار الأمريكى . واشتد سباق السلاح بصفقات أمريكية لإسرائيل ، وصفقات سوفيتية لمصر وسوريا والعراق . واحتدمت حرب استنزاف اعتبرها كل المراقبين والمحللين الدوليين جولة مستقلة من جولات الحرب العربية - الإسرائيلية .

كانت إسرائيل - و"جونسون" وراءها - مصممة على حل يبدأ من الأمر الواقع المفروض باحتلال أراض لثلاث دول عربية . وكانت مصر مصممة من ناحية أخرى على ضرورة تغيير هذا الأمر الواقع ، وكان إعلانها عن نياتها هو إبقاء المواجهة حية باستمرار على خط قناة السويس .

وفى الشهور الأخيرة من رئاسته حاول "ليندون جونسون" محاولة أخيرة فى أزمة الشرق الأوسط ، ولم تسفر محاولته عن نتيجة لأن مسار الحوادث خصوصا بحرب الاستنزاف تخطى وتعدى أى محاولة من نوع ما كان يمكن أن يقوم به رئيس أمريكى تقترب رئاسته من نهايتها دون أن يكون واحدا من المرشحين المتنافسين على مدة رئاسة ثانية .

ودخـل "ريتشارد نيكسـون" إلى البيت الأبيض تراوده هـو الآخر مثـل آخريـن سبقـوه حلـم محاولـة جديـدة لصنـع السـلام فى الأرض المقدسـة . وكان اشتداد حـرب الاستـنزاف هو الداعـى الرئيســى لجعــل محاولتـه للوصول إلى حــل لأزمــة الشـرق الأوســط هـى أكـبر المحاولات وأقربها إلى إمكانية تحقيـق شـىء .

وعندما جلـس "نيكسـون" علـى مقعــده فـى المكتب البيضـاوى وجــد أمامـه أزمتـين : فيتنـام والشـرق الأوسـط . وفى مجـال السياسـة الخارجيـة فقـد وجــد بجانبـه رجلــين : "هـنرى كيسنجـر" مستشاره للأمن القومــى ، و"ويليـام روجــرز" وزيــر خارجيتـه . وكـان قراره أن يفـوض كل واحد منهما فى عـلاج أزمـة ، يعهـد إلى "كيسـنجر" بأزمــة فيتنــام ، ويعهـد إلى "روجـرز" بأزمـة الشرق الأوسـط .

وكانت صـورة ما يجرى فى واشنطن مرئيـة فى القاهـرة . ورأى "جمــال عبـد الناصــر" أن مرحلة من العمل انقضت، وثبت فيها لكل الأطراف أن الشعـب المصرى تقبّــل حقيقــة الهزيمة ولم يعتبرها نهاية التاريخ . كما أنه فى نفس الوقت تقبّـل منطق أن ما أخـذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، ورضى بتحمل التكاليف . وبالتالى فإن الموقـف المصــرى لم يتسـاقط كمـا كانت تتوقع إسرائيل و"جونسون" ، ولم تقبـل سلامـا بأى ثمـن كما انتظـر كلاهما . وإنمـا على العكس من ذلك تصاعدت مصـر بحـرب الاستـنزاف وأعـدت نفسها للعمـل السياسـى .

وكان السوفيـت بعد طـول اتصالات مــن خــلال اجتماعـات الـدول الأربــع الكـبرى فـى نيويورك (طوال النصف الثانى من سنة ١٩٦٧ وكل سنة ١٩٦٨) قد توصلوا إلى نتيجة مؤداها أن إسرائيل ليست مستعدة لحـل عادل ، وإن العـرب ـ وفى مقدمتهم مصـر ـ ليس أمـامهم إلا أن يخوضوا بشـكل ما معركـة للضغـط بالسـلاح .

□

بعد شهور من توليـه منصب وزيـر الخارجية وتكليفـه بمهمــة أزمـة الشرق الأوســط ، كان "ويليام روجرز" يعـد مشروعه الذى اشتهـر باسمه وهو "مشروع روجرز" . وكان "مشـروع روجرز" على حـد ما كتـب "ويليام كوانت" ، وهـو أحـد مستشـارى وزيـر الخارجيـة الذيـن شاركوا فى وضـع المشروع ، يحتوى على مقدمـة عامــة قصـيرة تشـرح أن الهــدف منـه هـو تحقيق اتفاق تعاقدى بين مصـر وإسرائيل ، يجرى التوصل إليه تحت إشراف المبعوث الـدولى السفير "جونار يارنج" ، وتوضع تفاصيله بين الأطراف بالطريقة التى اتبعـت فــى مفاوضـات

"رودس" سنة ١٩٤٩ (لا يلتقى الأطراف وجها لوجه ، وإنما يتحرك الوسيط الدولى بينهم لتقريب وجهات النظر وتحديد نقاط الاتفاق) .

ثم كانت النقاط التى يشملها المشروع بعد ذلك كما يلى :

١ - إن الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل سوف تتفقان على جدول توقيتات لإتمام انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضى الجمهورية العربية المتحدة التى احتلت بالحرب .

٢ - إن حالة الحرب بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل تنتهى رسميا ، ويتعهد الطرفان بالامتناع عن أى نشاطات لا تتفق مع حالة السلم بينهما ، وهذا يتضمن الامتناع عن أعمال العدوان ، ويلتزمان بميثاق الأمم المتحدة .

٣ - يتفق الطرفان على إنشاء مناطق آمنة وحدود معترف بها على خرائط ملزمة ، مع ضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران .

٤ - إن الطرفين خلال محادثات غير مباشرة على أساس نموذج "رودس" سوف يتوصلان إلى اتفاق على المناطق المنزوعة السلاح ، وعلى إجراءات حرية الملاحة فى مضيق تيران ،وعلى مصير قطاع غزة .

٥ - وسوف يتفق الطرفان على الطريقة التى تحقق حرية الملاحة فى مضايق "تيران" أمام كل الدول بما فيها إسرائيل .

٦ - وفى ممارستها لحق السيادة على قناة السويس فإن الجمهورية العربية المتحدة تعترف بحرية الملاحة لكل الدول ، وبدون تدخل فى حرية المرور للجميع بما فيهم إسرائيل .

٧ - يتفق الطرفان على حل عادل لمشكلة اللاجئين مربوطا بحل نهائى بين الأردن وإسرائيل .

٨ - تعترف الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل بحق كل منهما فى السيادة والاستقلال السياسى والعيش فى سلام .

٩ - إن الاتفاق النهائى سوف يجرى توقيعه على وثيقة يوقعها كل من الطرفين وتودع فى الأمم المتحدة، ويسرى مفعولها منذ ساعة تسليمها للسكرتير العام للأمم المتحدة.

١٠ - إن الطرفين سوف يضعان اتفاقهما النهائى أمام مجلس الأمن للتصديق . وتتعهد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى وفرنسا بإعطاء تأييدها لهذا الاتفاق .

ولم تقبل إسرائيل بالمشروع ، بل وأعلنت رفضها له . ولم تقبل مصر بالمشروع أيضا ، وانتظرت أن يجىء الرفض ابتداء من إسرائيل . لكن الموقف فى المنطقة راح ينتقل من حالة الجمود إلى حالة سيولة دقيقة وخطرة .

□

ولم يقبل "جمال عبد الناصر" "مشروع روجرز" لعدة أسباب ، فى مقدمتها أن المبادرة كانت قاصرة على حل مصرى بحت ، وهذا شرط أساسى يلغى كل تفصيل بعده . كان القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن يضع إطارا عاما لمبادئ للتسوية فى الشرق الأوسط تنطبق على كل الجبهات . وأما مبادرة "روجرز" فقد كانت موجهة إلى الجبهة المصرية وحدها . وفضلا عن ذلك المنظور العام ، فقد كانت فى "مبادرة روجرز" نقاط لم يكن "جمال عبد الناصر" مستعدا لقبولها مثل قضية الملاحة فى الممرات المائية المصرية . ومن الواضح أنه كان قد نزل عند حكم الضرورات ، واتجه إلى أنه — فى مواجهة إجماع دولى عام - لا يستطيع أن يمنع الملاحة الإسرائيلية من خليج العقبة . وأما قناة السويس فقد كان رأيه أنها ليست لهذه المرحلة ، وإنما يجىء دورها عند الكلام على التسوية الشاملة بما فيها تسوية مشكلة الأراضى ومشكلة اللاجئين . وكانت حجته الظاهرة أن استخدام إسرائيل لقناة السويس سوف يعرض القناة لخطر الاحتكاك مع مدن مصرية حاشدة بالسكان ، متصلة مباشرة بضفتيها مثل السويس والإسماعيلية وبور سعيد ، وذلك سوف يؤدى إلى مشاكل سوف تؤثر على الملاحة وحتى على سلامة القناة .

ومن ناحية ثانية فإن "جمال عبد الناصر" لم يشأ إعلان رفضه للمشروع ، وآثر أن يترك إعلان الرفض لإسرائيل لأسباب كثيرة :

١ - إن الموقف العربى بصفة عامة كان يتحسن ، فقد جرت محاولة لبناء جبهة شرقية شارك فى قيادتها كل من سوريا والعراق ، وهو يريد أن يعطى لهذه القيادة فرصة لتعزيز دورها دون أن يستدعى هجمة سياسية ودعائية على هذه الجبهة تثير القلق فى أطرافها قبل أن تتوثق صلات هذه الجبهة الشرقية بالجبهة الجنوبية التى تقف عليها مصر . وإضافة إلى ذلك ، فإن الموقف العربى العام تحسن بقيام ثورة السودان فى مايو ١٩٦٩ وقيام ثورة

ليبيا فى سبتمبر ١٩٦٩ . وكان يريد أن يعطى لهذين النظامين أيضا فرصة تثبيت سلطتيهما قبل أن تتعرض الخرطوم وطرابلس لضغوط أمريكية ، خصوصا وأن ليبيا كانت فيها قواعد عسكرية أمريكية تخشى الولايات المتحدة على ضياعها .

٢ - إن "مبادرة روجرز" ، رغم كل ما يعترض عليه فى بنودها ، تحوى مجموعة مبادىء يمكن اتخاذها أساسا لجهد يقوم بتحسينها . فقد كانت بنود المبادرة تعترف بمبدأ الانسحاب إلى الحدود الدولية - على عكس مطلب إسرائيل - كذلك كانت هذه البنود تتحدث عن صيغة مفاوضات غير مباشرة متخذة "نموذج رودس" ، فى حين أن إسرائيل كانت تصر على مفاوضات مباشرة وجها لوجه . ثم إن بنود المبادرة كانت تتحدث عن اتفاقية لتسوية سلمية ، فى حين أن إسرائيل كانت تطالب بمعاهدة سلام كاملة . ولم يكن هناك مبرر لاستفزاز "نيكسون" بالتسرع فى رفض مبادرة وزير خارجيته "روجرز".

٣ - وقد رأى "جمال عبد الناصر" أن الموقف الداخلى فى إسرائيل يواجه عددا من المشاكل بعد وفاة "ليفى أشكول" وخلافة "جولدا مائير" له فى رئاسة الوزارة . ومن شأن ذلك بطبيعة السياسة الإسرائيلية ، أن يحدث نوعا من الارتباك فى تماسك السلطة . وإذا سارعت مصر برفض "مبادرة روجرز" ، فإنها بذلك تعطى إسرائيل فرصة لتدعيم سلطة القرار السياسى ، بينما الأفضل ترك رئيسة الوزراء الجديدة تواجه انقسامات حزبها وضغوط المعارضة وتثور بينهم الخلافات فى أمر المبادرة دون أن تعفيهم مصر من ذلك مقدما بإعلان رفضها .

٤ - وقد راوده إحساس بأن تغييرات أساسية يمكن أن تطرأ على مسرح الشرق الأوسط. فمن ناحية أعلنت الحكومة البريطانية سياسة جديدة للانسحاب من شرق السويس . ومعنى ذلك أن بريطانيا سوف تصفى قواعدها العسكرية على طول المسافة من قبرص إلى الخليج العربى وحتى هونج كونج . وفى الوقت نفسه فإن الرئيس الأمريكى "ريتشارد نيكسون" أعلن أنه لا يريد للولايات المتحدة أن تلعب دور رجل البوليس فى نزاعات العالم، وقد يكون من الأنسب ترك هذه التطورات تأخذ مداها .

٥ - ومع احتدام حرب الاستنزاف فإن التوتر فى المنطقة أبقى أزمة الشرق الأوسط حية ، وساعد على تنشيط العمل العسكرى على الجبهة الشرقية . وقد وقعت فى تلك الفترة "معركة الكرامة" وشاركت فيها قوات المقاومة الفلسطينية ، ولعبت فيها وحدات من الجيش الأردنى دورا حاسما . وهذا معناه أن الجبهات العربية كلها يجرى تطعيمها بالنار فى عمليات اشتباك مع الجيش الإسرائيلى .

□

من هذه العوامل كلها تصور "جمال عبد الناصر" أن هناك فرصة لنقلة مختلفة فى موقفه التفاوضى . وساعدته على ذلك عملية قامت بها إسرائيل فى ذلك الوقت لسرقة رادار من موقع مصرى على خليج السويس . وهكذا قام بزيارته السرية الشهيرة إلى موسكو فى يناير ١٩٧٠ ، وكان يحمل معه تصورا متكاملا لمرحلة جديدة فى العمل . وكانت الخطوط الرئيسية فى تصوره الجديد كما يلى :

١ - إن أزمة الشرق الأوسط يمكن أن تكون بقرب منعطف هام يجعل الاقتراب منها بتسوية معقولة أمرا ممكنا .

٢ - إن موازين القوى العسكرية على الأرض لا تزال لصالح إسرائيل باعتبار أن الامدادات العسكرية الأمريكية لا تزال تتدفق عليها خصوصا بصفقات "الفانتوم"، كما أن الدعم الأمريكى الشامل يمكن أن يقف وراءها فى أى لحظة ويساعد بالتالى على زيادة قوتها.

٣ - وإذا كان الأمر كذلك ، فإنه قد يكون من الأفضل نقل مستوى المواجهة من الإقليمى إلى الدولى . بمعنى أن الفرصة الآن متاحة لدور أكثر صلابة يقوم به الاتحاد السوفيتى فى مواجهة الولايات المتحدة ، مما يترك للقوى المحلية دورا أكبر فى تحريك الموقفالعسكرى على نحو يجعل تهدئته مطلبا ضروريا للحيلولة دون احتمال صدام بين القوتين العظميين .

وفى زيارته لموسكو طرح "جمال عبد الناصر" فكرة وجود عسكرى سوفيتى أكثر فى مصر يردع أى دور يقوم به الأسطول الأمريكى السادس ، كما يردع فى نفس الوقت سياسة إسرائيل الجديدة فى غارات العمق على مصر ، وبالتالى يعطى للقوات المصرية ـ سواء فى ذلك قوات الدفاع الجوى أو قوات المدفعية والطيران ـ يدا طليقة لتركز جهدها على الجبهة .

كانت الجبهة المصرية على شاطئ قناة السويس هى الموقع الذى سوف يتقرر عنده مستقبل الشرق الأوسط كله . فإذا نجحت القوات المصرية فى القيام بعملية كبيرة ، وإن كانت محدودة ، لعبور قناة السويس طبقا للخطة "جرانيت ١" ، مطمئنة إلى الأمان العسكرى لمواطنيها المدنيين ، ومطمئنة إلى أن الأسطول الأمريكى السادس لن يقوم بدوره التقليدى كاحتياطى استراتيجى لإسرائيل .. إذن ، فإن معادلة قوة جديدة سوف تبرز فى المنطقة.

وكان هذا بالضبط ما عرضه "جمال عبد الناصر" فى موسكو ، وقد واجه به القيادة السوفيتية مجتمعة محذرا بأن مستقبل الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى مرهون هناك على جبهة السويس ، سواء اعترف السوفيت بذلك رضا أو كرها .

ووافقت القيادة السوفيتية بعد موقعة من المناقشات الحامية ، وكان شرطها الوحيد ألا تكون القوات السوفيتية فى مصر إطلاقا عندما تبدأ معركة العبور . وكان ذلك أيضا شرط "جمال عبد الناصر" ، فقد كان يريد معركة عربية خالصة لعدة أسباب معنوية يمكن فهمها ، وأسباب عملية يمكن تقديرها ، وأهمها أن وجود قوات سوفيتية فى مصر "وقت حرب" قد يعطى للولايات المتحدة الأمريكية تكأة للوجود فى "ساحة حرب" . وبصرف النظر عن أية تعقيدات فمن المؤكد أن كلا من الدولتين العظميين لم تكن تريد مواجهة مباشرة بينهما مهما كان الموضوع !

وعندما بدأت طلائع القوات السوفيتية تصل إلى مصر وتحتل مواقعها فى الدفاع عن العمق ، وتقوم بدورياتها فوق مياه شرقى البحر الأبيض المتوسط ، كان واضحا لجميع الأطراف أن هناك موقفا مفعما بالاحتمالات على وشك أن يطرح حقائق مختلفة فى أزمة الشرق الأوسط .

٦

تشاوشيسكو

"لا أعتقد أن إسرائيل لديها الآن خطة سلام "

("جمال عبد الناصر" للرئيس الرومانى "نيكولاى تشاوشيسكو"سنة ١٩٧٠)

وفى هذه الفترة كثر عدد رسل السلام . وكانت هناك خمس محاولات بارزة ويمكن أن تكون ذات معنى .

المحاولة الأولى قام بها "ناحوم جولدمان" ، الذى ذهب لمقابلة الرئيس "تيتو" عارضا رؤية متكاملة . (نقلها "تيتو" فى رسالة لـ"جمال عبد الناصر" يوجد أصلها فى محفوظات قصر عابدين) .

كانت رؤية "جولدمان" أن إسرائيل مهيأة الآن ، ولأول مرة منذ يونيو ١٩٦٧ ، لتغيير هام فى سياستها . وكان قوله لـ "تيتو" : "إن هناك خلافات سياسية بين القادة الإسرائيليين ، وهناك خلافات بين السياسيين وبين العسكريين، وهناك انقسام فى الرأى العام سببه تدهور الأوضاع الاقتصادية بأعباء الحرب . ثم إن هناك فوق ذلك كله خلافا بين المنظمة الصهيونية العالمية وبين إسرائيل . فالحكومة الإسرائيلية من أيام "بن جوريون" كانت تريد أن تحتكر القرار الصهيونى فى العالم فى يدها . بينما المنظمة الصهيونية العالمية التى يرأسها ، كان من رأيها أن حكومة إسرائيل احتكرت قيادة العمل السياسى اليهودى سنين طويلة ، ولم تصل به إلا إلى "حروب" لا تظهر لها نهاية. وقد ضاعت فرص للسلام كثيرة بسبب أوهام سيطرت على قادة إسرائيل ."

وكانت خلاصة اقتراح "جولدمان" ، كما عرضه على "تيتو" ، أن الوقت قد يكون مناسبا لكى تعطى مصر "شيئا" لـ "جولدمان" يشعر أنه قادر على تمريره وإقناع آخرين به فى إطار الظروف الراهنة فى إسرائيل . واقترح "جولدمان" على "تيتو" ترتيب لقاء بينه وبين الرئيس

"جمال عبد الناصر" ، ويجرى هذا اللقاء سرا ، إما فى القاهرة و"جولدمان" مستعد للقدوم إليها وإما فى يوجوسلافيا ، حيث يستطيع "تيتو" أن يشارك عمليا فى تلطيف الأجواء وتقريب وجهات النظر . وقد أحس "جمال عبد الناصر" أن "جولدمان" صادق إلى حد ما فى عرضه للصورة العامة ، لكنه وكما شرح لـ "تيتو" لا يستطيع أن يجرى لقاء مع "جولدمان" لأسباب عديدة ، بينها أنه لا يعتقد أن قرار المنظمة الصهيونية العالمية سوف يكون ملزما للحكومة الإسرائيلية إلا إذا قدمت له شواهد تدل على ذلك . ومن ناحية ثانية فإنه كما أبلغ "تيتو" يعرف سلفا أن الخلاف سوف ينشب بين المنظمة الصهيونية العالمية وبين الحكومة الإسرائيلية . وفى حمأة الخلاف فإن "جولدمان" أو الحكومة الإسرائيلية سوف تذيع سر هذا اللقاء على فرض أن "جمال عبد الناصر" قبل به .

إضافة إلى ذلك ، فإن "جمال عبد الناصر" كان من رأيه أن منطق أى لقاء سرى فى هذه الظروف مستبعد. والأفضل منه ـ إذا كان هناك شىء يستحق أن تكون الأمور كلها علنية لا يخفى منها شىء على الرأى العام العربى الذى يعيش بكل حواسه فى أجواء القلق الذى صنعته الأزمة منذ سنة ١٩٦٧ .

وفيما يبدو فإن "تيتو" نقل إلى "جولدمان" ما أبلغ إليه . وعاد "تيتو" يكتب إلى "جمال عبد الناصر" يسأله ما إذا كان ممكنا أن يقع الاجتماع سرا فى بريونى وألا يشارك فيه "جمال عبد الناصر" ، وإنما يشارك فيه عن الجانب المصرى "صديق للرئيس" ليست له صفة رسمية . واقترح "جولدمان" ـ كما نقل "تيتو" أن يكون "محمد حسنين هيكل" هو الطرف المصرى الذى يحضر هذا الاجتماع .

ورد "جمال عبد الناصر" على "تيتو" بأن "اشتراك هيكل ، بما يعرفه كل الناس "عن صلته بى" ، يعنى أننى شخصيا شاركت فى الاجتماع" . ثم اقترح "جمال عبد الناصر" على "تيتو" "بدلا من كل هذا اللف والدوران أن يطلب من جولدمان تصورا من المنظمة الصهيونية العالمية عن شكل التسوية التى تفكر فيها ، أو أن تقوم هذه المنظمة بطلب مثل هذا التصور من الحكومة الإسرائيلية" .

□

وكان "جولدمان" أيضا هو الذى قام بالمحاولة الثانية بعد أن وصل حواره مع "تيتو" إلى غير ما كان يأمل فيه. وقد ظهر فى الصورة تلك اللحظة رجل الشيوعية الغامض والقديم من مصر وهو "هنرى كورييل" . كان "هنرى كورييل" قد رأس لسنوات طويلة ــ قبل الثورة

وبعدها بقليل ـ أكبر الأحزاب الشيوعية فى مصر وهو تنظيم "حديتو" . وعندما غادر "كورييل" مصر نهائيا فإنه لم يذهب إلى إسرائيل مثل غيره ، وإنما قصد إلى باريس وأقام فيها ، وأنشأ هناك مركز قيادة لتنظيمه ظل على اتصال بعدد كبير من الشيوعيين المصريين الذين حافظوا على صلتهم معه متأثرين بارتباطهم القديم بتنظيمه . وفى الحقيقة فإن عددا منهم كان ما زال يعتبر أن "هنرى كورييل" أستاذه ومعلمه .

وعلى نحو ما ، فإن "هنرى كورييل" تمكن فى هذا الوقت من شهر أبريل سنة ١٩٧٠ من ترتيب اجتماع بين "جولدمان" وبين أحد أقطاب حركة اليسار فى مصر (وهو مسئول سابق فى تنظيم "حديتو" الذى أنشأه ورعاه "كورييل") . وكان الاجتماع فى شقة "هنرى كورييل" فى الحى السابع عشر فى باريس . والغريب أن "جولدمان" خرج من هذا الاجتماع ليبعث إلى "جولدا مائير" بأنه قابل ممثلين للاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، وأنه تلقى دعوة لزيارة القاهرة .

وعرفت القاهرة بسر اجتماع باريس عندما تفجرت مضاعفاته فى إسرائيل . وكان ذلك عن طريق نبأ لوكالة الأنباء الفرنسية قالت فيه "إن دعوة تلقاها الزعيم الصهيونى ناحوم جولدمان لزيارة القاهرة فجرت خلافات حادة فى إسرائيل شملت الكنيست وأثرت على الائتلاف الوزارى". وكان الذى حدث هو أن رسالة "جولدمان" إلى "جولدا مائير" تسربت إلى مجلس الوزراء الإسرائيلى كما تسربت إلى بعض الصحف ، وبدأت تحدث آثارا عميقة فى المجتمع السياسى الإسرائيلى . ووصل الأمر إلى حد أن تظاهرات اشترك فيها عسكريون وطلبة ، سارت أمام مجلس الوزراء معربة عن تأييدها لـ "جولدمان" ومعارضة لـ "جولدا مائير" لأنها صرحت بأن "جولدمان لا يمثل حكومة إسرائيل ، وإنه إذا كان لدى المبعوثين المصريين شىء فعليهم أن يقدموه لها وليس إلى ناحوم جولدمان" . والحاصل أن هذه القصة سببت شقاقا عالى النبرة بين إسرائيل والنظام الصهيونى العالمى .

وحاولت بعض الوكالات فى باريس أن تسأل "جولدمان" نفسه عن وجود دليل عنده يستطيع إبرازه ليؤكد أنه تلقى دعوة لزيارة القاهرة . ولم يكن لدى "جولدمان" دليل يظهره. ووقف "أبا إيبان" فى اجتماع للجنة المركزية لحزب العمل الإسرائيلى يقول ما نصه (طبقا لبرقية من وكالة الأنباء الفرنسية) إنه "ليس هناك أدنى دليل يثبت أن هناك دعوة لجولدمان لزيارة مصر والمسألة كلها لا تعدو أن تكون مبالغة تفتقر إلى الإحساس بالمسئولية . إنها فقاعة صابون كبيرة ، ومن سوء الحظ أن رجلا مثل جولدمان أثار دراما عنيفة حول موضوع لا أساس له". ثم نشرت صحيفة "الجيروساليم بوست" أن "الرأى السائد فى الدوائر الرسمية العليا فى إسرائيل أن جولدمان هو الذى فكر فى هذا الموضوع ، ثم ذهب إلى باريس وتحدث فيه مع بعض الزعماء اليساريين" .

وحاول "جولدمان" أن يوحى بأن لقاء باريس تم بتنسيق مع الحكومة اليوجوسلافية ، وبادرت حكومة بلجراد بإعلان أنه "ليست لها على الإطلاق أية علاقة بهذا الموضوع" .

□

وكانت المحاولة الثالثة إيطالية قام بها "لابيرا" عمدة مدينة "فلورانس" الشهير .

وبدأ "لابيرا" فجاء بمفاتيح مدينة "فلورانس" يقدمها هدية إلى "جمال عبد الناصر" . وعندما التقى الاثنان لم ينتظر "لابيرا" طويلا قبل أن يفتح موضوع السلام مع إسرائيل . وكان "لابيرا" صريحا فى كلامه فقال إن مسئولين كبارا فى الحركة اليهودية ("ناحوم جولدمان") وحزب العمل هم الذين طلبوا اليه أن يقوم بمسعاه فى مصر ، وإن هذا المسعى تكملة طبيعية لدوره فى التوجه العام نحو السلام ومتفق مع المكانة الثقافية لـ "فلورانس" - وكان حلم "لابيرا" أن تعقد جلسات البحث عن تسوية عربية إسرائيلية فى قصر "السنيورينا" الذى بناه "لورنزو" العظيم .

وأحس "جمال عبد الناصر" أن "لابيرا" يتحرك بمنطق مثالى قريب من الثقافة وبعيد عن السياسة ، واستمع إليه ثم طلب منه أن يواصل بحث الموضوع مع "محمد حسنين هيكل" .

وفى اليوم التالى كان "لابيرا" يدخل مبنى "الأهرام" يحمل تمثالا من البرونز لقديس يبحث عن السلام على الأرض.

وبعد عودته إلى "فلورانس" بعث "لابيرا" إلى الرئيس "جمال عبد الناصر" خطابين . أولهما من "ناحوم جولدمان" إليه (إلى "لابيرا" نفسه) نصه كما يلى :(١١)

"الأستاذ جورجيو لابيرا

٥ شارع مرمورا - فلورانس

صديقى العزيز ،

إنى آسف أننى لم أقابلك منذ بعض الوقت . فبعد لقائنا الأخير فى ٢٠ مارس ذهبت إلى نيويورك ثم عدت إلى باريس . وفى آخر أبريل فإنى ذاهب إلى إسرائيل . وقد قرأت فى الصحف أنك كنت أخيرا فى زيارة لمصر ، ثم ذهبت

(١١) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من خطاب "ناحوم جولدمان" - تحت رقم (٨)

بعدها إلى إسرائيل، وإنك مازلت متفائلا بإمكان التسوية السلمية . لسوء الحظ فإننى الآن أفقد أملى ويغيب عنى تفاؤلى لأن دواعى الشك أمامى كثيرة . إننى أخيرا قمت باتصالات واسعة، وقابلت ممثلين للاتحاد السوفيتى ، وأجريت محادثات مطولة مع الماريشال تيتو . وقد سمعت من كل ناحية ومن كل الناس أن الشخص الذى يجب أن أقابله هو هيكل. وأنا أعرف أن عندك فكرة لجمع هيكل وأبا إيبان . ولكن الماريشال تيتو قال لى إن هذه الفكرة أو فكرة لقاء بين هيكل وبينى صعبة التحقيق . هل تستطيع أنت أن تفعل شيئا فى هذا الاتجاه ؟ إنك تستطيع الاتصال بى فى منتصف أبريل لكى نلتقى إما فى روما وإما فى باريس . واكتب إلى إذا طرأت لك فكرة جديدة لأنه لا بد أن يبذل جهد للوصول إلى ترتيب ما . وآمل أن أتلقى منك ردا قريبا ، وأفضل أن تبعث لى على عنوانى فى جنيف وهو : ٢٦ طريق مالاجنيو .

وتقبل أيها الصديق العزيز كل أملى فى لقاء قريب بيننا .

ناحوم جولدمان "

وكان الخطاب الثانى إلى "جمال عبد الناصر" من "لابيرا نفسه. وكان نصه كما يلى :(١٢)

"يا صاحب السعادة ،

إن هذه الأيام التى تشهد أحداثا عظيمة تطرح أفكارا عديدة عن المفاوضات والسلام . وهذا يحدث الآن فى فيتنام وفى العالم كله . فهل ترون أن أزمة الشرق الأوسط يمكن أن تجد طريقا مماثلا بين مصر وإسرائيل ؟

إننى أتطلع بأمل وإيمان إلى فكرة لقاء بين صديقك هيكل وأبا إيبان . إن أبا إيبان مستعد . وأنا أعلم أن إسرائيل عليها ذنوب كثيرة ، ولكن علينا دائما أن نأمل وأن نحاول مرة أخرى . إنك يا سيدى الرئيس تستطيع أن تفعل كثيرا . وإنى أرجوك أن تقرأ بعناية خطاب جولدمان لى ، وأنا أرفق لك صورة منه .

إن السلام لا يمكن تجنبه ، والحرب مستحيلة ، وحروب العصابات لا فائدة منها ، والشىء الوحيد الباقى هو المفاوضات كوسيلة لا بديل لها لحل مشاكل العالم .

---

(١٢) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من خطاب "لابيرا" إلى الرئيس "جمال عبد الناصر" تحت رقم(٩).

يا صاحب السعادة ، إننى أريدك أن تحاول بأقصى طاقتك . وإن موقفنا تجاه إسرائيل هو موقف "فتح النوافذ" . وفكرتى عن لقاء بين أبا إيبان وهيكل ـ أو ربما اجتماع أعلى منهما مستوى ـ تبدو لى فكرة صائبة أكثر كل يوم .

إن لدىّ أملا رغم كل شىء ، وأرجوك أن تصلى من أجلى .

إمضاء

لابيرا"

□

كانت المحاولة الرابعة إيطالية أيضا ، والقائم بها نائب رئيس الحزب الشيوعى الإيطالى السناتور "بايبتا" ، وكانت محاولة غير مباشرة . فقد جاء نائب رئيس الحزب الشيوعى الإيطالى إلى القاهرة وهو يحمل مشروعا يبدو أن لا علاقة له بالصراع العربى الإسرائيلى .كان مؤدى مشروعه أن العالم يضطرب بمتغيرات بعيدة الأثر ، وأن البحر الأبيض المتوسط الذى اتخذته القوى العظمى مجالا لسيطرتها وميدانا لحروبها ،يجب أن يخرج من هذه السيطرة وأن يعود إلى أهله وأصحابه يجعلون منه بحيرة سلام وثقافة وحضارة.

وهكذا كان اقتراح "بايبتا" عقد مؤتمر يكون لقاء حرا بين ممثلين عن كل البلدان المطلة على البحر الأبيض تبحث فيه هذه البلدان كل شىء يخص شواطئ هذا البحر من الأمن إلى الفن . وكان واضحا أن محاولة "بايبتا" رغبة فى جمع العرب والإسرائيليين ، قفز فوق المشاكل المستعصية فى أزمة الشرق الأوسط .

ولم يستطع "بايبتا" أن يغطى مطلبه خصوصا حين قال له "جمال عبد الناصر" : "إن مصر بالطبع مهتمة بالبحر الأبيض ويمكن أن تشارك فى أى شىء يتعلق بمستقبله" . ثم سأله مباشرة : "هل تشارك إسرائيل فى هذه المحاولة المتوسطية ؟"

ورد "بايبتا" بقوله : "بالطبع ... والحقيقة التاريخية أن الدور اليهودى الحديث تجربة متوسطية من أسبانيا إلى تركيا ومن جنوا إلى الإسكندرية" .

وقال "جمال عبد الناصر" إنه لا يتحدث عن اليهود ، وإنما يتحدث عن دولة إسرائيل.

وقال "بايبتا" إن "إسرائيل هى التجسيد العملى للدور اليهودى فى البحر الأبيض". ولسنوات طويلة نامت مشروعات البحر الأبيض حتى أعيد بعثها من قريب بعد حرب الخليج الثانية .

□

ثم كانت المحاولة الخامسة رومانية تولاها الرئيس الرومانى "نيكولاى تشاوشيسكو" . ففى يوم ١٧ مايو ١٩٧٠ كان وزير التجارة الخارجية الرومانى على موعد مع "جمال عبد الناصر" . وقد ذهب إلى الموعد يرافقه السيد "حسن عباس زكى" وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية فى مصر فى ذلك الوقت ، وكذلك السفير الرومانى فى القاهرة .

وبدأ الحديث فى الاجتماع بنقل تحية الرئيس "تشاوشيسكو" التى يحملها وزيره إلى "جمال عبد الناصر" . ثم تطرق إلى العلاقات بين البلدين ، وإلى قضايا التجارة والمنح الدراسية وغيرها . ثم سكت الوزير الرومانى لحظة قال بعدها للرئيس إن لديه رسالة سرية يريد أن يعرضها عليه . وأبدى "جمال عبد الناصر" أن السيد "حسن عباس زكى" مسئول كبير فى حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وأنه موضع ثقة ، وإن الوزير الرومانى يستطيع أن يتحدث فيما لديه أمامه بدون حرج .

وبعد لحظة تردد لم يكن أمام وزير التجارة الرومانى مفر من أن يعرض ما يحمله من الرئيس "تشاوشيسكو" . وبدأ الوزير الرومانى يتكلم . وطبقا لمحضر الجلسة ، وهو على شريط مسجل جرى تفريغه بكتابة محضر كامل للجلسة(١٣) بدأ الوزير الرومانى عرضه لما لديه وقال:(١٤)

"إن هناك مبادرة حدثت معهم من جانب إسرائيل . فقد عقد ماكوفسكو (وزير الخارجية الرومانى) اجتماعا مع جدعون رافاييل السفير الإسرائيلى السابق فى الأمم المتحدة والمستشار الخاص لجولدا مائير الآن . وعرض جدعون الموقف فى الشرق الأوسط وأبلغهم عن أشياء رغب فى أن يعرفها السيد الرئيس (يقصد "جمال عبد الناصر") . وقد درست القيادة فى رومانيا ما دار بين جدعون رافاييل وبين ماكوفسكو . وشجع الرئيس تشاوشيسكو نقل ما ذكره رافاييل إلى السيد الرئيس ."

وأكد الوزير الرومانى أنهم لا يرغبون فى القيام بمهمة الوساطة ، كما أنهم لا يرغبون فى دفع الأشياء فى الاتجاه الذى يضير السيد الرئيس . وإنهم بدافع الشعور بالصداقة كلف

---

(١٣) كانت القاعدة فى ذلك الوقت وبعد حرب ١٩٦٧ هى تسجيل كل مقابلات الرئيس "جمال عبد الناصر" حيث يكون السجل كاملا لأن كل الموضوعات السياسية كانت تصب فى محيط الأمن القومى بشكل أو آخر . وكانت هناك رغبة فى أن يكون السجل كاملا لضمان تدقيق الأحاديث وضمان اتصال السياسات .

(١٤) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الثالثة من محضر هذه الجلسة ـ تحت رقم(١٠) .

رئيسهم الوزير بنقل ما طلبه الممثل الإسرائيلى ، على أن يقرر السيد الرئيس ما يمكن أخذه بعين الاعتبار وما لا يؤخذ فى الاعتبار. وأكد أن هذه المعلومات التى سينقلها معروفة فى أضيق الحدود ،وإنه يعرض الموضوعات كما تلقاها من ماكوفسكو ، وسوف لا يضيف أو يحذف شيئا . وهذا هو النص (نص رسالة "جدعون رافاييل" مستشار "جولدا مائير") :

"إن عام ١٩٦٩ شهد تدهورا فى الحل السياسى للموقف فى الشرق الأوسط . وإن الأسباب من وجهة نظره :

١ ـ نقل مركز ثقل المحادثات بين الأطراف المعنية إلى الدول الكبرى ــ وبهذا اختفت مهمة يارنج .

٢ ـ ضياع الصلة بين قرار مجلس الأمن ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ وبين قرار وقف اطلاق النار الذى سبقه فى يونيو ١٩٦٧ .

٣ ـ ازدياد إرسال الاتحاد السوفيتى للأسلحة إلى الدول العربية بمعدل يفوق الحدود من حيث الكم والكيف .

٤ ـ ازدياد اعتماد إسرائيل العسكرى والاقتصادى على الولايات المتحدة . ومن هنا يظهر الخطر بالنسبة لإيجاد تسوية للموقف بواسطة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ونصبح مقيدين بخيوط لا يمكن السيطرة عليها بعد ذلك .

هذه هى الفكرة الأولى . والفكرة الثانية (نقلا عن جدعون رافاييل) أن حكومة إسرائيل مصممة على أن تعمل ضد أى احتمال لحرب جديدة ، وقد قدمت تنازلات كثيرة، وكانت تنتظر أى إشارة من الدول العربية ، وخاصة من السيد الرئيس .

إن إسرائيل اتخذت موقفا جديدا سوف يظهر عندما يصلون إلى مرحلة المفاوضات. وسوف تكون مستعدة لمناقشة كل المشاكل الناجمة عن الحرب دون أى شروط مسبقة على أساس قرار مجلس الأمن ، وكذلك مناقشة أى مشكلة أخرى يريد الطرف العربى إثارتها .

إن إسرائيل قبلت إجراء محادثات على نمط محادثات رودس التى تعتبر مزيجا من المفاوضات المباشرة وغير المباشرة . وهم يعتبرون هذه الموافقة تنازلا عن موقفهم السابق الذى كانوا يصرون فيه على المفاوضات المباشرة . كما قبلت تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على المستوى الثنائى مع الدول العربية .

إن إسرائيل تعتقد أن حقيقة الخلاف بين الدول العربية وبينها هو فقدان الثقة. فالعرب يعتقدون أن إسرائيل ترغب فى التوسع الإقليمى باستعمال القوة. وفى نفس الوقت تعتقد إسرائيل أن العرب يريدون تدميرها كدولة . والوسيلة الوحيدة للتغلب على عدم الثقة هى وضع ما تعرضه إسرائيل موضع التجربة لأنه لا يمكن أن يجىء الحل من الخارج .

إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يسيطران على الموقف فى المنطقة ، ولكننا نحن الذين ندفع دماءنا (يقصد العرب وإسرائيل) .

إن جدعون يعرض النقاط التالية :

١ ـ إن إسرائيل لن تملى شروطا من أى نوع على الدول العربية ، وبالمثل فإن إسرائيل لن تقبل أى تسوية تفرض عليها . إن سيسكو (وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المختص بالشئون العربية والإسرائيلية) أو دوبرينين (السفير السوفيتى فى واشنطن) لن يضعا الحدود بيننا لأنها ليست الحدود بين أمريكاوالاتحاد السوفيتى . كما أن إسرائيل لا تريد أن تعيش وراء حدود الولايات المتحدة.

٢ ـ إن إسرائيل لا تريد أى شىء يغير من طابعها القومى كوطن لليهود .

٣ ـ وبالتالى فإن إسرائيل ليست لديها النية لضم أو للاحتفاظ بالأراضى التى تحتلها (Israel has no intention to keep or to annex the territories under its occupation now).

٤ ـ إن التسوية يجب أن تتضمن حلولا عاجلة لإزالة احتمالات خطر تجدد الحرب ، كما أن إسرائيل تريد ضمانات ضد فرض حصار بحرى جديد عليها.

٥ ـ ويجب وجود ضمانات فى شبه جزيرة سيناء حتى لا تكون قاعدة للهجوم على إسرائيل . وفى المقابل فإن إسرائيل على استعداد لإعطاء ضمانات مماثلة فى أرضها لمصر ."

كان "جمال عبد الناصر" يسمع دون تعليق . وراح الوزير الرومانى يقول إنه "يبدو له أن إسرائيل لديها حلول مقبولة ، ولكنهم يرون أنه ليس من الطبيعى الإعلان عن هذه الحلول إلا إذا كانت واثقة من أنها داخلة فى محادثات جدية وحقيقية مع مصر" .

وجاء الدور على "جمال عبد الناصر" ليتكلم ،فعرض النقاط التالية طبقا لنص المحضر:

- أعرب عن شكه فى أن تكون لدى إسرائيل خطة لحل سلمى . وهو يشعر أن كل ما تطرحه الآن هو محاولات غامضة هدفها فى واقع الأمر تقويض"undermine" مركز مصر .
- إنه يتابع مناقشات مجلس الوزراء الإسرائيلى ، وهو يعرف أن هناك أغلبية تؤيد ضم أجزاء من الأراضى المحتلة لإسرائيل .

- **إن الحـل الوحيد الذى يستطيع الموافقة عليه هو الانسحاب الكامــل . ولا يمكنـه الموافقة على حـل يـترك القـدس لإسرائيل .**
- **إن موقفـه من الحـل واضـح ومعلـن فى الوقت الذى تخفـى فيه إسرائيل خططهـا وتبقيها سـرا .**
- **إن المستر ناحوم جولدمان قـام من قريـب بمثـل هـذه المحاولـة التـى يقـوم بهـا مستشار جولدا مائـير الآن ."**

وهنا قاطعه ضيفـه الرومانى قائـلا :

"سيـدى الرئيـس ، إن جولدمـان غـير محبـوب من وزراء حكومة إسـرائيل ، ولا يمكنـه أن يتحـدث باسـم حكومـة دولـة إسرائيل" .

ورد "جمال عبد الناصـر" بـأن طلـب مـن الوزيـر الرومانـى أن ينقـل تحيتـه وشكـره للرئيس "تشاوشيسكو" على اهتمامه المتواصل بأزمـة الشرق الأوسـط . ولم يكن الوزير الرومـانى راغبا فى قفـل بـاب المناقشة بهذه الطريقة ، فعـاد إلى الإلحـاح يسـأل :"إذا كان ما نقلـه عن الإسرائيليـين لا يرضـى السيد الرئيـس، فهـل يستطيع أن يعـرف منـه ما الذى يقبلـه؟".

وقـال "جمال عبد الناصـر" (طبقا لنـص المحضـر) :

> **"إننى أرغب فى حـل سلمى ، وأشعر بقدرتى على إقناع الأمـة العربيـــة بـه إذا وجدتـه محققا لمصالحها وأمنهـا . لكنى لسـت مستعدا للقيـام بـأى مقـامرة . فـالموقف العربـى جيد ، والأمـة كلها واقفـــة معنــا . حتـى الذيـن يختلفـون مع توجهاتنـا الاجتماعيـة يدعمـون موقفنـا الاقتصـادى . ومطلـب الجميـع هـو الانسحاب ، وهـو الشرط الذى يجمعنا سويا كأمـة عربية . وبالتالى فنحن عندما نتكلـم عـن الانسحاب نعـنى ليس فقط من الأراضى المصريـة ، ولكن من كل الأراضى العربية ."**

ولـم تصــل محاولـة "تشاوشيسـكو" ــ شـأنها شـأن محـاولات "جولدمـان" و"لابـــيرا" و"باييتـا" من قبـل ـ إلى نتيجـة .

ولم يكن "ويليام روجرز" وزيـر خارجية أمريكـا المكلف بالشرق الأوسـط ، على استعـداد لأن يصـل مشروعـه إلى مثـل ما وصلـت إليه مبـادرات "دكاكـين السـلام الصغيرة" علـى حـد تعبـيره . وإنمـا كـان يريـد اسـتغلال تكليـف "ريتشـارد نيكسـون" لـه بحــل مشـكلة الشـرق الأوســط، ويصــل فيهـا إلى نتيجـــة ناجحـــة يسبـــق بهـا تكليـف خصمـــه اللـدود "هــنرى كيسنجـر" بحـل أزمـة فيتنـام .



روجـــــــــرز

"أسـائل نفسـى إلى مـتى نسـتطيع تحمـل الخسائرالعالية التى نتكبدها فى حـرب الاستنزاف؟"

(وزيـر الدولـة الإسـرائيلى "جـاليلى" فـى اجتمـاع مجلس الوزراء)

كان مشروع "روجـرز" لا يزال غـير مقبـول فى القاهـرة حتى بعـد أن حـاولت الحكومـة الأمريكية توسيع نطاقه بتقديم ورقـة للأردن حملت اسـم ورقـة "يوسـت"، وقدمهـا المنـدوب الأمريكى فى الأمـم المتحـدة السفـير "تشارلز يوسـت" إلى الملك "حسـين"، وتعهـدت الولايات المتحدة فيها بـ"عودة الأوضاع التى كانت قائمة بالنسبة للأردن إلى ما كانت عليه قبل ٥ يونيو سنـة ١٩٦٧ ، مع إجراء تعديلات طفيفة على الخطوط متبادلة على النـاحيتين" وكـان ذلـك يشير بالدرجـة الأولى إلى توحـيد قـرى قطعتهـا خطـوط الأسـلاك الشـائكة علـى مواقـع بين إسـرائيل والأردن ، وأصبح ضروريا تصحيح الخطـأ بتوحـيد هـذه القـرى مـرة هنـا ومـرة هنـاك.

وربما أن الحكومة الأمريكيـة وجـدت ملائمـا أن تبعـث بمبعـوث خـاص إلى القاهـرة متشجعـة أو متحسبـة :

متشجعة لحقيقة أن مصـر لم تعلن رفضا صريحا لمشروع "روجرز" ، وإنما تركته معلقا .

ومتحسبة لواقع أن قـوات سوفيتيـة بـدأت تصـل إلى مصـر بعـد زيـارة "جمـال عبد النـاصـر" السريـة إلى موسكـو.

كـان المبعـوث الأمريكـى الـذى جـاء إلى القاهـرة هـو "جوزيـف سيسكـو" مسـاعد وزيـر الخارجية المختص بشئون الشرق الأوسط ، وقد استقبله "جمال عبد النـاصـر" بـالفعل يـوم ١٢ ابريل ١٩٧٠ .

وفى هذه المقابلة فإن الحديث مع "سيسكو" دار بصراحة كاملة :

١ ـ قال "جمال عبد الناصر" إن المشروع بالنسبة له غير مقبول ، لكنه لم يشأ أن يعلن رفضه الصريح له حتى لا يصدم إدارة "نيكسون" فى أول محاولة جدية لها إزاء أزمة الشرق الأوسط ، وهو على العكس من ذلك يريد أن يشجع هذه الإدارة على تطوير اهتمامها بإيجاد حل للأزمة .

٢ ـ إنه ـ وهذه نقطة يجب أن تتفهمها الولايات المتحدة فى معزل عن صراعها مع الاتحاد السوفيتى ـ ليس مقتنعا بأن الولايات المتحدة تملك وحدها أو تقدر على حل المشكلة . فالاتحاد السوفيتى طرف فى معادلة القوة فى الشرق الأوسط ولا يمكن استبعاده ، بل إن مصر ليست مستعدة لاستبعاده بعد كل ما قام به ، وآخره تحمل مسئوليات الدفاع عن العمق المصرى ـ لكن ذلك ليس قيدا على القرار المصرى ، وهذه نقطة يجب أن تقدرها الولايات المتحدة من تجربتها الطويلة والمريرة مع مصر .

٣ ـ إنه من الأفضل ـ إذا كانت الولايات المتحدة مهتمة بحل الأزمة ، وهو يراها مهتمة ـ أن يظل الجهد ـ الأمريكى متواصلا ، على أن يستكمل قوة دفعه فى إطار الأمم المتحدة وتحت مرجعية قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وفى كل الأحوال فإن مشروع "روجرز" هو محاولة جادة لتفسير قرار مجلس الأمن وإعطائه طابعا إجرائيا Operational ـ ولكن هناك بالتأكيد تفسيرات أخرى تستطيع تطوير كل مقترحات الحل بحيث تصبح كافية ومقنعة لبقية الدول العربية ، وبالذات سوريا .

٤ ـ إن هناك باستمرار مشكلة فى أى مشروع واسع تتقدم به الولايات المتحدة . فحجم الإرادة وراء هذه المشروعات مجهول على الأقل بالنسبة للأطراف العربية ، والتفاوض فى شأنها مع الولايات المتحدة يحدث مشاكل لا لزوم لها . وفى النهاية ـ وبرغم المشاكل فإن الولايات المتحدة لا تقيّد نفسها بمشروع تتقدم به ، وإنما تغيره طبقا للضغوط التى تتعرض لها ، وإذا كان ذلك ، فإن ما تقدمه الولايات المتحدة لا يمكن وصفه بأنه حل متكامل ، وإنما هو اقتراح من جانبها . وإذا كان الأمر أمر مقترحات ، فالأمم المتحدة هى المجال . وإذا كانت هناك نية فى جعل المقترحات الأمريكية فاعلة فى حد ذاتها ، فمن الأفضل أن يتم ذلك بالتنسيق مع كل الأطراف قبل تقديم أية مقترحات .كما أن التشاور مع الأطراف الدولية مهم .

ثم إن احتكار تصورات الحل لمقترحات أمريكية ، مع ما هو مترسب لدى العرب من تحيز أمريكى لإسرائيل، كفيل بأن يثير من اللحظة الأولى شكوكا عربية فى أى مبادرة لا تحمل غير "الهوية الأمريكية" !

□

ولـم يكن "جمال عبد الناصـر" مقتنعا بأن التسويـة السلميــة قريبــة أو متاحــة ، وإنمـا كان اعتقاده أن اختبارا بقـوة السـلاح ما زال ضروريا لإقناع إسرائيل بتسويـة معقولـة .

وفى مقابلته لـ "سيسكـو" فإنه تعـرض لهذا الموضوع بطريقة مباشرة قائلا :

● إنه بـدون ضغـط أمريكى محســوس ، فإن إسرائيل لن "تمشـى إلى منتصـف الطريـق" نحو التسويـة .

● وفى غيبـة هذا الضغـط المحسوس ، فإن الحـرب سوف تتجـدد ، وليس ذلك موضع شـك فى رأيـه .

● وبدون ضغـط أمريكى محسوس ، وبدون ضغـط عسكرى عربـى مؤثـر ، فإن أحـدا لا يقدر على إقناع إسرائيل "بالتعقـل" ، وإنه لـو كـان فـى مكـان "زعمـاء إسـرائيل لكـان ذلـك موقفه" إذ لماذا ينسحـبون طواعيـة إذا لـم يكن عليهـم ضغـط سـياســى ممـن يملـك فرصـة الضغـط ، أو ضغـط عسكـرى ممن يقـدر على تضحياته.

● إنه هو شخصيا لا يحـب الحـرب وقد جـرب مآسيها ، وهو يعرف من درس التاريخ "أن أى طـرف يستطيع أن يبـدأ الحـرب ، ولكن الاختبار الأعظــم ليـس فـى بــدء الحــرب وإنما فى إنهائهـا" .

وبعد لقائـه بـ "سيسكـو" فإن "جمال عبد الناصـر" انتهـز فرصـة خطابه فى عيـد العمال أول مايـو ، ووجـه نــداء مفتوحـا إلى الرئيـس الأمريكـى "ريتشـارد نيكسـون" بـأن الولايـات المتحدة مطالبة "بالضغط على إسرائيل لكى تنسحب من الأراضى العربيـة التى احتلتها سنــة ١٩٦٧ فإذا لم يكن مثل هذا الضغـط ممكنا ، فالممكن بعـده أن تتوقف الولايـات المتحـدة عـن استمرار تزويد إسرائيل بالسلاح ، وإلا فهى شريـك فى استمرار احتــلال الأراضــى العربيــة بقـوة هذا السـلاح" .

ونتيجة لهذه الاتصالات النشيطة والحوارات المكثفـة ، مضافا إليها تزايد حـــدة حــرب الاستنزاف ، طـوى "روجـرز" مشروعه مؤقتا وتقـدم بـدلا منه باقــتراح بسيــط وعــام عــرف باسـم "مبادرة روجـرز" .

كانت "مبادرة روجرز" مختلفة عـن "مشـروع روجـرز" ، رغـم الخلــط الـذى ســاد عند كثيرين فى التفرقـة بين الاثنـين.

كانت "مبادرة روجرز" تقول نصا بما يلى :

"تعلن أطراف النزاع فى الشرق الأوسط ، وتنفذ ، وقفا محدودا لإطلاق النار مدته تسعون يوما . وفى هذه الفترة ينشط السفير جونار يارنج لينفذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبالتحديد فيما يتعلق بالتوصل إلى اتفاق على سلام عادل ودائم يقوم على الاعتراف المتبادل والسيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى . وتقوم إسرائيل بسحب قواتها من أراض احتلتها فى معركة ١٩٦٧ ."

كان نجاح المبادرة التى قدمت بتاريخ ١٩ يونيو مشكوكا فيه من وجهة النظر المصرية (قدره "جمال عبد الناصر" فى خطاب عام بنسبة نصف فى المائة) . وكانت العناصر المهمة فيها أنها أعادت إطار التسوية إلى الأمم المتحدة وليس إلى الولايات المتحدة . كما أنها لم تكن عرضا مقدما إلى مصر وحدها ، وإنما إطار مفتوح لكل الجبهات. ثم إنها أعادت المرجعية إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . وأكدت لأول مرة تعهد الولايات المتحدة بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى العربية رغم أنها ـــ مثل قرار مجلس الأمن تحدثت عن "أراض" وليس عن "الأراضى" المحتلة .

وكان رأى مصر ألا تسارع بالرفض ، وإنما تأخذ وقتها فى الدراسة والبحث .

وفى ٢١ يونيو ـ بعد يومين من تاريخ المبادرة ـ كانت إسرائيل هى التى سارعت إلى إعلان رفضها لـ "مبادرة روجرز" .

ووقع خلاف كبير بين الولايات المتحدة وإسرائيل . وكان ذلك أول خلاف حاد بين الطرفين منذ اتفاقاتهما وترتيباتهما السرية فى التمهيد لعدوان يونيو ١٩٦٧ .

وتداعى من ذلك الخلاف ، أو ترتب عليه انقسام عميق داخل إسرائيل نفسها .



كان رد إسرائيل على "مبادرة روجرز" متسرعا بالفعل . وكان أول من لاحظ ذلك هو سفير إسرائيل فى واشنطن "إسحاق رابين" ، وأخذ على مسئوليته تأخير تسليم رد حكومته إلى وزارة الخارجية الأمريكية حتى يجرى مشاورات مع حكومته يقترح عليها إعادة صياغة الرد لأنه وجده "عصبيا" إلى جانب أنه متسرع . وكان تردد "رابين" إشارة ظاهرة إلى ما سوف يحدثه رفض الحكومة الإسرائيلية ــ المتسرع والعصبى ــ لمبادرة وزير خارجية

الولايات المتحدة . ولمدة شهر كامل،من أواخر يونيو حتى أواخر يوليو ١٩٧٠، عاشت إسرائيل دوامة عنيفة خرجت منها وقد قبلت مضطرة بـ "مبادرة روجرز"، وأدى قبولها إلى انفراط الائتلاف الوزارى لحكومة الوحدة الوطنية الذى بدأ مع قرارالحرب فى يونيو ١٩٦٧.

كانت التجربة مؤلمة ، وربما أن دراسات الأستاذ "مايكل بريشر" الشهيرة عن صنع القرار ألسياسى فى إسرائيل هى أوضح تصوير لهذه التجربة المؤلمة فى حياة إسرائيل السياسية . وفى تقدير "بريشر" أن كلمة محورية واحدة فى "مبادرة روجرز"، هى التى استثارت مخاوف إسرائيل ودفعتها إلى التسرع فى رفض المبادرة ، وهذه الكلمة هى كلمة "الانسحاب" . وطبقا لما ورد فى محضر مجلس الوزراء الإسرائيلى يوم ٢٠ يونيو حينما جرى رفض "مبادرة روجرز" ـ فإن "مناحم بيجن" (وزير دولة فى وزارة الائتلاف) ركز على كلمة "الانسحاب" قائلا : "منذ سنتين ونصف السنة ـ أى من ديسمبر ١٩٦٧ وحتى الآن فإن الحكومة الإسرائيلية امتنعت عن استعمال هذه الكلمة ورفضتها باستمرار فى كل ما تبادلته من أوراق مع السفير يارنج ومع الحكومات المعنية . وطالما ألح علينا يارنج لوضع كلمة الانسحاب فى ردودنا ، وطالما رفضنا أن نفعل ذلك . وكثيرا ما طلب منا الأمريكان أن نقولها ، وكثيرا ما قفلنا آذاننا ورفضنا أن نسمع . إن خبراءنا توصلوا إلى تعبيرات استعملناها وأدت غرضها بكفاءة فى تجنب كلمة الانسحاب ، مثل "تمركز القوات" و"إعادة تمركز القوات" ."

ثم قام "بيجن" بتذكير زملائه فى مجلس الوزراء ، بأن أحد أعضاء المجلس سأل رئيس الوزراء "ليفى أشكول" وقتها عن الفارق بين "الانسحاب" و"إعادة تمركز القوات" ، ورد عليه "أشكول" بقوله : "إذا قلنا كلمة الانسحاب فهى كلمة واحدة ملزمة ، وإذا قلنا "بإعادة تمركز القوات" فإن ذلك سوف يكون خاضعا لمائة تفسير على الأقل" . وسادت وجهة نظر "بيجن" فى اجتماع مجلس الوزراء ، وقبلها الجميع لأن كلمة "الانسحاب" بدت لهم غير مقبولة على الإطلاق .

□

وما بين أواخر يونيو إلى أواخر يوليو غيرت الحكومة الإسرائيلية رأيها ، ولم يكن السبب كلمة واحدة محورية ، وإنما كان مجموعة من الأسباب المعقدة والمتداخلة . وطبقا لمداولات مجلس الوزراء الإسرائيلى فى تلك الفترة ، فإن هذه الأسباب كانت كما يلى :

١ ـ إن إسرائيل ليس فى مقدورها ببساطة أن ترفض قرارا أمريكيا ، لأن الولايات المتحدة فضلا عن كل ما تعنيه بالنسبة لإسرائيل سياسيا واقتصاديا وعسكريا، هى فى هذه اللحظة مورد السلاح الوحيد لإسرائيل . وهناك الآن صفقة من ٥٠ طائرة "فانتوم" و ٨٠ طائرة "سكاى هوك" متوقع تسليم بقيتها من الولايات المتحدة إلى إسرائيل. وفى وقت يتزايد فيه عنف معارك الاستنزاف فإن الغلطة فى التعامل مع السياسة الأمريكية مغامرة لا ينبغى لإسرائيل أن تقدم عليها بالمواجهة.

٢ ـ إن الوجود السوفيتى العسكرى فى مصر ، بعد الزيارة السرية التى قام بها "جمال عبد الناصر" فى يناير ،أدى إلى وضع بالغ الحساسية فى المنطقة . وعلى سبيل المثال ، فيوم ١ يناير ١٩٧٠ ـ وقبل الزيارة السرية إلى موسكو ـ كان عدد الخبراء السوفيت فى مصر طبقا لتقديرات المخابرات الإسرائيلية يتراوح ما بين ٢٥٠٠ إلى ٤٠٠٠ خبير . وفى ٣١ مارس ١٩٧٠ ـ وبعد الزيارة السرية مباشرة ـ وصل العدد طبقا لنفس التقديرات إلى ما بين ٦٥٦٠ و٨٠٨٠ خبيرا سوفيتيا . كما ظهرت ٢٢ بطارية دفاع جوى من طراز "سام ٣" لم تكن موجودة من قبل . وفى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ تغيرت الصورة على نحو يثير القلق فى إسرائيل ، فقد ظهرت فى مصر ـ طبقا لتقديرات المخابرات الإسرائيلية ، وهى ـ بصرف النظر عن درجة دقتها ـ قاعدة المعلومات الأساسية للقرار السياسى الإسرائيلى صورة تقول بأن فيها ما بين ١٠٠ و١٥٠ طيارا سوفيتيا ـ وما بين ١٠٦٠٠ و ١٢١٥٠ خبيرا سوفيتيا ـ وما بين ٤٥ إلى ٥٥ بطارية صواريخ دفاع جوى من طراز "سام ٣" ـ ١٢٠ طائرة "ميج ٢١ ج س" .

وكان واضحا من هذا الحجم من الرجال والمعدات أنه يتضمن تشكيلات مقاتلة جاهزة لحماية العمق المصرى وإن ظلت بعيدة عن الجبهة . وبين كل المشاركين فى صنع القرار الإسرائيلى فإن الجنرال "موشى ديان" كان أكثرهم تخوفا من العنصر العسكرى السوفيتى فى معادلة الشرق الأوسط الجديدة . وفى محضر مجلس الوزراء الإسرائيلى يوم ١٩ يوليو، يرد تدخل لـ"ديان" قال فيه بالحرف: "إننى لا أنتمى لأولئك الذين يقولون إنه لا يهمهم أن يكون هناك روس أو لا يكون. بالنسبة لى الأمر مهم . وأنا لا أريد أن أواجه روسيا بأى شكل على ناحية أو أخرى من خطوط المواجهة . ولست أريد للطائرات الروسية أن تسقط طائراتنا المغيرة على مصر . ولا أريد لطائراتنا أن تواجه طيارين روسا." ثم استطرد "ديان" طبقا للمحضر إلى العنصر الأمريكى فى المعادلة ، فقال "إن لدينا القوة لمواجهة كل احتمال ، لكنه ليست لدينا القوة لنفرط فى أهم حليف لدينا (وهو الولايات المتحدة)" .

٣ ـ إن زيادة ضغط القوات المصرية على جبهة قناة السويس أصبح عنصرا مقلقا ، وكان أكثر من عبر عنه فى اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلى الذى تم فيه التراجع عن الرفض ، هو "إسرائيل جاليلى" الذى يسجل المحضر قوله : "إننى مضطر أن أقول إننى فى حالة صدمة بسبب خسائرنا من طائرات الفانتوم فوق الخطوط المصرية ، وأسائل نفسى إلى متى نستطيع أن نتحمل هذا المعدل من الخسائر ؟ وما الذى يمكن أن يكون عليه موقفنا إذا لم نتلق من الولايات المتحدة نظام صواريخ "شرايك" الذى يقدر على التصدى لحائط الصواريخ المصرى على قناة السويس ؟"

[وجد الأستاذ "بريشر" أكثر من إشارة إلى حرب الاستنزاف فى الوثائق الإسرائيلية تصفها بأنها "حرب الألف يوم" .]

٤ ـ وقد لعب التململ الشعبى دورا فى إقناع الحكومة الإسرائيلية ـ ولو مضطرة ـ إلى التراجع عن رفضها . ويسجل نفس محضر مجلس الوزراء (يوم ١٩ يوليو) قول "جولدا مائير" : "إن أمامى تقارير تشير إلى تزايد النقد لسياسة الحكومة ، خصوصا بين الشباب وهم أمل المستقبل . وأهم شىء فى مبادرة روجرز أنها بما طلبته من وقف مؤقت لإطلاق النار تعطى لشبابنا فرصة لاستعادة سكينتهم النفسية . فقد استبد بهم القلق من قوائم القتلى فى معارك الجبهة مع مصر، ولا بد أن يشعروا أننا بدورنا نستشعر أسباب قلقهم ."

٥ ـ وقد تداخل هذا القلق مع الانقسام الذى تبدى فى العلاقات ما بين الحكومة الإسرائيلية والحركة الصهيونية العالمية ، أو بين "جولدا مائير" و"ناحوم جولدمان" بالتحديد . وقد ظهر ذلك فى عريضة قدمها آلاف من الشباب (من طلبة الجامعات) الذين كانوا على وشك الدخول إلى مجال الخدمة العسكرية ، وجاء فيها: "إننا نسجل احتجاجنا لأن حكومة إسرائيل تتجاهل محاولات نشيطة يقوم بها ناحوم جولدمان للوصول إلى تسوية . وحتى الآن فإننا كنا نذهب إلى ميادين القتال متصورين أنه ليس هناك بديل ، أما وقيادة الحركة الصهيونية العالمية توحى بأن هناك سبلا إلى تسوية سلمية ، فإننا كنا نتصور أن الحكومة الإسرائيلية سوف تستغل كل إمكانية للسلام تلوح أمامها فى الأفق ."

٦ ـ وكان هناك سبب أخير ، وكان صاحبه هو "إسحاق رابين" الذى أخذ على عاتقه تأخير تسليم الرد بالرفض لأربع وعشرين ساعة ، ناصحا حكومته بأن تقبل وأن تحاول الحصول على ثمن لقبولها ، وذلك بمنطق أنه إذا قبلت حكومة إسرائيل بمبادرة سياسية تقوم بها الولايات المتحدة وتشير فى صلبها إلى كلمة "الانسحاب" ـ

فإن الحكومة الإسرائيلية يكون لها الحق حينئذ فى تعويضها عن ذلك القبول بالإسراع فى شحن صواريخ "شرايك" والقاذفات من طراز "فانتوم" وفتح باب التفاوض على أسلحة جديدة .

وهكذا قبلت إسرائيل "مبادرة روجرز" . ولم يلتفت أحد وقتها بالقدر الكافى إلى رد فعل "هنرى كيسنجر" ، الذى كان يتابع أزمة الشرق الأوسط من بعيد ويكره اختصاص "روجرز" بها ، ويتشوق إلى يوم يمسك بها فى يده ويتولى حلها منفردا . ففى نفس اليوم الذى أظهرت فيه الحكومة الإسرائيلية استعدادها لتغيير رأيها فى مبادرة "روجرز" وقبولها بعد سبق رفضها ، كان "كيسنجر" فى اجتماع فى البيت الأبيض الغربى فى "سان كليمنت" فى كاليفورنيا يقول : "إن سياسة الولايات المتحدة ينبغى أن تتجه إلى طرد "expel" الاتحاد السوفيتى من الشرق الأوسط بدلا من إرغام إسرائيل على قبول مبدأ الانسحاب ."



روجـــــرز (٢)

"سوف يأتى وقت يقول فيه الروس لأنفسهم: هؤلاء الناس (الإسرائيليون) لا يجدى معهم أى حديث عن التسوية ، ولا بد أن توجهوا لهم ضربة مؤثرة قبل أن يفهموا ضرورات السلام "

("جمال عبد الناصر" فى اجتماع مع خبراء وزارة الخارجية المصرية)

بعد شهر من الصمت والانتظار قبلت مصر بـ "مبادرة روجرز" . وقام وزير خارجيتها السيد "محمود رياض" باستدعاء المستر "دونالد بيرجس" القائم بشئون رعاية المصالح الأمريكية فى مصر ، وأبلغه رسالة شفوية بقبول المبادرة كان نصها :

"أفيدكم بأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تقبل اقتراحكم الذى ورد فى رسالتكم بتاريخ ١٩ يونيو الماضى الخاص بإخطار السفير يارنج بموافقتنا على نص التصريح الذى اقترحتموه فى خطابكم ، وعلى أساس أن يصدره السفير يارنج فى شكل تقرير يقدم إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ."

وكتب السيد "محمود رياض" إلى وزير الخارجية الأمريكى "ويليام روجرز" خطابا بتاريخ ٢٢ يوليو جاء فيه ما يلى :

"عزيزى وزير الخارجية

تلقيت رسالتكم بتاريخ ١٩ يونيو ١٩٧٠ . إن انسحاب إسرائيل من كل الأراضى العربية التى احتلتها نتيجة لعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ هو ضرورة حيوية لتحقيق أى تسوية سلمية فى المنطقة . وإن تحرير الأراضى العربية ليس حقا طبيعيا فحسب ، وإنما هو واجب وطنى أيضا . إن القادة الإسرائيليين طالما أعربوا صراحة عن رأيهم بأنهم شنوا الحرب لغرض التوسع وضم الأراضى . وأنا واثق أنكم تقدرون أن

استمرار تجاهل حقوق الشعب الفلسطيني الذى طرد من أرضه لا يمكن أن يساعد على أى تسوية سلمية فى المنطقة . وإنه إذا كان هذا الهدف مطلوبا فإن حقوق هذا الشعب لا بد من ضمانها على أساس قرارات الأمم المتحدة . ونحن إذ نأمل أن يؤدى السفير يارنج مهمته فى تحقيق تقدم سريع على أساس اقتراحاتكم ، نعتقد فى نفس الوقت أن هذا التقدم يصعب تحقيقه بدون مساندة قوية من مجلس الأمن والدول ذات العضوية الدائمة فيه . ونعتقد أن الخطوة الأولى الضرورية هى وضع جدول زمنى بمراحل انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى العربية المحتلة .

(إمضاء) "

□

وراحت حكومة الولايات المتحدة ـ بعد قبول كل من مصر وإسرائيل لـ "مبادرة روجرز" تعد لتنفيذ المبادرة، وأول خطوة فيها هى التوصل إلى ترتيبات لوقف إطلاق النار. وبدا أن ذلك سيأخذ وقتا خصوصا وأن التوابع السياسية لزلزال القبول بالمبادرة على الجانبين كانت عميقة فى آثارها ومضاعفاتها .

وفى ذلك الوقت كان "محمد حسنين هيكل" يقوم بأعمال وزير الخارجية بالنيابة ، إلى جانب عمله كوزير للإرشاد القومى ، لأن السيد "محمود رياض" ـ وزير الخارجية كان خارج البلاد فى رحلة تستغرق أسبوعين يزور فيهما الاتحاد السوفيتى ومجموعة من دول أوروبا الشرقية ، للتباحث معها فى مسار الأزمة بعد قبول "مبادرة روجرز" .

ويوم ٤ أغسطس اتصل القائم بالأعمال الأمريكى "دونالد بيرجس" يطلب موعدا عاجلا معه ، بوصفه وزيرا للخارجية بالنيابة ، لإبلاغه برسالة شخصية من "ويليام روجرز" وزير الخارجية الأمريكى . ونظرا لارتباط "هيكل" باجتماع لمجلس الأمن القومى مع الرئيس "جمال عبد الناصر" ، فقد جرى إخطار القائم بالأعمال الأمريكى أن يتصل بوكيل الخارجية السفير "محمد رياض" لإبلاغه بما لديه .

وكتب السفير "محمد رياض" مذكرة عن الاجتماع قال فيها :

"ـ قابلت المستر دونالد بيرجس بعد ظهر اليوم ١٩٧٠/٨/٤ .

ـ ذكر أنه كان فى قبرص لتضمية إجازة قصيرة،ووصلته تعليمات لقطعها والتوجه

للقاهرة فـورا لإبلاغ رسالة سـوف يجدهـا فـى انتظـاره،وإن عليـه أن يقدمهـا إلى "الوزير هيـكل".

- قـال إن موضوع الرسالـة هو ترتيبات وقـف إطـلاق النـار .

- ذكـر أنهم يقترحون وقـفا لإطـلاق النار فى المواقع standstill ceasefire وذلك لكى يكون لوقـف إطـلاق النار مفعـول حقيقـى متـوازن بين الطرفـين . وأضـاف أن الولايـات المتحـــدة استنادا إلى تقاريرهـا السريـــة مـن مخابراتهـا ، تعتقـــد أن قـوةالجمهورية العربية المتحدة فى غـــرب قنـاة السـويس تعـادل قـوة إسـرائيل شـرق قناة السويس فى الميدان الـبرى . كما أن القـوة الجويـة المصريـة اقتربت جـدا من القـوة الإسرائيلية . ولذلك فـإن وقـف إطــلاق النـار فـى الواقـع يحقـق توازنا للطرفـين .

- قـال كذلك إنه لكى يمكن الحفاظ على وقـف إطلاق النار فيجب أن تشعـــر القـوات المحاربة لكل من الطرفين أنها مطمئنـــة تمامـا ، وذلـك يتحقـق بكفـاءة فـى ظـل وقـف إطلاق النار فى المواقـع .

- قـال إنه بضمـــان ذلـك فيمكن للطرفـين استعمال طائـــرات التصويـر لديهمـا علـى شريـط يتفـق عليه على ناحية من الخطـوط بحيث يتمكن من التصوير فــى أمـــان . وإذا شـك طـرف بأن الطرف الآخر أجرى تحركات فى قواته تعطيه مـيزة ، فإنـه يستطيع أن يقدم ما لديه من صـور تظهـر وجهـة نظـره إلى الولايات المتحـدة لكـى تقـوم بمراجعة الطرف الآخر ."

وحين قـدم السفير "محمد ريـاض" مذكرتـه إلى "محمـد حسـنين هيـــكل" ــ فـإن هيكـل طلـب إليه استدعاء المستر "دونالد بيرجـس" وإبلاغـه بما يلـى :

"١ ـ إنه يصعـب قبول اقتراح السماح لطائرات إسـرائيلية بالطيران علـى مسارات تسمـح لها بتصوير الخطوط المصريـة ، فضلا عـن أننـا نعلـم أن إسـرائيل سـوف تتجاوز الخطوط المسموح بها إذا جرى القبول بالفكرة . كذلك فإنـــه مـن الصعـب أن تعـرف مصـر بـالضبط مـدى تقـدم إمكانيـات التصويـــر لـدى طائـــرات الاستكشاف الإســـرائيلية. وإضافة إلى ذلك فإن عمـق الجبهـة المصريـــة لا يمكـن السـماح باستكشـافه تحـت أى ظـرف مـن الظـروف ، فــى حـين أن الخطــوط الدفاعيـــةالإسرائيلية على شاطئ القنـاة أمرها معـروف ويكاد يكون ظاهـرا.

٢ ـ إنه من الصعـب قبـول اقتراح أن تكون الولايات المتحدة هى المرجعية التى يعـود إليهـا الطرفان فى أية مخالفات تظهـر لهما فى أوضاع القـوات . ومـن الأفضـل أن تكون المرجعية للأمـم المتحدة وللسـفير يارنـج إذا كانت لدى أحـد من الطرفـين

شكوى بشأن تحركات للقوات رصدها بوسائله العادية وبدون اللجوء إلى فكرة الطيران قرب الخطوط .

٣ ـ أن يسأل المستر بيرجس عما إذا كانوا قد تشاوروا فى أمر أية مخالفات لوقف إطلاق النار مع الأمم المتحدة أو مع الأعضاء الدائمين ."

وعاد "بيرجس" إلى السفير "محمد رياض" فى اليوم التالى باقتراح مؤداه أن الولايات المتحدة تقترح أن تقوم هى بعملية الطيران فوق الخطوط لتضمن عدم مخالفة أى من الطرفين لاتفاق وقف إطلاق النار فى المواقع standstill ceasefire .

□

وانعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن القومى جرى فيه بحث المشكلة من جميع جوانبها . وبعد مناقشات طويلة تقررت الموافقة على الاقتراح لعدة أسباب :

١ ـ إن رفضه الآن سوف يودى بكل "مبادرة روجرز" ، ويحوّل الأزمة الآن من خلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل إلى خلاف بين الولايات المتحدة ومصر .

٢ ـ إن الولايات المتحدة سوف تقوم بهذه العملية عن طريق استخدام طائرات "يو٢" للتجسس، وهى طائرات تحلق على ارتفاعات عالية لا يصل إليها مدى أى صواريخ موجودة فى الشرق الأوسط . وسواء وافقت مصر أو لم توافق فإن هذه الطائرات سوف تقوم بمهمتها ولا يكون أمام السلطات المصرية سوى الاحتجاج ، وهو عقيم .

وبعد انتهاء جلسة مجلس الأمن القومى ـ وقد انعقدت فى بيت الرئيس "جمال عبد الناصر توجه الرئيس إلى غرفة مكتبه واستدعى "محمد حسنين هيكل" وقال له "إن الأمريكان سوف يفاجئوننا فى أى لحظة بتوقيت محدد لتنفيذ وقف اطلاق النار فى المواقع ، وإن عليه تحت أى ظرف ألا يقبل توقيتا إلا إذا ارتبط بمهلة للتنفيذ العملى على الأرض تصل إلى ما بين ٦ ساعات و١٢ ساعة". وأضاف أنه يتصور أن الإبلاغ الأمريكى بالتوقيت سوف يتم فى وقت قريب . وقد أمر الفريق"محمد فوزى" وزير الحربية بأن ينتهز كل دقيقة متاحة له قبل توقيت وقف إطلاق النار لتعزيز مواقع حائط الصواريخ المصرى على الجبهة المصرية وفى أعماقها .

وعاد "محمد حسنين هيكل" من اجتماع مجلس الأمن القومى ليجد أن السفير البريطانى السير "ريتشارد بومونت" يطلب موعدا عاجلا معه . وكان السير "ريتشارد"

يريد أن يخطره بأنه تلقى تعليمات من لندن بأن الحكومة الأمريكية اتصلت بهم لتطلب السماح لطائراتها من طراز "يو ٢" باستعمال قاعدة "أكروتيرى" فى قبرص لعملية مراقبة خطوط وقف إطلاق النار طبقا لـ "مبادرة روجرز" . وقال "ريتشارد بومونت" إن "لندن وافقت على الطلب رهنا بموافقة مصر وبموافقة الرئيس القبرصى ماكاريوس" .

□

كانت المرحلة التى بدأت الآن ، دقيقة وحساسة ويتوقف عليها الكثير فى مستقبل المنطقة وشعوبها ، وكان لا بد من مواجهتها بأكبر قدر من الكفاءة والخبرة ، بما فى ذلك إعطاء صانع القرار أفضل وضع يتخذ فيه قراره .

وكان محمد حسنين هيكل (من موقعه الرسمى فى ذلك الوقت وزيرا للإرشاد وقائما بأعمال وزير الخارجية لفترة محددة) يطرح أهمية إعادة تكوين مجلس الأمن القومى ، فهذا المجلس حتى الآن ظل دوره محصورا فى أعضائه ، وهم فريق محدود من كبار المسئولين فى الدولة بحكم وظائفهم ، وعددهم لا يزيد عن سبعة أو ثمانية .

ولم يكن ذلك هو المقصود بفكرة مجلس الأمن القومى كما هى معروفة فى الدول التى تأخذ بها .

ووافق الرئيس "جمال عبد الناصر" على هذا الطرح ، وتقرر أن يتسع نطاق مجلس الأمن القومى وهيئته الدائمة ويكون جهاز الرئيس فى عملية صنع القرار ، وأن يكون رئيس هذه الهيئة الدائمة الدكتور "محمود فوزى" مستشار الرئيس للشئون الخارجية .

ولم يكن ممكنا أن يتم ذلك مرة واحدة بقرار ، وهكذا بدأ التمهيد للاقتراح بخطوات عملية ، كانت الخطوة الأولى منها إشراك عسكريين فى المداولات العربية على مستوى القمة بحيث يعرف هؤلاء طبيعة الظروف التى يصدر فيها القرار السياسى العربى . وبالتالى تقترب مجالات التخطيط وميادين القتال من الفكر السياسى العربى والحدود التى تحكم استراتيجياته . ولتحقيق هذا الهدف ، فإن الرئيس "جمال عبد الناصر" وافق على اشتراك ثلاثة من العسكريين الكبار فى أعمال مؤتمر قمة المواجهة الذى انعقد فى طرابلس فى يوليو سنة ١٩٧٠ . وكان الثلاثة هم اللواء "محمد عبد الغنى الجمسى" واللواء "مصطفى الجمل" واللواء "حسن البدرى" . وكان حضورهم لمناقشات مؤتمر القمة فرصة قيّمة فى تعريف العسكريين بأجواء صنع القرار السياسى العربى على مستوى القمة .

وجاءت الخطوة التالية بعد ذلك ، وهى اشتراك مجموعة من نجوم الدبلوماسية المصرية فى مناقشات حرة مع الرئيس "جمال عبد الناصر" بحيث يتاح قدر كاف من التفاعل بين العاملين فى الميدان الدبلوماسى وبين عملية صنع القرار فى مجال السياسة الخارجية .

وكانت المناسبة التى أتيحت لهذه التجربة هى الظروف التى أعقبت "مبادرة روجرز" ، وهكذا دعا الرئيس "عبد الناصر" ـ يوم ٩ أغسطس ـ وزير الخارجية بالنيابة (محمد حسنين هيكل) إلى الاجتماع به ومعه عدد من أركان وزارة الخارجية يختارهم . وبالفعل فقد اختار "هيكل" عشرة ، بينهم السفير "محمد رياض"، والسفير الدكتور "محمد حسن الزيات" والسفير الدكتور "أشرف غربال" ، والسفير "أحمد عثمان" ، والمستشار "أسامة الباز" ، كى يشاركوا فى مناقشة حرة مع رئيس الدولة دون قيد وبدون رسميات . وكانت تلك تجربة جديدة ، ومفيدة .

وقد بدأ الرئيس "عبد الناصر" الاجتماع الذى عقد فى استراحة المعمورة ، فقال للحاضرين فى الاجتماع معه إنه فى هذه الجلسة يريد أن يسمع منهم ، وأن يناقشهم وأن يناقشوه بدون أية رسميات أو قيود من أى نوع . وهو يريد منهم أن يفتحوا فكرهم حتى لو تصوروا أنه يخرج عما يعرفون أو يظنون أنه سياسته . وبدأت المناقشة ، وطلب "محمد حسنين هيكل"من المستشار "أسامة الباز" أن يكتب محضرا فوريا للجلسة ، وقد كتبه فى تسع عشرة صفحة كاملة .

كان أول المتكلمين الذين دعوا لمناقشة فكرهم مع الرئيس هو السفير "محمد رياض" ، باعتبار أنه كمدير لمكتب الوزير محيط بأبعاد الصورة المتشابكة للاتصالات السياسية الجارية فى ذلك الوقت . وبدأ "محمد رياض" فقال طبقا للمحضر الذى كتبه "أسامة الباز" بخط يده :(١٥)

"المرحلة المقبلة تختلف عن المرحلة الماضية فى أننا مقبلون على عملية هى من وجهة نظر الولايات المتحدة أكثر جدية . صحيح أنها وافقت على قرار مجلس الأمن ولكنها لم توافق من قبل أبدا على تنفيذه . الولايات المتحدة وجدت أننا صمدنا ، وهى تريد الآن حل المشكلة ، ولكن أى حل ؟ .. هل هو تنفيذ قرار مجلس الأمن بأمانة وعدل ، أم هو حل لا يصل إلى هذا الحد ؟

هذه هى النقطة الأولى التى أريد أن نعرضها للبحث . والنقطة الثانية هى هل حقيقة هناك شبه اتفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ؟ ـ الآن الموقف فى

---

(١٥) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الثانية من محضر هذه الجلسة بخط المستشار "أسامة الباز" ـ تحت رقم (١١)

الهند الصينية أحسن ، فهل هذا يشجع أمريكا على الدخول فى الشرق الأوسط ؟ — والمعاهدة بين ألمانيا والاتحاد السوفيتى ، ثم مباحثات السولت ، إذا كانوا قد وصلوا إلى اتفاق فمعنى هذا أننا يجب أن نصل إلى أفضل حل ممكن . وإذا لم يكن هذا صحيحا فمعنى هذا .... (ولم يكمل "محمد رياض" بقية الجملة) .

والمحك هو : هل أمريكا صادقة الآن فى تنفيذ قرار مجلس الأمن ، أم أنها تهدف إلى تسوية وليس بالضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن ."

وطبقا للمحضر فإن الرئيس "عبد الناصر" لاحظ الجملة التى لم يكملها قائلها ، فتدخل فى الحديث منذ بدايته ليقول:

"أهم شيء قاله السفير محمد رياض هو أننا نبدأ مرحلة جديدة ، ويجب أن نتجه لها بتفكير جديد . فيجب أن نبعد عن الألواح القديمة المكررة سواء فى واشنطن أو نيويورك أو القاهرة ، وفى مجال الإعلام . نحن لم نغير مبادئنا فى الموضوع substance. لكن العملية التكتيكية التى نعمل بها من الآن تتطلب حرق أوراقنا القديمة والبدء بأسلوب جديد . وهناك نقطة هامة ، هى لماذا اهتم الأمريكان بالموقف أكثر الآن ؟ هناك الوضع السوفيتى . فالاتحاد السوفيتى رادعه سياسى أكثر منه عسكريا . أما بالنسبة للاتفاق بين الروس والأمريكان فقد تكون هناك نيات لدى كل منهما لتصفية بعض المشاكل ، وقد يكون كل منهما يطمئن الآخر . الروس ساعدونا جدا ولا نستطيع أن نستغنى عنهم وإلا نكون قد حققنا هدف إسرائيل ، فلو خرجوا ما اهتم الأمريكان بحل المشكلة . نحن نريد حلا سلميا حقيقيا والروس يعرفون هذا ، وهم أيضا يريدون حلا سلميا ، وقد حاولوا . ولكن سيأتى وقت معين يقولون فيه "هؤلاء الناس (الإسرائيليون) يجب أن تضربوهم ليقتنعوا بحل سلمى" ، وهم قرب هذا الوقت الآن ومقتنعون بأننا يجب أن نحرر أراضينا . وإذن نستطيع أن نقول هناك محاولة للتفاهم بين الروس والأمريكان ، ولكن فكرى أنه ليس هناك اتفاق على التفاصيل . ولدىّ نقطة أخرى متعلقة بالشرق الأقصى (فيتنام والصين)، وهى أنه إذا خرج الروس من هنا بهزيمة فإنهم يكونون قد هزموا فى العالم كله . لهذا يجب فى سياستنا أن نعلم الروس بكل شيء ، ويجب أن نراعى حساسيتهم لأنهم معقدون من هذه الناحية . فكرة زيارات بيرجس لوزارة الخارجية تثيرهم وتجعلهم حساسين لكل ما يمكن أن يتم نتيجة ما يتوهمون أنه اتصال بين أمريكا وبيننا ، فيجب أن نراعيهم جدا . وهم لديهم تجارب فى الصين وغيرها حيث ظنوا أن أصدقاءهم غدروا بهم . موقفنا هنا أننا لن نعطيهم بلدنا أو نجعلهم يؤثرون على سياستنا . وهنا فى مصر عناصر شيوعية معروفة لنا تريد أن توقع بيننا وبين الروس ، فيجب أن نراعى هذا فى واشنطن ونيويورك . الأمريكان يريدون أن يقللوا من مساعدة السوفيت لنا ، فحتى إذا ظهرت أشياء

توحـى لنا بأن الـروس يتخذون مواقف معينة، فيجب أن نتحرز تماما قبل الانـزلاق في أى تصرف يحقـق فى الواقع الهـدف الأمريكـى والإسرائيلى .

هناك عناصر شيوعيـة وغـير شيوعيـة ، والأمريكان أيضا يريدون الوقيعة بيننا وبين السوفيـت ، ويريدون أن يضعونا فـى موقـف دفـاعى فى علاقتنـا بهـم . وهـذا علاجه أن تكون مواقفنا واضحة . وحسب محادثاتى مع القـادة السـوفيت فأنـا واثــق أنهم لا يمكن أن يقـروا أى شـىء إلا إذا كان مقبـولا منـا ."

وطلـب الدكتور "محمد حسـن الزيـات" الكلمـة ليقـول :

"فى محادثات دارت بينى وبين بيرجــس سـألته عمـا إذا كـان متفائــلا أم لا ، ودرجة تفاؤله ؟ فقال "نصـف ونصــف" . فسـألته عـن السبـب ؟ فقـال "لأن الـدول الأربـع المعنيـة رأت أنهـا لا يمكـن أن تحقـق أهدافهـا بـالوضع الراهـن" . وقـال إن إسـرائيل بـالذات رأت أن خطتهــا الـحاليــة لا تحقــق أهدافهـا ، وقـد أكـد هـذه النقطـة مرتـين ."

وطلـب السفير "أشـرف غربـال" (القائم بأعمال شئون الرعايـا المصريـين فـى واشـنطن ، وقد استدعى إلى القاهـرة وقـت المناقشات حول "مبادرة روجـرز") الكلمـة ليقول :

"من خلال وجودى فى أمريكا هذه المدة ، يمكن أن أقـول إن هنـاك تطابقـا بـين الموقف الإسرائيلى والموقـف الأمريكى على طـول الخـط . وكـانت المبـادرة أول تغـير فـى هـذا الموقـف . وبـدأ يحصـل انفصـال أو تمـيز بـين السياسـتين الأمريكيــة والإسرائيلية منذ التحـرك السوفيــتى الأخـير . فالأمريكـان سعـوا مـرارا للفصـل بيننا وبين الـروس بكـل وسيلــة . وقـد يحـاولون عـن طريـق استراتيجية دوليـة أن يجـدوا منفـذا للوصول إلى الاتحاد السوفيـتى والتأثير عليه . فكما تحركت روسيـا ، وبالتالى تحركت أمريكا ، فيجب أن أبقـى علـى هـذا العنصـر دائمـا . ويـوم تشعـر أمريكا أن عنصـر التغـير بــدأ ينحسـر فالتغيير الأمريكـى سيكون عديـم القيمـة بالنسبة للمرحلة القادمة . وفى الوقت الذى نبقـى فيه على العلاقات متينــة وقويـة مع الاتحاد السوفيـتى ، فيجب أن أفتـح مع الولايات المتحدة وأفتـح بعـض الكبـارى معهــم ، ونحــاول أن نقـول لهـم "يجـب أن تخطـوا خطوات أوسـع مـن الخطــوة الأولـى" . أنا أتصور فى ذلك : لا شك أن عـودة العلاقات كــارت لا يصـح أن أرميــه إلا إذا أخـذت مقابله شيئا أكـبر . وفى المراحل الأولى لمباحثات يارنج ، وحين يتبلور موقف أمريكا، أو حين يتبلور موقف إسرائيل بضغـط أمريكى ، فيجب ألا نتأخر فى إعادة العلاقات كثيرا . وهناك مسائل مثل إعادة تسوية الديون مع أمريكا . مثل هــذه المسائل لن تكلفنى سياسيا أو استراتيجيا ، خصوصا ما لمسناه من تجارب إنسانية مـع أشخاص مثل ماكنمارا . وإذا كنا نتكلم عن شـىء مـن الانفتـاح مـع أمريكـا فيمكـن أن

تخرج رسائل من السيد الرئيس أو الوزير إلى نيكسون أو روجرز بدعوتهما للتحرر أكثر ومجابهة النواحى الموضوعية ."

. . . .

. . . .

وعاد الرئيس "جمال عبد الناصر" يوضح موقفه من مسألة السوفيت والأمريكان ، فقال :

"يمكن الآن أن أفعل الأشياء التى لا تكلفنى الكثير ، فهى **niceties** (مجاملات) لكنها لا تصل إلى حد الإجراءات الاستراتيجية . الانفتاح ممكن، أما عودة العلاقات فهى شىء معقد جدا . ونحن دعونا الدول العربية لتقطع علاقاتها مع أمريكا ، ففعلت . وهنا أيضا يجب الموازنة بالنسبة للاتحاد السوفيتى . فإعادة العلاقات الآن معناها أننا نتفاهم من وراء الستار مع الأمريكان . ثم إننا نحن الذين طلبنا من الاتحاد السوفيتى قطع علاقاته مع إسرائيل . فالاتحاد السوفيتى لا يطلب منا شيئا بل نحن الذين نطلب منه . طبعا الروس طبيعتهم تختلف عن الأمريكان ، عندهم **discipline** يصل إلى حد الجمود . حينما بلغناهم عن وقف إطلاق النار قلنا لهم إننا سنعطى ردنا عليه الساعة ١٢ غدا ، وإن اتجاهنا يسير نحو الموافقة ، فإذا كان لديكم شىء فأخطرونا به . ولكنهم لم يرسلوا لنا شيئا ، فى الوقت الذى يتلقى فيه بيرجس رسالة كل ساعة . علينا أيضا أن نراعى أن هناك أصواتا فى الاتحاد السوفيتى تقول إننا نورطهم ، وقد لا يجدون منا فى النهاية سوى نفس ما لاقوه من الصين . وهم شكاكون، يحصون مقابلات بيرجس مع محمد رياض حتى فى المنزل . ونحن لا نعطى الاتحاد السوفيتى هذا الاعتبار إلا من أجل قضيتنا . فأنا كل أسبوع أطلب منهم طيارين ، وليست إهانة لى أن أكتب بدل الخطاب مائة ليجىء إلينا طيارون. وواضح أنه إذا طلع الروس من العملية انفرد بنا الأمريكان . وعلى أى حال فعملية الانفتاح التى تكلم عنها أشرف (غربال) واردة ، ولكن لا تبن عملك على أساس عودة العلاقات الآن . وهناك نقط مهمة يجب أن نأخذها فى الاعتبار وتكون فى فكرنا ، أولها أن نعرف أن الجيش المصرى هو الذى اضطر إسرائيل لقبول وقف إطلاق النار المرتبط بالانسحاب . والثانية أننا لا يجب أن نأخذ أمريكا طوال الوقت على أنها محامى إسرائيل . والثالثة أن عندنا موقفا عربيا لابد من المحافظة عليه . والرابعة أننا يجب أن نكسب الرأى العام الدولى ، والإعلام مطلوب منه أن يقوم بحملة كبيرة . على أى حال ، فى كل ما يتعلق بالانفتاح والاتصالات، عندكم **free hand** (حرية كاملة) وليس عليكم حدود . ليس هناك حد إلا الإصرار على الانسحاب الكامل من جميع الأراضى المحتلة بعد ٤ يونيو ١٩٦٧ . وفيما يتعلق بما يقولونه عن **minor rectifications** (تعديلات طفيفة)، لا مانع إذا وافق عليها الأردن وتكون تصليحات ادارية أو تصحيح أوضاع

شاذة . كذلك نحن لا نتنازل عن الجولان أبدا . العملية سوف تكون صعبة . هم كانوا يرفضون الكلام عن الانسحاب ، وبدءوا أخيرا يتقبلون هذه الكلمة ، وأتوقع أنهم قريبا سوف يتراجعون عنها . لكننا فى هذه العملية كسبنا شيئا وهو حقيقة حتى الآن مجرد كلام . ولكن المهم أن يكون واضحا لكم أننا لن نتنازل عن شبر من الأرض . وأنا موافق على كثير مما سمعت منكم ، ولا مانع عندى أن ينقل الزيات وأشرف رسائل شفوية مضمونها أننا جادون وصادقون فى مسألة الحل . وإذا حاول يارنج الحضور إلى قبرص ، فسوف نجعل القائم بالأعمال هناك على اتصال دائم به. لكنى أريد أن أحذركم من أن يحس أحد من كلامنا أننا متهافتون على الحل السلمى. مثل هذا الحل ليس قريبا ."

ثم اكتشف الرئيس "عبد الناصر" أنه ما زال يتكلم ، فقال : "أنتم جرجرتمونى إلى أن أتكلم ، وأنا أريد أن أسمعكم ".

واستمرت الجلسة خمس ساعات و"جمال عبد الناصر" يسمع كثيرا ويتدخل قليلا.

وبعد عدة أسابيع من هذا الاجتماع فى مناقشة التسوية ، كان "جمال عبد الناصر" قد انتقل إلى رحاب الله .

وكان قرار السلم معلقا ... رغم وجود محاولات ومبادرات .

وكذلك كان قرار الحرب ... رغم وجود خطط واستعدادات .

"أنور السادات"

صناعة وتجارة السلام

"لقد نطق البشير بما ابتهجنا
له لو كان يصدقنا البشير

(البحترى)

الشرط الأول لأى سياسة تجرى ممارستها بالدبلوماسية أو بالقوة أن يكون الهدف واضحا، بمعنى أن تكون الدبلوماسية وتكون القوة على علم بما تريدان التوصل إليه. ويمكن للدبلوماسية أن تغطى ، ويستطيع السلاح أن يناور ، ولكن الهدف لا بد أن يكون واضحا ، وقد يحصل الدوران حوله ويكون الاقتراب إليه من طرق غير مباشرة تبدو بعيدة عنه ـ لكن الهدف يجب أن يكون دائما نصب العيون ، ويكون معيار النجاح للدبلوماسية أو القوة هو وصولها إليه بصرف النظر عن الطريق الذى وصلت منه.

الفصل الأول

الحرب والسلام

إن صنع الحرب أو صنع السلام
مسئولية أخطر من أن تترك لرجل بمفرده
حتى ولو كان رئيسا للدولة
أو زعيما يملك شعبية جارفة.
إن مخاطر المشاركة الواسعة فى هذه العملية
قد تؤدى إلى إضاعة فرصة ،
لكن مخاطرة احتكار القرار بواسطة فرد
يمكن أن تؤدى إلى كارثة !

١

جولـــدا مائــــير

" لا نعـــرض علـــى المصريـــين الاستســـلام أو المهانـة وإنما لدينـا ما يستحـق أن يسمعـوه "

(رسالة من "جولدا مائير" إلى الرئيـس "السـادات" عن طريق "هنرى كيسنجـر")

تلقـى "أنـور السـادات" أول رسالـة من إسـرائيل يـوم ٣٠ سبتمـبر ١٩٧٠ ـ أى بعـد أقل من يومين اثنين من رحيـل سلفـه الرئيس "جمـال عبد الناصـر" .

ولم يكـن "أنـور السـادات" رئيسـا بعـد ، وإنمـا كـان رئيسـا بالنيابـة لحـين اتخـاذ الإجراءات الدسـتورية والقانونيـة التـى تجـىء برئيـس جديـد لمصـر . والواقـع أن "أنـور السـادات" لم يتلـق هـذه الرسالـة وحـده ، وإنمـا تلقاهـا ضمـن مجموعـة "المسـئولين فـى الجمهورية العربيـة المتحدة" . ومن المفارقات أن الرجـل الذى تلقـى الرسالـة بنفسـه كان هـو السيد "علـى صـبرى" ، وهو الخصـم اللدود لـ "أنور السـادات" والرجـل الذى كان يظـن أنـه أكـبر المتشددين فى موقفـه حيالها .

كان حامـل الرسالـة رئيـس وزراء رومانيـا الذى جـاء إلى القاهـرة للمشاركـة فى تشييـع جنـازة "جمـال عبد الناصـر" .

وكانت الرسالة كما كتبها وزيـر "شئون رئاسـة الجمهورية" على ورقة من مكتب "ديـوان كبير الأمنـاء" ـ كما يلـى :(١)

(١) فى ملحـق صـور الوثـائق توجـد صـورة للصفحـة الأولى مـن الرسـالة التـى كتبهـا وزيـر شـئون رئاسـة الجمهورية ـ تحت رقم (١٢)

"ديوان كبير الأمناء

١٩٧٠/٩/٣٠

مقابلة رئيس وزراء رومانيا مع السيد على صبرى

سفير إسرائيل فى رومانيا قابل وزير الخارجية وأبلغه الرسالة التالية لينقلها إلى المسئولين فى ج. ع. م. (الجمهورية العربية المتحدة) :

١ - إسرائيل لن تستغل الموقف الناتج عن وفاة الرئيس جمال عبد الناصر . والتصريحات التى أدلى بها المسئولون الإسرائيليون بعد وفاة الرئيس هى تصريحات جادة وتمثل وجهة نظر الحكومة (كان مؤدى التصريحات أن إسرائيل مستعدة لفتح صفحة جديدة مع مصر) .

٢ - إن إسرائيل تتمنى أن يستمر المسئولون الجدد على السير فى نفس الطريق الذى سلكه الرئيس فى الشهور الأخيرة ـ الرامية إلى إيجاد حل سلمى للمشكلة.

٣ - لذلك فإن إسرائيل مستعدة أن تمد اتفاقية وقف اطلاق النار عند انتهائها لأجل غير مسمى .

٤ - إن إسرائيل مستعدة لإرسال مندوبين على أى مستوى تراه ج. ع. م.، لإجراء محادثات لا تتعارض مع المحادثات التى يجريها السفير يارنج .

٥ - إذا كان هناك رد من المسئولين نبلغه للجانب الرومانى ، االذى يقوم بدوره بتبليغه للجهات الإسرائيلية .

لم يرد عليه السيد على صبرى . إنما لفت نظر الحكومة الرومانية والرئيس شاوشيسكو والمسئولين - أن ج. ع. م. تسير على نفس الخط ونفس السياسة التى رسمها الرئيس جمال عبد الناصر دون أى تغيير ."

وكانت تلك مبالغة فى التفاؤل من جانب "على صبرى"، لأن "السادات" الذى طرح اسمه للاستفتاء بعد أيام من هذه الرسالة ، وأصبح رئيسا لمصر بعد أسبوعين ـ كانت له رؤية أخرى أشد اختلافا وأسلوب إدارة لا علاقة له بـ "نفس الخط" ونفس السياسة !

□

إن متابعة ادارة الرئيس "السادات" لأزمة الشرق الأوسط على طول الفترة ما بين توليه رئاسة الجمهورية ومسئولياتها ، وإلى حرب أكتوبر ونتائجها ، تظهر أن هذه الإدارة مرت بعدة مراحل يسهل تمييز كل واحدة منها بملامحها الخاصة وقسماتها : (٢)

● **المرحلة الأولى** : من أكتوبر ١٩٧٠ إلى أكتوبر ١٩٧١ ــ وخلالها فإن الرئيس "السادات" مارس إدارته للأزمة بواسطة التعامل مع "مبادرة روجرز" . فقد جاء إلى السلطة وهذه المبادرة هي الورقة الوحيدة المطروحة في الساحة . وتصرف إزاءها كما رأى مناسبا . ثم وصل إلى اليأس منها ورمى بها جانبا بعد أن التقى وجها لوجه مع "ويليام روجرز" صاحب المبادرة نفسه . فقد اقتنع "أنور السادات" بأن "روجرز" مهما صلحت نياته لا يقدر .. لأن السلطة الحقيقية في واشنطن موجودة في البيت الأبيض وليس في وزارة الخارجية .

● **المرحلة الثانية** : وقد امتدت من أكتوبر ١٩٧١ إلى أكتوبر ١٩٧٢ .. وكان الرئيس "السادات" خلالها يحاول الوصول إلى البيت الأبيض ، وكانت وسيلته إلى واشنطن هي المملكة العربية السعودية التي تصورها الباب الملكي إلى المكتب البيضاوي ــ معقل سلطة القرار الرئاسي في واشنطن .

ومن المفارقات ، أن المنطق الذي كان الرئيس "السادات" يعرضه على المملكة العربية السعودية لتقوم بنقله إلى واشنطن ، هو أن "حماية المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط لاتحتاج إلى الرادع الإسرائيلي" . ولما كانت السعودية ذاتها هي أهم المطالب الاستراتيجية والاقتصادية للولايات المتحدة ، فقد كان معنى ذلك أن ناقل الرسالة هو نفسه موضوعها!

● **المرحلة الثالثة** : وقد امتدت من أكتوبر ١٩٧٢ إلى أكتوبر ١٩٧٣ .. وبها وصل الرئيس "السادات" أمام أبواب البيت الأبيض ، لكن الأبواب لم تتفتح أمامه لأن ساكن هذا البيت ـ "ريتشارد نيكسون" ـ كان في ذلك الوقت مشغولا بفضيحة كبرى هي "فضيحة ووترجيت". وكان الواقف على بوابة البيت الأبيض هو الدكتور "هنري كيسنجر" مستشار الرئيس للأمن القومي ووزير الخارجية أيضا . وكان الرئيس "السادات" يريد هذا الواقف بباب البيت الأبيض أكثر مما يريد السيد المعتقل بالفضيحة داخله . لكن "كيسنجر" كان يعد أولوياته وفق رغباته ، ولم تكن أزمة الشرق الأوسط متقدمة فيها تلك اللحظة ، وقد أراد أن يتركها "في الثلاجة" على حد تعبيره حتى يتفرغ لها على مهل ويعطيها بعض وقته .

---

(٢) التفاصيل الكاملة لكل محاولات الرئيس "السادات" على طريق التسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط منشورة بوثائقها في كتاب محمد حسنين هيكل "أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة" الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر .

وقصارى ما أمكن التوصل إليه مع "كيسنجر" وقتها منذ سنة ١٩٧٢ هو إنشاء قناة اتصال سرية تصل بين الرئيس "السادات" ـ عن طريق مستشاره للأمن القومى السيد "حافظ إسماعيل" ـ وبين "هنرى كيسنجر" باعتباره مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى "ريتشارد نيكسون" .

كانت هذه القناة السرية تقوم بدورها بوسائل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان "موصل الرسائل" باستمرار هو المستر "يوجين ترون" رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية فى مصر .(٣)

● **المرحلة الرابعة** : وقد امتدت مدة أسبوعين من شهر أكتوبر ١٩٧٣ ، وكانت بدايتها قرار الرئيس "السادات" التاريخى ببدء الحرب ، وحتى قراره فى نهاية هذين الأسبوعين من أكتوبر ، بوضع مصير الأزمة كله فى يد "هنرى كيسنجر" وحده ودون غيره .

هكذا حدثت عدة نقلات استراتيجية فى مواقع الأزمة وفى حركتها بين هذه المواقع :

١ ـ النقلة الأولى من "روجرز" إلى السعودية .

٢ ـ النقلة الثانية من السعودية إلى باب البيت الأبيض .

٣ ـ النقلة الثالثة من باب البيت الأبيض إلى مكتب "هنرى كيسنجر" داخله .

٤ ـ ثم جاءت النقلة الرابعة وفيها كان "هنرى كيسنجر" يحيل "أنورالسادات" إلى الموقع الإسرائيلى ، وهناك كانت تنتظره السيدة "جولدا مائير" .

□

كان هدف "هنرى كيسنجر" طوال الوقت ، وقبل وبعد حرب أكتوبر ، هو حمل مصر على مفاوضات مباشرة وجها لوجه مع إسرائيل . وكانت إسرائيل راغبة فى ذلك ، ومن قبل "هنرى كيسنجر" بزمان طويل . وكان القصد الرئيسى للاثنين هو خلع مصر من مكانها فى

---

(٣) يمكن مراجعة كل التفاصيل عن هذه القناة السرية والرسائل المتبادلة عليها ـ قبل حرب أكتوبر وخلالها وبعدها ـ فى كتاب محمد حسنين هيكل "أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة" الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر .

الجدار العربى ، ومن ثم اختراق هذا الجدار وتطويق "المحرمات : المقدسات" ، ثم تتأتى بعد ذلك أية فوائد سياسية وعسكرية ، وغير ذلك مما يمكن أن تحصل عليه إسرائيل من سلام منفرد تتوصل إليه مع مصر .

كان الاقتراح بمفاوضات بين العرب وإسرائيل قد ورد لأول مرة فى قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذى تم بموجبه وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣(٤)، وكان يمكن له أن يبقى نصا معلقا مثل نصوص كثيرة سبقته وتبعته صادرة عن الأمم المتحدة . لكن إسرائيل ـ وكذلك "كيسنجر" ـ كانت حريصة على إعمال هذا النص على الأرض ورفض إبقائه معلقا فى الهواء طويلا .

ومن يوم ٢٢ أكتوبر ـ وبرغم وقف إطلاق النار ـ راحت إسرائيل تشدد ضغطها العسكرى على الجبهة المصرية بهدف تطويق الجيش الثالث المصرى ، وإشاعة جو قلق يصل إلى حد الذعر لدى القيادة المصرية . وفى لحظة حرجة يوم ٢٧ أكتوبر بعث الدكتور "هنرى كيسنجر" إلى الرئيس "أنور السادات" ـ عن طريق مستشاره للأمن القومى السيد "حافظ إسماعيل" ـ بالرسالة التالية على قناة الاتصال السرى التى كانت قائمة بين الاثنين منذ لقائهما فى شهر يناير ١٩٧٣ .(٥)

"من الدكتور هنرى كيسنجر

إلى السيد حافظ إسماعيل

إننى كما تعرفون من رسائلى السابقة كنت على اتصال عاجل بالحكومة الإسرائيلية بصدد موقف الجيش الثالث المصرى، وقد تلقيت لتوى الرسالة التالية من رئيسة الوزراء الإسرائيلية :

"نحن على استعداد للدخول فورا فى مباحثات مع المصريين حول كيفية حل هذا الموقف (موقف الجيش الثالث الذى أرادت إسرائيل أن تحكم حصارها حوله بعد وقف إطلاق النار) ، وعلى المصريين اقتراح المكان والتوقيت ورتبة ممثلهم . ونحن على استعداد لإيفاد رئيس الأركان أو وزير الدفاع أو أى جنرال آخر ، أو أى مندوب غيرهم إلى المباحثات . ونحن نعتقد أن لدينا شيئا ما نعرضه عليهم ... شيئا

---

(٤) رجاء مراجعة التفاصيل فى كتاب محمد حسنين هيكل "أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة" الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر .

(٥) تفاصيل قصة هذه القناة السرية وظروف نشأتها والدور الذى قامت به ـ المرجع السابق .

ما ليس هو الاستسلام ولا المهانة ... مخرج مشرف من الموقف . وكل ما على المصريين عمله هو اقتراح المكان والتوقيت ورتبة ممثلهم ."

انتهت الرسالة الإسرائيلية .

ونحن نحيل هذه الرسالة من قبيل الوساطة وليس من قبيل أنها توصية أو تزكية. ولسوف تقوم الولايات المتحدة من جانبها باستخدام كل نفوذها للخروج بحل مشرف لهذه المشكلة .

إمضاء

هنرى كيسنجر"

كان الرئيس "السادات" مهيأ لهذه الرسالة - سواء نتيجة لاقتناعات سياسية توصل إليها أو نتيجة لتقدير موقف عسكرى وجده أمامه - وتحرك بسرعة لترتيب اجتماع بين ممثلين عسكريين مصريين وإسرائيليين . واستقر رأيه على وفد رفيع المستوى أسند رئاسته إلى اللواء "محمد عبد الغنى الجمسى" - مدير العمليات وقتها - وكانت هذه هى المحادثات التى اشتهرت باسم الموقع الذى عقدت عليه وهو موقع "الكيلو ١٠١" . وكان المفاوض الإسرائيلى أمام "الجمسى" هو الجنرال "أهارون ياريف" مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية .

وكانت تلك خطوة أولى رحبت بها إسرائيل ورحب بها "كيسنجر" . لكن المطلب الرئيسى للاثنين لم يكن محادثات عسكرية ، فهذه المحادثات كانت لها نظائر من نفس النوع - وإن لم يكن من نفس المستوى - فى إطار اتفاقيات هدنة "رودس" .

كان مطلب إسرائيل - ومطلب "كيسنجر" - هو محادثات سياسية بين مصر وإسرائيل مباشرة وفى العلن وأمام كل الناس ، بحيث يبدو للجميع أن المحظور بدأ تجاوزه ، وأن الخطوط الحمراء القديمة جرى تخطيها . وكانت المشكلة : كيف ؟

كيف ؟ وصوت المعركة ما زال صداه فى الآذان ، ونزيف الدم ما زال يجرى جداول على الرمال ، والجيوش لا تزال معبأة متقابلة على خطوط تتصاعد عليها ألسنة الحريق تبرق وسط الدخان الكثيف ، وجماهير الشعب المصرى يقظة ، وقوى الأمة العربية مشدودة ، والاتحاد السوفيتى متشجع ، والرأى العام الدولى متعاطف ، وسلاح البترول الذى أثر على كل اقتصاديات العالم مشهر ومرفوع ؟

كيف وسط هذه الأجواء المشحونة يمكن أن يتحقق لقاء سياسى مباشر بين مصر وإسرائيل وبهذه السرعة ؟ - لكن السرعة كانت مطلوبة لأهداف إسرائيلية وأمريكية .

وكانت الأهداف الإسرائيلية من نوعين :

- نوع عام تدخل فيه مصلحة إسرائيل فى طرق الحديد وهو ساخن ، وعدم السماح للمواقف أن تبرد وتهدأ ثم تعود لتعبر عن نفسها فى مقترحات ومقترحات مضادة بالحبر على أوراق !
- ثم نوع من الأهداف خاص يدخل فيه أن الحزب الحاكم فى إسرائيل ، وهو حزب العمل ، مقبل على انتخابات عامة فى اليوم الأخير من سنة ١٩٧٣ ، وهو لا يريد أن يخوضها بمشهد الحرب الذى لم يكن لصالح إسرائيل ، خصوصا فى الأيام الأولى من القتال . وإنما كان حزب العمل يريد أن يواجه خصومه فى جبهة "الليكود" بأنه بعد تضحيات الحرب يحمل فى يده وعدا بالسلام .

وأما الأهداف الأمريكية فقد تمثلت جميعا فى ضرورة الإسراع إلى الإمساك بزمام قيادة أزمة الشرق الأوسط ، واحتكارها لتوجيه أمريكى قبل أن تحدث تفاعلات أو تتداخل عوامل تصنع متغيرات تأتى إلى موقع التأثير باعتبارات مختلفة عن الحسابات الأمريكية .

□

كانت الفكرة التى طرحت نفسها على "هنرى كيسنجر" ، هى فكرة المؤتمر الدولى الذى تبحث فيه المشكلة من جميع جوانبها ، وباشتراك كل الأطراف حسب إشارة واردة فى نص القرار ٣٣٨.

وكانت فكرة المؤتمر الدولى مطروحة. وكان هناك ـ من ناحية المبدأ ـ قبول عام لها. فكل الأطراف وجدت فيها حلا يعفيها من أسباب كثيرة للحرج ، لأن القوى الدولية جميعا من حقها أن تشترك ، والقوى الإقليمية تستطيع الدخول إلى القاعة ، والأطراف جميعا مدعوون إلى مقاعدهم فيها بغير سبب للحرج ودون حساسية مما تراكم خلال حقب سابقة .

لكن "هنرى كيسنجر" كان يريد المؤتمر الدولى على شروطه . ومن سوء الحظ أن سحره على "أنور السادات" كان غلابا ونافذا . ففى اللقاء الأول بينهما يوم ٧ نوفمبر ، وفى وقت كانت الاشتباكات فيه ما زالت تجرى ، تمكن "هنرى كيسنجر" من إقناع "أنور السادات" بما بدا ضربا من المستحيلات خصوصا فى وقته .

فى ذلك الاجتماع الأول بين الاثنين ، وافق "أنور السادات" على تنازلات لـ "هنرى كيسنجر" تضمنت :(٦)

- التجاوز عن شرط عودة إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر التى صدر عندها قرار وقف إطلاق النار .
- والقفز مباشرة إلى اتفاقية لفك الاشتباك بين الجيشين يجرى التفاوض على تفاصيلها .
- والموافقة على تسكين القوات فى الخطوط التى وصلت إليها المعارك تجاوزا لقرار وقف إطلاق النار يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ ، رغم أن ذلك يترك الجبهة المصرية فى أوضاع غير ملائمة وبالذات بالنسبة للجيش الثالث .
- والموافقة على تسليم الأسرى الإسرائيليين ، وأهمهم مجموعة من ٣٦ طيارا إسرائيليا أسقط الدفاع الجوى المصرى طائراتهم وأخذوا أسرى أحياء، وكانت "جولدا مائير"جامحة فى الإلحاح على طلب تسليمهم دون مناقشة .
- والموافقة على رفع الحصار البحرى الذى فرضته مصر على باب المندب لإثبات واقع أن البحر الأحمر من خليج العقبة إلى خليج عدن بحيرة عربية .
- والموافقة على إظهار استعداد مصر لقبول حل منفرد مع إسرائيل إذا لم تنجح فى إقناع حلفائها العرب بضرورة الحل .
- والموافقة على التنسيق الكامل مع الولايات المتحدة لتحقيق صلح عربى ـ إسرائيلى شامل .
- والموافقة على إخراج السلاح السوفيتى من معادلة القوة فى المنطقة .
- والبدء دون انتظار بتعمير مدن القناة وإعادة المدنيين المهجرين منها حتى تستطيع إسرائيل أن تطمئن إلى أن مصر لا تنوى خرق وقف إطلاق النار والعودة إلى استئناف القتال، وإنما هى بالفعل جادة فى المشى على طريق التسوية .

---

(٦) ترد كل هذه التنازلات فى الملاحق السرية لاتفاقية فك الارتباط الأولى ، وقد طرأت عليها زيادة فى الثانية ، وتظهر هذه التنازلات أيضا فى مذكرات "كيسنجر" المنشورة بعنوان "سنوات القلاقل" ـ وكذلك فى الرسائل السرية المتبادلة بين مستشار الرئيس "السادات" للأمن القومى وقتها وبين مستشار الأمن القومى للرئيس "نيكسون"، ثم فى المذكرات الخاصة بوزارة الخارجية المصرية (ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتاب "السلاح والسياسة" الصادر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٩٤) .

ـ ثم أن يكون ذلك استعدادا لفتح قناة السويس للملاحة الدولية ، وهو ما يعطى لإسرائيل كامل الطمأنينة التى تريدها حتى تتشجع فى العمل من أجل التسوية .

كانت تلك كلها تنازلات لم تخطر على بال ، وقد تحققت لـ "هنرى كيسنجر" فى أول لقاء بينه وبين "أنور السادات" ـ بل وتحقق ما هو أكثر منها . فقد طلب الرئيس "السادات" من "هنرى كيسنجر" أن تقوم الولايات المتحدة بتحمل مسئولية أمنه فى مصر على المستويين الشخصى والعام . فهو بهذه التنازلات التى قدمها على طريق حل تصور أن الولايات المتحدة تملك ٩٩ ٪ من أوراقه ـ كما قال ـ وضع نفسه عرضة لمخاطر شديدة، وفى أجواء مجهولة تتخطى إمكانياته فى حماية نفسه .

والآن ، يوم ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ ، كان "هنرى كيسنجر" فى طريقه إلى القاهرة للقائه الثانى مع "أنور السادات" . والمطلب الذى يسعى إليه هو : المؤتمر الدولى فى جنيف ، وطبقا لتصور وضعه وأراد موافقة الرئيس "السادات" عليه .

□

كان تصور "هنرى كيسنجر" للمؤتمر ، أن يكون مجرد مظلة للقاء سياسى بين مصر وإسرائيل . ولتحقيق ذلك فقد كان يعرض على الرئيس المصرى تصوره :

١ ـ أن يكون المؤتمر تحت اسم الأمم المتحدة فى مقرها الأوروبى بجنيف ولكن بدون رعايتها.

٢ ـ وأن تدعى إلى المؤتمر كل الأطراف العربية المحيطة بإسرائيل ، لكن مصر تتعهد بحضوره حتى وإن امتنعت بقية الأطراف .

٣ ـ والأسلوب العملى لفاعلية المؤتمر أن ينقسم بعد جلسة أولى علنية وإجرائية ، إلى مجموعات تفاوض ثنائية بين مصر وإسرائيل ،وبين الأردن وإسرائيل ، وبين سوريا وإسرائيل إذا وافقت سوريا على الحضور .

٤ ـ والفلسطينيون لن يدعوا إلى مؤتمر جنيف ، والحل الوسط الوحيد الذى يمكن أن يقبل به "كيسنجر" لتغطية الغياب الفلسطينى، هو أن يقال "إن المؤتمر نفسه سوف يبحث فى مرحلة لاحقة من عمله موضوع اشتراك الفلسطينيين فى أعماله".

٥ - والاتحاد السوفيتى سوف يدعى بالطبع إلى حضور المؤتمر باعتباره راعيا مشاركا فى تنفيذ القرار ٣٣٨ ، لكن حضوره يجب إفراغه من أى مضمون ، وتلك مسئولية مصر لأن الولايات المتحدة إذا قامت بها فذلك سوف يؤدى إلى خلاف بين القوتين العظميين تتعطل به أعمال المؤتمر .

٦ - وأوروبا الغربية سوف تصر على الاشتراك فى مؤتمر جنيف . لكن الأطراف المعنيين بالأمر ، خصوصا مصر وإسرائيل والولايات المتحدة ، لا ينبغى أن يتركوا ثغرة لتداخلات أوروبية تزيد من تعقيد الأمور أكثر مما تؤدى إلى تسهيلها .

٧ - والمؤتمر يجب أن يبدأ أعماله فى جنيف قبل موعد الانتخابات الإسرائيلية حتى تستطيع الجلسة الافتتاحية الأولى بحضور مصر وإسرائيل وجها لوجه أن تعطى انعكاساتها على المعركة الانتخابية فى إسرائيل ولصالح حزب العمل (وكان موعد الانتخابات الإسرائيلية المحدد هو ٣١ ديسمبر . وكان موعد انعقاد مؤتمر جنيف المقترح من جانب "كيسنجر" هو ١٨ ديسمبر مما يعطى لحزب العمل فرصة تقارب الأسبوعين يستغل فيهما أنوار السلام المشعة من جنيف لصالح مرشحيه) .

٨ - وأخيرا ، ألمح "هنرى كيسنجر" إلى أن الرئيس "السادات" فى رغبته لإنجاح مؤتمر السلام قد يرى أن يساعد على إنهاء الحظر البترولى الذى فرض على الولايات المتحدة ، فلا يجوز أن تقوم الولايات المتحدة بدور صانع السلام وهى واقعة تحت عقاب عربى! ورد الرئيس "السادات" : "إنه فى الوقت المناسب مستعد لبذل نفوذه" .

وخرج "هنرى كيسنجر" من اجتماعين مع "أنور السادات" فى استراحة القناطر يومى ١٣ و١٤ ديسمبر وقد حصل على ما أراد .

وظهر مرة أخرى أن سحره لا يقاوم !

٢

كيسنجر

" أفضّل أن أتعامل مع الرئيس السادات
مباشرة وليس مع وزير خارجيته "

(مؤدى رسالة من "كيسنجر" إلى الرئيس "السادات")

كان "هنرى كيسنجر" يمهد لانعقاد مؤتمر جنيف بطريقته وعلى شروطه ،حتى من قبل أن يلتقى بالرئيس "أنور السادات" يومى ١٣ و١٤ ديسمبر . وقد شعر "كيسنجر" من مراسلات متبادلة بينه وبين السيد "إسماعيل فهمى" وزير الخارجية أنه (أى وزير الخارجية المصرى) يفضل أن يتم تنفيذ اتفاق فض الاشتباك بين القوات فى الميدان حتى قبل أن ينعقد مؤتمر جنيف ،وذلك حتى لا تكون أوضاع القوات المصرية عنصرا ضاغطا على المفاوض المصرى فى جنيف .

كذلك أحس "هنرى كيسنجر" أن وزير الخارجية المصرى لديه شكوك "فى أن الحكومة الإسرائيلية - والانتخابات على الأبواب - فى مركز يسمح لها باتخاذ قرارات هامة" ، ومن ثم فقد يكون من الأفضل تأجيل مؤتمر جنيف إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية .

ثم إن وزير الخارجية المصرى أحس بدوره أن "هنرى كيسنجر" يتعجل تنفيذ التعهدات التى حصل عليها من الرئيس "أنور السادات" ، ثم لا يقدم شيئا فى مقابلها . وأحس "هنرى كيسنجر" على نحو ما أن وزير الخارجية المصرى الجديد ، جديد أيضا على اللعبة وعلى قواعد العمل داخلها، فقرر مؤقتا حصر اتصاله به .

وفى تلك الفترة فإن الرسالة الوحيدة الهامة التى بعث بها "كيسنجر" إلى وزير الخارجية المصرى كانت مجرد "تذكرة" ، فقد جاء فيها : "إننى بروح من الرغبة فى تجنب المشاكل أريد إخطارك بأننى علمت أن بعض البواخر الإسرائيلية على وشك أن تعبر مضيق باب المندب يوم الأحد القادم ، ومع أنى أتذكر أنك أخطرتنى عندما لقيتك فى القاهرة

أن الأوامر صدرت فعلا بتخفيف الحصار على باب المندب، فقد رأيت أن أعيد تذكيرك بالمسألة حتى نتجنب أية أخطاء فى التنفيذ".

لكن "كيسنجر" كان يفضل أن يعمل من خلال القناة الأخرى المختبرة والمجربة، وهكذا عاد إلى القناة السرية المباشرة ـ التى يتولاها السيد "حافظ إسماعيل"ـ مدخلا مباشرا إلى الرئيس "السادات". وهكذا فإنه يوم ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ بعث عن طريق القناة السرية التى عاد إليها النشاط مرة أخرى رسالة إلى السيد "حافظ إسماعيل" نصها كما يلى: (٧)

"من الدكتور هنرى كيسنجر

إلى السيد حافظ إسماعيل

لقد أسعدنى أن أتلقى التقرير المفصل الذى أرسله إلى المستر ترون (المستر يوجين ترون كان ممثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى ذلك الوقت، وكان بهذه الصفة حلقة الاتصال بين كيسنجر وحافظ إسماعيل) ـ عن لقائه الأخير معك يوم ١٥ نوفمبر. إننا مثلكم نعلق أهمية كبيرة على الاحتفاظ بهذا الخط الرئاسى. وقد أظهرت لى التجربة أن الاتصالات على هذا المستوى تسمح باستكشاف الآراء التى يصعب تداولها بين القنوات الرسمية من حكومة إلى حكومة. وبهذه المناسبة فإننى وبصفة خاصة أريد أن أستعمل هذه القناة لأعبر لك عن مدى تأثرى بلقاء الرئيس السادات، وبرؤيته الثاقبة للأمور البعيدة المدى التى نتعامل معها فى الموقف الحاضر. إننى مؤمن أنه لن يكون هناك سلام فى الشرق الأوسط إلا إذا تمكن القادة الرئيسيون فى المنطقة من النظر إلى بعيد، وإلا إذا كانوا على استعداد للرؤية بعيدة المدى لأهدافهم الأساسية بصرف النظر عن المدى القصير وما يظهر فيه مع تعاقب الحوادث. إن رئيسك وبطريقة واضحة أظهر قدرته فى هذا الشأن. وهناك كثير يتوقف على دوره المستمر كرجل دولة.

إننى أفترض أنك رأيت الرسائل المتبادلة أخيرا بينى وبين وزير الخارجية إسماعيل فهمى. إننى فكرت فى اقتراح عرضه وزير خارجيتكم مؤداه أنه من الأفضل تأجيل مؤتمر السلام حتى يتأكد نجاح محادثات فك الارتباط. ورأيى أن ذلك خطأ، وإنه من الأفضل أن يكون فك الارتباط هو الموضوع الأول الذى يجرى بحثه فى مؤتمر السلام. واعتقادى أن بعض الأفكار التى نتحدث فيها يمكن تطبيقها على الظروف السورية أيضا (أى تأجيل تنفيذ فك الاشتباك بين القوات والتقدم مباشرة إلى المفاوضات).

---

(٧) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من رسالة "كيسنجر" إلى "حافظ إسماعيل ـ تحت رقم (١٣)، ويلاحظ أن كل وثائق هذه المرحلة محفوظة فى ملف خاص توجد منه ثلاث نسخ كاملة فى رئاسة الجمهورية وفى وزارة الخارجية وفى المخابرات العامة.

وأريد أن ألفت النظر إلى أن مؤتمر السلام هو فى رأيى المكان الأفضل الذى يستطيع نفوذنا فيه أن يأتى بأفضل النتائج .

إننى أيضا أريد أن أضيف أنه من الخطأ أن نحاول أية صياغات أخرى قبل المؤتمر . وأخشى أن قدرة الولايات المتحدة على الحركة والمرونة سوف تتأثر إذا طرحت بعض الأفكار للضوء العام قبل الأوان ، لأن ذلك سوف يعطى لآخرين الفرصة لعرقلتها ، فكل اقتراح يجب أن يجد توقيته المناسب فى مسار المفاوضات.

ويبدو لى أن أفضل تاريخ لانعقاد مؤتمر السلام هو يوم قريب من يوم ١٧ ديسمبر . ولعلمك فإننى أبحث احتمالات فرصة لزيارة دمشق بعد حضورى مؤتمر حلف الأطلنطى المقبل .

مرة أخرى فإننى سعيد أن هذه القناة بينى وبينك متواصلة . وأرجوك أن تنقل للرئيس السادات أطيب أمانى وتقديرى وإعجابى للطريقة التى يدير بها علاقاتنا .(٨)

مع كل تحياتى الشخصية الحارة .

إمضاء

هنرى كيسنجر"

□

كانت أوضاع الجبهة مع تداخل خطوط وقف إطلاق النار المتعددة التى صدرت ما بين ٢٢ ـ ٢٩ أكتوبر ، تثير مشاكل كبرى فى تموين قوات الجيش الثالث وبالنسبة لمدينة السويس . وكان ذلك ما توقعه وزير الخارجية المصرى "إسماعيل فهمى" ، وكان يريد الفراغ منه بتنفيذ اتفاق فك الاشتباك بين القوات قبل اجتماع مؤتمر جنيف .

واتصل كيسنجر بالحكومة الإسرائيلية فى شأن شكاوى مصرية وصلت إليه . وعاد يوم ٢٩ نوفمبر يكتب إلى "حافظ إسماعيل" عن طريق القناة السرية :

"من الدكتور هنرى كيسنجر

إلى السيد حافظ إسماعيل

---

(٨) كان "هنرى كيسنجر" قد اكتشف ومارس وأتقن سياسة "دغدغة" أعصاب الرئيس "السادات" عن طريق الافراط فى مدحه .

كنت على اتصال بالحكومة الإسرائيلية خلال الساعات الأخيرة ، وقد أوضحوا لى أنهم مستعدون للسماح بإمدادات غير عسكرية بالمرور إلى منطقة كبريت . كما أنهم على استعداد للسماح ببعض المواد غير العسكرية بالمرور إلى مدينة السويس . لكنهم أبلغونى شرطا لذلك وهو أن تقوم الحكومة المصرية بإطلاق سراح المستر باروخ مزراحى . والمستر مزراحى يهودى اتهم بالتجسس على القوات المصرية فى اليمن قبل سنوات ، ثم نقل من اليمن إلى مصر حيث حوكم وصدر حكم عليه بالسجن ."

وجاء "هنرى كيسنجر" إلى مصر ، والتقى بالرئيس "السادات" فى استراحة القناطر يومى ١٣ و١٤ ديسمبر وحصل على ما أراد (بما فى ذلك وعد بالإفراج عن "مزراحى" وغيره من الجواسيس). ثم ذهب إلى إسرائيل ، ومن هناك استعمل القناة السرية وبعث للرئيس "السادات" مباشرة برسالة جديدة بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٧٣ :

"عزيزى الرئيس

لقد فرغت الآن من محادثاتى فى إسرائيل . وقد أجريت مناقشة مكثفة حول تنفيذ فك الاشتباك بين القوات على غرار ما تحدثت فيه معكم عندما التقينا . وأنا واثق أن مفاوضات جادة وناجحة سوف تكون ممكنة حينما تبدأ مجموعات العمل فى جنيف نشاطها ، وآمل أن يتم ذلك خلال شهر يناير. وسوف أتحدث فى هذا الأمر تفصيلا عندما ألتقى بوزير خارجيتك فى جنيف . والآن فإننى مواجه بنقطة مهمة بالنسبة لعملية التفاوض ، فقد أبلغنى الإسرائيليون أنهم يريدون قائمة بأسماء أسرى الحرب الإسرائيليين لدى السوريين ، كما أنهم يطلبون السماح للصليب الأحمر بزيارة هؤلاء الأسرى . واعتقادى أن ذلك ضرورى لنجاح المؤتمر . وبصراحة فأنا لا أستطيع أن أضمن حضور إسرائيل واشتراكها فى جلسة افتتاح المؤتمر إلا إذا حصلت الحكومة الإسرائيلية على قائمة بأسماء أسراها لدى السوريين قبل انعقاد المؤتمر . وإننى آمل أن تستطيع استخدام نفوذك لإقناع سوريا بذلك حتى تساعد فى خلق أجواء ملائمة تجعل نجاح مؤتمر السلام ممكنا .

وفى الوقت الذى أغادر فيه الشرق الأوسط فإن لدى شيئا آخر يا سيادة الرئيس، وهو ليس فقط أن أوجه شكرى على كرم ضيافتك ، بل أن أعبر لك مرة أخرى عن استمرار إعجابى بك كرجل دولة قادر على المضى فى الطريق الذى رسمه .

مع أحرّ تحياتى الشخصية .

هنرى أ. كيسنجر "

☐

كانت الاستعدادت تجرى لانعقاد مؤتمر جنيف بسرعة حتى يحدث تأثيره بالكامل على الانتخابات الإسرائيلية . وأعلنت سوريا أنها لن تحضر المؤتمر لأنها مصرة على أن يتحقق فك الاشتباك بين القوات على جبهات القتال قبل حضور مؤتمر دولى ، ثم إنها ليست مستعدة لتسليم إسرائيل قائمة بأسراها لدى الجيش السورى إلا فى إطار اتفاق واضح على فك الاشتباك يسبق مؤتمر جنيف . وفى نفس الوقت أحس السكرتير العام للأمم المتحدة "كورت فالدهايم" أن المحادثات بين الأطراف بعد الجلسة الأولى الإجرائية سوف تجرى فى قصر الأمم المتحدة فى جنيف ، إلا أن دور الأمم المتحدة الحقيقى فى المؤتمر لن يزيد عن كونه مجرد شاهد ضمن شهود آخرين . ثم إن الدول الأوروبية بدأ يراودها نفس الإحساس . وكذلك ثارت شكوك لدى الاتحاد السوفيتى بينما كان الفلسطينيون يصرخون ألما لاستبعادهم من المؤتمر ، وإن أخذوا وعدا ببحث أمر اشتراكهم خلال جلسات المؤتمر .

وثارت بعض المشاكل غير المتوقعة فى اللحظة الأخيرة بسبب الترتيبات البروتوكولية للمؤتمر: بعضها بسبب ترتيب المتكلمين ، وبعضها بسبب اللغات الرسمية للمؤتمر، وبعضها بسبب مواضع الموائد التى يجلس عليها أعضاء الوفود ، وبعضها بسبب قرب أو بعد هذه المواقع عن بعضها. وبدا فى لحظة من اللحظات أن أشباحا من "المقدسات: المحرمات" تلقى بظلالها على قاعات المؤتمر . ومع أن العرب والإسرائيليين التقوا من قبل فى مكان واحد مثل قاعات الجمعية العامة للأمم المتحدة - فإن اللقاء هذه المرة كان مباشرا ولصيقا لا يستطيع أحد فيه أن يتجنب أحدا ، أو يختفى من صورة ، أو يعتذر عن حفل استقبال !

وتسببت هذه المشاكل فى تأجيل انعقاد جلسة الافتتاح ، ثم انعقدت أخيرا يوم ٢١ ديسمبر فى سباق مع الوقت للتأثير على الانتخابات فى إسرائيل !

ولم تخرج الجلسة الافتتاحية لمؤتمر جنيف عما توقعه "كيسنجر" ، وهو أن تكون مجرد جلسة إجرائية تشرف عليها وتديرها الولايات المتحدة ، ثم تتأجل أعمال المؤتمر إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية ، وإن كان ذلك لا يمنع أن تواصل اللجان الثنائية المتفرعة عن المؤتمر دورها بغير انتظار للانتخابات الإسرائيلية ونتائجها ، وعلى اعتبار أن ذلك سيعطى الإيحاء بأن عملية السلام مستمرة دون أن يلتزم أى طرف من الأطراف باتخاذ قرارات لها قيمة لأن الوصول إلى مثل هذه القرارات سوف يستغرق بالتأكيد بعضا من الوقت .

وربما أن المفاجأة التى واجهت الجميع هى أن الوفد الإسرائيلى إلى مؤتمر جنيف خلا من ممثلين عسكريين . ومعنى ذلك أن إسرائيل مازالت مصرّة على أن تتفاوض سياسيا ، مؤجلة موضوع فك الاشتباك على الجبهة ليظل عنصرا ضاغطا على أعصاب المفاوضين العرب.

□

وصل "إسماعيل فهمى" وزير الخارجية المصرية إلى جنيف [٩] (إطار أول عملية تفاوض سياسى مباشر بين مصر وإسرائيل) وهو ليس بعد على خبرة كافية بقواعد اللعبة ،وبدأت برقياته الرمزية تنهمر على رئاسة الجمهورية موجهة إلى الرئيس"السادات" تحيطه علما بكل التفاصيل :

□□ "من جنيف:[١٠]

إلى السيد الرئيس
من وزير الخارجية

ـ بمجرد وصولى إلى جنيف تبين أن الإسرائيليين يقومون بحملة إعلامية كبيرة ومؤتمرات صحفية ضد سوريا بخصوص أسرى الحرب ومعاملتهم .

ـ لاحظت كذلك أن التكوين المبدئى للوفد الإسرائيلى يخلو من العسكريين . كما لم أجد عسكريين فى جنيف من الأمم المتحدة .

ـ لذلك طلبت من فالدهايم بنيويورك أن يصدر تعليماته إلى سيلاسيفو (الجنرال سيلاسيفو كبير مراقبى الأمم المتحدة) بالحضور إلى جنيف فورا أو أحد معاونيه .

ـ وللضغط على كيسنجر استدعيت القائم بالأعمال الأمريكى ليبلغ كيسنجر فى باريس برسالة مؤداها أنه إذا لم يحضر العسكريون الإسرائيليون إلى جنيف فقد أضطر إلى تأجيل افتتاح المؤتمر لحين حضورهم ، إذ إن اتفاقنا يقضى بأن تبدأ اللجنة العسكرية عملها فورا .

ـ سأتناول الغداء ظهر اليوم الخميس مع فالدهايم ."

---

(٩) لقد قصدت عامدا أن أفسح مجالا واسعا لوثائق مؤتمر جنيف الذى التقت فيه مصر وإسرائيل وجها لوجه لأول مرة ـ خارج نطاق هدنة سنة ١٩٤٩ ـ ولقد وجدت لذلك أهمية خاص لأنه فى هذا اللقاء الأول بين البلدين وضعت بذور ، وأرسيت قواعد ، وبانت إتجاهات ، ولاحت سياسات كان النظر بتدقيق إليها يكفى لإلقاء ضوء شديد وبعيد على المستقبل إذا كان هناك من يريد أن يدرس ويفهم ويستعد !

(١٠) برقية وزارة الخارجية رقم ٩٩٦٨ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٠ .

□□ "من جنيف :(١١)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

- اجتمعت صباح اليوم ٢٠ ديسمبر بجروميكو (١٢) فى مقر البعثة السوفيتية. تحدثنا فيما يلى :

أولا : المسائل الإجرائية

- ذكر جروميكو أنهم لا يعيرون أهمية للمسائل الإجرائية . وبالنسبة للغات يرون استخدام اللغتين الإنجليزية والفرنسية فقط كلغات رسمية . ويقبلون استخدام اللغتين العربية والعبرية . ثم أثار موضوع تشكيل المؤتمر للجان فرعية وبدئها العمل.

- أشرت إلى أنه ولو أن بعض المسائل قد لا تهم دولة عظمى كالاتحاد السوفيتى، فإن لها أهمية بالنسبة لنا حيث قد يكون لها آثار على العمل فى المستقبل. ثم أشرت إلى أن الموضوع بالنسبة لنا ليس موضوع احتفالات وصور ومصافحات ودعاية. وإن أى محاولة للإحراج فى هذا الصدد من جانب السكرتارية أو الأمريكان سيضطرنى إلى مغادرة المؤتمر .

- بالنسبة للقاعة والجلوس .. أشرت إلى أننا ذكرنا لسكرتارية الأمم المتحدة أنه يتحتم الاحتفاظ بمكان سوريا معدا سواء حضرت أم لا ، فقد تقرر الحضور فى أى وقت تراه .

- بالنسبة للغات قلت إننا يجب أن نأخذ كأساس لغات الأمم المتحدة الرسمية. وإننى أريد أن تستخدم اللغة الفرنسية . فمن المحتمل أن أتحدث أنا أو بعض أعضاء الوفد بالفرنسية. وما يتقرر فى هذا بالنسبة للاجتماع العام ينسحب على أية اجتماعات فرعية . ولا أوافق هلى استعمال اللغة العبرية ، ولا نشترط استعمال اللغة العربية .

ثانيا : المسائل الموضوعية

- قلت إننا جادون من ناحية اشتراكنا فى المؤتمر ، ونحن مستعدون ابتداء من باكر أن نبدأ فى البحث مباشرة فى الموضوعات الأساسية المتعلقة بالحل السلمى ، وهى بالنسبة لنا الانسحاب الكامل وحقوق شعب فلسطين .

---

(١١) برقية وزارة الخارجية رقم ٩٩٨٦ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٠ ، وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة للصفحة الأولى منها تحت رقم (١٤) .

(١٢) وزير خارجية الاتحاد السوفيتى وقتها .

ـ بالنسبة للاجتماعات الفرعية .. فإنه ليس من المناسب تكوين لجان فرعية فى الوقت الحالى حيث قيل لنا إن الوفد الإسرائيلى لن يكون قادرا على اتخاذ قرارات قبل الانتخابات ، ومن ثم فإن اللجنة الوحيدة التى يتحتم أن تجتمع فورا هى لجنة فنية عسكرية مصرية ـ إسرائيلية يرأسها قائد قوات الطوارئ أو من يمثله. ويمكن أن يحضر معهم مندوب سياسى أو عسكرى عن الاتحاد السوفيتى وآخر عن الولايات المتحدة إذا أرادوا . أضفت أنه إذا لم يتفق على اجتماع هذه اللجنة قبل افتتاح المؤتمر ، فسوف أعمل على تأجيل المؤتمر إلى أن يتم الاتفاق على هذه النقطة.

ـ ظهر القلق واضحا على جروميكو الذى تساءل عما إذا كان ذلك يمثل تغيرا فى موقفنا . وأشار إلى ضرورة وأهمية افتتاح المؤتمر فى موعده بصرف النظر عن أى شىء . كما ذكر أنهم لم يعلموا بهذا الشرط من قبل خلال مرحلة التشاور بيننا .

ـ كررت أنه لا تغيير فى موقفنا ، واستعدادنا للكلام فى الأمور السياسية بكل قوة وبشكل عملى كما سيتبين من البيان الذى سألقيه . ولكن إذا كان الوفد الإسرائيلى لا يمكنه الكلام ـ كما سمعنا ـ فى المسائل السياسية الكبرى ، فماذا سنعمل ؟ وهل الأمر أمر دعاية واحتفالات فقط ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، وكما يعلم مستر جروميكو ، فإن الاتجاه كان للجلوس فى اللجنة الفنية العسكرية للاتفاق على فصل القوات خلال فترة قد تصل إلى حوالى منتصف يناير عندما يعاود المؤتمر اجتماعه ، ثم ينفذ الاتفاق خلال الفترة الباقية من يناير . وعلى ذلك ، فإنه إذا لم تكن إسرائيل مستعدة للكلام فى هذه النقطة أيضا ، وكان وفدها لا يتضمن العسكريين ، فإن إسرائيل تكون قد كشفت عن عدم سلامة نيتها وعدم جديتها ، إذ لا يعقل أن تبحث مسائل سياسية كبيرة ووقف إطلاق النار بهذا الشكل . هذا إلا إذا كان أبا إيبان هو الذى يتولى المسائل العسكرية . ومن ناحية ثالثة فإنه إذا كانت الحكومة الإسرائيلية غير قادرة على الكلام فى السياسة ، فإنه يمكنها ولا شك أن تتحدث فى المسائل العسكرية حتى تصل إلى مراحلها النهائية على أساس أن لها أولوية خاصة ومرتبطة بوقف إطلاق النار . وفى النهاية قلت له إنه إذا لم تجتمع اللجنة العسكرية هذه ، فكيف يمكن لفصل القوات أن يتم خلال يناير كما أخطرنا كيسنجر وأكدتموه لنا .

ـ ذكر جروميكو أن لفصل القوات أهمية ، لكن اتخاذ القرار النهائى هو بيد السياسيين . وأكد أن افتتاح المؤتمر هام بالنسبة للسياسة العامة والاستراتيجية ، وإن موضوع فصل القوات وأعمال اللجنة الفنية العسكرية يمكن أن يدخل فى إطار مجموعة المسائل التى يبحثها المؤتمر بعد افتتاحه . قلت إننى لا أوافق على ما تقدم . ثم دار حوار بينى وبينه انتهى إلى ضرورة الإصرار على بدء عمل اللجنة العسكرية . والتزم جروميكو أنه سيتبع هذا الخط فى حديثه مع كيسنجر .

ـ ذكر جروميكـو أن عـدم افتتـاح المؤتمـر سيعتبر مكسبا اسـرئيليا . فقلـت إن الاكتفاء باحتفاليات المؤتمر لا يؤدى إلى أية نتيجة ، ويكون أيضا مكسـبا إسـرائيليا . أما إذا أردنا مكسبا للسلام والعمل الجـاد فلا بد من البـدء باجتماعات اللجنة الفنيـة العسكرية . توافقت آراؤنا فى هذا الصـدد .

ثالثا : اتفقنا على الاجتماع مرة أخرى مساء اليوم فى الساعة السادسة والنصف .

وزيـر الخارجية "

❑❑ "من جنيـف (١٣)
إلى السيد الرئيـس
من وزير الخارجية

استقبلت جروميكـو وأعضاء الوفـد السـوفيتى مسـاء اليـوم الأربعـاء ، وتناولنـا العشاء لدىّ . ويتلخص أهـم ما ذكـره فيما يلـى :

ـ أبلغنى أن القيادة السوفيتية مستاءة للتصرف السـورى ، وإن السفير السوفيتى سيقابل الأسـد مـرة أخرى .

ـ أوعـز (الراجح أنه يقصد كلمة "عزا") رفض سوريا الاشتراك فـى المؤتمـر إلى الموقف الداخلـى بهـا ، وإن كـان أضـاف أن السوريـين يلقـون اللـوم علـى مصـر إذ يذكرون أن مصـر خلت بهـم .

وهنا علـق فينوجرادوف على موقف سوريـا بأنه يماثل موقفها عندمـا طلبـت وقـف إطلاق النار فى بداية الحـرب ، ثم عادت وكذبـت ذلك .(١٤)

ـ أثـنى (جروميكو) مرارا علـى موقـف السـيد الرئيـس بحضـور المؤتمـر ، وإن مصـر بذلك قد أثبتت مرة أخرى أنها تقوم بتنفيذ ما تعـد به .

ـ ذكر كذلك أنـه يتفـق معـى فـى ضـرورة الدخـول فـى المؤتمـر لمعالجـة المسـائل السياسية مباشرة وبقـوة دون الدخول فى مسائل فرعيـة . وأضـاف أنـه سـيركز علـى ذلك مع كيسنجر عند تناوله العشاء معـه مساء باكـر .

---

(١٣) برقية وزارة الخارجية رقـم ٩٩٦٣ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٠ .

(١٤) هناك لبس فى هذه النقطة ، لأن السفير السوفيتى فى القاهـرة "فلاديمير فينوجرادوف" أنكر منذ البداية ما نسب إليه من أنه أخبر الرئيس السادات بأن سـوريـا طلبت مـن الاتحاد السوفيتى أن يعمل على صـدور قرار من مجلس الأمـن بوقـف إطلاق النـار يوم ٧ أكتوبـر .

- أخبرنى مدير إدارة الشرق الأوسط بالخارجية السوفيتية سيتينكو بأن سوريا قد تعيد النظر فى حضورها للمؤتمر .

- أصررت على أن يحتفظ فى قاعة المؤتمر بمقعد سوريا بصرف النظر عن تغيبها .

- فتح جروميكو موضوع زيارتى إلى موسكو، فذكرت له أننى سأقوم بها فى أقرب وقت. فعقب على هذا بأنه يسره أن يزور مصر بعد زيارتى لموسكو ، فرحبت بذلك ."

❑❑ "من جنيف : (١٥)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

متابعة لبرقيتى رقم ٩٩٦٨ جاءتنى الآن الرسالة التالية من كيسنجر يضمن تواجد المثلين العسكريين ، ونصها :

"إن وزير الخارجية هنرى كيسنجر يرغب فى أن يعرف وزير الخارجية إسماعيل فهمى أنه يضمن تواجد المثلين العسكريين لإسرائيل فور ابتداء عمل اللجنة العسكرية ، ووزير الخارجية كيسنجر يضمن فوق ذلك أن المناقشات بشأن فك الارتباط سوف تجرى على أساس الجدول الذى اتفق عليه هنرى كيسنجر مع الرئيس السادات" . "

❑❑ " جنيف :(١٦)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

---

(١٥) برقية وزارة الخارجية رقم ٩٩٦٩ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٠ .

(١٦) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٠٣ بتاريخ ١٢/٢١/ ١٩٧٣

تناول فالدهايم العشاء معي اليوم . ويمكن إيجاز أهم ما دار فيما يلي :

١ ـ كان طلب الاتحاد السوفيتي المبدئي أن يتحدث فقط باكر صباحا السكرتير العام وكل من روسيا وأمريكا ويتأجل المؤتمر إلى يوم السبت . ولكنني رفضت هذا ، ولذلك عدل التنظيم بحيث أن يتحدث الأطراف أيضا في نفس اليوم صباحا .

٢ ـ ولما اجتمع فالدهايم بإيبان، فضل الأخير أن يتحدث بعد الظهر وفقا لكلام فالدهايم حتى ينفرد بالدعاية ووسائل الإعلام، وحتى يعطي لنفسه الوقت الكافي ليستمع لبياني الذي كان المفروض أن ألقيه صباحا ويدخل التعديلات اللازمة لبيانه.

٣ ـ وحتى أفوت الفرصة على إيبان من الناحية الدعائية والتكتيكية اتفقت مع فالدهايم أن يقتصر اجتماع الصباح على بيانه وبيان كل من روسيا وأمريكا ، وأكون أول المتحدثين في اجتماع بعد الظهر الذي يبدأ الساعة الثالثة ، ويليني إيبان ، ثم الرفاعي (رئيس الوفد الأردني) . وتم الاتفاق أيضا على أن يبقى هذا سرا بيني وبينه فيفاجأ أبا إيبان بالوضع في المؤتمر .

٤ ـ علم فالدهايم من إيبان أنهم لا يرغبون في بدء المحادثات العسكرية قبل ٧ يناير، على أن ينتهوا منها بخصوص فك الارتباط في منتصف يناير عندما يعود المؤتمر للاجتماع بكامل قوته .

٥ ـ أخبرت فالدهايم أنني تحدثت مع جروميكو وسوف أتحدث مع كيسنجر باكرا في أنني أرى ضرورة بدء اللجنة العسكرية في عملها ، بالرغم من علمي أنها قد لا تصل إلى قرار نهائي قبل يناير . وإنني لا أرى أنه من الصالح تأجيل المؤتمر رسميا بعد البيانات الرسمية . فوافقني على ذلك وأقر اقتراحي بضرورة الإبقاء على المؤتمر في حالة انعقاد .

٦ ـ أخبرني كذلك فالدهايم أنه قابل الرفاعي الذي عبر له عن ضرورة الوصول إلى اتفاق الأردن مع إسرائيل على فك ارتباط مماثل مع فك الارتباط مع مصر ، وذلك مع القوات الإسرائيلية في غرب الأردن خصوصا تلك المتمركزة في التلال . وأضاف فالدهايم أنه واضح أن الأردن يرغب في التشبه بمصر ويلتصق بها . ويلاحظ أن الرفاعي بالرغم من وصوله لم يحاول الاتصال بي حتى الآن . ويعتقد فالدهايم أن الأردن تخشى هي أيضا أن يكون قد تم الاتفاق بيننا وبين الأمريكيين على الوصول إلى اتفاق خاص بمصر وحدها يتعلق بفك الارتباط .

٧ ـ وفي حديث فالدهايم ، أكد لي أن السبب في إيقاف محادثات فك الارتباط عند الكيلو ١٠١ هو كيسنجر شخصيا . إذ كان يرغب في أن يتم ذلك في المؤتمر في ديسمبر لكي يظهر للعالم أنه هو الذي أحرز هذا التقدم . ويعتمد فالدهايم بالنسبة

لمفهومه هذا إلى حديث دار بينه وبين كيسنجر فى نيويورك عندما كان هناك تقدم ملحوظ فى المحادثات عند الكيلو ١٠١ ، إذ عبر كيسنجر لفالدهايم لاستيائه لما هو حادث فى الكيلو ١٠١ . وذكر أن هذا الموضوع ليس عسكريا ولكنه للسياسيين . وهذا يثبت ما نشرته مجلة نيوزويك منذ مدة وسبب انزعاجا شديدا .

٨ ـ أبلغنى فالدهايم كذلك أنه سيركز على موضوع فك الارتباط فى البيان الذى سيفتتح به المؤتمر باكر . وتلبية لطلبى سوف يستدعى مستشاره العسكرى من نيويورك وأحد معاونى الجنرال سيلاسيفو ليكونوا جاهزين .

٩ ـ سوف أتناول موضوع ضرورة بدء عمل العسكريين وبأسلوب حاسم مع كيسنجر باكر.

١٠ ـ وقد صرح فالدهايم على مائدة العشاء تعقيبا على حديثى بأن السيد الرئيس عندما يتخذ قرارا فإنه يمضى فى تنفيذه . وإن المعلومات التى لديه أن الإسرائيليين لم يكونوا سعداء بقرار الرئيس السادات بإجراء حوار مع الأمريكيين .

وزير الخارجية "

□□ "جنيف :(١٧)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

قابلت جروميكو مرة أخرى وتساءل فور بدء المقابلة عن تصورنا لعملية فصل القوات ، وطلب منى أن أخبره بالتحديد عما تم حسب قوله بين سيادتكم وكيسنجر، وذلك حتى يكون مستعدا عند لقائه بكيسنجر هذا المساء ، معبرا ومؤكدا أنهم يدعمون موقفنا وأنهم كانوا دائما يؤيدون وجهة نظرنا. وتكلمت معه بصفة عامة .

وزير الخارجية "

---

(١٧) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٠٤ بتاريخ ١٢/٢١/ ١٩٧٣.

. . . .

. . . .

كانت تلك مقدمات اجتماع مؤتمر جنيف ، وكان واضحا فيها :

١ ـ أن كيسنجر هو الذى يدير المسرح .

٢ ـ أن وزير الخارجية المصرى لم يتفهم قواعد اللعبة بعد .

٣ ـ أن السكرتير العام للأمم المتحدة الذى يعقد المؤتمر تحت رعايته لا يعرف شيئا.

٤ ـ أن الحليف الرئيسى للعرب وهو الاتحاد السوفيتى ـ هو الطرف الذى يحرص الجميع على عدم إخطاره بشىء .

٥ ـ أن الأطراف العربية (مصر والأردن مثلا) لا يوجد بينها أى قدر من التنسيق فى المواقف ، وإن الآخرين يستغلون ما بينها من تناقضات .

٦ ـ وأن عمليات الإخراج المسرحى شاغل كثيرين وهى سابقة على الموضوع نفسه .

□

ووصل "كيسنجر" إلى جنيف ، وبدأ فى ممارسة دوره وعلى طريقته متلاعبا بكل الأطراف لتحقيق مراميه القريبة والبعيدة .

□□ "جنيف :(١٨)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

طلب كيسنجر مقابلتى صباح اليوم ٢١ ديسمبر للتحدث إلى قبل بداية المؤتمر:

١ ـ أعربت عن عدم رضانا عن الطريقة التى اتبعها فى أحاديثه مع رؤساء الدول العربية والتى ذكر خلالها أنه اتفق مع مصر على كل شىء ، مما أدى إلى أن تقرر

---

(١٨) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٣٤ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢١.

سوريا عدم الحضور . وأنه كان من الأوفق ألا يتطرق إلى أية تفاصيل فى خلال جولته قبل المؤتمر .وأنه إذا كان يقصد بهذا ألا تجىء سوريا فيكون قد نجح ، فى حين أنه لم ينجح حتى الآن فى إقناع إسرائيل لكى تتحرك تحركا محددا .

٢ ـ دار نقاش حول هذه النقطة ، وسلم فى النهاية بأنه يعتقد الآن أنه لم يحسن التصرف . وربما كان الأوفق ألا يتعرض للتفاصيل . غير أنه أضاف أنه عمل ذلك من أجل أن يشجع الرئيس الأسد للاشتراك فى المؤتمر . وأضاف أنه ذكر للأسد أن مشكلة فصل القوات فى الجبهة السورية كذلك ممكن أن تحل . إلا أن الرئيس الأسد أحضر خريطة وطالب بانسحاب إسرائيل من الجولان بالكامل . وعلق كيسنجر بأنه عندما أحضر الرئيس الأسد الخريطة اندهش كيسنجر لأنه لا يعرف أى شىء مسبقا عن طبيعة الموقف فى سوريا ، ولذلك لم يتجاوب معه .

٣ ـ أضفت أن هذا الأسلوب قد يؤدى إلى ألا يثق فيه (فى كيسنجر) العالم العربى كما أن استمرار الولايات المتحدة الأمريكية فى تزويد إسرائيل بالمعونات المالية والحربية يجعل إسرائيل تتخذ مواقف صلبة . كما أن استمرار أمريكا فى اتباع هذا الأسلوب القديم لا يمكن تفسيره للعالم العربى .

٤ ـ علق قائلا بأنه يريد أن يذكر لى أن الرئيس نيكسون سيتخذ قريبا قرارا بوقف المعونات المالية والحربية لإسرائيل أو بالإقلال منها حتى تبدأ إسرائيل فى تعديل موقفها .

٥ ـ تكلمت عن وجوب أن تبدأ اللجنة الفنية العسكرية عملها فورا ، وإننى قادم من القاهرة وبناء على تعليمات من السيد الرئيس لأعمل على تنفيذ ما اتفق عليه.

٦ ـ أضفت أننى نقلت إلى السيد الرئيس رسالته (رسالة كيسنجر) التى بعث بها إلى من باريس والتى أكد فيها أن العسكريين الإسرائيليين سيحضرون الاجتماع . وعلقت بأن غيابهم عن الاجتماع بعد إرسال هذه المعلومات إلى السيد الرئيس لا شك سيجعل سيادته يشك فى العملية كلها . قلت أيضا إن اجتماع اللجنة العسكرية فقط يوم ٧ يناير كما ترغب إسرائيل غير مقبول.

٧ ـ ذكر أنه يتفهم كل ما قلته ، ولكنه كان قد اتفق مع إسرائيل على أن ترسل وفدا عسكريا إلى واشنطن للاتفاق مع العسكريين الأمريكيين حول خطوط فصل القوات على أساس مشروع ياريف معدلا خفيفا ، وأن يتواجدوا بعد ذلك فى جنيف يوم ٧ يناير للالتقاء بالعسكريين المصريين ، وأن ينتهوا من عملهم حوالى أواخر يناير . أكد لى أنه حصل على وعد قاطع من القادة الإسرائيليين بإنهاء مشكلة فصل القوات فى هذا التاريخ وعدم ربطها بموضوع تأليف الحكومة .

٨ ـ قلت إن الفترة منذ انتهاء الاجتماعات الحالية وتاريخ ٧ يناير طويلة وإنه لا يجب إضاعتها . فذكر أنه سيتصل من جديد بإيبان وسيخطرني بالنتيجة .

٩ ـ كلمته عن حالة خط إيقاف إطلاق النار وموضوع كبريت والسويس ، وإن الوضع خطير . ووعد أيضا بالكلام في شأنها مع إيبان .

١٠ ـ وأضاف أنه قد يرسل بانكر (١٩) بعد أعياد الميلاد إلى القاهرة . ثم طلب أن يتناول العشاء معي على انفراد الليلة ليضعني في الصورة بالنسبة لأفكاره ، وما تم بينه وبين الإسرائيليين خلال اجتماعاته بهم والتي دامت على حد قوله عشر ساعات متوالية .

١١ ـ ولما أخبرته بأنني علمت أيضا أن نتيجة أحاديثه بطلب الملك حسين بفك ارتباط مماثل ، ظهرت عليه علامات الاندهاش من معرفتي لهذه المعلومات . وبهذه المناسبة فقد ألمح زيد الرفاعي في بيانه اليوم أن الأردن ستعارض أي محاولات للوصول إلى اتفاقيات منفردة مع إحدى الدول العربية .

وزير الخارجية "

□□ "جنيف " (٢٠)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

تناول كيسنجر معي أمس العشاء الذي دام أربع ساعات . كما تناول بعض أعضاء الوفد الأمريكي مع الوفد المصري العشاء .

تناول الحديث موضوعات عديدة حول ما تم الاتفاق عليه بينه وبين السيد الرئيس في اجتماعاته بالقاهرة . ثم بالنسبة لمواقف زعماء الدول العربية التي زارها كيسنجر ، وبصفة خاصة بالنسبة لمصر وللسيد الرئيس . كما تناول السياسة الدولية في أوروبا ، والعلاقات الأمريكية ـ السوفيتية ، والموقف الداخلي الأمريكي واحتمالاته المتشعبة . وسوف أبعث في برقيات منفصلة ملخصا للحديث لحين وصولي ."

□

---

(١٩) السفير "إلزورث بانكر" ، وكان أبرز مساعدي "كيسنجر" في ذلك الوقت .

(٢٠) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٥٨ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ .

وتوالت مجموعة من البرقيات تروى جوانب من تفاصيل ما دار فى عشاء الأربع ساعات بين وزير الخارجية المصرى ووزير الخارجية الأمريكى .

❑❑ "من جنيف [21]

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

خلال تناول السياسة الدولية مع كيسنجر ذكر بالنسبة لفرنسا أنه لا يستطيع أن يفهم إطلاقا محاولتها أن تنافس الولايات المتحدة فى الميادين الاقتصادية والتكنولوجية ، وضرب مثلا على ذلك مشروع أنابيب البترول من السويس إلى الإسكندرية . وأضاف أنه ليس لدى فرنسا أى أساس لمنافسة الولايات المتحدة ، وهم فى واشنطن يصبرون عليها بالقدر الكافى . وإنما يمكنهم فى الوقت الذى تزيد فيه غلواء فرنسا قتلها تماما : أولا عن طريق الإيعاز لبرانت [22] بتكسيرها ، وثانيا إن الموقف فى فرنسا هش للغاية إذ إنهم (الأمريكان) يعطون بومبيدو عاما واحدا ، إذ إنه مريض بسرطان العظام وهو فى حالة خطيرة ، ولديهم التقارير الطبية بالكامل عنه ووجهه منتفخ ويزداد انتفاخا ، وينام وهو جالس مع محدثيه.

وزير الخارجية"

❑❑ "من جنيف :[23]

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

أبلغنى كيسنجر أن جروميكو طلب إليه أن يضغط على إسرائيل أو يزيد من ضغطه حتى تصبح أكثر مرونة . فطلب إليه كيسنجر بدوره أن يقابل إيبان ويضعه

---

(٢١) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٦١ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ .

(٢٢) ويلى برانت" مستشار ألمانيا الغربية فى ذلك الوقت .

(٢٣) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٦٤ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ .

(أى كيسنجر) فى الصورة بعد إتمام هذه المقابلة . أضاف كيسنجر أن جروميكو منذ أن جاء وفى كل مقابلة معه يكرر ويتساءل عن الاتفاقات السرية التى تمت بين كيسنجر والسيد الرئيس سواء بالنسبة لفك الارتباط أو أى شىء آخر . ولم يقل لجروميكو شيئا وحدثه فى الصورة بشكل عام وغير واضح . أكد كيسنجر أنه سوف لا يعطى السوفيت أى معلومات عن أى شىء . وسألته هل يتبادلون معلومات مع السوفيت فنفى كيسنجر هذا بشدة ."

□□ "من جنيف :(٢٤)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

وافق كيسنجر على أن يتم الاتفاق النهائى على فك الارتباط بين مصر وإسرائيل قبل فبراير حتى إذا لم تتشكل الحكومة الإسرائيلية . ولما سألته كيف يمكنه أن يضمن ذلك ذكر ما يلى :

١ ـ سوف يطلب بمجرد وصوله (إلى واشنطن) من نيكسون أن يستدعى فورا السفير الإسرائيلى ويطلب منه ذلك محددا وبعنف ويضرب المنضدة (!)

٢ ـ سوف يجتمع كيسنجر فورا بجميع قادة الكونجرس لعمل حملة مكثفة (للضغط على إسرائيل) .

٣ ـ ستشهد إسرائيل لأول مرة فى تاريخها حملة إعلامية (عليها) غير مألوفة ابتداء من أول يناير نحو فك الارتباط .

٤ ـ سوف تستعمل الحكومة الأمريكية ضد إسرائيل ضغطا هائلا وستتوقف أى معونة عسكرية أو اقتصادية حتى تمتثل إسرائيل لطلبات واشنطن خطوة بعد خطوة .

٥ ـ قال كيسنجر إنه يرغب أن أنقل للسيد الرئيس وأن أؤكد أنه ونيكسون ملتزمان لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه مع السيد الرئيس .

وزير الخارجية"

---

(٢٤) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٧٢ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ .

□□ "من جنيف :(٢٥)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

أجاب كيسنجر على سؤالى عن تقديره بالنسبة لنتائج الانتخابات الإسرائيلية بما يلى :

١ ـ إنه لا يميل شخصيا ولا يتحمل جولدا مائير ، وإنما يغلب أن يفوز حزبها وأن تشكل هى الحكومة الجديدة .

٢ ـ وإن كان يفضل آللون عنها .

٣ ـ أما إذا انهزم حزب مائير وجاء حزب بيجين فيلزم ضغط شديد عليه وبأسلوب صارم ."

□□ "من جنيف : (٢٦)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

خلال اجتماعى مع كيسنجر ذكر :

١ ـ إنه عندما كان فى إسرائيل أخذوا يرددون له فى أكثر من مناسبة أنه يجب ألا يتعجل فك الارتباط وألا يضغط عليهم ، إذ إن معلوماتهم تفيد أن الرئيس السادات سوف لا يبدأ فى تطهير قناة السويس ، وإنه حتى إذا انتهى من التطهير فإنه سوف لا يفتح القناة للملاحة الدولية ، وذلك حتى يستمر فى الحصول على الدعم المالى العربى الذى كان أساسا بسبب غلق قناة السويس .

٢ ـ نفيت لكيسنجر كل هذا وشرحت له الغرض الحقيقى من ادعاء إسرائيل هذا . وأضفت أنه يجب أن يكون واضحا ـ بالرغم من نفيى هذا ـ أن السفن الإسرائيلية لن تمر فى قناة السويس قبل أن تنفذ إسرائيل كل ما هو مطلوب منها، بما فى ذلك المشكلة الفلسطينية . علق كيسنجر أن هذا الشرح يكفيه .

---

(٢٥) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٧٣ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ ، وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة للبرقية ـ تحت رقم (١٥) .

(٢٦) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٨٦ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ .

٣ ـ أضفت أنه من المعروف إعلاميا ورسميا ولدى بيوت الخبرة التى لديها إمكانيات تطهير قناة السويس أن هيئة القناة بدأت الاتصال بها بالفعل، وإن عملية التطهير قد تأخذ ستة شهور وقد تطول إلى عام إذا أردنا أن نعمق القناة بحيث يمكن أن تعبرها ناقلات البترول الضخمة .

٤ ـ ذكر كيسنجر أن تمويل عملية التطهير ليست مشكلة ، وإنه قد لاحظ أن اليابان خلال زيارة نائب رئيس وزرائها الأخيرة إلى مصر حددت مساهمتها الأولية، وإن الدول الكبرى منتظرة الإشارة لتقوم بنفس الشىء .

ملاحظة :

قد توافقون سيادتكم على معالجة هذا الموضوع بالأسلوب الذى ترونه ، وخاصة من الناحية الإعلامية حيث يزداد الضغط العالمى على إسرائيل لأهمية عودة الملاحة فى قناة السويس بالنسبة للعالم الأوروبى وغيره ."

□□ "من جنيف : (٢٧)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

طلبت من كيسنجر أن يشرح لى تقديراته بالنسبة لاحتمالات الموقف الداخلى فى أمريكا فذكر الآتى :

١ـ إن نيكسون سوف لا يستقيل إطلاقا حتى إذا صدر قرار impeachment (٢٨) .

٢ ـ وإنه ينتظر أن الضغط الصهيونى سوف يستمر والصحافة الصهيونية وبعض الآخرين المتعصبين من هذا الموقف أن يكثفوا الحملة ضده . وأما نيكسون فهو قوى وقادر أن يتخذ قرارات حاسمة إذ إنه عنيد .

٣ ـ الحزب الديمقراطى ضعيف .

٤ ـ إن كيسنجر سيجند نيلسون روكفللر الذى تربطه به علاقات خاصة لتأييد وتقوية نيكسون .

---

(٢٧) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٧٤ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ ، وتوجد صورة من الصفحة الأولى منها فى ملحق صور الوثائق ـ تحت رقم (١٦) .

(٢٨) تعنى الكلمة قرارا من الكونجرس بعدم صلاحية الرئيس لمواصلة مسئولية الرئاسة ، والتعبير أقرب إلى معنى " الحجر" .

٥ ـ إذا أمكن إحراز تقدم فى الشرق الأوسط بخصوص فك الارتباط وبعد ذلك تهدئة الموقف بالنسبة للبترول ثم ينسب كل هذا لنيكسون ، فسيقضى قضاء مبرما على معارضيه المشاغبين وسيقوى مركزه إلى درجة مخيفة . ولذلك فهو يعمل على الانتهاء من هذين الموضوعين سريعا .

٦ ـ أضاف كيسنجر أنه حتى لو حدث ما لم يكن متوقعا بالنسبة لنيكسون فسيبقى كيسنجر وزيرا للخارجية كما سبق أن أبلغنى ، وهو يعلم ما يقول ."

□

وتواصل البرقيات طيرانها من جنيف إلى القاهرة :

□□ "من جنيف :(٢٩)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

عرفت أن جروميكو قابل أبا إيبان . وفى انتظار مقابلتى معه رجوت السفير محمد رياض للاتصال بفينوجرادوف والتعرف على ما تم خلال المقابلة مع إيبان . ذكر فينوجرادوف ما يلى :

١ ـ تم الاجتماع بناء على طلب أبا إيبان وكان فى حالة عصبية واضحة .

٢ ـ سأل جروميكو إيبان عما تريده إسرائيل . وأوضح جروميكو أنه إذا كانت سياسة إسرائيل هى سياسة توسع ، فإن الاتحاد السوفيتى يقف تماما مع الدول العربية وأنه سيعطيها كل التأييد . أما إذا أرادت إسرائيل أن تعيش فى سلام فإن جروميكو يعتقد أن جيرانها سيتعاونون فى قيام السلام الحقيقى .

٣ ـ رد إيبان بأسلوبه وأعاد ذكر ما قاله أمس فى بيانه الذى ألقاه فى الجلسة العلنية.

٤ ـ قال جروميكو لإيبان أن الأساس فى المؤتمر هو عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة وبالتالى وجوب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى التى احتلتها .

---

(٢٩) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٨١ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ ، وتوجد صورة للصفحة الثانية منها فى ملحق صورة الوثائق ـ تحت رقم (١٧).

وأما إذا استمرت فى سياستها التوسعية العسكرية التى تقضى بضم الأراضى العربية، فإن الاتحاد السوفيتى سوف يقف مع الدول العربية بكل ما فى معنى .

٥ ـ رد إيبان بأن الأحوال الداخلية والانتخابات فى إسرائيل هى التى تقف حائلا أمام الكلام بصراحة الآن . عقب جروميكو بأن هذا أمر يتعلق بإسرائيل ولا يتعلق بغيرها، وإنما الذى يهم الآخرين هو السلام الحقيقى ."

❑❑ "من جنيف :(٣٠)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

إلى أن أقابل جروميكو لأسأله عما تم بينه وبين إيبان ، سألت كيسنجر الذى التقيت به هذا الصباح عما إذا كان إيبان أخبره بما تم ، فقال كيسنجر إن السوفيت وإسرائيل سيعاودون العلاقات الدبلوماسية (٣١) عندما يتم أول تقدم بخصوص فك الارتباط . وحتى أستفز كيسنجر ذكرت له أننى أتوقع أن تحاول إسرائيل أن تعطى للسوفيت تنازلات بالنسبة للتحرك وفك الارتباط حتى يتحسن موقف السوفيت وحتى يفرج السوفيت عن مهاجرين يهود أكثر . وكان واضحا الاهتمام المفاجئ بهذه النقطة على كيسنجر وبانكر وسيسكو . وكان رد فعل كيسنجر التلقائى أنه إذا تم هذا فتكون نهاية إسرائيل قد قربت . وقد علقت على كلامه بأننى قصدت فقط أن أحذره حتى لا يفوت الوقت ."

❑❑ "من جنيف :(٣٢)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

سألت فينوجراداف بصفة عرضية خلال اجتماع المؤتمر عن حقيقة الشائعات الدائرة حول إعادة العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل . وطلب فينوجرادوف

---

(٣٠) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٧٥ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢ ، وتوجد صورة للصفحة الأولى منها فى ملحق صورة الوثائق ـ تحت رقم (١٨).

(٣١) لم تعد العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والاتحاد السوفيتى إلا بعد مؤتمر مدريد ـ فى أعقاب حرب الخليج ـ١٩٩١ .

(٣٢) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٨٣ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٣

مقابلة عاجلة معى ، وحضر الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم وقال إن أبا إيبان خلال اجتماعه بجروميكو أثار بطريقة ملفوفة موضوع إعادة العلاقات ، فرد جروميكو قائلا إن الوقت غير مناسب للتحدث عن هذا الموضوع ، كما أن الاتحاد السوفيتى لا يبحث هذا الموضوع فى الوقت الحالى الذى لا يعد مناسبا ، وإنه بعد إقرار السلام ستكون عزلة إسرائيل أقل ."

❑❑ "من جنيف :(٣٣)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

اتصل بى كيسنجر وطلب أن يمر علىّ قبل سفره مساء اليوم إلى واشنطن ، وحضر معه بانكر وسيسكو ، ومن الجانب المصرى محمد رياض وعمر سرى :

١ ـ تطرق الحديث إلى العلاقات السوفيتية ـ الإسرائيلية فذكرت أنه يبدو أن إسرائيل تحاول مغازلة الاتحاد السوفيتى وإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وأضفت أن فينوجرادوف أخبرنى أن أبا إيبان هو الذى فتح الموضوع . علق كيسنجر بأن إيبان أخبره العكس تماما بأن الذى فتح الموضوع هو جروميكو وليس أبا إيبان . وهو يعتقد فى صحة ما ذكره له إيبان إذ كان قد طلب نصيحته فى هذا الأمر . ذكر كيسنجر كذلك أن جروميكو قال لإيبان إن الاتحاد السوفيتى يريد علاقات مع إسرائيل أكثر من العلاقات العادية ، وان تلتقى جولدا مائير مع بريجنيف . وقال كيسنجر فى هذه النقطة إنه إذا تصورت إسرائيل أنه يمكنها أن تغازل الاتحاد السوفيتى فإنها بذلك تفقد ثقتنا فتموت .

٢ ـ ذكر كيسنجر أن ممثلى إسرائيل العسكريين سيصلون إلى جنيف مساء الاثنين ، وأنهم سيبدءون محادثاتهم بعد ذلك مباشرة على نفس نسق محادثات الكيلو ١٠١ . قلت إن فينوجرادوف أثار معى ظهر اليوم حضور سفيرى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لهذه المحادثات ، وإن يحضرها كذلك خبراء عسكريون لهذين الدولتين ، وأضفت أننى أبديت عدم استحسانى لهذا الإجراء .

قال كيسنجر بشكل قاطع إن حضور السفير السوفيتى أو ممثلين عسكريين للاتحاد السوفيتى لهذه المحادثات ستفقدها تماما أى فرصة لنجاحها لأن إسرائيل لن تعطى أى تنازل أو تسير فى طريق بنّاء فى حالة وجود الاتحاد السوفيتى . وعلى

---

(٣٣) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٠٩٠ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٣

ذلك فإنه يرى ألا يوجد السفير الأمريكى أو السفير السوفيتى أو أى من الخبراء العسكريين لهاتين الدولتين . وأعطى تعليماته القاطعة فى هذا الشأن للسفير بانكر الذى كان حاضرا المقابلة .

٣ ـ قال إنه سيترك السفير بانكر وراءه هنا فى جنيف لعدة أيام . وإن تعليماته إليه هى أن يخطرنى أو نائبى بعد مغادرتى جنيف عن كل حديث يدور بينه وبين الاتحاد السوفيتى أو بينه وبين إسرائيل ، أو أى حديث يعلم به بين إسرائيل والاتحاد السوفيتى . وهو يعتقد أن إسرائيل لن تخفى عنه شيئا .

٤ ـ أوضح لى كيسنجر أن الولايات المتحدة فى غير عجلة بالنسبة للبترول والغاز، ويمكنها أن تنتظر شهرا أو أكثر . ولكن إذا أدى الموقف العربى فى النهاية إلى أن يغير ٥٠٠ مليون غربى أو أمريكى مستوى معيشتهم واقتصادهم , فعندئذ سوف تضطر أمريكا لاتخاذ اجراءات مضادة "

□□ "من جنيف :(٣٤)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

دعانى جروميكو وأعضاء الوفد لتناول العشاء بالبعثة السوفيتية سبقته جلسة عمل امتدت ساعتين ونصفا .

١ ـ ذكر جروميكو أنه أرسل كل ما ذكرته له وكل ما دار خلال الأيام الثلاثة السابقة إلى موسكو حتى يكون القادة السوفيت مستعدين لاستيعاب أخبار المؤتمر . وقد حاول أن يجرى تقييما للمرحلة الافتتاحية للمؤتمر .

٢ ـ رجوته أن يعلمنى عما دار بينه وبين كيسنجر . وقال إن كيسنجر لم يتناول الشرق الأوسط بتاتا ، وإنما كان اهتمامه حول مشاكل منها مفاوضات السولت، والاتفاقيات التجارية السوفيتية ـ الأمريكية ، ومؤتمر القمة المقبل بين نيكسون وبريجنيف .

٣ ـ تحدثت معه عن محادثات العسكريين عن فك الارتباط ، وقلت له إن نظرتى لهذا الموضوع نظرة عسكرية قبل أن تكون سياسية ، وإن كيسنجر أخبرنى قبل سفره مباشرة أن أبا إيبان سيسافر إلى إسرائيل لكى يجتمع بمجلس الوزراء الإسرائيلى من أجل اتخاذ قرار إيفاد العسكريين واجتماع اللجنة العسكرية .

---

(٣٤) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠١٥٤ /١٨٠ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٥

٤ ـ قلت كذلك إنه قد يتفق معى جروميكو على أنه يجب أن نعمل معا جميعا على اقناع سوريا بحضور المؤتمر لأن حضورها هام وتغيبها يضع مصر اما مشاكل أساسية ، ويعتبر بمثابة ثغرة يدخل منها كل من يرغب فى الوقيعة بين الدول العربية .

٥ ـ قال جروميكو إنه أرسل تعليمات للسفير السوفيتى للاتصال بالرئيس الأسد الذى ذكر للسفير أن سوريا ستكون مستعدة للاشتراك عندما يتم الاتفاق على الانسحاب الكامل من الأراضى العربية . وعقبت بأنه إذا أعلنت ترتيبات عن الانسحاب قبل المؤتمر فلن يكون هناك بالفعل مؤتمر . ووافقنى جروميكو على ذلك وختم كلامه فى هذه النقطة بأن هذه الملاحظة وجيهة وأن موسكو لم تتفهم منطق سوريا . وأضاف جروميكو أنهم إما يرسلون شخصية إلى دمشق أو يطلبون شخصية سورية تحضر لموسكو ، وسوف يخطرنى بما يتم .

٦ ـ أشار جروميكو إلى موضوع الشائعات التى تتردد ومنها فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتى واحتمال إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل . وأضاف أن هذا غير صحيح . وأضاف أنه ذكر لإيبان أنه إذا انسحبت إسرائيل انسحابا تاما من الأراضى العربية فإنها ستحصل على الأمن . أما إذا صممت على الاحتفاظ بأى أرض عربية فإنها لن تحصل على الأمن المنشود . وأكد مرة أخرى أن موضوع إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل غير وارد الآن، وإن كل ما ذكره لإيبان هو أنه عندما يتم التوصل إلى اتفاقيات مقبولة للعرب فإن هذا سيساعد إسرائيل على الخروج من عزلتها .

٧ ـ أثار جروميكو موضوع اشتراك الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى اللجنة العسكرية مؤكدا أن رغبتهم فى الاشتراك قائمة على أن ذلك يؤيد مصر ويفيدها . وتساءل عندئذ لماذا إذن أخبر بانكر فينوجرادوف ظهر أمس أن مصر لا تريد ولا ترى نفعا من اشتراك الدولتين العظميين فى اجتماعات اللجنة العسكرية فى حين أن كيسنجر لم يذكر له (أى جروميكو) أى شىء عن هذا الموضوع . وأضاف جروميكو أنه يعتقد أن اشتراك العسكريين السوفيت فى صالح مصر ، غير أنه فى حالة رفض مصر اشتراكهم أو إذا لم تبد حماسا فى هذا الاتجاه فإن نتيجة ذلك أن الاتحاد السوفيتى لن يشترك ، وعدم اشتراكه لن يكون فى صالح مصر .

٨ ـ أبديت دهشتى من هذا الكلام وأننى منذ أول اجتماع ذكرت أن أعمال هذه اللجنة عسكرية بحتة ، وأن اشتراك السياسيين فيها لا محل له . وإذا أراد العسكريون السوفيت والأمريكان أن يحضروا فهذا الموضوع يخرج عن صلاحياتى ، فهو من صلب اختصاص الدولتين العظميين إذ أنهما يترأسان المؤتمر بالاشتراك . وأنا على أية حال ـ وإذا كان الاتحاد السوفيتى لم يستطع التفاهم مع الأمريكان ـ

فإننى على استعداد إذا طلب جروميكو أن أتكلم مع الوفد الأمريكى مع التسليم بأننى لا أضمن النتيجة إذ إن هذا أمر من صلاحيات رئيس المؤتمر ."

كان الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت واضحا مع مصر ولدواعيه الاستراتيجية بالطبع . ومن سوء الحظ أن مصر لم تكن واضحة دون أن تكون لديها دواع معقولة . ولم يكن "إسماعيل فهمى" فى جنيف ينفذ سياساته ، وإنما كان ينفذ تعليمات صدرت إليه ، وبعضها تقرر فى القاهرة دون علمه !

□

وكانت الخطوط لجنيف ما زال تتقاطع وتتعارض :

□□ " من جنيف :[٣٥]
إلى السيد الرئيس
من وزير الخارجية

قابلت لمجاملة سوريا المندوب الدائم لها فى جنيف . وقد بدا أنه ليس فى الصورة . وبعد أن أطال فى الحديث بأن المؤتمر ليس تحت إشراف الأمم المتحدة ـ أخذ فى المزايدة المعتادة فوضعته فى الصورة بالقدر اللازم ."

□□ " من جنيف :[٣٦]
إلى السيد الرئيس
من وزير الخارجية

حضر لمقابلتى سفير الهند بجنيف الذى ذكر ما يلى :

١ ـ إن صراع الدولتين العظميين حول الشرق الأوسط فاق بكثير التنافس بينهما على شبه القارة الهندية . بل لعل الصراع على الشرق الأوسط أقرب إلى حالة الصراع فى فيتنام وإنما بأسلوب آخر .

(٣٥) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠١١١/١٨٧ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٥

(٣٦) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠١٩١ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٦.

٢ ـ إن تجربة الهند مع كيسنجر خلال أزمـــة بنجلاديش لا تدعوهم إلى الاطمئنان إلى تمسكه بوعوده . ففى عام ١٩٧١ اتفق أثناء زيارته لنيودلهى علــى حـل بعض المسائل ، ولكنه عندما اجتمع مع سفيرهم فى واشنطن أبلغهم بموقف مخالف .

٣ ـ استفسر عن الدور الذى تستطيع الهند القيام به لمساندة الجهود المبذولة فى نطاق مؤتمر السلام ، فأشرت عليه بضرورة الاستمرار فى التعاون ، وأن ينقل إلينا ما يصل إلى علمه من معلومات . وأن يكون على اتصال مستمر بأعضاء الوفد فى جنيف ."

❑❑ "من جنيف :(٣٧)
إلى السيد الرئيس
من وزير الخارجية

١ ـ بمجرد أن تلقيت تعليمات سيادتكم بخصوص طلب سوريا أن نتولى نحن فى اللجنة العسكرية بحث فك الارتباط على الجبهة السورية ، اتصلت بكيسنجر تليفونيا وطلبت إليه إجراء الاتصال اللازم مع الجانب الإسرائيلى . وذكرت له أن هذه الخطوة إيجابية ويجب أن نستغلها ونشجعها ، فوعد أن يقوم بالاتصال ويفيدنى باكر .

٢ ـ اتصل بى بعد نصف ساعة وذكر أنه يعتقد بأنه إذا قام بهذا الاتصال الآن ستكون عملية انتحارية suicidal وتكون النتيجة أن كل الجهود التى بذلت بالنسبة للمحادثات العسكرية المصرية الإسرائيلية وتوقع نجاحها قد هدمت .

٣ـ وأضاف أنه قبل أن تتم الانتخابات فى إسرائيل لا ينصح إطلاقا بهذه الخطوة .

٤ ـ ذكر أيضا أن الحديث فى هذا الموضوع الآن دون أن تقدم سوريا كشفا بأسماء الأسرى يعتبر مستحيلا وقد يبطل المجهودات المركزة على الجبهة المصرية . وأنهى مكالمته الثانية أنه بذلك سوف لا يتصل بالإسرائيليين الآن فى هذا الموضوع .

٥ ـ طلبته مرة ثانية وذكرت له أننى لا أتفق معه خصوصا وأن وفدنا سيتحدث عن الجبهة السورية إذ إن القيادة واحدة وكل ما سيحدث أنه سينضم أحد الضباط السوريين . فكان تعليقه أنه إذا أعلنت هذه الصيغة فسوف ينهار كل شىء . ولذلك فهو ينصح مرة اخرى مشددا بتأجيل الحديث مرة أخرى إلى ما بعد الانتخابات ."

---

(٣٧) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٣١٧ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٧ .

□□ "من جنيف :(٣٨)
إلى السيد الرئيس
من وزير الخارجية

قبل عودتى "باكر" رأيت من المناسب عقد اجتماع بسفراء الدول العربية فى جنيف لوضعهم فى الصورة ومعرفة ما يتداولونه فيما بينهم . وكانت أهم النقاط التى أثارها بعض السفراء :

١ ـ ما هو موقف مصر الحقيقى ؟

٢ ـ ما هى دوافع اجتماع جروميكو مع إيبان ؟

٣ ـ هل الضغط الأمريكى أو السوفيتى على إسرائيل كاف ؟

٤ ـ هل انتقلت محادثات الكيلو ١٠١ إلى جنيف ؟

٥ ـ ما هو موقف مصر فيما لو فشلت الاجتماعات الحقيقية ؟

وقد أجبت على استفساراتهم مؤكدا أن مصر ليس لها موقف سرى وموقف علنى. فلم يحدث داخل المؤتمر من ناحيتنا سوى ما جاء فى بياناتى التى نشرتها بالكامل وسائل الإعلام الأجنبية والصحف المصرية بالكامل وبدون تحريف .

....

........................"

□

كانت هذه سلسلة برقيات "إسماعيل فهمى" إلى "أنور السادات" بعد لقائه الأول مع "كيسنجر" فى جنيف وفى إطار المؤتمر الدولى . وتتضح من هذه البرقيات مجموعة استنتاجات منطقية يصعب الشك فيها :

١ ـ إن وزير الخارجية المصرى لا يعرف ما دار فى لقاءات القاهرة بين رئيسه وبين وزير الخارجية الأمريكى . وهو جالس ليتفاوض مع "كيسنجر" وجزء هام من الصورة مخفى عنه ، وهو يسأل "كيسنجر" فيه ، و"كيسنجر" يغريه بأنه "سوف يقول له" . لكنه لا يبدو من البرقيات أنه قال له .

---

(٣٨) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٣١١ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٧ .

٢ ـ إن "كيسنجر" (وبالطبع إسرائيل) يريد أن يترك المشاكل العسكرية جانبا ، ويهمه من مؤتمر جنيف أن يبرز كمؤتمر سياسى .

٣ ـ إن "كيسنجر" يتبع فى كلامه خطا واضحا يجر مصر إلى مواقف شك وتربص وعداء ضد حلفائها الدوليين ، وفى مقدمتهم الاتحاد السوفيتى .

٤ ـ إن "كيسنجر" يتبع أسلوب "شهرزاد" فى رواية القصص ، فهو يترك الموضوعات الأساسية ويُسلّى محدثه بأقاصيص من نوع أن "بومبيدو منتفخ" وإنه "ينام بينما هو جالس مع ضيوفه" .

٥ ـ إن "كيسنجر" خلال أحاديثه مع مفاوضيه العرب يبيع لهم وهما يعرف أنه مستحيل ، من نوع تحريض الكونجرس على إسرائيل "إلى درجة عصرها" ، وقدرة الرئيس الأمريكى أو استعداده لـ "ضرب المنضدة بعنف" إنذارا للسفير الإسرائيلى فى واشنطن .

٦ ـ إن "كيسنجر" يستدرج الموقف العربى إلى مزيد من التنازلات بإغراء التوصل إلى فك ارتباط سريع على الجبهة المصرية ، بينما هدفه وهو واضح من كلامه ـ إعطاء انتصار لرئيسه يستطيع الاستفادة منه لتغطية موقفه فى "ووترجيت" .

٧ ـ إن "كيسنجر" لديه جدول أعمال يريد أن يفرضه على العرب . فالخطوة التالية فى تقديره كانت الضغط من أجل رفع الحظر على تصدير النفط العربى إلى الولايات المتحدة .

إن أهمية التدقيق فى أطر ووسائل التعامل المصرى الأمريكى فى هذه الفترة لها ــ فى التحليل النهائى ـ قيمة مضافة . فهى ليست مجرد جلسات تفاوض ، وإنما هى محاولة من اللحظة الأولى لإرساء قواعد وأساليب للعملية التفاوضية مع مصر ومع العرب . (ويمكن أن يقال بغير مجازفة إن هذا النمط من التعامل ما زال جاريا حتى هذه اللحظة ــ ربيع ١٩٩٥ . وبصرف النظر عن كل ما جرى ويجرى على الجانب المصرى من المفاوضات ـ فلا يزال الرئيس "الأسد" يفرد خرائطه أمام زواره الأمريكان ــ من "نيكسون" وحتى "كريستوفر" ـ ويطالب بالانسحاب الكامل من الجولان .)

٣

الجنرال جور

" نحن لا نعرف شيئا اسمه خطة هنرى كيسنجر "

(مستشار الوفد العسكرى المصرى فى جنيف فى اجتماع مع الوفد العسكرى السوفيتى)

يوم ٢٧ ديسمبر كانت لجنة العمل العسكرية على وشك أن تبدأ أعمالها . وكانت مصر تتعجل عمل هذه اللجنة حتى تستقر الأوضاع فى الجبهة ، وخصوصا بالنسبة إلى الجيش الثالث . لكن إسرائيل كانت ما تزال تواصل خطها الذى رسمته منذ أول لقاء مصرى ـ إسرائيلى مباشر عند الكيلو ١٠١ . وأول نقطة فى هذا الخط هى أولوية الاعتبارات السياسية لأن كل قضية عسكرية متعلقة بقرار سياسى . وقد تم الاجتماع العسكرى الأول ووزير الخارجية المصرى لا يزال فى جنيف يستعد لمغادرتها فى ظرف ساعات ، ولذلك فقد كان هو الذى بعث بأول تقرير عن الاجتماع الأول للجنة العمل العسكرية إلى الرئيس "السادات" . وكانت بدايته كما يلى :

"من جنيف : (٣٩)

إلى السيد الرئيس

من وزير الخارجية

اجتمعت لجنة العمل العسكرية تحت رئاسة الجنرال سيلاسيفو الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم بمقر الأمم المتحدة . وارتدى الضباط من الجانبين الملابس العسكرية بناء على طلب مصر . "

---

(٣٩) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٢٣٥ (خ) بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٧ .

. . . .

. . . .

لكن الإصرار على ارتداء الضباط لملابسهم العسكرية لم يكن كافيا لإقناع إسرائيل بتغيير رأيها فى جوهر ما تطلبه من أية محادثات مهما كان وصفها على الورق ومهما كان نوع الملابس التى يرتديها المشاركون فيها .

كان العميد أركان حرب "طه المجدوب" هو رئيس الوفد العسكرى المصرى . وقد كان هو المتحدث المصرى الرئيسى أمام الجنرال "جور" الذى رأس الوفد العسكرى الإسرائيلى . وقد بدأ "المجدوب" فطالب (طبقا للتقرير الرسمى عن اجتماع اللجنة ـ وكما ورد فى برقية "إسماعيل فهمى" إلى الرئيس "السادات") ـ بـ :

١ ـ ضرورة التوصل بسرعة إلى فك الاشتباك بين القوات .

٢ ـ يكون ذلك بانسحاب إسرائيل إلى خط فى سيناء شرق القناة .

٣ ـ تكون المسافة بين الطرفين متعدية لمرمى نيران القوات .

٤ ـ خط فك الاشتباك يجب أن يكون على مسافة شرق القناة تسمح بأمن القوات العسكرية والأهداف الحيوية فى منطقة القناة ."

وأوضح "المجدوب" أن "تهدئة الوضع العسكرى وخلق جو ثقة أمر مطلوب لنجاح التسوية". وذلك فى مصلحة إسرائيل أيضا لأنه "يعطى فرصة للحكومة الإسرائيلية للتخفيف من عبء التعبئة العامة" .

وبدأ "جور" يرد ، ولم تكن نغمته فى الرد مريحة ، لكن الكلمات كانت تعكس على نحو ما مشاعر ونيات إسرائيل فى تلك اللحظة .

بدأ "جور" فقال "إن محادثات الكيلو ١٠١ نجحت ، والدليل على ذلك أن وقف إطلاق النار ما زال قائما ، وإن الذين اشتركوا فى هذه المحادثات نالوا ترقّيات ـ وأصبح اللواء الجمسى فريقا بعد أن كان لواء" .

ثم انتقل "جور" إلى النقطة الثانية فقال "إن ما سمعه من العميد المجدوب حول انسحاب إسرائيل يدعوه إلى التفكير لأن كلمة الانسحاب لها مدلول سياسي[٤٠] ، وهذا يخرج

---

(٤٠) كان الوفد الإسرائيلى يتلاعب بين السياسى والعسكرى . فإسرائيل تريد أن تعطى الصبغة السياسية لمؤتمر جنيف ومع ذلك تمتنع عن مناقشة "السياسة" فى اللجان إذا وافق ذلك هواها .

عن عمل اللجنة العسكرية ، فإذا قصرت اللجنة عملها على ما هو عسكرى فإن ما هو مطروح على الطرفين هو اتخاذ إجراءات مشتركة تمليها اعتبارات عسكرية بحتة mutual measures" . وأضاف أن "موضوع البحث هو الوضع فى أراض محتلة عسكريا ، ولذلك لا ينبغى للبحث أن يتطرق إلى موضوع السيادة على هذه الأراضى" .

ثم استطرد الجنرال "جور" فى شرح وجهة نظره فقال "إن إسرائيل does not deny لا تنكر سيادة مصر على أراضيها ، ولكن موضوع الأراضى يتولى بحثه السياسيون ، وهو كعسكرى غير مخوّل للكلام فيه . وكمبدأ عام فإن إسرائيل ترى ألا يخسر أحد الأطراف على مائدة المفاوضات ما لم يخسره جيشه فى الميدان . وإذا حدث انسحاب من جانب إسرائيل فقط فسوف يتولد شعور بأن إسرائيل خرجت خاسرة فى محادثات اللجنة العسكرية . ولذلك يجب أن تكون الإجراءات متبادلة على الجانبين" . (أى أن تنسحب القوات المصرية من خطوطها فى مقابل أى مسافة مماثلة تنسحب إليها القوات الإسرائيلية) .

وهنا تدخل الجنرال "سيلاسيفو" كبير المراقبين الدوليين وقال "إن مصر سبق أن رفضت فكرة أى انسحاب مصرى من خطوطها ، وبالتالى فهو لا يفهم إعادة تقديم هذه المقترحات من الوفد الإسرائيلى" . ورد الجنرال "جور" : "لو كانت كلمة الانسحاب غير مقبولة بالنسبة لمصر فيمكن استعمال كلمة تحرك movement ، وهو يرجو أن يكون التحرك المشترك للقوات مقبولا ."

وتدخل عضو آخر فى الوفد الإسرائيلى وهو الكولونيل "زيون" فقال : "إذا قام طرف بانسحاب وبقى الآخر فى مكانه ، فإن الذى ينسحب خسر والذى يبقى فى مكانه كسب ، وليس من المعقول أن يقبل أى طرف بتسليم كروته وأصوله قبل المحادثات السياسية . وأى انسحاب إسرائيلى منفرد مهما كان وصفه سيؤدى إلى وضع غير متوازن سياسيا ."

وفى نهاية الجلسة الأولى طلب الوفد العسكرى الاسرئيلى إعفاءه فى الجلسة القادمة من ارتداء الملابس العسكرية لأنها ملفتة للنظر فى اجتماعات تعقد فى مقر السلام فى جنيف . وطلب الوفد المصرى مهلة للعودة إلى القاهرة فى هذا الشأن ، وأن يكون الاجتماع القادم على الأقل بالملابس العسكرية .

كان "أبا إيبان" وزير خارجية إسرائيل أول رؤساء الوفود الذين غادروا جنيف ، وقد عاد بسرعة ليحضر معركة الانتخابات وتشكيل الحكومة الجديدة . وقبل مغادرته لجنيف بعث "أبا إيبان" برسالة إلى وزير الخارجية المصرى مؤداها : "من فضلكم ساعدونا حتى نمنع

فوز بيجن وإلا فإنها الحرب مرة أخرى ، وبكل السلاح المتوفر لدى إسرائيل زائدا عليه ما أرسلته الولايات المتحدة إليها بعد وقف إطلاق النار ."

ثم ألمح "إيبان" إلى الأسلحة النووية بقوله "إن الحرب فى ظل حكومة يرأسها بيجن قد تكون بغير ضوابط restraint" .

□

وغادر وزير خارجية مصر جنيف ، وترك مكانه للسفير "حسين خلاف" لكى يدير المحادثات بالتنسيق مع رئيس الوفد العسكرى المصرى . كذلك فإن "كيسنجر" بعد أن سافر ترك وراءه السفير "إلزورث بانكر" - لكن "بانكر" بدوره ما لبث أن غادر جنيف لأمور تتعلق بمشكلة قناة بنما ، وترك رئاسة الوفد الأمريكى فيها لمساعده السفير "ستيرنر" . ثم إن "جروميكو" هو الآخر سافر تاركا وراءه فى رئاسة الوفد السوفيتى سفيره فى القاهرة "فلاديمير فينوجرادوف" .

وكانت أول برقية كتبها السفير "حسين خلاف" بوصفه مسئولا عن أعمال الوفد فى جنيف كما يلى :

□□ "إلى السيد وزير الخارجية [٤١]

من السفير حسين خلاف

١ ـ طلب مستر ستيرنر (نائب رئيس الوفد الأمريكى) مقابلة الجانب العسكرى المصرى وأصر عليه . ولكننا فضلنا أن يجتمع به الوفد على المستوى السياسى . فقابله السفير أحمد عثمان والمستشار نبيل العربى مساء يوم ٢٨ ديسمبر .

٢ ـ بدأ حديثه بأن ذكر أن بانكر اتصل به تليفونيا وأخطره أنه سيتأخر حضوره إلى جنيف بضعة أيام لأن لديه أعمالا أخرى متعلقة بقناة بنما . وأضاف ستيرنر أنه ذكر لبانكر أنه ليس هناك ما يستدعى سرعة حضوره الآن .

٣ ـ ذكر أنه لا يود أن يفرض نفسه على أحد ، ولكنه بصفته رئيسا مشاركا للمؤتمر يود أن يتعرف على انطباعنا عن المحادثات العسكرية . فذكرنا له أنه مما لا شك فيه أن الجنرال سيلاسيفو أبلغه بما تم ، وإنه ليس هناك ما نزيده .

---

(٤١) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٢٨٢ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٩

٤ - تطرق إلى مبدأ التبادل (أن يكون انسحاب القوات متبادلا على الناحيتين المصرية والإسرائيلية) . وذكر أن الوفد الإسرائيلى سوف يصر على المطالبة بهذا المبدأ . وأخذ يعدد حجج الجانب الإسرائيلى فى هذا الصدد ، مما دعانا إلى أن نسأله إذا كان قد جاء لينصحنا بقبول هذا المبدأ الإسرائيلى . وذكر أن هذا مبدأ أساسى ، وتنتظر إسرائيل من تطبيقه الآن أن يفهم الجانب العربى عند حدوث التسوية أنهم لن يحصلوا على أراضيهم من غير ثمن ."

وفى نفس اليوم كتب السفير "حسين خلاف" برقيته الثانية إلى وزير الخارجية . وكانت هذه المرة عن لقاء بينه وبين نائب رئيس الوفد السوفيتى السفير "فلاديمير فينوجرادوف":

□□ "إلى السيد وزير الخارجية (٤٢)

من السفير حسين خلاف

١ - قابلت فينوجرادوف مساء ٢٨ الجارى بناء على طلبى للاستفسار عن موضوع اتصال العسكريين السوفيت بالعسكريين الإسرائيليين .

٢ - سألته عن هذا الاتصال فنفاه بشدة وقال إنه اختراع إسرائيلى. وهم حتى لم يحاولوا . ثم تساءل عن مصدر هذه المعلومات الخاطئة فقلت إننا سمعنا بذلك . فأكد أنه إذا تم اتصال فسوف يقومون بإخطارنا به مباشرة .

٣ - ذكر أن الجنرال سيلاسيفو أبلغه بما حدث فى لجنة العمل العسكرية . وفى رأيه أنه لم يحدث أى شىء substantial. (٤٣) وسأل عن انطباعى فذكرت أن الاجتماعات الأولى عادة ذات صفة عامة، وإن التفاصيل ستأتى فيما بعد .

٤ - تكلم فينوجرادوف عن ضرورة الدفع بالمؤتمر إلى الأمام ، وإنهم يريدون التعاون معنا فى ذلك . وأبدى قلقه من أن أمريكا وإسرائيل يريدان أن تتراخى أو تتباطأ العملية . ومن أدلة ذلك تغيب بانكر عن جنيف .

. . . .

. . . .

---

(٤٢) برقية وزارة الخارجية رقم ١٠٢٨٥ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٩.

(٤٣) تترجم الكلمة عادة إلى "شىء له قيمة" أو "جوهرى" .

٧ ـ أصر على ضرورة الاجتماع بى لبحث خطة للعمل فى المؤتمر . فأجبت بأن تعليماتى هى التركيز فى المرحلة الحالية على أعمال مجموعة العمل العسكرية. إزاء إصراره وافقت على إمكان اجتماعى معه فى المرحلة الأخيرة لمجرد الاستماع إلى آرائه ونقلها إلى حكومتى لدراستها ."

□

كان موقف السوفيت ما زال شاغلا للوفد المصرى ، وأراد أن تكون القاهرة على اتصال بأجواء المؤتمر .

□□ "من جنيف :(٤٤)

إلى السيد وزير الخارجية

من السفير حسين خلاف

فيما يلى بعض الانطباعات العامة التى استخلصها أعضاء الوفد نتيجة للمناقشات التى دارت مع الوفد السوفيتى وبعض الأحاديث الجانبية :

١ ـ استشعرنا قلق الاتحاد السوفيتى من بروز دور أمريكا فى المؤتمر ، وعدم وضع دور فعال له فيه . وخشيته أن يكون الشكل الذى تم به عقد اللجنة العسكرية هو تأكيد لدور "قانونى" (وسياسى) لهم فى المؤتمر .

٢ ـ لذلك يسعى الاتحاد السوفيتى عن طريق تكثيف اتصالاته معنا وإبداء رغبته فى التشاور أن يضع نفسه فى الصورة بالنسبة لعمل مجموعة العمل العسكرية .

٣ ـ سيعتبر الاتحاد السوفيتى أن أى توقف لأعمال مجموعة العمل العسكرية هو نتيجة لعدم اشتراكهم فيها وعدم تمكنهم بالتالى من ممارسة أى ضغط على الجانب الإسرائيلى .

٤ ـ يخشى الاتحاد السوفيتى أن يكون هناك اتفاق بين مصر والولايات المتحدة من وراء ظهره .

---

(٤٤) برقية وزارة الخارجية رقم ٨٨ بتاريخ ١٩٧٤/١/٥ .

٥ ـ انطباع الوفد من المناقشة ، أن فكرة السوفيت عن بعض الأمور الهامة كفكرة السلام التى تدعيها إسرائيل ، وحدود مصر ، وفكرة الأمن فى المنطقة ، كل هذا يحتاج إلى تحديد وتدقيق وجهة النظر المصرية وبيان أسانيدها حتى تترسخ قناعات الاتحاد السوفيتى بوجهة النظر المصرية فى هذه الأمور الأساسية .

٦ ـ أشار أحد العسكريين السوفيت لأحد أعضاء وفدنا العسكرى إلى ما أسماه بخطة كيسنجر وحاول أن يستفسر عما نعلمه عنها. وكانت إجابة وفدنا أننا نسير فى اللجنة وفق خطة مصرية ، ولا علم لنا بخطة كيسنجر هذه ."

كانت سطور هذه البرقية تشير إلى محاولة يقوم بها الوفد السوفيتى على استحياء للفت نظر القاهرة إلى أهمية التفاهم بشكل ما مع الاتحاد السوفيتى .لكن موقف الوفد فى جنيف كان يزداد حرجا .

❑❑ "من جنيف : (٤٥)

إلى السيد وزير الخارجية

من السفير حسين خلاف

أثير موضوع خطة كيسنجر عندما سأل اللواء المجدوب الضابط السوفيتى عن معلوماته أو رأيه بشأن المقترحات الإسرائيلية ، فأجاب أنه يعتقد بأنهم قد يقبلون الانسحاب إلى خط المضايق طبقا لخطة كيسنجر . فلما استفهم منه اللواء المجدوب عما يقصده بخطة كيسنجر أبدى استغرابه لعدم معرفتنا بها ، فقال له اللواء المجدوب : "إننا لا نعرف شيئا اسمه "خطة كيسنجر"، وإن عملنا كله قائم على خطط مصرية ، فما هى خطة كيسنجر هذه ؟" فكان رد الضابط السوفيتى "إن الانسحاب سينظم على ثلاثة خطوط :

الأول : خط المضايق دون تحديد دقيق .

الثانى : خط العريش ـ رأس محمد .

الثالث : هو خط الحدود .

فلما ذكر له اللواء المجدوب أنه يسمع هذا الكلام لأول مرة ، قال إنه نشر فى الصحف ."

---

(٤٥) وزارة الخارجية رقم ٢٤/١٤٢ (خ) بتاريخ ١٩٧٤/١/٢٧ .

وكان إرسال هذه البرقية بهذه الصيغة شكوى مستترة من الوفد المصرى فى جنيف بأنه يعمل فى الظلام .

ولم تكن أوروبا الغربية سعيدة باستبعادها من عملية السلام فى الشرق الأوسط. وكانت تتصور لنفسها دورا ، فإذا "كيسنجر" يتحكم فى المسرح كله ويتولى توزيع الأدوار . وكانت فرنسا هى المعبر الطبيعى فى ذلك الوقت عن أسباب العتاب الأوروبى ،وكان معظمه موجها إلى العرب باعتبار أنهم أصحاب المشكلة ومن حقهم أن تكون لهم الكلمة الأخيرة على الأقل فى أسلوب حلها .

وكتب السفير المصرى في باريس "نجيب قدرى" إلى وزير الخارجية يعطيه صورة عن المشاعر الفرنسية . وتلقى ردا بأن "الحكومة المصرية لا تمانع فى قيام فرنسا بدور فى جنيف ، لكنه فى الظروف الراهنة يستحسن أن يكون دورا غير رسمى" . ورفضت فرنسا على الفور هذه الفكرة . وكتب السفير "نجيب قدرى" إلى وزير الخارجية برقية عن مقابلة له مع "ميشيل جوبير" وزير الخارجية الفرنسى .

"من باريس

من السفير نجيب قدرى

إلى السيد الوزير

قابلت وزير الدولة للشئون الخارجية (ميشيل جوبير) وأبلغته رسالة سيادتكم . وقد تشاور فيها مع الرئيس بومبيدو .واستقر رأيهم على صرف النظر عنها فى الوقت الحاضر للأسباب التالية :

١ ـ إنهم غير متفائلين بالنسبة لنتائج مؤتمر جنيف بشأن التوصل إلى إقامة سلام دائم . وبالتالى لا يرغبون فى مشاركة فرنسا ولو بطريقة غير مباشرة حتى لاتستغل الدولتان العظميان هذا الوجود وتعتبرانه مشاركة حقيقية فى حالة فشل المباحثات .

٢ ـ إنهم يفضلون الاحتفاظ بدور أوروبا بعيدا عن جنيف فى المرحلة الحالية وحتى تتضح الأمور . وفى استطاعة فرنسا القيام بدورها بجانب مصر فى حالة تعثر المباحثات.

٣ ـ أما الوجود الفرنسى الغير رسمى ففيه إحراج لفرنسا .

٤ ـ أبلغنى أن السبب فى تشاؤمهم نابع من اقتناعهم بأن إسرائيل لا ترغب

فى ســلام، ولكن ترغب فى هدنــة ممتـدة ، وهو مـا يتفــق مـع مصالحهـا علـى الأقـل فى هذه المرحلـة .

٥ ـ ذكـر ميشيل جوبـير أنـه سيقوم بجولـة فى المنطقة من أواخر الشـهر الحـالى إلى بداية شهر مـارس . ومن المنتظر أن يبـدأ بزيارة السعودية وسوريـا . أما بالنسبة لمصـر فيعتزم الوزير القيام بزيارة خاصـة لهـا ، ويحبـذ أن يكون ذلك عندمـا تتضـح الأمـور فى جنيـف ."

٤

ليبيـــــا

"هذه هى أسماء أعضاء الفريق الأمريكى الذى سيتولى مهمة الأمن الشخصى للرئيس السادات"

(برقية من "هنرى كيسنجر" إلى السيد "حافظ إسماعيل" مستشار الرئيس المصرى للأمن القومى)

كان يوم الاثنين ٧ يناير ١٩٧٤ مخصصا لانعقاد الجلسة الخامسة لمجموعة العمل العسكرية . وكان واضحا أن الأمور متعثرة . وقبل موعد التئام أعضاء فريقى العمل إلى مائدة المباحثات ، كانت هناك لقاءات على أطراف القاعة جرت فيها أحاديث غير رسمية عن أعمال المؤتمر وكيف يمكن إخراجها من المأزق الذى توشك أن تصل إليه . وفى ركن من هذه الأركان كان الكولونيل "زيون" عضو الوفد الإسرائيلى يتحدث إلى اثنين من العسكريين المصريين ، وإذا هو فجأة يقول لهما ما يكاد أن يكون نصه "إنهم بصراحة لا يفهمون معنى إصرار مصر على الاتجاه شرقا والاهتمام بقضية فلسطين ، فهى فى هذا الاتجاه تكلفت ثروات وخسرت حروبا ، فى حين أنها لو أخذت اتجاها آخر لكان فى مقدورها أن تكسب ثروات وأن تربح حروبا " .

ثم استطرد الكولونيل "زيون" يقول وهو يلحظ دهشة واهتمام سامعيه برأيه : "لماذا لا تأخذون ليبيا فى الغرب بدلا من تضييع وقتكم بسبب فلسطين فى الشرق ؟ ... خذوا ليبيا ولو أدى الأمر بالقوة ، ونحن لن نعترض من جانبنا على أى عمل تقومون به ، ولن نستغل انشغالكم حتى إذا دخلتم فى معركة عسكرية لاحتلال ليبيا."

كان العقيد "فؤاد هويدى" واحدا من هذين الضابطين ، وقد راح يرد على الكولونيل "زيون" ويشير إلى مسئولية مصر العربية ، وأن علاقاتها بالعرب ليست علاقات مطامع ،

كما أن قضية فلسطين بالنسبة لها مسألة اقتناع والتزام . وأبـدى الكولونيل "زيـون" عـدم اقتناعه . ثم دعا أعضاء الوفدين إلى الالتئام حول المائدة .

وعندما انتهى الاجتماع بعد قرابة ثلاث ساعات اقترب الكولونيل "زيـون" من الوفد المصرى وقام بتسليمه مذكرة قائلا لرئيس الوفد المصرى فى الجلسة : "أرجوك أن تقرأ هذه المذكرة وقد تجدون فيها شيئا مفيدا" .

كان عنوان المذكرة هو "أمل مصر الحقيقى : ليبيا" . ثم تمضى المذكرة بعد ذلك وتطول إلى أربع صفحات كاملة فتقول :(٤٦)

١ - إن مصر منذ سنة ١٩٦٧ كانت تدفع ثمنا غاليا لدعوتها إلى القومية العربية . وقد حان الوقت بالنسبة لمصر لكى تحصد مكاسب من هذه السياسة .

٢ - أى بلد يريد أن يتقدم يحتاج إلى : الأرض وقوة العمل ورأس المال . ومصر لديها الكثير من العنصرين الأولين ، ولكنها تعانى بسبب نقص رأس المال . وليبيا ببساطة لديها رأس المال .

٣ - فى الوقت الحاضر ، فإن ليبيا لديها احتياطى نقدى متوفر يزيد عن ٣ر٤ بليون دولار . والتقديرات فى الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٠ - إن دخل ليبيا من البترول لا يمكن أن يقل عن ٣٦ بليون دولار - أى بمتوسط سنوى قدره ١ر٥ بليون دولار .

٤ - بهذا الحجم الضخم من رأس المال ، فإن مصر تستطيع أن تشترى كل احتياجاتها العسكرية والاقتصادية . ولن يمر وقت طويل قبل أن ينضم السودان إليها . وتنشأ بذلك أمة جديدة يمكن أن تصبح قوة حقيقية يعتد بها .

٥ - وبالطبع فإنه يمكن تصور مشاكل تنشأ من عدم التكافؤ بين هذه الدول . ولكن اتصال الحدود بينها يمكن أن يساعد على حل هذه المشاكل . ولكن إذا استمرت مصر كما هى الآن جائعة إلى رأس المال، فإنها سوف تواجه مشاكل أكثر تؤدى إلى مآس أشد لشعبها ولكل العالم العربى .

٦ - وعلى هذا الأساس فإن اندماجا بين مصر وليبيا هو أهم مشكلة تواجهها مصر اليوم . إن سيناء أو أى شىء آخر لا يستطيع أن يحل مشاكل مصر ، وإنما يحلها "أخذ" ليبيا . وبهذا الوضع ، ومع قيام دولة قوية ، فإن مصر لن تحتاج إلى أن تتسول من الغرب عودة سيناء إليها لأنها ستكون فى وضع يمكنها من إملاء شروطها .

---

(٤٦) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة للصفحة الأولى من هذه المذكرة - تحت رقم (١٩) .

٧ ـ وطبيعى أن مصر قوية على هذا النحو يمكن أن تمثل خطرا على مصالح الولايات المتحدة فى العالم العربى كله . وبالتالى فإن الولايات المتحدة سوف تكون مستعدة لدفع أى ثمن لمصر حتى تؤخر هذا الاندماج .

٨ ـ كذلك فإن استعداد السعودية لإعطاء تأييد اقتصادى وسياسى لمصر ــ كوسيلة لتأخير هذا الاندماج ـ هو أمر مشكوك فيه لأن السعودية بالتأكيد ـ ولأسباب بدهية ـ سوف تفعل كل ما فى وسعها لسد هذا الطريق .

٩ ـ وبرغم تعهد السعودية بتقليل إنتاجها من النفط بنسبة ١٠٪ سنويا ــ فإنه من المشكوك فيه أن ذلك تعهد جدى .ففى خلال السنوات القليلة القادمة سوف يتدفق بترول كثير من العراق وأبو ظبى وليبيا وألاسكا وبحر الشمال .والجدول التالى يعطى تقديرات عن حجم إنتاج العالم من البترول سنة ١٩٨٠. . . . . .."

ثم تمضى المذكرة بعد ذلك بحيث تصور ضم ليبيا إلى مصر وكأنه الحل السحرى لجميع مشاكلها .

ولم يعرف الوفد المصرى كيف يتصرف فى هذه المسألة ، ولكنه بعث بالتفاصيل كاملة إلى القاهرة . ومن الغريب أن الرئيس "السادات" وضع بقلمه خطين تحت فقرة فى البند الثالث من المذكرة الإسرائيلية ، وهى الفقرة التى تقدر دخل ليبيا فى السنوات الخمس القادمة بـ ٣٦ بليون دولار .

لكن مشهد جنيف كان لا يزال ملء الصورة .

□

كان أقرب الحلفاء إلى الولايات المتحدة حيارى فى شأن ما يجرى فى جنيف ومعانيه والنتائج التى يمكن أن تسفر عنه . ويوم ١٠ يناير ١٩٧٤ أبرق السفير "حسين خلاف" إلى القاهرة برقية رقم ٢٦٧ ، وكان نصها :

"حضر مايكل ويستون السفير البريطانى والمنتدب من نيويورك لمتابعة أعمال مؤتمر السلام إلى البعثة يوم ٩ الجارى ، وأفاد بما يلى :

١ ـ إن حكومته مهتمة بما يدور فى مجموعة العمل العسكرية حاليا . وإنها تعطى أهمية كبرى لمؤتمر السلام وما سوف ينجم عنه . ولذلك أعدت ورقة عمل سيوافوننا بها ،وهو يرجو أن يتلقى تعليق مصر عليها .

٢ ـ إن حكومته تتلقى تعليماتها عما يجرى فى جنيف من مصادر الأمم المتحدة سواء عن طريق السكرتير العام فى نيويورك أو السكرتير المساعد جوبييه فى جنيف . ولكن لديهم شعورا بنقص المعلومات ، وقد حاولوا الحصول عليها من البعثة الإسرائيلية فى جنيف فلم يجدوا أى استجابة ."

وكان سفير اليابان فى جنيف قريبا من شكاوى زميله البريطانى .

❑❑ "من جنيف :(٤٧)
إلى وزير الخارجية
من السفير حسين خلاف

قابلت بعد ظهر اليوم سفير اليابان ماريتارا بناء على طلبه :

أبدى تخوفه من مماطلة إسرائيل فى الانسحاب من سيناء . قال إنه اتصل فى أوائل أيام المؤتمر بكل من السفير بانكر الذى كان زميلا له فى سايجون ، وفينوجرادوف الذى كان سفيرا لبلاده فى اليابان عندما كان ماريتارا سكرتيرا عاما لوزارة الخارجية اليابانية . وأوضح لكل منهما أن موضوع الشرق الأوسط هو على خلاف موضوع فيتنام لا يهم الدولتين العظميين فقط بل يهم دولا كثيرة مثل اليابان .

وقال ماريتارا إنه سأل كلا من بانكر وفينوجرادوف عن السبب الذى من أجله لم تشترك كل من إنجلترا وفرنسا فى المؤتمر . وكانت إجابة بانكر أن فرنسا وبريطانيا لم توضحا رغبة أكيدة فى ذلك ، وإنه ليست لأى منهما القدرة على المساهمة مساهمة فعالة فى معالجة موضوع الشرق الأوسط . أما فينوجرادوف فقال إن السبب هو عدم موافقة إسرائيل على اشتراك إنجلترا وفرنسا فى المؤتمر .

ثم سأل ماريتارا عن الميعاد المحتمل للبدء فى فتح وتوسيع وتعميق قناة السويس ."

❑

وفجأة عرف العالم أن "هنرى كيسنجر" فى طريقه إلى أسوان لمقابلة الرئيس "السادات" والتفاوض معه مباشرة ، وإزاحة كل مسرح جنيف بما فيه الأمم المتحدة، والمؤتمر الدولى ، والقوى العظمى ، والأصدقاء والأعداء ، كلهم على السواء

---

(٤٧) برقية وزارة الخارجية رقم ٥٠٢ .

جانبا . فهذا المؤتمر - كما هو واضح - أدى مهمته فى التأثير على الانتخابات الإسرائيلية وأعاد حزب العمل إلى السلطة ، كما أنه أعطى الوقت لـ "هنرى كيسنجر" كى يعد تفاصيل خطته ويتقدم وحده إلى الساحة .

وفى الوقت الذى كان فيه "هنرى كيسنجر" يضع لمساته الأخيرة على خطته ، كان الرئيس "السادات" يتلقى الرسالة التالية منه ، وكان نصها كما يلى :(٤٨)

"رسالة من وزير الخارجية كيسنجر

إلى الرئيس السادات

بالنسبة للمشاورات التى دارت بيننا حينما تناقشنا فى مشكلة أمنكم الشخصى - فنحن على استعداد لارسال فريق الخبراء التالى إلى القاهرة فورا :

جورج ك. كيثان Keithahn - وهو خبير فى أصول الحماية الشخصية .

بول لويس Paul Lewis - وهو خبير فى شئون مقاومة التنصت .

هيو وارد Hugh Ward - وهو متخصص فى تدريب المسئولين عن الحماية الشخصية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن خبيرا فى الأمن المباشر وفى كشف المتفجرات سوف يلحق بالفريق بعد أيام قليلة . بالإضافة إلى ذلك فنحن نقترح أن نرسل فريقا آخر برئاسة المستر آلان د. وولف Alan D. Wolf وهو متخصص فى شئون المخابرات . وإذا وافق الرئيس السادات فإننا نريد إلحاقه ببعثة رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة . والغرض من قدومه هذه المرة هو أن يتاح لخبرائكم فى الأمن الفرصة للقائه ومناقشة مقترحاته للتأكد من قبولكم لها .

إننا ننوى إرسال هذا الفريق بسرعة إلى القاهرة ، وفى موعد لا يتجاوز ٢ فبراير . وإذا رأيتم موعدا أنسب فإننا بالطبع على استعداد للتلاؤم مع رغباتكم .

هنرى كيسنجر "

كانت الولايات المتحدة المتحدة الأمريكية تتقدم لتَحمّل مسئولية الأمن الشخصى والسياسى للرئيس "السادات" واستجابة لطلبه ، وكان توقيت الاستجابة ملفتا للنظر . وكانت تلك نقطة تحول خطيرة فى السياسة المصرية المعاصرة!

---

(٤٨) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من رسالة "كيسنجر" - تحت رقم (٢٠) .

٥

كيسنجـــر (٢)

" جيشـى يطيـع أوامـرى ، وقيادتـى سـوف
تنفـذ أى أمـر أصـدره لهـا "

("أنـور السادات" لـ "هنرى كيسنجـر")

استطاع مؤتمر جنيف أن يحل مشاكل ، ولكنه عجز عن حل مشاكل أخرى . وفى كل الأحوال فإن "كيسنجر" بدأ يشعر أن المؤتمر استنفد أغراضه . وكانت الأهداف التى حققها المؤتمر أمريكية ـ إسرائيلية بالدرجة الأولى :

- لقاء علنى على مستويين سياسى وعسكرى بين العرب وإسرائيل ، وهذا معناه أن ثغرة كبيرة انفتحت فى جدار الرفض العربى .
- إن انعقاد المؤتمر قبل الانتخابات الإسرائيلية العامة حقق مطلبا مرغوبا فيه ، وهو إنجاح حزب ، العمل الذى يعتقد "كيسنجر" أنه يستطيع التعامل معه أكثر من غيره من القوى السياسية فى إسرائيل .[٤٩]
- إن مسار العمل فى المؤتمر أدى إلى عزل الدور السوفيتى عن التسوية ، وهو هدف كان يسعى له "كيسنجر" .
- ثم إن ظروف انعقاد المؤتمر أدت إلى تباين بين مواقف الدول العربية التى تلقت الدعوة إليه وغابت ، أو تلك التى تلقت الدعوة وقبلت . وحتى بين القابلين للدعوة فإن الشكوك بين مصر والأردن زادت ولم تقل .

والآن كان المؤتمر على وشك أن يدخل إلى المشاكل التى يمكن أن تؤدى بمسيرته إلى التعثر والتوقف ، ومن ثم تلقى ظلالها على ما أمكن تحقيقه بالنسبة للأهداف

---

(٤٩) نفس السياسة مازالت تمارس حتى اليوم ، وإن كان "كلينتون" فى محل "جونسون" و"كريستوفر " فى محل "كيسنجر" ، وبالطبع " شيمون بيريز " فى محل "جولدا مائير" .

الأمريكية ـ الإسرائيلية . ولم يكن "كيسنجر" مستعدا أن يسمح بفشل أو حتى يسمح لأحد بفرصة للتفكير وإعادة التقدير والحساب .

كانت النقطة الرئيسية التى تعطل عندها المؤتمر هى مسألة الانسحاب المتبادل . فإسرائيل تصر عليه لتحقيق الفصل ما بين القوات ، والوفد المصرى فى جنيف يعرض أن الفصل يتحقق بانسحاب إسرائيل إلى خط ما شرق قناة السويس ، وبعرض خط المضايق كحد لا يمكن التنازل عنه .

وكانت تلك هى دوافع "هنرى كيسنجر" إلى تجاوز جنيف ، والتوجه مباشرة من واشنطن إلى أسوان حيث كان الرئيس "السادات" فى انتظاره . وفى لحظة واحدة انتقلت الأضواء كلها من جنيف ، وتحول قصر المؤتمرات فيها إلى مسرح مهجور ، وسطعت الأضواء فى أسوان ، وبدا الفنانون الكبار يستعدون لأداء أدوارهم .

ومهد "كيسنجر" لزيارته بخطاب من الرئيس "نيكسون" إلى الرئيس "السادات" يطلب فيه تدخله لرفع حظر البترول عن الولايات المتحدة . فهى ببساطة "لا تستطيع أن تقوم بدور صانع السلام فى المنطقة بينما هناك تمييز عربى ضدها . وإذا أريد للولايات المتحدة أن تمارس دورا فى التسوية ـ وهى على استعداد لذلك ـ فإنها تريد أن تقوم بذلك متطوعة وليست واقعة تحت ضغط من أى نوع وحتى وإن كان الضغط معنويا ."

وكانت خطوة "كيسنجر" الثانية هى استدعاء السفير "أشرف غربال" إلى مقابلته ، وقصده أن يمهد الرئيس "السادات" لزيارته القادمة . وكتب "أشرف غربال" بعد المقابلة تقريرا عنها إلى وزير الخارجية "إسماعيل فهمى" :

❑❑ "من واشنطن (٥٠)

إلى السيد وزير الخارجية

من السفير أشرف غربال

قابلت كيسنجر مساء اليوم ١٠ يناير . وحضر المقابلة أحمد خليل كما حضرها جوزيف سيسكو وأندرسون من مكتب مصر :

١ ـ أشار كيسنجر إلى أن الحكومة الإسرائيلية منقسمة على نفسها ويكثر تعارض الآراء داخلها ، كما أن الوزارة الجديدة لم تشكل بعد .

٢ ـ ذكر أن الرئيس السادات كان صبورا وحكيما للغاية . وأضاف أنه يذهب لأسوان بهدفين :

---

(٥٠) برقية وزارة الخارجية رقم ٣٧٥ بتاريخ ١٩٧٤/١/١١ .

الأول - التباحث باختصار مع السيد الرئيس والحصول على آرائه ، وإن كانت واضحة لكيسنجر .

والثاني - أن يضع أمام السيد الرئيس الصورة كما سمعها من ديان .

٣ - أضاف أنه متفائل ، وأنه سيسافر بعد ذلك لإسرائيل وهو مطمئن إلى أنه سيتغلب prevail . وذكر أن الأمر حاليا هو أن تجلو إسرائيل عن الضفة الغربية (من قناة السويس) وتنتقل إلى سيناء .

٤ - . . . .

إنه يحقق تقدما فى كل زيارة يقوم بها . وأكد أن عليه التزاما أمام السيد الرئيس بأن يحرز تقدما ، وإنه يشعر أن ذلك التقدم يتحقق عندما يتم إجلاء إسرائيل من الضفة الغربية ونقلهم إلى سيناء .

٥ - أشرت إلى ما هو ظاهر من تشدد إسرائيل فى الفترة الأخيرة ، ووافقنى كيسنجر على هذا التقدير مضيفا أنه من المشاكل التى يقابلها أنه بعد تفاهمه مع ديان وجد أن إسرائيل تتراجع .

٦ - أضاف أنه لا بد من أننى أعرف ما حدث يوم الاثنين الماضى فى جنيف (رفض إسرائيل الكامل لوجهة النظر المصرية وإصرارها على الانسحاب المتبادل) ، ولهذا كله يريد أن يوقف هذه اللعبة الإسرائيلية وأن يدفعها (أى إسرائيل) إلى أن تضع مشروعا محددا .

٧ - وأضاف أنه يريد من زيارته أن يعرض على السيد الرئيس ما يتصور أنه أقصى ما يمكن الوصول إليه . وذكر أن السيد الرئيس قد أقدم على مخاطر risks كبيرة من بينها أنه دخل فى اتصالات عميقة مع الولايات المتحدة التى كانت تمد عدوه بالعتاد الضخم أثناء الحرب ، وإن الولايات المتحدة لا يمكن أن تنسى له هذا الموقف . وبناء عليه فإن أمريكا يهمها أن ينجح السيد الرئيس .

٨ - عاد فذكر أنه فى الحقيقة يعرف آراء السيد الرئيس،وبالتالى يعرف أن زيارته للقاهرة لن تطول. وردا على تساؤلى عن السبب إذن فى الزيارة أوضح أنه لا يريد أن يذهب إلى إسرائيل أولا(ليمارس ضغطه عليها كما يقول) ثم يجىء بعد ذلك للقاهرة (بنتائج ما حقق) .فالبدء بزيارة إسرائيل يضفى عليه صورة المحامى عنها .

٩ - ذكرت أن هناك شائعات بأنه يذهب للقاهرة فى محاولة للضغط علينا للحصول على تنازلات يتوجه بها إلى إسرائيل . نفى ذلك نفيا قاطعا مبينا أنه ملتزم بما اتفق عليه مع الرئيس، وإنه يركز كل جهوده لإخراج إسرائيل من

الضفة الغربية (لقناة السويس) ونقلها إلى سيناء ، وفتح القناة وإعادة الأمور فى تلك المنطقة إلى طبيعتها normalization . وأضاف أنه لم يحصل حتى الآن على كل ما يريد من إسرائيل وأنه لهذا السبب يذهب إليها مجددا .

١٠ ـ ذكرت بهذه المناسبة أن بعض ما ينشر فى الصحف يشير إلى أن كل ما تهدف إليه إسرائيل هو الانسحاب إلى خط آخر ، ثم تتجمد الأوضاع بعد ذلك ، وتكون هذه التسوية أجاب بأنه ربما كان هذا هو هدف إسرائيل الحقيق . غير أنه مصمم على ألا تكون هذه النهاية ، إنما الخطوة الأولى فى الطريق إلى التسوية الشاملة ، وإنه بعد الانتهاء من ترتيبات فصل القوات وانسحاب إسرائيل إلى سيناء ، يبدأ فورا التباحث حول المرحلة التالية .

١١ ـ تساءلت عما إذا كان المشروع الذى بحثه مع ديان يتضمن عملية الربط هذه ، فأجاب : إنه لم يصمم بعد على عملية الربط ، وإنه سيصمم عليه الآن .

١٢ ـ ذكر أنه لا يريد أن يعطى لأعداء السيد الرئيس الفرص للادعاء بأنه لم يحقق شيئا ، فهذا ليس فى صالح الولايات المتحدة .

١٣ ـ أشرت مجددا لما هو ملموس حاليا من تشدد إسرائيل، وإن الكثيرين يخشون تكرار أحداث ١٩٧١ حول الحل الجزئى والاتفاق المرحلى، الخ .ولم ينته الأمر إلى شىء بسبب تعنت إسرائيل الناتج عن المساعدة العسكرية الأمريكية الضخمة لها .

١٤ ـ ذكر أن هناك عدة اختلافات بين الموقفين :

فأولا : يوجد فى الولايات المتحدة الآن موقف حكومى موحد بالكامل absolutely united government position ـ أما عن ١٩٧١ فكان سيسكو يعمل باجتهاده الخاص مع روجرز ، ولم يكن موقف البيت الأبيض متبلورا بدليل أن كيسنجر نفسه فى مقابلاته معى وقتها لم يعد بشىء محدد، وبقى كلامه أغلب الوقت فى إطار العموميات . أما الآن فالوضع مختلف كلية .

ثانيا : أثبتت عمليتنا العسكرية (حرب أكتوبر) للإسرائيليين أنهم لا يمكن أن يحاربونا دون دعم الولايات المتحدة الأمريكية .

١٥ ـ عاد كيسنجر يتحدث عن أن غرضه من زيارته لأسوان هو التباحث مع الرئيس ضمن الإطار الذى سبق الاتفاق عليه بينهما .

١٦ ـ أشرت إلى ما نلمسه جميعا من وجود عملية منظمة للضغط على الإدارة الأمريكية بتنسيق من السفارة الإسرائيلية فى واشنطن مع أجهزة الأعلام الأمريكية . وأسرع كيسنجر إلى تاكيد ذلك مشيرا إلى أن ما يكتبه كل من جوزيف كرافت ومارلين بيرجر فى الواشنطن بوست وما يذيعه مارفن كالب فى تلفزيون CBS دليل على ذلك.

١٧ ـ ذكرت أنه لهذا السبب فإن عنصر الوقت فى غاية الأهمية ، الأمر الذى يقتضى تحقيق أهدافنا بسرعة ـ وافقنى وبيّن أنه لهذا السبب يقوم برحلته هذه .

١٨ ـ ذكر كيسنجر أن ما يريد تحقيقه فى هذه الرحلة هو تحقيق اتفاق مبادئ أو الوصول إلى مشروع محدد يقدم رسميا إلى جنيف لكى يتم التباحث عليه .

١٩ ـ ذكر أنه يحرص على أن يتجنب التصريحات العلنية وأن يتخذ أسلوبا هادئا low key حتى نصل إلى المرحلة التالية ثم التسوية النهائية . وإن هذا الأسلوب الذى اتبعه حال دون قيام الدوائر الصهيونية (!!) بشن هجوم شامل عليه. ودلل على ذلك بأنه يجتمع بأعضاء الكونجرس فى لجان النواب والشيوخ ويعطيهم الصورة بالكامل . وهو يعرف أن ما يبلغه لهم سينقل إلى الجانب الإسرائيلى . وعليه، لو حاولت إسرائيل الهجوم عليه (كيسنجر) فإنها سوف تلقى معارضة الشيوخ والنواب .

٢٠ ـ أحطته باتصالاتى بالشيوخ وبينهم الثلاثة المسافرون للمنطقة . ذكرت أن اثنين منهم صوتوا مع اعتماد المساعدات (الإضافية) لإسرائيل ، وأننا نحاول توضيح الصورة لهم بصفة مستمرة . ذكر أن العبرة ليست بالتصويت وإنما العبرة بتفهم الأعضاء لحقيقة الموقف . ودلل على ذلك بموقف عضو النواب "ستراتون" رئيس اللجنة العسكرية التى زارت مصر ، والذى كان له تأثير فى خلق جو فى مجلس النواب يصعب على إسرائيل أن تستخدمه لمهاجمته ـ أى مهاجمة كيسنجر . بينت أن التصويت له بالضرورة أهميته مدللا بتجربتى مع عضو الشيوخ سكوت عام ١٩٧١ عندما أبلغنى أنه صمد لمدة ستة أشهر أمام الضغط الإسرائيلى، ثم رضخ فى النهاية فشكل توقيعه مع الآخرين ضغطا على الرئيس نيكسون اجبره على التصديق على قانون المساعدات العسكرية لإسرائيل (باعتماد إضافى) بنصف بليون دولار .

٢١ ـ ذكر أنه يجتمع أسبوعيا بعدد من قادة الجاليات اليهودية فى أمريكا . وردا على تساؤلى ذكر أن المعقولين فيهم بدءوا يشكون فى صحة السياسة الإسرائيلية. وإنه من الملاحظ أنهم أصبحوا يسعون للوقوف على رأى السياسة الأمريكية ، ولا يقتصرون كما كان فى الماضى على معرفة وجهة نظر إسرائيل .

....

....

٢٣ ـ تساءلت عن المرحلة التى سيشترك فيها الفلسطينيون حسب تفكيره ، وذكر أنهم ليس لهم محل فى المرحلة الأولى المتعلقة بفصل القوات ، إنما يمكن أن يأتوا فى المرحلة التالية . وسألته عما إذا كان قد اجتمع مع أحد من القادة الفلسطينيين ، فأجاب بالنفى .

....

....

٢٥ ـ أشرت إلى خطورة عودة إسرائيل إلى أسلوب المماطلة . وافق كيسنجر على ذلك وأضاف أن هذه المماطلة خطر عليه شخصيا . أضاف أنه حذر ديان عندما كان فى واشنطن من خطورة موقف القوات الإسرائيلية على الضفة الغربية من القناة . فعلق ديان بأنه يمكن لإسرائيل أن تواجه الموقف ، وإنهم وضعوا فى الضفة الغربية ما يزيد على ١٠٠ ألف لغم . ولم يوافق كيسنجر على تحليل ديان .

٢٦ ـ حذرت من الرعونة الإسرائيلية ، وبينت أنه فى الوقت الذى سنصاب فيه بخسائر كبيرة إلا أن خسائر إسرائيل ستكون فادحة .

٢٧ ـ ذكرت ان هذا الكلام يبين عودة العسكريين الإسرائيليين إلى عقلية ما قبل ٦ أكتوبر .

٢٨ ـ عاد فأكد أنه يذهب للقاهرة ليس للتراجع فيما اتفق فيه مع الرئيس السادات . وأبدى استعداده أن يبدأ بزيارة إسرائيل إذا ما كنت أرى شخصيا ذلك (لكن ذلك قد يعطى انطباعا معينا) . بينت أنه لا داعى لإدخال أى تغيير الآن فى برنامجه ، وإنه يمكن لكيسنجر فى تصريحاته أن يعالج الموضوع ـ فوافقنى على ذلك.

٢٩ ـ ردا على استفهامى بالنسبة لتطورات قضية ووترجيت وأثرها على الإدارة، ذكر أنها لا شك تسبب مشكلة ، إنما هو مقتنع بأنهم سيتغلبون عليها . ذكر بهذه المناسبة أننا لا بد أن نساعدهم ، وقد آن الأوان لأن يرفع العرب باقى إجراءات حظر البترول ، مضيفا أنه وإن كان الحظر لا يؤثر كثيرا على أمريكا إلا أنه يمكن أن يكون لهذه الخطوة فوائد بالنسبة لتقوية مركز الإدارة (فى قضية ووترجيت) . وبيّن أن رفع الأسعار أضعف من مركز العرب ، وإن اعترف أن شاه إيران هو الذى دفع لذلك . سألته عن موقف السعودية ، فذكر أنها أبدت استعدادا لرفع الحظر ، إنما يعتقد أن السعودية لا تتفهم الوضع الداخلى فى أمريكا .

٣٠ ـ سألته عن زيارته لسوريا فذكر أنه خرج بالانطباع بأن الرئيس الأسد رجل ذكى ومعقول إلا أنه لا يملك حرية القرار . وأضاف كيسنجر أنه خرج من لقاءاته بمختلف قادة المنطقة بأن الرئيس السادات هو وحده الذى يجمع صفات القيادة ووضوح السياسة واعتدال الرأى مع الحكمة إلى جانب المقدرة على اتخاذ القرار وتنفيذه .

. . . .

. . . .

ذكر أنه لا شك سيصل تقريرى إلى السيد الرئيس قبل وصوله(أى كيسنجر) بساعات وطلب منى أن أؤكد للسيد الرئيس حرصه على تنفيذ ما سبق أن اتفق عليه مع سيادته.

أشرف غربال "

□

وصل "كيسنجر" إلى أسوان والتقى بالرئيس "السادات" ، وإذا مطلبه الحقيقى يختلف عما شرحه لـ "أشرف غربال" فى واشنطن . وفى جلسة مع الرئيس "السادات" فى حديقة استراحته المطلة على خزان أسوان القديم - بدأ "هنرى كيسنجر" يعرض على الرئيس "السادات" منظورا آخر للوضع مؤداه أن العسكريين الإسرائيليين وعلى رأسهم "ديان" - يمارسون ضغطا لا يطاق على رئيسة الوزراء "جولدا مائير" وعلى القيادة السياسية فى إسرائيل ،وإنه حاول بكل جهده أن يتدخل بين الطرفين ،وذلك بالضغط على الجنرال "ديان" بالذات - لأنه يعتبره مفتاح الموقف - لكن جهوده لم تحقق ما كان يأمل فيه ، وإن كان قد توصل إلى اقتراح حل وسط يريد أن يعرضه .ومنطقه فى هذا الحل الوسط هو :

١ - إن الرئيس "السادات" له الحق فى أن يطلب انسحاب كل القوات الإسرائيلية من الضفة الغربية لقناة السويس .

٢ - وإسرائيل تصر على انسحاب متبادل .

٣ - والرئيس "السادات" لا يستطيع أن يقبل انسحابا للقوات المصرية من خطوط تتمركز عليها داخل الأراضى المصرية .

٤ - والحل الوسط الذى يقترحه والأمور على هذا النحو، هو أن تنسحب إسرائيل من الضفة الغربية ،وفى مقابل ذلك تقوم مصر بانسحاب متوازن فى حجم قواتها على الضفة الغربية لقناة السويس وليس فى مواقعها .

٥ - ثم أضاف "كيسنجر" أن مدى الانسحاب الإسرائيلى فى الشرق ،سوف يتوقف على مدى تخفيف الكثافة العسكرية للخطوط المصرية فى الغرب .

وبدا أن الرئيس "السادات" منزعج مما يسمع . وكان رد "كيسنجر" أنه أجهد نفسه فى الوصول إلى حل وسط . والبديل هو أن تتوقف عملية التسوية عند الحد الحرج والخطر

الذى وصلت إليه . وإن الحل الوسط الذى توصل اليه يكفل أن تبقى الخطوط المصرية فى مواقعها كما هى، وأما مسألة تخفيف كثافتها بالنسبة لحجم الأفراد وحجم السلاح ، فإن أحدا لن يشعر به ، وبالتالى لن يتسبب للرئيس "السادات" فى حرج أمام الرأى العام فى مصر أو فى البلدان العربية .

ثم لمس "كيسنجر" العصب الحساس لدى الرئيس"السادات" قائلا له "إن أحدا لن يعرف على وجه القطع بما سوف يحدث داخل الخط المصرى ،وهو يتعهد بأن يظل أى اتفاق يمكن التوصل إليه سرا، إلا أن هذا السر بالطبع لا يمكن إخفاؤه على طرف واحد ، وهو الجيش المصرى نفسه ،فإذا كان الرئيس "السادات" يستشعر خطرا يتمثل فى رفض القيادة العسكرية المصرية لتنفيذ قرار يصدر عنه ، فذلك شىء آخر ." ورد الرئيس "السادات" بسرعة ، وقد حركته الكبرياء أكثر مما حركه أى عامل آخر إلى القول: "إن جيشى يطيع أوامرى ، وقيادتى سوف تنفذ أى أمر أصدره لها" . والتقطها "كيسنجر" من الهواء وقال للرئيس "السادات" : "إذن فإن ما أقترحه من حل وسط قابل للتنفيذ ، وهو يطمئن إسرائيل ويحل العقدة المستعصية بين العسكريين والسياسيين هناك". ثم أبدى تعهده بأن يحصل للرئيس"السادات" على ثمن كاف من إسرائيل لهذا التنازل الضخم الذى يرجو من الرئيس أن يعتبره تنازلا له شخصيا وليس لإسرائيل .

وراح الرئيس "السادات" يناقش بعض التفاصيل ،وكان ذلك معناه أنه قبل المبدأ. ويبدو أن "كيسنجر"كان يتوقع ما حدث تماما ، فأخرج من حقيبته وثيقة غريبة ، فقد كانت الكلمات فيها مكتوبة . وأما الأرقام فقد تُركت مواقعها بيضاء ـ كأنها نوع من العقود التقليدية أو الاستمارات الجاهزة لأى اتفاق بعد أن يملأ الأطراف مواقع الأرقام ، وكان نصها كما يلى :(٥١)

"سرى

اقتراح أمريكى

رغبة فى تسهيل الاتفاق بين مصر وإسرائيل وكجزء من ذلك الاتفاق ، ورغبة فى تحقيق رقابة كافية على وقف إطلاق النار ـ تقترح الولايات المتحدة ما يلى :

١ ـ أن تكون هناك مناطق محددة السلاح ينص عليها فى الاتفاق ، وأن تشتمل على:

---

(٥١) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من الاقتراح الأمريكى ـ تحت رقم (٢١) .

(أ) ما لا يزيد عن ....(مساحة فارغة) لواء من القوات المسلحة، .... و(مساحة فارغة أخرى) دبابة .

(ب) ألا تكون هناك أسلحة برية تستطيع أن تصل من مواقع طرف إلى الطرف الآخر (وكان ذلك تحقيقا لمبدأ الربط بين مرامى النار والمواقع التى تنسحب إليها القوات الإسرائيلية) .

٢ - إنه فى منطقة تمتد من ٣٠ كم غرب الخطوط المصرية وشرق الخطوط المصرية يحظر وضع قوات مدفعية تستطيع أن تصل من خط إلى خط .

٣ - إنه فى منطقة تمتد من ٣٠ كم غرب الخطوط المصرية وإلى شرق الخطوط الإسرائيلية لا توضع أى صواريخ للدفاع الجوى .

٤ - إن هذه القيود على حجم القوات يبدأ تطبيقها من لحظة الاتفاق على فك الارتباط بين الطرفين .

عن مصر

عن إسرائيل "

وكانت الخطوة التالية هى ملء الفراغات فى العقد الجاهز أو "الاستمارة" ، وبمقتضاها فقد قبل الرئيس "السادات" ما يلى :

١ - بالنسبة للقوات البرية كتب فى الفراغ الذى كان قائما أمام البند الخاص بها فى "استمارة كيسنجر" الأصلية عبارة "ما لا يزيد عن ٨ كتائب وما لا يزيد عن ٣٠ دبابة".

٢ - وبالنسبة للصواريخ والمدفعية فقد جرى ملء فراغ "استمارة كيسنجر" بعبارة تقول "لا توضع قطع مدفعية باستثناء مدافع مضادة للدبابات ومدافع مورتار وما لا يزيد عن ٦ بطاريات من مدافع هاوتزر طراز ١٢٢ مللم وبحيث لا يزيد مدى مرماها عن ١٢ كم" .

٣ - وفيما يتعلق بالطيران فقد نص البند (س) على ألا تكون لدى أى طرف من الأطراف أسلحة قادرة على عرقلة قيام كل طرف بالطيران فوق مواقع قواته ، وألا تقام مواقع صواريخ ثابتة فى أى مكان ، وألا تزيد قوات أى طرف فى خطوط فك الاشتباك مهما كانت الظروف عن سبعة آلاف رجل .

□

لقد كانت هذه التفاصيل هى التى سببت ذلك المشهد المؤثر الشهير الذى بكى فيه الفريق "الجمسى" عندما أبلغ بتفاصيل ما تم الاتفاق عليه .

ولوهلة أحس "كيسنجر" بالقلق عندما ذهب إلى فندق "كاتراكت" القديم فى أسوان ـ حيث كان الوفدان مجتمعين ـ لإبلاغ الجميع بالحدود التى وافق عليها الرئيس "السادات" لتخفيف الخط المصرى ، ولملء الفراغات فى "استمارة كيسنجر" .

كان التعليق الأول للفريق "الجمسى" قبل أن تظهر دموعه هو قوله : "إننا عبرنا إلى هناك بقوة جيشين ، ١٥٠ ألف رجل و١٢٠٠ دبابة و٢٠٠٠ قطعة مدفعية ، والآن هل يعقل ألا أستبقى من هذه القوات إلا " ... ـ وسكت وأشار إلى ورقة كانت أمام السفير "إلزورث بانكر" مساعد "كيسنجر" ، وكان هو الذى تولى فى الاجتماع عرض ما تم الاتفاق عليه فى ذلك اللقاء لملء العقد الجاهز ـ "الاستمارة" فى حديقة خزان أسوان .

لم ينس "كيسنجر" قبل أن يودع الرئيس "السادات" أن يطلب منه سرعة الحركة فى رفع حظر البترول العربى عن الولايات المتحدة ، لأن ذلك سوف يساعد الرئيس "نيكسون" على أن يكون أكثر حزما مع إسرائيل . ووعد الرئيس "السادات" . وبدوره رجا "كيسنجر" أن يزور دمشق ، ولو لتهدئة خواطر الرئيس "الأسد" ، وحتى لا يثير ضجة تؤدى إلى تشويش فيما يتعلق بما انتهت إليه اجتماعات أسوان . وطلب"كيسنجر" إلى الرئيس "السادات" أن يرتب جديا لإعادة تعمير مدن القناة . و طلب الرئيس "السادات" بدوره أن يساعده "كيسنجر" على إعادة التعمير ، باعتبار أن ذلك سوف يؤدى إلى لفت الأنظار بعيدا عن مسألة تخفيف القوات فى الخطوط المصرية .

ثم قام الرئيس "السادات" بتذكير "كيسنجر" إن الإسراع فى إعادة تعمير مدن القناة وعودة المهجرين من أهلها مطلب إسرائيلى أيضا كما هو مطلب مصرى . فإسرائيل تريد أن تطمئن ببدء عملية التعمير وعودة المهجرين إلى أن مصر لا تنوى مفاجأتها بشن هجوم . كما أن مصر من جانبها حريصة على دخول مرحلة جديدة فى إعادة البناء فى ظل السلام .

إن الرئيس "السادات" وصل بعد قليل إلى الاعتقاد بأنه صاحب اقتراح الإسراع فى إعادة تعمير مدن القناة . وعندما قابل السير "جيمس كالاهان" (وزير خارجية حكومة الظل فى حزب العمال وقتها ، ووزير الخارجية ورئيس الوزراء فيما بعد) طلب إليه ـ وقد عرف أنه ذاهب بعد لقائه إلى إسرائيل ـ أن ينقل إلى السيدة "جولدا مائير" أن لديه اقتراحا يقدمه لها بشأن الإسراع فى إعادة تعمير مدن القناة حتى تتأكد أجواء السلام .

وفعل "كالاهان" ذلك بالضبط (ولا أحد يستطيع أن يقدر ماذا كان رد الفعل الحقيقى لدى السيدة "جولدا مائير" التى كانت تعرف أن موضوع إعادة تعمير مدن القناة تم البت فيه بين "كيسنجر" والرئيس "السادات") . لكن رئيس الوزراء البريطانى المقبل ـ ربما بحسن

نية ـ كتب إلى الرئيس "السادات" بعد عودته إلى لندن خطابا بتاريخ ٨ فبراير ١٩٧٤، كان نصه كما يلى :(٥٢)

"من الرايت أونورابل جيمس كالاهان

مجلس العموم ـ لندن ٨ فبراير ١٩٧٤

عزيزى الرئيس

لقد سعدت أنك أعطيتنى الفرصة لمقابلتك . وقد نقلت رسالتك عن القوات (٥٣) إلى مسز ماثير . وقد طلبت منى أن أشكرك بسببها ، وطلبت إلى أيضا أن أقول لك إنها ترحب باقتراحك لإعادة بناء المدن (المصرية) على قناة السويس . وطلبت منى أيضا أن أقول لكم شيئين :

أولا ـ إنها هى الأخرى تريد السلام .

وثانيا ـ إنها سوف تنفذ حرفيا كل الاتفاقيات التى جرى التوصل إليها .

إنه قد يهمك أن تسمع أن الانطباعات التى نقلتها إلى الحكومة الإسرائيلية فيما قالوا لى، تبدو متسقة تماما مع الآراء التى كونها الدكتور كيسنجر . إننى شرحت موقفك بدقة carefully فيما يتعلق باحتمالات السلام ، ضاغطا على رغبتك فيه . وفى نفس الوقت على الصعوبات التى تعترض طريق تحقيقه . إن الإسرائيليين لديهم قرارات صعب عليهم اتخاذها ، والتقدم سوف يأخذ وقتا .

(ثم أضاف كالاهان بخط يده) : مستر ويلسون (رئيس حزب العمال) يشكرك على دعوتك له لزيارة مصر ، ويأمل أن يلبيها فى الوقت المناسب .

(توقيع)

المخلص

جيم كالاهان "

---

(٥٢) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لخطاب السير "جيمس كالاهان" إلى الرئيس"السادات" ـ تحت رقم (٢٢) .

(٥٣) طبقا لرواية "جيمس كالاهان" فيما بعد فإن إشارته إلى "القوات" فى رسالته كانت أمنية الرئيس "السادات" أن يجىء يوم لا تكون الحدود بين مصر وإسرائيل فى حاجة إلى قوات عسكرية من الناحيتين تقف عليهما.

ولم تكن منجزات نصر أكتوبر هى وحدها التى راح "هنرى كيسنجر" يتلاعب بها ، وإنما كان التلاعب أبعد من ذلك بكثير . فقد تواضعت "المحرمات" و"المقدسات" إلى الاعتماد على ٣٠ دبابة و٦ بطاريات مدفعية لا يزيد مدى مواسيرها عن ١٢ كيلومتر ، لم تكن على وجه اليقين قادرة على تغطية المساحة الواسعة لتلك الزاوية الاستراتيجية العتيدة المحيطة بجنوب شرق البحر الأبيض .

٦

كيسنجر (٣)

" شرحت سياسة الرئيس نيكسون فى المنطقة، وأعتقد أن الرأى العام العربى أصبح متفهما لها "

(خطاب من الرئيس "السادات" إلى الدكتور "هنرى كيسنجر")

بعد انتهاء اتفاق فك الارتباط الأول بين مصر وإسرائيل ، وتحت إدارة وإشراف "هنرى كيسنجر"، وجد الرئيس "السادات" أن عليه تكثيف حركته لمساعدة الرئيس "نيكسون" لتقوية إدارته إزاء فضيحة "ووترجيت"، وبحيث يستطيع "نيكسون" بدوره أن يساعده فى الضغط على إسرائيل . وهكذا قرر أن يقوم برحلة إلى عدد من البلاد العربية، ثم عاد منها ليملى رسالة إلى "هنرى كيسنجر" نصها كما يلى بالحرف:(٥٤)

"رسالة من الرئيس السادات

إلى الدكتور هنرى كيسنجر

بعد أن انتهيت اليوم من زيارة السعودية وسوريا والكويت والبحرين وقطر وأبو ظبى والجزائر والمغرب ، أود أن ألخص لك بعض نتائج هذه الزيارة :

١ ـ بالنسبة لطبيعة فك الارتباط ،فلقد أوضحت المجهود الكبير الذى قمتم به، والدور البناء الذى اتبعته الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه الفترة . وبينت أنه اتفاق عسكرى بحت لتنفيذ البند (٢) من النقاط الستة .

---

(٥٤) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة لرسالة الرئيس"السادات" إلى "هنرى كيسنجر" تحت رقم (٢٣).

٢ - أثير في أثناء الزيارة في سوريا، وكذلك على مستوى البلاد العربية، فك الارتباط على الجبهة السورية . وأشعر أن هذه النقطة تلقى اهتماما كبيرا على المستوى العربي .لذلك أشرت في جميع هذه البلاد إلى التزامنا بالمساهمة في فض الاشتباك على الجبهة السورية ،مشيرا كذلك إلى تصريحاتكم في أسوان التي تبين استعدادكم لإنجاز هذا الموضوع،وإنك غيرت خط السير إلى دمشق ثم إسرائيل كدليل على اهتمامكم بهذا الإنجاز.وفي نفس الوقت أود أن أبيّن ثانية أهمية العمل علىذلك بشكل سريع لأنه يفيد القضية.وفي اجتماعي فيسوريا أمكن مناقشة هذا الموضوع باتساع . وأعتقد أن الجو مهيأ لاتخاذخطوات إيجابية في هذا الصدد .

٣ - بالنسبة لمشكلة الطاقة ، فلقد شرحت الموقف كاملا للدول المنتجة للبترول، وبينت أن انتهاج الولايات المتحدة الأمريكية لسياسة أكثر ايجابية بالنسبة للعرب يجب أن يقابله خطوات إيجابية من العرب . ولقد لقي ذلك تفهما واضحا من الملك فيصل ، وكذلك الرئيس بومدين . إلا أن بعض الأصدقاء المخلصين من دول الخليج [٥٥] مع موافقتهم من حيث المبدأ ، فإنهم طلبوا أن يقترن ذلك باتفاق لفك الارتباط على الجبهة السورية .

٤ - إنني أشعر أن موضوع الطاقة يسير نحو الحل . وأعتقد أن استكمال محادثاتك في سوريا بالبدء فعلا وبسرعة في المحادثات الخاصة بفض الاشتباك على الجبهة السورية ، سينجز سريعا ما اتفقنا عليه .

٥ - إنني أستطيع القول بأن رحلتي للبلاد العربية، وعقدى لمؤتمرات صحفية متعددة قد أدتا أغراضهما بنجاح وبينت الدور الذى قمتم به . وكذلك شرحت سياسة الرئيس نيكسون في المنطقة. وأعتقد أن الرأى العام العربي بعد هذه الرحلة صار متفهما تماما لذلك .

٦ - بالنسبة لمحادثات إسماعيل فهمي في موسكو ، فإنها حسب المعلومات التي وصلتني اليوم تسير من وجهة نظرنا في إطار سياستنا العامة .

. . . .

. . . .

وأود أن أؤكد أنني مرتبط بكل ما اتفقنا عليه .

مع أخلص تحياتي للرئيس نيكسون ولكم .

أنور السادات "

---

(٥٥) كان ذلك رأى حكومة الكويت ، لكن الرئيس "السادات" لم يشأ أن يسميها بالتحديد في خطابه إلى "كيسنجر" لأنه لم يشأ أن يسبب لها إحراجا مع الأمريكيين .

ويبدو أن "كيسنجر" أراد تشجيع الرئيس "السادات" على المضى فيما تم الاتفاق عليه . وتمت مقابلة بين السفير "هيرمان آيلتس" المشرف على رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة والسيد "إسماعيل فهمى" وزير الخارجية . وكتب "إسماعيل فهمى" بعد المقابلة مذكرة بعث بها إلى الرئيس "السادات" ، وكان نصها كما يلى :

"وزارة الخارجية

مكتب الوزير

محضر مقابلة

السفير آيلتس المشرف على رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة :

- حضر بناء على طلبى .

أولا :

- ذكر أنه تلقى رسالة من كيسنجر جاء فيها أنه سوف يقوم بإيفاد صديقه المستر روبرت ماكنمارا - مدير البنك الدولى - إلى القاهرة وذلك متابعة لحديث سبق أن دار بينه وبين سيادة الرئيس اتصالا بموضوع إعادة التعمير فى مصر . أضاف أنه يقترح الفترة من ٢٢ - ٢٤ فبراير القادم موعدا لإتمام هذه الزيارة، ورجا عدم الإعلان عنها نظرا لأن ماكنمارا سوف لا يحضر إلى مصر بصفته الرسمية ، بل على أساس شخصى محض أو استجابة إلى رغبة صديق .

- أجبته بأننا نرحب بهذه الزيارة . إلا أننى أرى أنه من الأفضل أن يحضر ماكنمارا فى منتصف فبراير أو بعد التاريخ المقترح ، وذلك لوجود سيادة الرئيس فى المؤتمر الإسلامى فى لاهور فى الموعد المقترح ، وعدم إمكانيته بالتالى مقابلة ماكنمارا .

ثانيا :

- أثار - بناء على تكليف من كيسنجر - موضوع الجاسوسين الإسرائيليين مزراحى وليفى . وقد سبق لسيادة الرئيس الموافقة على ذلك (٥٦) . وسأل إذا كنا نسمح للجانب الأمريكى بإبلاغ إسرائيل منذ الآن بالتاريخ الذى سوف نحدده للإفراج .

---

(٥٦) جرى الإفراج فى نفس الوقت تقريبا عن عدد من الذين ثبت تجسسهم بتكليف من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على مصر فى فترة الخمسينات والستينات .

. . . .
. . . ."

وفى نفس المقابلة بين وزير الخارجية "إسماعيل فهمى" والسفير الأمريكى "هيرمان آيلتس" ، كان "كيسنجر" يستعجل مكاسب الشركات الأمريكية فى مصر قبل أن يجىء صديقه ماكنمارا فى زيارة سرية شخصية إلى مصر بحجة المساعدة على عملية التعمير . ففى نفس محضر المقابلة ينقل "إسماعيل فهمى" عن "آيلتس" قوله :

- ذكر أنه يود أن يحيطنى علما بما وصلت إليه المفاوضات بين مجموعة الشركات الأمريكية. والجهات المصرية المعنية بمشروع خط أنابيب البترول بين السويس والإسكندرية . وقال إن المجموعة الأمريكية تلقت فى ٣٠ يناير خطابا يعتبر فيه الجانب المصرى أن العقد المبرم معها قد أصبح نافذ المفعول ، خاصة وأنه قد تم بالفعل إنشاء مؤسسة "سوميد" . وفى اليوم التالى فوجئت المجموعة بموقف آخر للجانب المصرى الذى ذكر أنه لن يستأنف المناقشات نتيجة لإنشاء مؤسسة "سوميد" بالفعل ، وضرورة إجراء المحادثات من الآن فصاعدا مع المسئولين فى هذه المؤسسة مباشرة . أوضح السفير أن ذلك وضع المجموعة الأمريكية فى حرج شديد. إذ إن عقود التوريد التى ارتبطت بها مع الشركات المختلفة انتهى سريانها فى ٣١ يناير مما يحتم إعادة فتح باب التفاوض بشأنها بسبب استمرار تصاعد الأسعار ."

وكان مؤدى هذا أن مصر التى طلبت مساعدة أمريكا كان عليها أن تقوم هى بمساعدة الشركات الأمريكية .

□

وكان موضوع رفع حظر البترول العربى على الولايات المتحدة الأمريكية ما زال ملحا على الجميع . ويبدو أن الملك "فيصل" اشترط لموافقته أن يشير الرئيس "نيكسون" فى خطابه عن حالة الاتحاد أمام الكونجرس أواخر شهر يناير . إلى عزمه على المساعدة فى تحقيق التوصل إلى اتفاق لفك الارتباط على الجبهة السورية .وحاول الرئيس "نيكسون" فى خطابه أن يلبى طلب الملك "فيصل"، لكن الإشارة فيما يبدو لم تكن مطابقة لما أراده الملك .

وكتب "كيسنجر" إلى الرئيس "السادات" يوم ٤ فبراير ما يكاد يكون رسالة ابتزاز ـ قال فيها بالنص :

"وزارة الخارجية

واشنطن

عزيزى الرئيس

كما تعرف فإن الرئيس نيكسون وأنا نتابع ونقدر جهودك فى إنهاء حظر البترول العربى على الولايات المتحدة . وكلانا يتفهم حجم المشاكل التى واجهتك فى هذا الصدد أثناء زيارتك لبعض البلدان العربية . وقد تلقينا إشارات مشجعة منك شخصيا ومن بعض مستشاريك ، وهى إشارات دفعتنا إلى توقع نهاية سريعة للحظر .

والآن فإن قلقى عميق بسبب رسالة وصلتنا من الملك فيصل قال فيها إنه نتيجة لقيامه باستطلاع آراء عدد من الدول العربية ـ بما فى ذلك لقاء له مع الرئيس الأسد أخيرا فى دمشق ـ فإن الملك الآن يبدى أن رفع الحظر لن يكون ممكنا قبل التوصل إلى فك اشتباك بين القوات الإسرائيلية والسورية . وهو على هذا الأساس يعبر لنا عن أمله فى أن جهودنا لتحقيق هذا الهدف قد تساعد إذا استطعنا التوصل إلى فك ارتباط على الجبهة السورية ـ الإسرائيلية قبل انعقاد مؤتمر الدول المنتجة للبترول يوم ١٤ فبراير ، وإلا فإنه يخشى ـ على حد ما أبلغنا ـ أن النتيجة سوف تكون سلبية . إن هذه المعلومات هى بالطبع مخالفة على طول الخط لما سمعناه منكم ، وبالتحديد فى خطابكم للرئيس نيكسون يوم ٢٧ يناير وما جاء فيه من أنه نتيجة لمساعيكم الدبلوماسية فإن الملك "فيصل" وافق على رفع الحظر ، كما أن حكومات البحرين وقطر و أبو ظبى قد وافقت على هذه الخطوة أيضا .

السيد الرئيس

إننى على ثقة أنك تعرف أهمية العوامل المقلقة المتصلة بهذا التصرف غير المتوقع من الملك فيصل ، خصوصا وأن حكومته سبق لها إبلاغنا بتمسكها بقرار مجلس الأمن ٢٤٢ عدة مرات . ثم طلب إلينا (الملك فيصل) أن نبدى حسن نوايانا ، وهكذا ساعدنا على اتفاقية النقاط الست يوم ٦ نوفمبر ، ثم توصلنا إلى فك ارتباط على الجبهة المصرية تضمن انسحابا للقوات الإسرائيلية شرق قناة السويس . والآن يطلب منا شرطا آخر مسبقا وهو تحقيق فك للارتباط على الجبهة السورية ، وهو شرط نراه مستحيلا عمليا ، وبالتحديد قبل ١٤ فبراير كما يطلب الملك .

إننى واثق أنك تفهمنى حين أقول لك إنه فى هذه الأحوال فإننا لا نستطيع القيام بالدور الذى تحدثنا عنه باستفاضة أنت وأنا . ومن خطابك فإننى أعلم أنك تتفهم أهمية أن يستطيع الرئيس نيكسون أن يقدم للشعب الأمريكى فى خطابه القادم أخبارا عن رفع الحصار . إن الرئيس نيكسون حاول قدر ما يستطيع أن يتعاون معكم ، ولكنى أخشى أن العرب على هذا النحو سوف يضيفون إلى أعبائه حملا سياسيا أثقل ، وهو حمل سوف يكون له تأثير كبير فى التقليل مما استطاعت الولايات المتحدة ومصر تحقيقه فى الشهور الأخيرة . وأخشى أن أقول لك إنه إذا لم يرفع الحظر ، فإن الرئيس لن يكون لديه خيار سوى الإعلان عن التعهدات التى قدمها له العرب فى هذا الموضوع . وسوف يلحق هذا ضررا شديدا بالمصداقية العربية ،وبحنكة رجال السياسة العرب ، كما أنه يضر بجهود الرئيس وجهودى لبناء تأييد فى هذا البلد للتوصل إلى تسوية . ولسوف يكون ذلك يا عزيزى الرئيس أمرا مأساويا إذا سمحنا له أن يحدث ، كما أنه سيكون منافيا لروح التفاهم العميق الذى تحقق بيننا . ولسوف أعتبر نفسى مقصرا إذا لم أصارحكم بحقيقة العواقب التى يمكن أن تقع نتيجة لاستمرار الحظر .

إن موضوع الحظر لا يستطيع أن ينتظر حتى يتم التوصل إلى فك ارتباط مع سوريا . وإنك تعلم على أى حال أن الحكومة الأمريكية تعهدت بذلك . ولقد أعطيتك شخصيا تأكيدى . وأعتقد أن الفرصة متاحة لحدوث ذلك فى بداية شهر مارس ، ولكن على شرط رفع الحظر (if the embargo is lifted) .

إن هناك جهدا كبيرا مطلوبا لهذه العملية . وأعتقد أنه من المستحيل علينا أن نفعل ذلك إذا وجد الكونجرس أن العرب ما زالوا يفرضون علينا حظر النفط برغم كل ما فعلناه من أجلهم فى أزمة الشرق الأوسط .

إننى آمل أنك سوف تبذل كل ما فى وسعك لتنقل إلى الملك فيصل والرئيس الأسد الضرورة الفورية لرفع الحظر قبل أو خلال مؤتمر الدول العربية المنتجة للبترول يوم ١٤ فبراير . إن الولايات المتحدة قامت بما تعهدت به . والآن فإن على العرب أن يتعايشوا مع ما تعهدوا به . وإنى لآمل أن ما استطاعت حكومتانا أن تتوصلا إلى بنائه بجهد شاق وعنيف لن يتعرض الآن للخطر .

مع أصدق تحياتى .

هنرى كيسنجر"

□

ويوم ٦ فبراير كلف السفير "إيتكنز" سفير الولايات المتحدة لدى المملكة العربية السعودية بمقابلة الملك "فيصل" . وتم اللقاء فعلا فى الساعة التاسعة والربع مساء فى نفس يوم السادس من فبراير. وكتب السفير "إيتكنز" تقريرا عن المقابلة بعث به إلى "هنرى كيسنجر"، وكان نصه كما يلى :

" سرى

السفارة الأمريكية

المملكة العربية السعودية

إلى وزير الخارجية

استقبلنى الملك فيصل الساعة ٢١:١٥ (١٨:١٥ بتوقيت جرينتش) ، وكان معى رئيس البعثة فى جدة المستر هورن . ومن الجانب السعودى كان مع الملك مستشاره الخاص الأمير نواف ومستشاره الدكتور رشاد فرعون ووكيل وزارة الخارجية السعودية عمر السقاف .

بدأت حديثى مع الملك بإبداء التقدير لجهود جلالته وجهود الحكومة السعودية لإقناع دول عربية أخرى بالرفع الفورى لحظر البترول ضد الولايات المتحدة . وأبديت رأينا بأن المملكة العربية السعودية هى بين أهم البلدان بالنسبة لنا فى العالم ، وإن دورها فى الشئون الدولية لا بد أن يكون فى مستوى أهميتها ومسئوليتها . ولهذه الأسباب فإن حكومتى تعرب عن خيبة أملها فى أن الحكومة السعودية لم تنجح فى إقناع زميلاتها العربيات برفع الحظر . ثم أوضحت أن لدىّ تعليمات بأن أبدد بعض المزاعم التى راجت أخيرا :

أولا ـ فإنه ليس هناك فى تفكيرنا أى سبب يدعونا إلى العمل على عزل المملكة العربية السعودية عن بقية العالم العربى . كما أنه ليس بين نياتنا أن نضرّ بالوحدة العربية كما تقول بعض المزاعم .

وثانيا ـ فإن الرئيس نيكسون ووزير الخارجية كيسنجر يدركان أن أمانى العرب فى السلام لا تتحقق على جبهة واحدة ، ومن ثم فنحن ندرك أهمية حدوث تقدم عام يسمح لسوريا بأن تتقدم فى اتجاه التسوية السلمية فى المنطقة. وبالتالى فإن فك الارتباط الذى تحقق على قناة السويس هو خطوة أولى تتلوها خطوات . وهذا موقف أوضحناه فى خطاب من الرئيس إلى الملك سلمته بنفسى إلى السيد عمر السقاف يوم توقيع فك الارتباط بين مصر وإسرائيل .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى موضوع الحظر نفسه،وتساءلت هل الحظر الآن مفيد للأهداف العربية أم ضار بها ؟ .. لقد كنا حتى أسابيع قليلة ماضية نعتقد أن

القصد منه هو تجسيد الشكاوى العربية until a few weeks ago it had dramatized Arab grievances، كما قصد منه تركيز نظر العالم على الحاجة لإيجاد حل للأزمة. لكن استمراره بعد الآن يصبح غير مجد ، بل ويصبح مأساويا not only counterproductive but tragic .

إن الرئيس نيكسون ووزير الخارجية واقعان الآن تحت ضغط عنيف بل وشخصي مباشر يتهمهما بأنهما بدآ تسوية غير متوازنة ضد إسرائيل ولصالح العرب .

ثم أوضحت أنه إذا استمر الحظر ، فإن منتقدى النظام سوف يشكون فى كل ما تحقق، ويترسخ الاعتقاد لديهم بعجز العرب عن التجاوب . وبالتالى تصح تهمة خصومهم بأنهم يعادون الولايات المتحدة مهما فعلت من أجلهم .

إن جهود الولايات المتحدة للتحرك نحو تسوية سلمية لا يمكن أن تستمر تحت هذه الظروف ، وإنى لآسف أن أقول للملك صراحة إنه ما لم يرفع الحظر قبل اجتماع الدول المصدرة للبترول فى طرابلس يوم ١٤ فبراير أو قبل ذلك ، فإن الولايات المتحدة سوف توقف كل مساعيها فى سبيل السلام .

وإننا لنأمل ألا تتأثر العلاقات التقليدية ـ بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية ـ كثيرا بالتطورات التى يمكن أن تنجم عن الأزمة التى ستنشأ حينئذ."

كانت الرسالة للملك ـ بعد رسالة الابتزاز للرئيس "السادات" ـ إنذارا صريحا . وصدر قرار رفع حظر البترول عن الولايات المتحدة بعد اجتماع عقد فى الجزائر فى ١٨ مارس . وطلب الملك "فيصل" خطابا من الرئيس "السادات" يقول فيه "إن رفع حظر البترول فى صالح المعركة وإن دول المواجهة هى التى تطلبه" .

ووافق الرئيس "الأسد" مضطرا على ذلك الخطاب مقابل تعهد صريح يحدد موعدا لفك الارتباط على الجبهة السورية . وتم ذلك بالفعل فى ٣١ مايو ١٩٧٤ .

□

ولم يغير ذلك كله شيئا بالنسبة لمصير "ريتشارد نيكسون" ورئاسته للولايات المتحدة . ففى يوم ٢٤ يوليو ١٩٧٤ أصدرت المحكمة العليا فى الولايات المتحدة حكما يرغم الرئيس

"نيكسون" على تسليم ٦٤ تسجيلا من تسجيلات فضيحة "ووترجيت" طلبتها لجنة التحقيق الخاصة فى الكونجرس.

وفى ٥ أغسطس أذاعت اللجنة الخاصة نصوص تفريغ شريط منها (بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٧٢) . وفيه ورد على لسان "نيكسون" ـ نقلا عما قاله بصوته ـ أمر إلى وكالة المخابرات المركزية وإلى مكتب التحقيقات الفيدرالى بعرقلة تحقيقات فضيحة "ووترجيت" . وهكذا ثبتت على "نيكسون" كل التهم التى تسمح للكونجرس بمحاكمته بالكذب والتعرض للعدالة ومخالفة القانون .

ويوم ٨ أغسطس أعلن "ريتشارد نيكسون" استقالته من رئاسة الولايات المتحدة ، وأنه سوف يترك البيت الأبيض نهائيا يوم ٩ أغسطس .

وهكذا فإن الرئيس الذى طوع أزمة الشرق الأوسط وحرب أكتوبر ونتائجها لخدمة أغراضه الانتخابية ، لم يستطع فى نهاية المطاف أن يحتفظ بمقعده فى المكتب البيضاوى ، وخرج وقد خسر كل شىء . ولم يكن حال شركائه العرب أفضل .

الفصل الثانى

اللعب فى الوقت الضائع !

عندما تفقد أى سياسة وضوح هدفها ،
فإن الرجال المكلفين بها
تتنازل بهم الأدوار من المشاركة فى صنع التاريخ
إلى الانغماس فى صنع دسائس القصور.
وذلك لا يقلل من قيمة الأهداف والسياسات فحسب ،
ولكنه يتنازل بقيمة ومكانة
الرجال أيضا !

١

فـــــــورد

" يا ابنى قل للرئيس السادات إن الأمريكان
لن يعطوه الأسلحة التى يريدها "

(الملك "فيصل" لمبعوث خاص للرئيس "السادات")

يوم ٩ أغسطس ١٩٧٤ أدى "جيرالد فورد" اليمين الدستورية رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية. وكان هذا معناه أن وافدا جديدا جاء إلى البيت الأبيض وأن الأمور معه سوف تبدأ مرة أخرى من نقطة الصفر ، وربما أقل من الصفر ، لأن الرئيس الجديد جاء بلا قاعدة انتخابية وإنما كان اختيارا من "نيكسون" طرح على الكونجرس ووافق عليه فى ظرف استثنائى لم تكن له سابقة من قبل فى تاريخ الولايات المتحدة .

كان الطبيعى دستوريا ، أن يكون نائب الرئيس "سبيرو أجنيو" هو الذى يكمل مدة الرئاسة إذا ما قام حائل يمنع تكملتها بشخص الرئيس المنتخب لها . لكن "سبيرو أجنيو" كان قد قدم استقالته من منصب نائب الرئيس قبل عدة شهور بسبب ثبوت تهمة الرشوة عليه ، إذ تقاضى مبالغ كبيرة من إحدى شركات المقاولات لتسهيل أعمالها . وهكذا ، وإزاء خلو منصب نائب الرئيس فقد وقعت على الكونجرس مسئولية اختيار مرشح يتقدم به الرئيس المنتخب وغير القادر على تكملة مدة رئاسته . وبالفعل فقد وقع الاختيار بعد مشاورات مكثفة على "جيرالد فورد" ، وأقسم اليمين بعد دقيقة واحدة من رحيل "نيكسون" عن البيت الأبيض .

بهذا الوضع فإن "جيرالد فورد" كان رئيسا مؤقتا بكل المعايير :

- رئيسا مؤقتا بحكم أنه لا يملك قاعدة انتخابية ولا شرعية مستقلة يستند إليها .
- ورئيسا مؤقتا بحكم أن المطلوب منه تكملة مدة رئاسة سلفه .
- ورئيسا مؤقتا بحكم أنه نتيجة لما سبق لا يملك إنشاء سياسات جديدة .

وأصعب من ذلك فقد كان رئيسا ضعيفا ومعرضا ، مكشوفا للنقد بسبب العفو الذى أصدره عن جرائم "نيكسون" ـ وكان ذلك شرطا قبله مسبقا طلبه "نيكسون" . ثم أضيف إلى ذلك واقع أنه إذا استطاع "فورد" تدعيم مركزه ، فقد يصبح مرشح حزبه ـ الحزب الجمهورى ـ لانتخابات الرئاسة فى نوفمبر ١٩٧٦ .

لكن الموقف العربى بصفة عامة كان فى حاجة إلى مساعدة ساكن البيت الأبيض . فالرئيس السابق المستقيل حصل على كل التنازلات بدعوى تدعيم موقفه حتى يكون أقوى وأصلب فى مواجهة إسرائيل ، لكنه أخذ كل التنازلات العربية ولم يستطع أن يساعد نفسه ويحتفظ بمقعده فى البيت الأبيض . وكانت الأطراف العربية تحس بحاجتها الشديدة إلى سند وإلى تعويض . وهكذا فإنه فى نفس شهر أغسطس توجه وزير الخارجية المصرى إلى واشنطن . ثم لحقه الملك "حسين" . ثم لحق بالاثنين السيد "عبد الحليم خدام" وزير خارجية سوريا . والتقوا جميعا بالرئيس الجديد ، والتقوا بالطبع قبله بوزير خارجيته "هنرى كيسنجر" فقد احتفظ به "فورد" فى نفس منصبه ، ولم يكن فى مقدوره تغييره لعدة أسباب ، أولها أن "كيسنجر" بوصفه وزيرا للخارجية كان هو الذى أجرى مراسم الانتقال من "نيكسون" إلى "فورد" . ثم إن سياسات الشرق الأوسط كانت تمثل أكبر نجاح وقتها بالنسبة للولايات المتحدة ، بل لعلها كانت التعويض عن خسائر حرب فيتنام .

ولم يسمع الثلاثة شيئا جديدا سوى دعوة إلى الانتظار وإعطاء الوقت للرئيس الجديد حتى يدرس ويتعلم . وكان ذلك صعبا لأن الرئيس "فورد" شخصية طارئة على الحياة السياسية . فقد صنع شهرته كلاعب كرة ، وعندما دخل إلى حلبة السياسة كعضو فى الكونجرس ، كان للرئيس السابق "ليندون جونسون" رأى فيه ذاع وشاع ، مؤداه أن "جيرالد رجل لا يستطيع أن يقوم بعملين فى نفس الوقت . لا يستطيع مثلا أن يمشى ويمضغ لبانة" .

وفى تلك الظروف كانت "جولدا مائير" قد قدمت استقالتها من رئاسة الحكومة الإسرائيلية ، وخلفها الجنرال "إسحاق رابين" رئيسا للوزراء بعد صراع مكشوف وحاد بينه وبين "شيمون بيريز" .

وبادر "رابين" كأول عمل له فى مجال السياسة الخارجية فلحق بالزوار العرب الثلاثة إلى واشنطن لمقابلة الرئيس "جيرالد فورد" . والواقع أن هدف "رابين" من زيارته السريعة إلى واشنطن انحصر فى هدف واحد هو الطلب إلى الإدارة الأمريكية الجديدة مع بدء رئاسته للوزارة ألا تربط فى تخطيطها لعملية التسوية فى الشرق الأوسط بين مصر وسوريا . ففى حين أن الأمور مع مصر يمكن أن تسير إلى مرحلة ثانية من فك

الارتبــاط ، فإن الجبهــة السوريــة لم تعـد تحتمـل غير الحـل النهائــى . ولذلـك فـإن أى تفكير فى سياسـة متوازيـة على الجبهتـين إحـراج لإسرائيل !

وقيـل لكل الـزوار : العـرب الثلاثـة ،ورئيس الوزراء الإسرائيلى - إن "جيرالد فــورد" سيبعـث إلى المنطقة بوزير خارجيته "هنرى كيسنجر" لـيرى كيـف يمكن تحريـك الموقـف .

□

يـوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٤ وصــل "هـنرى كيسـنجر" إلى المنطقـة وزيـرا لخارجيـة "جـيرالد فـورد" هذه المـرة . والتقـى الرئيس "السـادات" . ولـم يفاجـأ الرئيس "السـادات" كثـيرا حين وجـد أن "كيسنجـر" يطالبه بتخفيف طلباته من أجـل الوصول إلى اتفاق ثـان لفك الارتبــاط ، وهو اتفاق يريد لـه "فـورد" أن يتحقـق ، وفى نفس الوقت يعـرف أنه لا يستطيع أن يطالــب إسرائيل فيه بتنازلات لها قيمـة .

وقـام "كيسنجـر" بشـرح مطـول لأحـوال "جيرالد فـورد" أمام الرئيس "السـادات"، الذى أحـس بإحباط شديد خصوصا وأنه كان على وشـك السفــر إلى الربــاط لحضـور اجتمـاع قمــة عربـى تقـرر له يـوم ٢٨ أكتوبر . وفوجـئ الرئيس "السادات" بأن "كيسنجر" يوجـه إليــه مـا يكاد أن يكون إنذارا . كان المعروف أن البنـد الرئيسى المطروح على مؤتمر الرباط هــو مشـروع قــرار ينــص علــى أن منظمــة التحريـر الفلسـطينية هــى الممثـل الشـرعى والوحيـد للشعــب الفلسطيـنى . وكان هذا المشروع يعكــس فـى الواقـع عجــزا عربيــا عامـا فشــل فـى إعطـاء الفلسطينيـين أى شـىء بعد حــرب أكتوبـر ، ثـم أراد تعويضهـم عـن الفشــل فـى الموضـوع بالمبالغـة فى الشـكل . وكان مشروع القـرار علـى أى حـال متوافقـا مـع رغبــة المنظمـة التـى وجدت أن الدول العربيـة بعد حـرب أكتوبر تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه مـن مطالبهـا تاركـة قضيـة فلسطـين . وإذا كان ذلك ، فمن باب أولى أن يتقـدم الفلســطينيون ليحملـوا بأنفسهـم مسئوليـة العمـل من أجـل قضيتهـم .

ومع أن هذه الحقائق كانت واضحة ، فإن "هنرى كيسنجر" لم يكن يريـد قــرارا يعطـى لمنظمة التحرير صفـة الممثـل الشرعى والوحيـد للشعــب الفلسـطينى . وكـان تقديـره أن ذلـك سوف يـؤدى إلى تعقيد الأمـور بدلا من تسهيلها . فالخيــار الأردنـى فـى رأيــه كــان الحــل الذى يطـرح نفسه ، ثم إنه كــان يتبــنى وجهـــة النظر الإسـرائيلية القائلـة بـأن الاعـتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا ووحيــدا للشعــب الفلسـطينى قـد يوحــى بمظنــة قيــام كيــان سياســى فلسطيـنى مستقل .

وفى النهاية فإن "كيسنجر" لم يكن يريد لهذا القرار أن يمر فى الرباط ، وفى أقل القليل فلم يكن يريد أن توافق مصر عليه ، بل كان يطلب منها عرقلة صدوره ، ثم رفضه !

ولم يكن هناك ما يمكن عمله أثناء زيارة "كيسنجر" للقاهرة . فالوقت ضيق قبل مؤتمر الرباط . وكان الرئيس "السادات" يشعر بحيرة شديدة . ووصلت هذه الحيرة إلى حد أنه أخذ المبادرة واتصل بـ"محمد حسنين هيكل" بعد انقطاع تام فى العلاقات بين الاثنين دام ثمانية شهور . وقد فوجئ "هيكل" باتصال الرئيس "السادات" به ودعوته فورا إلى لقائه ، وحينما وصل إلى بيته وجده ينتظره على سلم بابه الخارجى ، ثم يطلب إليه التوجه معه إلى استراحة الهرم . وهناك استمر لقاء الاثنين أكثر من أربع ساعات أفاض فيها الرئيس "السادات" فى شرح همومه منذ آخر مرة التقى فيها الإثنان فى ظروف مختلفة سبقت قبل ثمانية شهور .

وبدا الرئيس "السادات" لضيفه رجلا مثقلا بالمشاكل ووحيدا ، وشاعرا بالحصار حوله من كل جانب . وكانت مشكلته الملحة هى مؤتمر الرباط وكيف يمكن أن يتصرف فيه .

ولم يكن الرئيس "السادات" فى وضع يسمح له بعرقلة صدور القرار أو بالاعتراض الصريح عليه. وبصرف النظر عن كل شىء ، فإن صدور هذا القرار لم يكن فى مقدوره أن يغير شيئا فى الموقف الأساسى بالنسبة لمصر . فالأمور بالنسبة لها تتقرر سلبا أو إيجابا بمقتضى ما تتخذه من سياسات ومواقف ، وبالتالى فقد كان الأولى الاستعداد لـ "كيسنجر" الذى ذكر للرئيس "السادات" إنه سوف يعود إلى المنطقة مرة أخرى ليحاول من أجل تحقيق فك ارتباط ثان على الجبهة المصرية .

وبالفعل عاد "كيسنجر" مرة أخرى يوم ٩ فبراير ١٩٧٥ ، وتوجه مباشرة إلى أسوان حيث كان الرئيس "السادات" ينتظره هناك ومعه كبار مساعديه . وذهب "كيسنجر" إلى إسرائيل وعاد ، ثم ذهب مرة ثانية وعاد .

كان الرئيس "السادات" قد طلب إلى "محمد حسنين هيكل" أن يصحبه إلى أسوان ، ورجاه "هيكل" أن يعفيه من هذه المهمة ، وقد وضع رأيه وتصوراته أمام الرئيس "السادات" ورأى أن فى ذلك الكفاية حتى لا تحدث التباسات لا مبرر لها . ومع ذلك ، ففى اليوم الذى كان مفروضا أن يصل فيه "كيسنجر" إلى أسوان فى الزيارة الثالثة ، فوجئ "هيكل" بطلب من الرئيس "السادات" يدعوه إلى أسوان ويبلغه أن طائرة الرئاسة جاهزة لنقله إلى هناك . وعندما وصل إلى أسوان كان الرئيس "السادات" يجتمع بـ "كيسنجر" فى استراحة الخزان . وهكذا توجه "هيكل" إلى فندق "كتراكت" الجديد والتقى بالسيد

"إسماعيل فهمى" وزير الخارجية وأعضاء مكتبه ، وهناك اطلع ــ بناء على تعليمات من الرئيس "السادات" - على كل مشروعات الأوراق التى أرسلها "كيسنجر" قبْل وصوله ، بما فى ذلك ما تلقاه من مقترحات صياغات إسرائيلية . ثم التقى "هيكل" بالفريق "الجمسى" لجلسة طويلة فى المساء ، وكان إحساسه أن ذلك العسكرى المحترف الكفء يواجه أزمة ضمير لا يعرف بعد كيف يتصرف تحت ضغوطها !

ولم تكن الظروف ، ولا حقائق الموقف ، ولا ما تقول به الأوراق كله مما يصلح أن يكون أساسا لاتفاق . وقد حاول الرئيس "السادات" أن يكون مرنا قدر ما يستطيع ، لكن "رابين" الذى كان يتفاوض لأول مرة كان يريد أن يثبت أنه رجل المؤسسة العسكرية فى إسرائيل ، المتحدث باسمها والمدافع عن وجهات نظرها . واقتربت محادثات "كيسنجر" من حافة الفشل .

□

ولم يكن الرئيس "السادات" يريد لمهمة "كيسنجر" أن تفشل . وقد حاول أن يطلب من الملك "فيصل" أن يتدخل عنده لتأييد وجهة نظره فيما يطالب به . وفى اللحظة التى كان فيها "كيسنجر" - يطير إلى إسرائيل بعد لقائه بالرئيس "السادات" ــ سارع الرئيس إلى إيفاد مستشاره للاتصالات الخارجية الدكتور "أشرف مروان" برسالة إلى الملك "فيصل" . وكتب الدكتور "أشرف مروان" تقريرا عن مقابلته مع الملك وعدد من الأمراء جاء فيه ما يلى بالنص :(1)

مقابلة
جلالة الملك فيصل مع الدكتور أشرف مروان
يوم ١٥ مارس ١٩٧٥

١ - حضر المقابلة الأمير فهد نائب رئيس الوزراء ، والأمير تركى الفيصل مساعد الشيخ كمال أدهم (مستشار الملك ورئيس المخابرات السعودية) .

٢ - . . . .

. . . .

---

(1) تقرير الدكتور "أشرف مروان" عن رحلته فى المملكة العربية السعودية مودع بملفات رئاسة الجمهورية فى ملف بعنوان "سفرية السعودية - ١٥ مارس ١٩٧٥" والتقرير منشور فى ملحق صور الوثائق تحت رقم (٢٤) .

(نقطة خاصة بعلاقات السعودية مع اليمن الجنوبي ، ورغبة الرئيس "السادات" في ترتيب زيارة يقوم بها مسئول يمني جنوبي للمملكة العربية السعودية للبحث في تسوية الخلافات بين البلدين . وقد رفض الملك الاقتراح، ورد على الرئيس "السادات" بخطاب يبين أسبابه) (٢)

٢ ـ شرحت له مباحثات السيد الرئيس مع وزير الخارجية الأمريكي ، وأنه حتى هذه اللحظة فإن السيد الرئيس لا يعلم هل سيتم فصل القوات على الجبهة المصرية أم لا ... وإلى أى خطوط سيتم فصل القوات . وقد وعد كيسنجر عند عودته من إسرائيل بتقديم مشروع جديد .

٣ ـ ذكرت أن السيد الرئيس قد طلب من وزير الخارجية طلبات ثلاثة هي :

(أ) فصل قوات على الجبهة المصرية بحيث يشمل الممرات وحقول البترول .

(ب) أن يتم فصل قوات على الجبهة السورية .

(جـ) أن تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بمنظمة التحرير الفلسطينية وأن يتم معها اتصال رسمي .

ذكر الملك أنه سيقوم بالضغط على كيسنجر عند حضوره لزيارة المملكة .

٤ ـ شرحت للملك الموقف السوري المزايد وأنهم غير صادقين فيما يدّعون ، وأن السيد الرئيس حتى الآن لا يستطيع أن يفهم مناورات الرئيس حافظ الأسد أو ماذا تريد سوريا ... ولكن الواضح الآن أنه ينفذ مخططات الاتحاد السوفيتي .

٥ ـ شرحت للملك موقف السيد الرئيس من المقاومة (الفلسطينية) والغرض من طلب السيد الرئيس الاجتماع مع جميع أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية .

. . . .

. . . .

٦ ـ أبلغت الملك أن وزير الخارجية الأمريكية قد أبلغ الرئيس السادات أن الولايات المتحدة الأمريكية توافق على بيع السلاح إلى مصر من خلال المملكة العربية السعودية .

وهنا انفعل الملك وقال "في جميع اتصالاتي مع كبار المسئولين الأمريكان أكدت عليهم ضرورة إمداد مصر بالسلاح الذى تريده" وأنه يوافق على توقيع أى اتفاق سلاح مع الرئيس السادات باسم المملكة السعودية . ثم قال "يا ابني قول

---

(٢) في ملحق صور الوثائق توجد صورة من رسالة الملك "فيصل" إلى الرئيس "السادات" ـ تحت رقم(٢٥) .

للرئيس السادات أنهم فى هذه الفترة لن يعطوا مصر أو المملكة (العربية السعودية) الأسلحة التى تريدها لأسباب لا نعلمها" .

٧ ـ ذكر الملك أنه يجب أن تنبه السيد الرئيس إلى محاولات الوقيعة بين البلدين لأنهم غير مستريحين إلى التنسيق الذى يتم بين البلدين . ولكن من جانبهم فى المملكة هم على حذر من تلك المحاولات وسيلتزم بما اتفق عليه مع السيد الرئيس . ثم قال "ليس من المعقول أن يخفى على الرئيس السادات أية معلومات تصلنا تفيد البلدين والقضية العربية" .

٨ ـ طالب جلالة الملك بضرورة إبلاغه بما يتم ورأى السيد الرئيس قبل وصول كيسنجر إلى الرياض يوم الأربعاء القادم ١٩٧٥/٣/١٩ . "

بعد أن انتهى الدكتور "أشرف مروان" من تقريره عن لقائه مع الملك "فيصل"، تطرق فى تقريره إلى مقابلات أجراها مع عدد من كبار الأمراء . وهكذا كتب ما يلى بالنص :

" مقابلة مع الأمير فهد :

بعد انتهاء المقابلة مع الملك طلب الأمير فهد مقابلتى على انفراد وذكر الآتى :

(أ) إنه يؤيد السيد الرئيس فى موقفه الأخير تجاه المقاومة (الفلسطينية). (٣)

(ب) أظهر استياءه واستياء المسئولين فى المملكة من تصرفات الأمريكان وخاصة فشل المحادثات التجارية بين البلدين . وكذلك محاولة أمريكا الضغط على المملكة للسماح لليهود الأمريكان بالعمل وزيارة المملكة .

(جـ) ذكر أن الملك مستاء من الهجوم الذى تشنه عليه الصحافة الأمريكية .(٤)

(د) أكد ما قاله الملك من أن الأمريكان غير مرتاحين من العلاقة بين مصر والمملكة لأنها كشفت جميع المواقف الأمريكية . وإن سياسة أمريكا تعتمد على التعامل مع كل دولة على حدة وإن الذى أذهل الأمريكان هو التنسيق الكامل بين البلدين فى جميع المواقف والمجالات

(هـ) طلب منى أن أنقل شكره وشكر كل المسئولين السعوديين على مجهودات السيد الرئيس فى حل الخلافات العربية، خاصة العراقية ـ الإيرانية ، والعراقية ـ

---

(٣) إن الرئيس "السادات" لكى يوازن قرار الرباط بالاعتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى، اتخذ موقفا عنيفا تجاه المنظمة ، وطلب من "عرفات" أن يجمع كل أعضائها فى القاهرة لأن الرئيس "السادات" يريد أن يسمع منهم بالضبط ماذا يريدون ، خصوصا وأن ما يصله عن آرائهم متناقض .

(٤) لم يتغير شىء طوال عشرين سنة . فما كان يحدث سنة ١٩٧٥ هو نفس ما يحدث سنة ١٩٩٥ .

السعودية ، والسعودية مع اليمن الديمقراطية . وإنه سيقوم بزيارة رسمية إلى العراق يوم ٥ ابريل .

(و) بالنسبة للشكاوى التى أبلغتها له نقلا عن الدكتور حجازى (٥) أفاد أن سبب ذلك أن الوفد المصرى وصل إلى المملكة ولم يبلغ كمال أدهم أو الأمير فهد بموعد وصول الوفد والغرض من الزيارة . ووعد بحل جميع المشاكل فى أسرع وقت .

مقابلة مع الأمير سلطان :

طلب الأمير سلطان مقابلتى وذكر الآتى :

(أ) شكر السيد الرئيس على مجهوداته لحل المشاكل بين السعودية وكل من العراق واليمن الجنوبية .

(ب) إنه سيزور القاهرة خلال الأيام العشرة الأولى من شهر أبريل لإنهاء الموضوعات المتعلقة بالتصنيع الحربى ،وكذا دراسة طلبات مصر من الأسلحةالأمريكية.

(جـ) أظهر استياءه من تأخر توريد الأسلحة الأمريكية إلى المملكة العربية السعودية.

(د) طلب إبلاغ تحياته للسيد الرئيس وإبلاغه تمنياته بالصحة والتوفيق .

(هـ) وافق على فكرة عقد مؤتمر يضم مصر والسعودية وإيران والعراق ودول الخليج،لحل مشكلة عُمان وطرد الإنجليز من عُمان ووضع سياسة لضمان أمن الخليج .

مقابلة مع الشيخ كمال أدهم والأمير تركى الفيصل والسيد أحمد عبد الوهاب (رئيس الديوان الملكى السعودى) :

ـ ذكر الشيخ كمال أن الرئيس حافظ الأسد أرسل رسالتين إلى الملك تتضمنان أن كيسنجر لم يقدم لسوريا شيئا حتى الآن (٦) ولكنهم وافقوا على عودته

---

(٥) يقصد الدكتور "عبد العزيز حجازى" وكان وقتها رئيسا للوزراء ، وكانت له شكاوى قدمها للرئيس "السادات" بسبب ما بدا له من تقصير فى عملية التعاون الاقتصادى بين مصر والسعودية .

(٦) لا يزال الموقف على الجبهة السورية بعد ٢٠ سنة كما هو حتى الآن (١٩٩٦) . ولم يستطع "كيسنجر"، ولا ستة من وزراء الخارجية الأمريكيين لحقوا به حتى "كريستوفر"، أن يقدموا شيئا لسوريا حتى الآن .

لسوريا فى زيارة ثالثة لمعرفة آخر موقف أمريكى . وإن الملك رد على الرئيس حافظ الأسد بأنه يتابع الموقف وسيتحدث مع كيسنجر عند زيارته القادمة للمملكة .

هام جدا :

ـ طلب كمال أدهم والأمير تركى الفيصل والسيد أحمد عبد الوهاب إبلاغ الرئيس السادات الموضوع التالى مع رجائهم الشديد عدم التحدث مع أى مسئول سعودى أو مصرى فى هذا الموضوع . وإن الذى جعلهم يتحدثون فى هذا الموضوع هو حرصهم على المستوى الممتاز الذى وصلت إليه العلاقات بين البلدين :

إن بعض الشخصيات المصرية المسئولة تناولت الأمراء السعوديين ومنهم الأمير فهد والأمير سلطان بالتجريح . وإنهم لا يفعلون أى شىء إلا إذا كان لهم مصلحة فيه والحصول على العمولات . ودللوا على ذلك بما ردده كثير من المسئولين المصريين حول عقد البترول الأخير بين المملكة ومصر وأن هناك عمولة كبيرة أخذها الدكتور رشاد فرعون والأمير فهد . وكذلك الملاحظات التى لا لزوم لها التى يذكرها السيد إسماعيل فهمى للسيد فؤاد ناظر (سفير السعودية فى مصر) .

وطلبوا منى إبلاغ السيد الرئيس بزيادة الاتصالات فى هذه الفترة بالذات حتى نقضى على أية حساسيات .

(توقيع)

أشرف مروان"

٢

كمـــال أدهـــم

" عبـد الحلـيم خـدام وزيــر خارجيــة أحســن من إسماعيل فهمــى "

("هنرى كيسنجر" مثـيرا مشكلـة كبـيرة فى ظروف خطـيرة)

لـم تكن الحساسيـات التى شكـا منها الأمـراء السعوديـون نتيجـة لكـلام يقـال هنــا أو يقـال هناك، وإنما كانت فى جـزء كبير منها تعبيرا عن واقـــع موضوعـــى موصـول بالممارسـة السياسية . والحاصل أن هناك مستويـات فى الممارسـة السياسيـة :

- فهناك ـ مثلا ـ مستـوى علاقـة المصالح العامـة والأهـداف المشتركة ، وهو جامـــع يــؤدى دوره بالاتفاق والحـوار وأحيانا بالاختـلاف .
- وهناك ـ مثلا ـ مستـوى علاقـات الأفـراد ومصـالحهم ورؤاهـــم ، وهـو مــؤد بـالضرورة إلى التنافس وإلى الخصـام وإلى العـداء أحيانا بطبائـع البشـر .

وفى أوقـات الصعـود فإن المستـوى الأول يفـرض حكمـه على إدارة العمليـة السياسيــة . وفى أوقات التدنـى فإن المستوى الثانـى هو الذى يمـلأ الساحـة ويغطـى علـى كـل مـا عــداه حتى أكـبر القضايـا وأعـز الأهـداف .

وفى ربيـع ١٩٧٥ كان العمـــل السياســى علـى المستــوى العربــى يتخبــط . وتحفـل الملفات السريـة لهذه الفـترة بعشــرات مـن الوقائـع التـى تــروى أكـثر مـن غيرهـا طبيعـة المرحلـة ومستوى العمـل السياسى فيها .

وعلى سبيل المثال ففى تلك الفـترة امتـلأت ملفـات ضخمــة بـأوراق وتفاصيــل واقعـة واحـدة تستحـق أن تؤخـذ مثـالا وأن توضـع تحت الفحـص والـدرس .

بـدأت الواقعـة برسالـة من الســيد "كمــال أدهــم" إلى الرئيـس "أنــور الســادات" كـان نصهـا كما يلـى بالحـرف :(٧)

"من كمـال أدهـم

إلى السيد الرئيس أنـور السـادات

أبلغنـا الأمريكـان بـأن الأخ إسمـاعيل فهمــى قـد أبلـغ السـفير الأمريكـى فـى القاهـرة الذى بدوره أوصل الرسالـة لكيسنجـر ، بأنه مستـاء للغايـة لأنـنى نقلـت وقائـع ما دار فى اجتمـاع القاهـرة واجتماع دمشـق أثناء وجــود كيسنجــر هنـاك إلى فخامة الرئيس السـادات . والغريب فى الأمـر أن السيد إسماعيل فهمـى باحتجاجـه هـذا للأمريـكان حيرنـى إلى أبعـد حـدود لأننى لا أدرى ما الذى قصده . . . . هـل يريد أن يقضـى على أسلوب التعامـل الذى تعودنـا علـى اتباعــه مـع أمريكـا لنعـود للطريقة السابقة حيث تنفـرد أمريـكا بكل جانـب على حـدة ؟ أم هــل المقصــود هـو عـدم الثقـة فى شخصى أنـا بالذات ؟ وعلى أى حال ، فقد نجــح الأخ إسمـاعيل فـى تحقيق الغرضين . وقد ينجح فى تحقيق هـدف ثالـث فى حالة وصـول الاحتجـاج إلى الجانب الســورى . وبذلك ينجـح الأخ إسماعيل فيما فشـل فيه الذين يلعبـون اللعبـة على عـدة حبـال . والذى أفهمــه بـأن مرجــع إسمـاعيل فهمــى هـو السـيد الرئيـس السـادات وليس غـيره ، فلماذا لم يحتـج عن طريقه أو لـى أنا شـخصيا ؟ ولعـل الأخ إسماعيل يظـن أو يعتقد أن علاقاتى مع السيد الرئيس الســادات هـى علاقــة عمــل، وربما لا يدرى عمـق هذه العلاقـة . ولعله يعتقد أننى حريـص على الاحتفاظ بمنصبى الحكومى ، وأنه سيتمكن من إحراجـى . وإنى أحـب أن أؤكـد له بأننى (أساعـد فيما أساعد بــه) بواقــع مـــن شعـــورى بالمسئولية تجــاه صديــق أعـــتز وأفتخــر بصداقته منذ ٢٢ سنـة وليس لاعتبارات أخرى . لقد احتج الأمريكان لأننى أغضبـت الأخ إسمـــاعيل .

إنه لمن المـؤلم حقـا أن يحــدث مـا حــدث لأنـه يظهرنـا أمـام الأجـانب بمظهـر الضعـف والتفكك . ولقد سبـق لــلأخ إسمـاعيل أن احتــج للأمريكـان ولم أفاتحــه فـى الأمـر فى حينـه لأن المسألة كانت على نطاق ضيـق . أما فى حالة وصولها إلى مستوى احتجاج أمريكا على الملكة ، فإننى أجـد نفســى فـى موقــف حــرج للغايـة تجـاه الذين أعمـل معهـم . وبهذا فإننى أرجــو من السيد الرئيس السـادات أن يعفينــى فـى المستقبل من الـدور الذى كنت أؤديـه ـ مهما قلـت أهميتـه ـ لأننــى لا أريـد التعـرض

---

(٧) صور ونصوص التقارير الخاصة بقصة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى موضوع الخلاف الناشئ بين "كمال أدهم" و"إسماعيل فهمى" و"كيسنجر" جرى الحصول عليها بمقتضى قانون حرية المعلومات .

لمثل هذا الموقف . والذى أخشاه أن الأمريكان يعتقدون أن الذى ورد فى الاحتجاج يموع الثقة . وبدون هذه الثقة هل يمكن الاستمرار ؟

آسف لأننى أطلت فى العتاب ، وسامح الله الأخ إسماعيل .

تحياتى ،،،

كمال أدهم "

كانت الرسالة تبدو غامضة ، لكن برقية شفرية أخرى من جدة [٨] أوضحت ما كان غامضا :

" من كمال أدهم

تحياتى ،

فيما يلى ملخص للاحتجاج الأمريكى ضد السعودية :

أولا - بأننى نقلت بعض المعلومات لم تحدث فى سوريا .

ثانيا - كيسنجر لم يقل إن عبد الحليم خدام هو أحسن وزير خارجية (فى المنطقة) .

ثالثا - كيسنجر طلب من مصر عدم إخبار سوريا بالمحادثات، ولكنه ذهب إلى سوريا وناقشهم فى كل شىء . وعندما قامت السعودية بإخبار مصر بما حدث فى سوريا تكشف موقف كيسنجر الذى لم يكن مرتاحا فى الأصل لتبادل المعلومات ما بين السعودية ومصر . وقد انتهز كيسنجر فرصة غضب إسماعيل فهمى لأن كمال أدهم قال بأن كيسنجر يقدر عبد الحليم خدام ويعتبره أحسن وزير خارجية فى المنطقة ، وقد قام إسماعيل فهمى بالاحتجاج بواسطة السفير الأمريكى فى القاهرة . وقد وصل الاحتجاج إلى المملكة بواسطة سيسكو . وقد رفض السفير الأمريكى فى جدة تسليم الاحتجاج لأنه اعتبر الموضوع عربيا بحتا وليس من واجب أمريكا التدخل فى الأمور التى هى من شئون العرب أنفسهم .

---

(٨) برقية وزارة الخارجية رقم (ش/س/أ)، وتوجد فى ملحق صور الوثائق صورة للصفحة الأولى منها تحت رقم (٢٦) .

رابعا ـ وقد رد كمال أدهم على رسالة الأمريكان بأنه إذا كان هذا الموضوع قد أثار السيد إسماعيل فهمي فإنه مستعد أن يعتبر إسماعيل فهمي أحسن وزير خارجية بدلا من خدام ."

□

وهكذا بدأت القصة تتضح وتتبدى تفاصيلها فيما يلي :

١ ـ إنه كان هناك نقل للمعلومات بين مصر والسعودية يمثل في نظر القائمين به نوعا من التنسيق السياسي بين البلدين .

٢ ـ إن "كيسنجر"كان باستمرار يحذر الأطراف العربية من تبادل المعلومات بين بعضها.

٣ ـ إن نقل المعلومات اختلط مرات باعتبارات شخصية وبآراء قيلت ونقلت أو أضيفت لسبب أو لآخر .

٤ ـ إنه كان بين المعلومات التي نقلت تفاصيل أنكرها أصحابها وآراء نسبت إلى قائليها ولعلها أحرجتهم .

٥ ـ ثم إن هذا كله بما فيه المعلومات والآراء وصل إلى الأمريكان سواء علىسبيل الشكوى أو غير ذلك من الأسباب .

لكن الطريف أن وقائع القصة لم تقتصر على خطاب "كمال أدهم" الأول للرئيس "السادات" ـ بالشكوى أو بالعتاب كما قال ـ ولا على البرقية التي وردت فيها أسباب الاحتجاج الأمريكي على السعودية .

إن الأمر تعدى ذلك إلى مشادة بين وزارة الخارجية الأمريكية التي يدير "كيسنجر" شئونها وبين وكالة المخابرات المركزية التي يتعاون "كمال أدهم" معها باعتباره مسئولا عن المخابرات السعودية .

إن ملف هذه الأزمة الغريبة في مجموعة الوثائق الأمريكية يحوى وثيقة مستفيضة تتمثل في تقرير كتبه مدير محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في جدة ، وهو الذى يتولى الاتصال مع "كمال أدهم" ـ وقد أرسل التقرير إلى مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في مقره في "لانجلي" . وقد جاء في التقرير ما يلي بالحرف :[٩]

---

(٩) في ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذا التقرير تحت رقم (٢٧) .

١ - مذكرة سيسكو :

"يوم ٢٨ فبراير تلقيت رسالة طلب إلى أن أسلمها إليك من سيسكو . وهى ترتكز على شكوى قدمها إسماعيل فهمى وزير الخارجية المصرية إلى هيرمان آيلتس (السفير الأمريكى فى القاهرة) . إن هذه الرسالة تقول بما يلى :

"فى أقرب فرصة عليك أن تقابل كمال أدهم وتخطره بأننا تضايقنا بسبب بعض التقارير التى أبلغها لنا المصريون والمتعلقة بالزيارة الأخيرة التى قام بها وزير الخارجية (كيسنجر) إلى الشرق الأوسط .

إن هذه التقارير تنسب إلى كمال أدهم أنه قال:

(أ) إنه عندما كان الوزير (كيسنجر) فى الرياض فإنه أطلع الملك "فيصل" على خرائط لسيناء وناقش معه بعض المواقع بالتحديد ، كما ناقش طبيعة الأرض فى هذه المواقع .

(ب) إن كمال أدهم روى أن وزير الخارجية السورى عبد الحليم خدام أبلغه أن وزير الخارجية كيسنجر قام بشرح على خرائط لمنطقة جنوب الجولان .

(ج) إن كمال أدهم أيضا نقل عن كيسنجر أنه وصف "خدام" بأنه أحسن وزير خارجية عربى .

إن عليك أن تقول لكمال أدهم إن هذه الأقوال لا تتفق مع الحقائق . فلم يعرض وزير الخارجية (كيسنجر) أية خرائط على الملك فيصل ولا على أى مسئول سعودى آخر . ولم يناقش كذلك أى مواقع جغرافية محددة أو طبيعة أرضها . كذلك لم تكن هناك خرائط فى دمشق ، ولو أن الرئيس الأسد عند نقطة معينة استعمل خريطة أشار فيها إلى مواقع لمستعمرات إسرائيلية ، وكان ذلك حين جرت مناقشة بعض الأفكار عن الخطوة التالية فى الجولان . إن الرئيس الأسد قام بذلك وهو يشرح فكرة الانسحاب الكامل لإسرائيل من المرتفعات وتمركز قوات من الأمم المتحدة فى الأجزاء الغربية من الجولان . ولكن تلك كلها كانت مناقشة ذات طبيعة عامة دون إشارة محددة إلى مواقع معينة على الخريطة .

وأما فيما يتعلق بما نقل عن وزير الخارجية كيسنجر بشأن وصف عبد الحليم خدام فإن ذلك أيضا لم يحدث . ويجب أن تقول لكمال أدهم إن هذه الحكايات ليست من صنع الخيال فقط ، ولكن نقلها أيضا يخلق جوا غير مساعد على نجاح المهام الحساسة التى يقوم بها وزير الخارجية كيسنجر فى المنطقة .

إنه من المهم جداً أن يكون كل اللاعبين على المسرح بعيدين عن التعرض لانطباعات خاطئة لا يمكن أن تخدم هدفا سوى إشاعة الارتباك والشك . وعليك أن تخبر السفير إيكنز (السفير الأمريكي في المملكة العربية السعودية) بهذه الرسالة ." "

٢ ـ سؤال كمال أدهم

"ورد رئيس محطة المخابرات المركزية في جدة على رئيسه (مدير وكالة المخابرات المركزية في لانجلي بواشنطن) بمذكرة جوابية قال فيها ما يلي بالحرف :

"عند تسلمي لرسالتك أثرت الموضوع مع السفير إيكنز واتخذت الخط التالي :

(أ) إنه غير واضح لي مما نقله إليكم سيسكو ما هو السبب الذي دعا إسماعيل فهمي وآيلتس وسيسكو جميعا إلى أن يتضايقوا . إن الموضوع كله في أقل القليل متناقض مع بعضه .

(ب) بما أن الحادثة كلها بدأت باحتجاج من وزير الخارجية المصرية إلى السفير الأمريكي في مصر ، ثم إنها أخذت مجراها في القنوات الدبلوماسية لوزارة الخارجية ، فإنني أتساءل لماذا تجيء مذكرة من هذا النوع من سيسكو عن طريق قناة الاتصال الخاصة بوكالة المخابرات المركزية . بالإضافة إلى ذلك ، ومن الناحية الفنية البحتة ، فإن كمال أدهم حضر لقاء الدكتور كيسنجر مع الملك فيصل يوم ١٥ فبراير بوصفه مستشارا للملك وليس بوصفه رئيسا للمخابرات. إن وزارة الخارجية كثيرا ما تبدى عدم رضاها عن تدخل وكالة المخابرات في مسائل دبلوماسية لا تتصل باختصاصها . ومع ذلك فهي في هذه الحالة ـ كما في حالات أخرى ـ تخلط الأوراق . وقد سألت السفير إيكنز ما إذا كان يتفق معي على أن الشكوى التي وصلت اليه من الأولى أن تعالج بواسطة أحد دبلوماسييه . ثم أكدت أن هذا هو الطريق المعقول والصحيح ، كما أن الرسالة الوقحة والمرتبكة **rude and confusing** التي بعثها سيسكو تحتاج إلى كفاءة دبلوماسي لنقلها إلى مستشار ملكي رفيع المستوى . وقد وافقني إيكنز بشدة ، وإن كان قد اقترح عليّ أن أحاول استجلاء الموضوع من كمال أدهم بطريقة غير رسمية حتى نعرف القصة الحقيقية ، وهذا ما وجدته :

* إنـه صحيح تمامـا أن وزيـر الخارجيـة كيسنجـر لم يطلـع الملـك "فيصـل" علـى أيـة خرائـط . إن كـلا مـن كمـال أدهـم وسيسكـو حضـر الاجتمـاع الوحيـد بـين كيسـنجر وفيصـل ، وبالتـالى فـإن أدهـم يعـرف كمـا يعـرف سيسكـو تمامـا أنـه لـم تكـن هنـاك مناقشـة حـول مواقـع جغرافيـة . وفـى هـذا الصـدد فقد قـال أدهـم إن إسمـاعيل فهمـى ببسـاطة لا يعـرف شيئا، وهـو لم يقابلـه فـى القـاهرة حينمـا كـان هنـاك الأسـبوع الماضـى ، ولا يعرف مـن أيـن جـاء بهـذا الهـراء الـذى شكـا منـه .

* أنكـر كمـال أدهـم أن عبد الحـليم خـدام قـال لـه عندما التقـى بـه يـوم ١٤ فبرايـر إن كيسنجر قـام فى دمشـق بشـرح مسـألة الجـولان الجنـوب علـى خريطـة . إن كمال أدهـم أيضا يظـن أنه يعـرف من أين نشـأ الخلـط فـى هـذا الموضوع . فقد كان المصريون هـم الذين أبلغـوه أن كيسنجر أفضـى إليهـم سـرا بـالخطوط التـى يظـن أن الإسـرائيليين علـى اسـتعداد للانسـحاب إليهـا فـى الجـولان. وقد حـذر كيسنجر المصريين من إعـلام السـوريين بهـذه الخطـوط ، لأن ذلـك قـد يجعلهـم يرفعـون مـن سقـف طلباتهـم . إن الرئيـس السـادات تحـدث عن هذه الخطـوط لكمال أدهـم فى الأسـبوع المـاضى ، وأبـدى أدهـم دهشتـه قائـلا إنه عندما التقـى السوريـين فى دمشـق يـوم ١٤ فبرايـر أخـبروه بأن كيسنجر جـس نبضهـم فـى خطـوط معينـة للانسـحاب ، وفعـل ذلـك أمـام الرئيس الأسـد يوم ١٣ فبراير . وكان نـص ما قاله طبقا لما سمعـه كمـال أدهـم "أربعة أو خمسة كيلومترات فى جنوب الجـولان ، وشـىء أقـل مـن ذلـك فـى المنطقة الشمالية" . إن أدهـم أخـذ الانطباع من السوريـين بـأن كيسـنجر طـرح هذه الأفكار على أساس "ماذا لـو ؟" ، ولم يقدمها كيسنجر باعتبارها عرضا من الإسـرائيليين وإنمـا مجرد جهـد شخصـى يقـوم بـه هـو حتـى يتمكـن مـن توصيـف ما تتطلع إليه سوريـا عن طريق طـرح فرضيـة عامـة .

ومـع ذلـك فـإن المناقشـة استدعـت رد الفعـل الـذى خشـى منـه كيسنجر . فالأسـد رفـض هـذه الأفكـار تمامـا ، وأبـدى أنـه لـن يقبـل أقـل من عـودة الجـولان كاملـة وبخطـوط ١٩٦٧ إلى سوريـا ، ويقبـل أن توجد قـوات الأمـم المتحـدة للفصـل بـين الجيشـين .

ومـن المحتمـل طبقـا لكمال أدهـم أن إسمـاعيل فهمـى سمـع شيئا عـن ذلـك مـن الرئيـس السـادات **third hand** (نقـلا عـن .. نقـلا عـن) ، وقـد اختلـط الأمـر عليـه والتـوت الحقـائق ، وتصـور أن كمـال أدهـم استغـل ثقـة المصريـين أو الأمريكـان مـع السوريـين .

وفى واقع الأمر فإن كمال أدهم كان الرجل الأخير على المسرح ، ولم يكن فى كل الأحوال مضطرا إزاء أى طرف ، وبخاصة كيسنجر وسيسكو ، أن يخفى عن السادات شيئا سمعه من الأسد .

* إن أدهم أبدى سعادته لتأكيد سيسكو بأن "خدام " بعد كل شىء ليس أعظم وزير خارجية عربى. وهو يأمل أن يؤدى ذلك إلى إسعاد إسماعيل فهمى .

إن كمال أدهم أبدى رغبته فى نقل إيضاحاته إلى سيسكو .

إن إيكنز أبدى سعادته بأن الأمر تمت تسويته بهذه الطريقة ، ولا ينوى أن يتخذ أى إجراءات من جانبه . وهو يريدك أن تعرف أن رسالة سيسكو ورد أدهم جرى تنسيقهما معى ." "

٣ ـ <u>الصورة من القاهرة</u>

إننى استطعت عن طريق أصدقائنا فى القاهرة إعادة بناء صورة الوقائع كما تبدت هناك .

إن كيسنجر فيما هو واضح أخذ موافقة السادات عند أول لقاء بينهما فى هذه الجولة يوم ١٢ فبراير على أن كل التفاصيل بما فى ذلك التفاصيل الجغرافية التى ناقشها مع المصريين لن يتم نقلها لا إلى السوريين ولا إلى السعوديين . ولهذا فإن أشرف مروان الذى ذهب برسالة من السادات إلى الملك فيصل لم يحمل معه أية تفاصيل عن هذه المواقع الجغرافية .

إن المصريين عرفوا على أى حال أن الملك "فيصل" يعرف من تفاصيل ما دار بينهم وبين كيسنجر أكثر مما قاله السادات له عما حدث بينه وبين كيسنجر .

إن إسماعيل فهمى استنتج أن كيسنجر هو الذى قال لفيصل ، وهكذا احتج لدى هيرمان آيلتس . وبعث آيلتس إلى سيسكو بشكوى إسماعيل فهمى التى كانت قائمة على مجرد تخمينات أضافها إما آيلتس نفسه أو فهمى ـ فنحن غير واثقين ـ بما معناه أن المعلومات تسربت من خلال كمال أدهم وأن لعبة كيسنجر المزدوجة قد انكشفت . وكان هذا فيما نظن ما أثار احتجاج سيسكو عندك .

إن المصريين حاولوا تغطية ذلك باتصال قام به أشرف (مروان) مع السفير آيلتس لكى يشكو من أن الحكومة الأمريكية كانت شديدة فى تعاملها مع السعوديين ، وقد وجهت إليهم ثلاث ضربات فى أسبوع واحد :

ـ انتقاد الرئيس فورد للمقاطعة العربية ضد إسرائيل .

ـ انهيار المحادثات التجارية بين السعودية والولايات المتحدة فى واشنطن .

ـ ثم التأنيب الذى وجهه سيسكو لكمال أدهم .

وقال أشرف لآيلتس إن الحكومة المصرية والرئيس السادات شخصيا يثقان فى كمال أدهم ١٠٠٪ بصرف النظر عما يقوله أى من الناس عنه . "

□

كان العمل السياسى لا يزال يواصل هبوطه ورخصه !

٣

الملك الحسن

" توجد بناحيتنا بعد توقيع الاتفاقية أخطار..."

(رسالة بعث بها "رابين" إلى "السادات" عن طريق الملك "الحسن")

لم ينجح "كيسنجر" فى محاولته للتوصل إلى فك ارتباط ثان على الجبهة المصرية أثناء زياراته المتكررة لأسوان فى فبراير ومارس ١٩٧٥ . وقد غادر المنطقة حانقا على الإسرائيليين لأنهم تشددوا فى شروطهم إلى درجة لم تترك للرئيس "السادات" فرصة غير أن يرفض ما عرضوه عليه. وأعلن "كيسنجر" فى لندن التى مر بها فى طريقه إلى واشنطن أن الولايات المتحدة سوف تعيد النظر reassess فى مساعداتها لإسرائيل . وقال رئيس الوزراء البريطانى "هارولد ويلسون" على مائدة غداء فى مقر رئيس الوزراء البريطانى رقم ١٠ داوننج ستريت ، وحضره كل من "إسماعيل فهمى" و"محمد حسنين هيكل" ـ الذى تصادف وجوده فى لندن ذلك الوقت بمناسبة صدور كتابه "الطريق إلى رمضان" ـ إنه لم ير "كيسنجر" خلال تعامله الطويل معه بمثل حالة الغضب والإحباط التى رآه عليها بعد عودته هذه المرة من الشرق الأوسط . وأضاف "ويلسون" أنه لا يعرف ماذا ستكون عليه السياسة الأمريكية فى المستقبل ، وإلى أى نتيجة تتوصل عملية إعادة التقييم ، لكنه فى كل الأحوال يتصور أن الخطوة التالية على طريق التسوية سوف تأخذ وقتا ، كما أنها تحتاج إلى أعصاب .

إن "كيسنجر" فى لندن كان بالفعل غاضبا من إسرائيل،وطبقا لرواية "جيمس كالاهان" (وكان وقتها وزيرا للخارجية البريطانية) فإن "كيسنجر" من مكتبه تحدث مع "رابين" فى القدس ، وكان عنيفا معه إلى درجة السب تقريبا،وكان بين ما قاله له"إنه من سوء الحظ أنه ليست فى إسرائيل قيادة تاريخية الآن على مستوى بن جوريون أو حتى على مستوى

مائير، ولو أن ذلك كان الحال لأدركت إسرائيل أن الســـادات يعطيهـا فرصـــة تاريخيـة لتســوية أمورها، وأنه يجب انتهاز هذه الفرصـة" .

ثم عقـب "كيسنجر" على ذلك بعد انتهاء محادثته التليفونية مع "رابــين" بقولـه : "إن السلطة فى إسرائيل اليوم فى يـد ثلاثـى رابين ـ بيريز ـ آللون ، وهؤلاء موظفون مــن الدرجـة الأولى ولكنهم سياسيون من الدرجة الثانيـة ، ثـم إن العلاقــات الشـخصية بينهـم معقـدة لا تسمح لهم بأى جـرأة فى اتخاذ مبادرة أو أى رؤية . وهم لا يرون أنهم يضيعون فرصـة نـادرة وهى فرصة وجوده ـ كيسنجر ـ وزيرا للخارجية مع رئيس ضعيف لكى يأخذوا لإسـرائيل كـل متطلبات أمنها ومستقبلها ."

وغـادر "كيسنجر" لنـدن عائدا إلى واشنطـن ، وهناك اجتمع برؤساء المجالس اليهودية . وبـدأ حديثه معهم بقوله "إنه عائـد من الشرق الأوسـط ولديه اعتقاد بأنه يجب إنقاذ إسرائيل ليس من أعدائها وإنما من قادتها الذين يتركون فرصـة لا تعـوض تفلـت منهــا ."

لكن الرئيس "السادات" فى القاهـرة لم يكن لديه الوقـت ولا كانت لديه الأعصاب ، لأن فشـل "كيسنجر" فى أسـوان وعجـزه عن إقناع "رابين" بأى شـىء له قيمـــة يمكـن أن يفتــح الطريق أمام اتفاق ثـان لفـك الارتباط على الجبهة المصريـة ـ أصاباه بحالة من القلـق أحــس بها هو أكثر من غيره خصوصا بالنسبة للقوات المسلحة . ذلك أن أية تفاصيل علــى الجبهــة كان لا يزال ممكنا إخفاؤها عن الرأى العام المصرى والعربـى بصفة عامـة ، لكن إخفاءها عن التشكيلات القريبة من الجبهـة كان ضربا من المستحيلات . وكانت القوات المسلحة دائما هى هاجس الرئيس "السـادات" فى تلك المرحلة ،لشعـوره بأنه مطالـب بتقديــم نتائــج سياسيــة لكل مــا تحــقــق مـن منجــزات عســكريــة ومـا بــذل مـن تضحيـات إنسـانية ـ ســواء بالجهـــد أو بالـدم .

وأحـس الرئيس "السـادات" بقلقـه يتزايد عندما اغتيـل الملك "فيصل" فى الريــاض يــوم ٢٥ مارس ١٩٧٥ ، وبذلك فإنه فقـد أهـم حليـف له فى المنطقة حتى وإن اختلفـت سياسـات الاثنين فى بعض المرات . وقد راح الرئيس "السادات" ينتظر نتائج عمليــة إعـادة التقييـم فـى واشنطن ولم يجـد أنها واصلة إلى نتيجـة . وبعـث إلى كيسنجر يبـدى رغبتـه فـى التوجـه إلى واشنطن لمقابلة الرئيس الجديد "جيرالد فــورد" وليشـرح بنفسـه للجـان الكونجـرس وأعضائـه مـدى التعنـت الإسرائيلى الذى يمكن أن يعيـد الاتحاد الســوفيتى مــرة أخـرى ليكـون لاعبـا رئيسيا فى المنطقة ، بعد جهـد كبير قام به هـو و"كيسنجر" لعـزل الاتحاد السوفيتى وتقليص دوره فى الشرق الأوسـط .

ويبـدو أن "كيسنجر" الذى هـدأت أعصابه بعد أسابيع فى واشنطـن لــم يكـن متحمسـا لمجىء "أنور الســادات" الآن إلى واشنطـن . فقـد كـانت لــ "كيسـنجر" خطتــه السياسـية .

وكان غضبه من الإسرائيليين أنهم تسببوا فى فشل مهمة قام بها ووضع فيها هيبته . وكانت كبرياء "كيسنجر" هى سبب الضيق ، ولم يكن السبب سياسات إسرائيل . وكان قصارى ما أمكن التوصل إليه ، بعد جهود قام بها مستشار النمسا "برونو كرايسكى" الذى كان يطرح نفسه دائما كوسيط بين العرب وإسرائيل ، هو ترتيب اجتماع بين الرئيس "السادات" وبين الرئيس الأمريكى "جيرالد فورد" يتم فى سالزبورج بالنمسا .

كان زعماء الحركة الصهيونية لا يريدون للرئيس "السادات" أن ييأس كاملا من الخط الذى سار فيه ، ثم يبحث لنفسه عن مخرج آخر . وكان "كيسنجر" يقول لكل من يقابله إن "السادات" يملك مرونة هائلة فى اختيار مواقفه ، فهو غير مقيد بتوجهات الرأى العام العربى ، وإنما يهمه الرأى العام المصرى الذى يستطيع التحكم فى توجهاته بوسائل الإعلام المحلية . لكن الذى كان "كيسنجر" يخشى منه ، ويلتقى فى هذه الخشية مع قيادة الحركة الصهيونية ، هو أن "السادات" قد يقفز إلى موقع مختلف . وهكذا فى يوم أول يونيو ١٩٧٥ تم ترتيب هذا اللقاء المقترح فى سالزبورج بين الرئيسين .

□

إن الرئيس "السادات" عاد من سالزبورج وقد ازداد قلقه . فالرئيس الأمريكى الذى قابله فى سالزبورج رجل مختلف تماما عن "ريتشارد نيكسون" حتى فى أيام محنته فى فضيحة "ووترجيت" . فهو بعيد تماما عن أى معرفة مباشرة أو غير مباشرة بأزمة الشرق الأوسط ، ولم يكن على استعداد لأن يتحدث فى موضوعات الأزمة ، وإنما قال صراحة "إنه غير خبير بها وإنه يفضل تركها "لهنرى" الذى يعرف كل شىء عنها ، والذى أعرف تماما أنكم تثقون فيه وأنكم أنشأتم معه علاقة خاصة وثيقة قائمة على الثقة الكاملة ووضوح الأهداف" . وفوق ذلك فإن "جيرالد فورد" طلب من الرئيس "السادات" أن يبذل جهدا أكبر فى تفهم المصاعب التى تواجهها حكومة "رابين" ، خصوصا وأن "رابين" رجل عسكرى ، وصحيح أنه قضى سنوات سفيرا لبلده فى الولايات المتحدة ، إلا أن ذلك لا يكفيه لمواجهة العواصف السياسية التى يتعرض لها الآن .

وأحس الرئيس "السادات" أنه أمام موقف بالغ الصعوبة . فإذا كان يريد أن يواصل سياسته التى بدأها مع "كيسنجر" منذ أول لقاء لهما ، وإذا كان يريد أن يحتفظ لهذه السياسة باستمرارية الحركة ، فهو المطالب الآن بإعطاء تنازلات تفتح الباب أمام اتفاق ثان لفك الارتباط تتحرك به الأمور ، وإلا فإنه واصل إلى حالة جمود بعد كل ما فعل .

وخلافا لما كان يتوهمه "كيسنجر" عن طبيعة "أنور السادات" ومرونته الشديدة ، فإن الرجل لم يكن قادرا فى أعماقه على "قفزة إلى المجهول" - طبقا لتعبيره . وحاول "كيسنجر" تهوين الأمر عليه . وربما لمزيد من التأثير فإنه قصد أن تكون جلسته الأساسية مع الرئيس "السادات" تالية للقائه الأول مع الرئيس "فورد" . وكان حديث "كيسنجر" في هذه الجلسة يدور حول نقطة مركزية واحدة ، مؤداها أن على الرئيس "السادات" أن يساعد الرئيس "فورد" لينجح فى انتخابات الرئاسة القادمة أمام المرشح الديمقراطى الذى يبدو أنه سيكون "جيمى كارتر" . وهو رجل من الجنوب خدم فى الحرب العالمية مهندسا فى أسطول الغواصات ، ثم أصبح مزارعا للفول وتاجرا مهتما بالبقول ، وتولى منصبا سياسيا واحدا عندما انتخب ليكون حاكم ولاية جورجيا . و"كيسنجر" يظن أن فرص "كارتر" فى النجاح قليلة . لكن "فورد" يمكن أن يكون رئيسا ناجحا خصوصا فى الشرق الأوسط إذا ساعده "أصدقاؤه هناك" . وأضاف "كيسنجر" - طبقا لما رواه الرئيس "السادات" بنفسه بعد عودته من سالزبورج - إن "كيسنجر" قال له "إننى أعرف أكثر من غيرى أنك استثمرت أرصدة كثيرة فى الرئيس نيكسون ، ولن ألومك إذا أحسست أن هذه الأرصدة ضاعت عليك ، ولكنى كصديق لا أنصحك أن تعتبرها أرصدة ضائعة ، وإنما نصيحتى كصديق أن تضيف إليها بسخاء ، وأنا واثق أنك سوف تسترد كل ما استثمرت وزيادة عليه" .

ويروى "كيسنجر" أنه فى سالزبورج ، وبعد أن شرح احتمالات الأحداث القادمة على المسرح الأمريكى فيما يتعلق بفرص الرئيس "فورد" فى الانتخابات القادمة وما يستطيع عمله ــ أن الرئيس "السادات" قال له على الفور : "هنرى ، إننى أريدك أن تكون مستشارى للأمن القومى المصرى" . وروى "كيسنجر" أنه رد على الرئيس "السادات" بأنه "يشرفه أن يكون مستشاره" .

وفى يوم ١١ يونيو كان "رابين" يقوم بزيارة إلى واشنطن ويلتقى بالرئيس "فورد" وبوزير خارجيته "هنرى كيسنجر" . ومع بداية شهر يوليو كان "كيسنجر" فى المنطقة مرة أخرى . وفى الإسكندرية طوال شهرى يوليو وأغسطس - توصل مع الرئيس "السادات" إلى اتفاق ثان لفك الارتباط . وعند التوقيع أبلغه "كيسنجر" بأن الرئيس "فورد" يوجه إليه الدعوة لزيارة الولايات المتحدة .

□

كان الاتفاق الثانى لفك الارتباط أثقل فى شروطه من الاتفاق الأول . وبمقتضى التعهدات السرية التى ألحقت به ــ وعددها ١٢ تعهدا ــ فإن الرئيس "السادات" تعهد فى الواقع بصلح منفرد بين مصر وإسرائيل [١١] ، كما تعهد

بالتعاون مع الولايات المتحدة لإخراج الاتحاد السوفيتى من أفريقيا وليس من العالم العربى وحده . وفيما يتعلق بقضية فلسطين فإنه قبل منطق ألا تعترف إسرائيل ولا تتصل بمنظمة التحرير الفلسطينية إلا إذا قامت هذه المنظمة مسبقا بالاعتراف بقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ .

كانت هناك تعهدات أخرى أضيق نطاقا ، بينها :

- تعهد بالامتناع عن استعمال الوسائل العسكرية فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى .
- الالتزام بمنع أى أعمال عسكرية أو شبه عسكرية ضد إسرائيل من الأراضى المصرية.
- أن تمتنع الصحافة المصرية وكل وسائل الإعلام عن توجيه "حملات الكراهية" لإسرائيل .
- أن يبدأ تقليص المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل تدريجيا دون انتظار لموقف عربى عام .
- أن تظل أحكام اتفاقية فك الارتباط وملحقاتها سارية إلى أن تحل محلها اتفاقية أخرى بالمفاوضات .

ولم تكن زيارة الرئيس "السادات" إلى واشنطن سعيدة رغم أنه كرر فيها مئات المرات أن ٩٩٪ من أوراق حل أزمة الشرق الأوسط فى يد الولايات المتحدة . فقد أبلغه "كيسنجر" أن "رابين" مصرٌ على أن مرحلة الاتفاقيات المحدودة قد انتهت . وبالتالى فليس هناك اتفاق ثالث لفك الاشتباك لأن إسرائيل وصلت بفك الارتباط الثانى إلى المرتفعات الشرقية لمضايق سيناء ، فإذا كان عليها أن تنسحب خطوة أخرى إلى الوراء فليس هناك إلا خط العريش ـ رأس محمد ، وهذا لن يتم إلا باتفاقية سلام كامل يتحقق بها التطبيع بين البلدين ، بما فى ذلك تبادل السفراء وإنشاء العلاقات الاقتصادية والسياحية وغيرها بغير قيود بين مصر وإسرائيل .

ولم يكن الرئيس "السادات" مستعدا بعد لهذه الخطوة الشاسعة ـ قفزا . وتعقد موقفه أكثر إزاء الولايات المتحدة الأمريكية حين قامت بعض الدول العربية المعارضة لفك الارتباط الثانى، وفى مقدمتها سوريا ، بعرض مشروع قرار على الجمعية العامة للأمم المتحدة يعتبر الصهيونية نوعا من العنصرية . وكتب الرئيس "فورد" إلى الرئيس "السادات" يطلب اليه أن يبذل نفوذه لمنع إصدار هذا القرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة .

---

(١٠) نصوص اتفاق فك الارتباط الثانى .

لكن القرار صدر فى النهاية ، ولم يملك الرئيس "السادات" سوى أن يصدر تعليماته إلى الوفد المصرى فى نيويورك بالتغيب عن جلسة التصويت . ولم يكن ذلك كافيا فى نظر "هنرى كيسنجر" ولا فى نظر "جيرالد فورد" . وتلقى الرئيس "السادات" رسالة من "كيسنجر" يقول له فيها : "إنه حضر اجتماع لجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس ، وكان هدفه أن يقنع أعضاءها وأعضاء لجنة الاعتمادات والقوات المسلحة بالموافقة على زيادة المساعدات الاقتصادية لمصر ، وعلى البدء فى برنامج لتزويدها بالسلاح الأمريكى . وقد وجد أن فرصه تضاءلت أمام الكونجرس بهذا القرار "المشئوم" الذى صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة واعتبر الصهيونية مساوية للعنصرية ."

وأحس الرئيس "السادات" أن حلقات الحصار تضيق من حوله . وفى هذه اللحظة تقدمت إسرائيل عبر الحصار وفى لحظة نفسية تصورتها مواتية .

□

وفى شهر يناير ١٩٧٦ اتصل الملك "الحسن" بالرئيس "السادات" يقول له إن لديه رسالة هامة ، وإن مستشاره العسكرى الخاص ـ وهو فى نفس الوقت رئيس المخابرات المغربية (وقد أصبح فيما بعد وزيرا للدفاع فى المغرب) وهو الجنرال "أحمد الدليمى" ـ سوف يحملها إليه . وهو يرجوه أن يستقبله بنفسه وأن ينصت إليه باهتمام لأن ما يحمله قد "يفتح مخرجا" يعوض الأبواب الأمريكية المقفولة مؤقتا بسبب ظروف المعركة الانتخابية الجارية الآن على رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية بين "فورد" و"كارتر" .

كانت الرسالة التى حملها "الدليمى" من الملك "الحسن" إلى الرئيس "السادات" مباشرة وصريحة ، وفهم منها الرئيس "السادات" أن لقاء تم بين الملك "الحسن" وبين رئيس الوزراء الإسرائيلى "إسحاق رابين" ، وأن "رابين" طلب من الملك أن ينقل رسالة منه إلى الرئيس "السادات" مؤداها :

"١ ـ إن عملية السلام بين مصر وإسرائيل لم يعد سهلا الرجوع فيها ولا بد لمسارها أن يكتمل ، وهذا فى مصلحة الطرفين .

٢ ـ إنه والحال كذلك ، فإن مصر وإسرائيل ينبغى أن تأخذا زمام الأمور فى أيديهما وأن تصلا بالعلاقات بينهما إلى وضع طبيعى .

٣ - إن الاعتماد على الولايات المتحدة لكى تكون وسيطا بين الطرفين لم يعد مجديا الآن . فما زالت هناك سنة كاملة قبل انتخابات الرئاسة ، والاعتماد فيها على الرئيس الأمريكى مسألة يجب أن يعاد النظر فيها .

٤ - إن نتائج انتخابات الرئاسة ليست مضمونة لصالح "جيرالد فورد" ، وإذا حدث أن جاء "جيمى كارتر" فسوف يحتاج إلى سنة كاملة - على أقل تقدير - حتى يستطيع الاقتراب جديا من أزمة الشرق الأوسط . ومعنى ذلك ضياع سنتين بدون تقدم .

٥ - إن إسرائيل فى عمل مباشر ومشترك بينها وبين مصر سوف تكون أكثر جرأة فى تقديم شروط مقبولة لها ، وفى نفس الوقت للرأى العام الإسرائيلى الذى سيشعر باطمئنان لبدء تعامل مباشر بين حكومته وبين الرئيس "السادات" .

٦ - إن "رابين" قال للملك أيضا إنه يرجوه أن يبلغ الرئيس "السادات" بما يعرفه الملك ، من أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن ترغم إسرائيل على شىء لا تقبله إسرائيل من تلقاء نفسها ، مقتنعة به وراغبة فيه ."

وكان الرئيس "السادات" يسمع هذه المقدمات للرسالة ساكتا ينفث دخان غليونه ويهز رأسه بين وقت وآخر . واستطرد "الدليمى" يقول "إن الملك طلب من رابين أن يحدد بكلماته هو نص ما يريد نقله إلى الرئيس السادات فى الموضوع وبدون الحواشى" . وهنا أخرج الجنرال "الدليمى" ورقة من جيبه وقرأ ما أملاه "رابين" بنفسه . واستمع الرئيس "السادات" باهتمام ثم حاول أن يناقش ما سمع مع "الدليمى" . لكنه كان واضحا أن الجنرال المغربى ليس إلا رسولا يحمل نصا مكتوبا ، ولا اختصاص له يتخطى ذلك .

وبعد أن خرج "الدليمى" من لقائه مع الرئيس "السادات" تذكر الرئيس أنه لم يأخذ نصا مكتوبا بما سمع . وبعث بمدير مكتبه يلحق بـ "الدليمى" فى فندق "شيراتون" ويطلب منه الورقة التى تحمل نص الرسالة التى كلف من الملك "الحسن" بنقلها حسبما طلب "رابين" .

وأبدى "الدليمى" أنه لا يستطيع أن يسلم الورقة التى يحملها من الملك ، لكنه يسلم بحق الرئيس "السادات" فى أن تكون لديه صورة منها . وقد تناول ورقة من أوراق فندق "شيراتون" وبدأ ينقل عليها بخطه نص الرسالة ، وكانت باللغة الفرنسية . وحملها مدير المكتب إلى الرئيس "السادات" الذى استشاط غضبا وقال إنه يريدها باللغة العربية وبخط "الدليمى" أيضا . واتصل مدير المكتب بـ "الدليمى" فى فندق "شيراتون" ووجده على وشك أن ينام ، وطلب إليه أن ينتظره لأنه عائد إليه برسالة من الرئيس . وفوجئ "الدليمى" بأن

المطلوب منه أن يعطى ترجمة عربية للرسالة . وقد فعل ذلك وبلغته ، وكتب بخطه مرة أخرى على أوراق فندق "شيراتون" ما يلى نصه الحرفى :(١١)

" - توجد بناحيتنا بعد توقيع الاتفاقية . . . . (يقصد اتفاقية فك الارتباط الثانية) - أخطار رغم الآمال التى نشأت عن الوضعية الجديدة .

- إن السلام هو هدفنا الحاسم ، ومن أجل تصفية العوامل التى من شأنها أن تعرض عجلة الحلول إلى الخطر - يتعين الحوار المكتوم المباشر الذى يضمن عوامل (نتائج) إيجابية . إذ فى اللقاءات (كلمة "اللقاءات" مشطوبة ، وقد وضع "الدليمى" مكانها كلمة "الاتصالات") بحضور طرف ثالث توجد طبعا عناصر ليست دائما متطابقة مع صالح الطرفين الأساسيين . ونعتقد أن هذه الاتصالات من شأنها تصفية الأخطار المقبلة . "إننا" نتعهد بالحفاظ كليا وقطعيا بالكتمان فى كل اتصال بين مصلحتينا . وهذه الاتصالات يمكنها أن تكون حوارا مباشرا "كأدات" (كتبها بالتاء المفتوحة ويقصد "كأداة") لتبادل الأفكار من أجل تقدم السلام .

- الميادين : كل المواضيع المهنية والسياسية والعسكرية ."

كان الرئيس "السادات" فى موقف بالغ الصعوبة . فهو لا يستطيع أن يقف بعملية السلام التى بدأها فى منتصف الطريق ، وهو خائف من اتصال مباشر ، ولقاء ، مع "رابين" خصوصا فى الجو المفعم بالشكوك الذى ساد فى مصر وفى العالم العربى كله عقب اتفاقية فك الارتباط الثانية وما تسرب من تفاصيل عن ملحقاتها السرية .

ولكنه فى نفس الوقت ليس قادرا على الانتظار .

---

(١١) صورة فوتوغرافية للرسالة بالفرنسية ثم باللغة العربية ، وكلتاهما بخط الجنرال "أحمد الدليمى" فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب - تحت رقم (٢٨) .

٤

عنتيبى

" اتركوهم يفعلون ما يشاءون "

("الرئيس "السادات" لمدير المخابرات بعد أن أطلعه مسبقا على معلومات تتعلق بخطف طائرة إسرائيلية إلى عنتيبى)

كان الرئيس "السادات" ما زال يفكر وعينه على واشنطن . وكان يريد أن يقدم للرئيس "فورد" عملا يساعده فى انتخابات الرئاسة ، ويشجعه على التقدم بأى حركة فى اتجاه أزمة الشرق الأوسط . وكان هاجسه الشديد أن تتجمد الأزمة وأن تفقد اندفاعها نحو الحل momentum ، وهكذا خطرت له فكرة إلغاء معاهدة الصداقة التى عقدها بنفسه بين مصر والاتحاد السوفيتى (فى شهر يونيو ١٩٧١) .

وبالفعل فإنه وقف أمام مجلس الشعب فى ١٤ مارس ١٩٧٦ يعلن إلغاء هذه المعاهدة . وبعد أربعة أيام دبت الحياة فى الخط الساخن بين البيت الأبيض وقصر عابدين ، وجرت على خطوطه أول وآخر رسالة بين الرئيسين . وكان نصها كما يلى :(١٢)

"من البيت الأبيض
إلى قصر عابدين

سرى - حكومى

رسالة إلى الرئيس السادات
التاريخ : ١٩ مارس ١٩٧٦

---

(١٢) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذه الرسالة - تحت رقم (٢٩) .

عزيـزى الرئيـس

إننى أريد أن أبعـث اليك بإعجابى على الخطـوة التى أعلنتها فـى خطـابك أمـام مـجلس الشعـب يوم ١٤ مارس فيما يتعلق بمعاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيـتى . إن حكومتى والشعـب الأمريكى ينظران إلى هذا العمـل كتأكيد شجاع لاحترام النفس والكرامـــة وإثبات سياسة عـدم الانحياز للأمـة المصريـة . إنك تسـتطيع أن تعتمـد على تأييدنا القوى . إن سياسة الاعتدال التـى تمارسـونها معنـا برغـم كـل الظـروف الصعبة خلال الأيام الأخيرة سـوف تعطـى فـى اعتقـادى ثمارهـا . وإنـى لأتطلـع إلى مضاعفة جهودنا المشتركة من أجـل سـلام عـادل فى الشـرق الأوسـط . وإنـى لأتذكـر بحرارة تلك المـرات التى التقينا فيها معـا .

المخلـص

جـيرالـد فـــورد "

وأكمـل مسـئول مكتـب الاتصالات فى البيت الأبيض رسالة الرئيس الأمريكى بعبارة مـن عنـده ذيّـل بها كـلام "فـورد" وقـال فيها :

"قـصـر عابديـن

هذا كل ما عنـدى اليـوم . شكـرا جزيـلا لكـم ، وأتمـنى لكـم ليلـة طيبـة ."

ولم يكن نص الرسالة كافيا للرئيس "السادات"، وخطـر لـه أن يتخذهـا مناسـبة لشـد "جيرالد فـورد" إلى حـوار معه . لكنـه متذكرا كل ما سمعـه فى واشـنطن أثنـاء زيارتـه لهـا قبل شهـور أراد أن تكون عملية الاستدراج غير مباشرة . وطلـب من "إسماعيل فهمـى" نائب رئيس الوزراء ووزيـر الخارجية إعـداد رد علـى هـذه الرسالـة . وبـدوره أحـال "إسمـاعيل فهمـى" الرسالة إلى المستشار "أسامة البـاز" طالبا منـه إعـداد مشروع لـلرد . وكتـب "أسـامة البـاز" بخـط يـده على ورق نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجيـة خطابـا لـلرئيس "السـادات" مرفقا بـه مشروع الـرد على "فـورد" .

كان الخطـاب بخـط يـد "أسامـة البـاز" كما يلـى :(١٣)

"نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية سـرى جـدا

إلى السيـد الرئيـس

(١٣) فى ملحق صور الوثائق توجد صورة من هذا الخطاب - تحت رقم (٣٠) .

تحيـة طيبـة واحتراما وبعـد ،

أبعـث رفـق هـذا مشـروع رسالـة ردا على الرسالة الأخيرة الواردة لسيادتكم من الرئيس "فـورد" بالطريق المباشـر .

وتلاحظون أنني تعمـدت عدم الإشارة إلى موضـوع المعاهـدة بأسلـوب مباشـر . غير أن مفهـوم الرسالـة واضح .

وإذا وافقتم على مشـروع الرســالة فيمكـن إرسالــها لـلرئيس فـورد بـالطريق المباشر أيضا .

مع عظـيم الاحـترام

إسماعيل فهمـــى

٢٠ مـارس ١٩٧٦"

أما مشروع الـرد كما أعـده وكتبـه "أسامـة البـاز" فكان كما يلـى :(١٤)

"عزيزى الرئيـس ،

لقـد تلقيـت بالشـكر رسـالتكم المؤرخـة ١٩ مـارس ١٩٧٦ ، وإنـى لأنتهـز هـذه الفرصة لأبادلكم مشاعر الصداقة . وإنى لأنتهز بصفـة خاصـة فرصــة الملاحظـة التـى أبديتموها عن موقـف حكومتكم وعن الشعـب الأمريكى فيما يتعلق بمجـرى سياســة "عـدم الانحيـاز" التى نتبعها ، وهى الأساس فى كل ما نتخـذ من قـرارات فى مصر بصرف النظـر عن المخــاطر التى يمكــن أن تنجـم طالمــا أن هــذه القـــرارات تتنسـق مــع الفلسفــة الأساسـية التـى نتبعهـا فـى بــذل كـل جهــد للحفـاظ على كرامتنــا واستقلالنا الكامـل .

وفى هذا الصـدد فقد اهتممـت بصورة خاصة بكلماتكم التى تعكـس تأييـدا قويـا لسياساتنا ، وأنا واثـق يا عزيزى الرئيـس أنكم توافقــون معــى علـى أننـا يجــب أن نبـذل أقصـى جهـــودنا المشـــتركة فـى دفـــع عمــلية السـلام والوصـول إلى ســلام عـادل ودائـم .

أما وقد قلـت ذلك ، وبإدراك كامل لتعقيدات المشـاكل التــى نواجهـا وللوقـت اللازم لبلوغ أهدافنا - فإننى واثـــق أن الموقــف الراهـن إذا تــرك دون تقـــدم جــدى

---

(١٤) فى ملحق صـور الوثائق توجد صـورة للصفحة الأولـى من مشروع الـرد - تحت رقـم (٣١) .

يمكن أن ينفجر مرة أخرى لأن المنطقة حبلى **pregnant** بكل العوامل المؤدية إلى انفجار آخر ما لم يتمكن كلانا وبحزم من معالجة الضرورات الأساسية لسلام عادل يتضمن الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من الأراضى العربية ، وإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

وفى هذا الصدد ، واستنادا إلى مقابلاتى معكم ، وبوعى عميق بإصرارنا على دفع مسيرة السلام - فإننى أرجو أن تشاركنى الأمل فى حقنا إلى التطلع إلى زيارة مقبلة منكم إلى المنطقة خلال الشهور القليلة القادمة . وأنا واثق أن هذه الزيارة تمثل ضرورة سياسية من حيث أنها تعطى فرصة أخرى للاتصال بين جميع الأطراف . إن هذه الزيارة المأمولة فى رأيى لها أهمية خاصة لأنها فيما آمل سوف تساعد على توضيح الرؤية ، وسوف تؤدى إلى بلورة نقاط هامة . لأنه بدون ذلك فسوف يصبح مستحيلا علينا أن نتقدم .

المخلص

أنور السادات "

كان الرئيس "السادات" يغرى "فورد" باستقبال شعبى كبير فى مصر يصوره فى الولايات المتحدة وكأنه الأمل المرتجى للسلام فى الشرق الأوسط ، ويظهر "كم أن الجماهير العربية معجبة به ومتحمسة لرئاسته" .

ولم يكن خبراء الرئيس "فورد" على استعداد لنصح رئيسهم بأن يكرر مشهدا معادا و"إطار صورة" ظهر فيه "نيكسون" من قبل أن يلقى به إلى خارج البيت الأبيض . ويبدو أن الرئيس "السادات" تضايق مما اعتبره إهمالا لحسن نياته وتضييعا للوقت ، ويظهر أن الإحباط وصل به إلى بعيد . وفى تلك الأيام قدمت له المخابرات العامة معلومات تفيد بأن إحدى الفصائل الفلسطينية ترتب لعملية خطف طائرة إسرائيلية . وكانت تلك هى العملية التى اشتهرت فيما بعد باسم "عملية عنتيبى" . وكان تقرير المخابرات يشير إلى أن بعض العناصر المكلفة بخطف الطائرة ، وهى تابعة لشركة "العال" ، سوف يسافرون قريبا من القاهرة إلى باريس لإجراء الترتيبات النهائية للعملية .

واتصل الرئيس "السادات" بمدير المخابرات العامة ، وهو فى ذلك الوقت اللواء "كمال حسن على" (وزير الدفاع ، والخارجية ، ورئيس الوزراء فيما بعد) واستدعاه للقائه ، واستمع إلى ما لديه من تفاصيل . وكانت المخابرات العامة تطلب توجيها من الرئيس بكيفية التصرف . ففى الإمكان اعتقال عناصرها المشاركة من القاهرة ، أو منعهم من السفر مما يحتمل أن يؤثر على تنفيذها - لكن ذلك من ناحية أخرى سوف يجعل مصر حاميا

لأمن إسرائيل وفى عملية بعيدة عن الأراضى المصرية . واستمع الرئيس "السادات" صامتا ثم أطال التفكير . ثم كان توجيهه : "لا شأن لكم بالموضوع واتركوهم يفعلون ما يريدون". وأحس مدير المخابرات بأن تعليمات الرئيس تحتاج إلى تفصيلات أكثر توضح الهدف أمام الجهاز المسئول عن الأمن القومى - وأبدى الرئيس "السادات" ملاحظة قال فيها : "العملية قد تكون "زغزغة" تجعل الإسرائيليين يعرفون أنهم لا يستطيعون أن يناموا على مراتب من ريش النعام بينما الموقف كما هو ، وربما تحرك فورد بدل جلوسه فى البيت الأبيض هكذا مثل الجثة الهامدة ".

ويوم أول يوليو ١٩٧٦ نجحت عملية خطف طائرة "إير فرانس" ، وتم تحويل خط سيرها إلى مطار بنغازى ثم إلى مطار عنتيبى فى أوغندا ، وكان على الطائرة ٢٥٧ راكبا، وكان الذين قاموا بالخطف خمسة من الفدائيين ، وكان طلبهم الإفراج عن ٥٣ معتقلا فلسطينيا فى السجون الإسرائيلية والفرنسية والسويسرية والألمانية . وليلة ٣ - ٤ يوليو قامت قوة من الكوماندوز الإسرائيليين بعملية إنقاذ جريئة تضمنت نزولا فى مطار عنتيبى، وهجوما مباشرا على موقع الطائرة ورهائنها المحتجزين فى استراحة المطار .

ومن المفارقات أن الرئيس "السادات" وافق على تسهيلات للطائرة الإسرائيلية التى تحمل فرقة الكوماندوز الإسرائيليين الذاهبة إلى عملية الإنقاذ . وكانت موافقته بوساطة أمريكية ، وقد أعطاها متصورا أنه بذلك يعطى ميزة لـ "جيرالد فورد" . ولم يتحرك "فورد" حتى انتهاء مدة رئاسته . ولم تفلح عمليات "الزغزغة" ، ولا التسهيلات الملاحية اللازمة لتنفيذ غارة الكوماندوز الإسرائيليين لإنقاذ رهائن عنتيبى - فى جعل الرئيس الأمريكى يهتم بأزمة الشرق الأوسط .

وأسوأ من ذلك فإن "جيرالد فورد" لم يفلح فى البقاء رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية . كان عليه أن يخلى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض ، وأن يجمع أوراقه ويخرج تاركا مقعده الرئاسى لـ "جيمى كارتر" .

وبالطبع فإن وزير خارجيته "هنرى كيسنجر" خرج معه - رغم جهد بذله أصدقاء كثيرون له فى إقناع "كارتر" بالاحتفاظ به وزيرا للخارجية ، وكانت حجتهم أن سمعة هنرى كيسنجر قد أصبحت فوق كل الانتماءات الحزبية - جمهورية كانت أو ديمقراطية.

ولم يقتنع "كارتر" .

واختار سايروس فانس وزيرا للخارجية .

وكان الرئيس "السادات" فى مزاج منحرف يكاد اليأس أن يسد عليه كل سبيل!

٥

الأهـــــــــرام

" اسمـع .. توفيـق الحكـيم يحلـم بالحصـول على جائـزة نوبـل ... "

(الرئيس "السادات" لـ"محمد حسنين هيـكل" أثناء أزمـة بيـان الأدبـاء)

سوف يثـور عند هذه اللحظـة من مسـار الحـوادث وسياقهـا ـ سـؤال كبـير :

☐ كيف أمكن لـهـذه التحولات ـ بدايـة مـن تلك النهـاية الغريبـة لحـرب أكتوبـر ، إلى فـك الارتباط الأول ، إلى فـك الارتباط الثانى بكل ما ترتـب على ذلك من عواقـب أدت إلى انقـلاب كامل فى استراتيجية مصـر ـ أن تحصـل بهـدوء ودون أن تثـير مقاومة أو ردة فعـل توقفها أو تقلـل من سرعـة جريانها ، وهـل كـان الشعـب المصـرى قطيعا يسـاق فينساق؟ وهـل كانت الأمـة كلها متفرجا عاجزا على محاولة لفك "محرماتها : مقدساتها"؟. ثم أليـس غريبا أن يحـدث هذا فى أعقاب تجربـة حـرب أكتوبر ، وهى تجربـة أثبتـت فيها مصـر ، وأثبتـت فيها الأمـة العربيـة كلها ، استعدادها لعطـاء العلـم والشجاعة والـدم حمايـة لـ "مقدساتها : محرماتها" ، ثم إن العالـم كلـه لـم يكـن قريبـا مـن فهـم إشكاليـة الصـراع العربـى ـ الإسرائيلى أكـثر مما كان فى تلك التجربـة ؟

والحقيقة أن الشعـب المصـرى لم يكن قطيعـا ، ولا كانت الأمـة شاهـدا عاجـزا ، ثم إن العالم لم يكن تحت تأثير نوع من الـدوار أحدثـه زلـزال أكتوبـر بما فيه صدمـة النفـط!

لقد كانت هناك عوامـل موضوعية متعددة المستويات جعلت الانقـلاب ممكنـا ، وأقـامت له جسـورا بـدت مأمونة حلـت محلها جسـور العبـور التى حفهـا الخطـر من كل ناحية .

* كانت هناك عوامـل مصريـة سياسيـة واقتصادية واجتماعية .

* وكانت هناك عوامـل عربيـة ـ ذات الطبيعة السياسية الاقتصادية الاجتماعية .

* وكانت هناك عوامل دولية تتعلق بموازين القوى وصراع العقائد .

* وكانت هناك عوامل فكرية هبت على العالم كله ، وكان العرب فى موقعهم وسط الدنيا مكشوفين أمامها دون تحصين ودون دفاع ، وأسوأ من ذلك — دون مساهمة فى فهم الجديد والتحاور معه !

كانت العوامل المتعددة المصادر تمتزج ببعضها وتشكل خطا متصلا يمكن تعقب مساره حتى فى المساحات التى حلت فيها الظلال والنقط محل الخطوط والزوايا القائمة :

١ ـ كان الشعب المصرى مرهقا بمسيرة طويلة ، عنيفة ومضنية ، مشى إليها مع "جمال عبد الناصر" : سلسلة لا تتوقف من المهام والطموحات ، ومن الصراعات والمواجهات، من قيام الثورة إلى بناء نظام اجتماعى جديد - إلى الإصرار على الاستقلال - إلى قيادة تيار عربى رئيسى فاعل من المحيط إلى الخليج - إلى بناء السد العالى - إلى تمصير كل المصالح الأجنبية - إلى بناء الصناعتين الثقيلة والاستهلاكية — إلى استزراع الصحراء - إلى التصدى للقوى الكبرى فى المنطقة — إلى استمرار المواجهة مع إسرائيل .

وكان "جمال عبد الناصر" يعرف أكثر من غيره طبيعة وتكاليف المسيرة التى يقود الشعب المصرى والأمة العربية ـ عليها . لكنه على نحو ما كان يتصور أنه ليس أمامه إلا أن يتحرك بأسرع ما يمكن ، وكان تعبيره عنها فى اجتماع عقده مع المهندس "صدقى سليمان" حينما كلفه بتشكيل الوزارة بعد نجاحه على رأس جهازه فى بناء السد العالى فى الموعد المقرر له تماما ـ فقد قال له فى جلسة التكليف التى عقدها معه يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٦ :

"إن الناس عرفوك فى تجربة السد العالى على أساس أنك رجل قادر على الإنجاز ، وهذا بالضبط ما أريده منك" .

ثم استطرد "جمال عبد الناصر" يقول :

"إننى أعرف أن الناس أيضا يلهثون بعد مشوار طويل ، لكننا لا يجب أن نتوقف ، وإنما يجب علينا أن نستمر حتى نخلق حقائق يصعب على أحد أن يتراجع عنها فى زمن قادم .

إن الأعمار بيد الله ، وأنا لا أعرف متى يحين الأجل ، ولا أعرف من سيأتى بعدنا . ولهذا فإن علينا أن نبنى بسرعة لكى نجعل الرجوع إلى الوراء صعبا إذا جاء من يحاوله !"

وبصرف النظر عن التصورات والرؤى فإن الحقيقة أن الشعب المصرى كان يلهث بالفعل بعد سباق له بداية ولا تبدو له نهاية .

٢ ـ وفى هذه اللحظة المتعبة وقعت ضربة سنة ١٩٦٧ ، وأحدثت الضربة شرخا فى البنيان الوطنى المصرى امتد أثره إلى التركيبة القومية بما هو معروف من ظروفها وأحوالها.

وفى لحظة واحدة بدا البطل القومى رجلا جريحا ، وخرجت جموع الشعب المصرى وجموع الأمة كلها يومى ٩ و ١٠ يونيو تؤيده رغم الهزيمة وتطلب منه البقاء لمواجهة آثارها بعد أن خطر له أن يخلى موقعه لغيره . وكان ذلك نوعا من الدواء لجرحه. وراح يعمل كما لم يعمل من قبل فى حياته ، وهو يدرك أن استعادة الثقة "بما هو ممكن إلى آخر حدود الممكن" تفرض عليه تضحيات عالية فى الاحتمال ، وفى القدرة على الصبر ، وفى ترويض المشاعر بما فيها الكبرياء .

ولم تخذله إرادته ، ولكن قلبه خذله ورحل عن الدنيا بعد أن صدق على مشروع خطة العبور الأولى ، وهى الخطة "جرانيت [١]" .

وكان الناس فى ذهول أمام مشهد الرحيل المفاجئ والحزين ، ولم يكن فى مقدورهم غير أن يجعلوا نعشه قاربا يسبح فى نهر من الدموع .

٣ ـ وفى أعقاب رحيل "جمال عبد الناصر" تلفت الناس ليجدوا فى موقعه صراعا على السلطة بين خلفائه ، وأقلقهم هذا الصراع كثيرا وملأهم خوفا من المستقبل. ثم خرج "أنور السادات" من الصراع منتصرا على الآخرين ، لكنه كان بالنسبة إلى الشعب المصرى ـ فى ذلك الوقت ـ احتمالا معلقا لا يستطيع أحد تقدير وزنه ، أو يطمئن إلى أنه يستطيع وراء قيادته أن يخوض أقسى تجربة تنتظره ، وعليها يتوقف المستقبل والمصير .

وفى سنواته الأولى فى الحكم فإن "أنور السادات" لم يكن فى مقدوره أن يصنع المعجزة. وقد بدا أمام الناس رجلا لا يملك غير كلمات عن الصبر والصمت مرة ، أو عن سنة الحسم مرة أخرى ، والسنة تفوت ونجد وراءها سنوات أخرى بلا حسم ، والصبر صعب والصمت مستحيل .

وكان الواقع أن "أنور السادات" ـ أذكى مما تصورته جماهير مصر والعالم العربى ، وكان قادرا على الحركة بأكثر مما بدا من عجزه . ثم إنه فى لحظة اليأس من الحل ـ ملك شجاعة إصدار القرار ، ثم عبور جسور السويس ، ولاحت انتصارات الأيام الأولى وعدا تحقق ومعجزة ظهرت بشارتها ، ومن ثم تصور الناس أنها نقطة الوصول وتنفسوا الصعداء . ولم يخطر ببال كثيرين أن النتائج العسكرية فى الحرب المحدودة هى فى الواقع نقطة البداية للحرب الحقيقية .. حرب التحقيق السياسى لأهداف القتال.

٤ ـ وكان معظم الناس فى واقع الأمـر قد أصابهم الإعياء من طول ما ساروا على الطريق، كما أن أنفاسهم اللاهثة كانت تدعوهم بقسوة إلى التوقف وإلى القعود إذا أمكـن . وكان هناك عنصر يضغط بشدة على أعصابهم وآن له أن يفك قبضته ، وهو يتمثل فى أن جيلا بأسره من أبنائهم ـ مليون شاب تحت السلاح ـ عاشوا ست سنوات من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣ داخل معسكرات الصحراء ، وفى خنادق القتال، وعلى ضفاف القناة مع الخطر طوال حرب الاستنزاف ـ ثم إلى المشهد المجيد للعبور . وكان الناس يريدون لأولادهم أن يعودوا إلى دراستهم أو إلى عمل تتوفر لهم فرصته ، وإلى حياة يستطيعون البدء فى بنائها تحت أجواء تسمح لهم بحياة أفضل فى ظروف سلام .

٥ ـ وكان حلم السلام مخدرا يسرى فى أعصاب كثيرين خصوصا مع ثورة أسعار البترول التى قلبت موازين القوة الاجتماعية فى العالم العربى ، وسمحت للبعض بألوان من الترف الاستهلاكى أطارت ما تبقى فى عقول الناس من القدرة على البصر والنظر إلى الغد قبل الاستسلام إلى غواية اليوم ، بل هذه الساعة ، وهذه الدقيقة .

وكان الناس فى مصر عامة يتصورون أن وطنهم أغنى الأوطان العربية ، ولكن الصورة التى تبدت أمامهم أثارت مخاوفهم من أنهم أصبحوا أفقرها ، وكان عليهم أن يسابقوا بعضهم ويسابقوا غيرهم إلى أبواب الثراء . وفجأة إذا الخلط شديد بين السعر والقيمة .

٦ ـ وكان "أنور السادات" يريد أن يؤسس شرعية مستقلة له عن شرعية "جمال عبد الناصر"، وقد اعتقد أن قرار أكتوبر يعطيه الحق فى شرعية جديدة ، وكان فى ذلك محقا إلى حد كبير ، لكن الشرعية لا تستطيع أن تستند إلى قرار أكتوبر، وإنما كان لا بد لها أن تستند إلى روح أكتوبر ، وأن تحقق بالقرار وبروحه هدف الحرب من أجل حل يضمن سلاما قابلا لأن يقوم ويدوم . وكان "أنور السادات" فى عجلة من أمره . وللإنصاف فقد كان هو الآخر مرهقا .

وفى حوار بينه وبين "محمد حسنين هيكل" دار فى نادى الرماية على أول طريق الفيوم فى شهر يناير ١٩٧٤ ، وقد اختاره الرئيس "السادات" بنفسه مكانا للقاء بين الاثنين يتصارحان فيه بما بدا بينهما من دواع للخلاف حول محادثات فك الارتباط ــ قال "السادات" والله شاهد : "إن الناس تعبوا ، وأنا أيضا تعبت وأريد أن أستريح" .

وكان الرد عليه : "إنك دائما تتحدث عن القرية .. أخلاقها وقيمها . وإذا قبلنا بهذه المرجعية للقرية فأنت الآن فى وضع رجل هيأ التربة ورمى البذور وانتظر المحصول ، وعليك الآن أن تجمع هذا المحصول وأن تحسن تخزينه حتى لا يسرقه اللصوص من الجرن .

ربما يتعب بعض الناس ، ومن يشعر بالتعب يستطيع أن يترك الساحة لغيره . ولكن الأمم لا تتعب . إنها تزرع كى تحصد . ولا تحصد وتترك محصولها لأبناء الليل يأخذونه فى الظلام ".

واعتبرها الرئيس السادات "فلسفة" خارج مكانها وزمانها !

٧ ـ وكان الرئيس "السادات" فى تلك اللحظة شديد الإيمان بـ "هنرى كيسنجر" ، وكان فى تكوينه باستمرار أن يعتمد على رجل قريب منه يتأثر به ويأخذ برأيه فيما يكون قد غاب عنه معرفة أو تجربة . وفى وقت من الأوقات كان "جمال عبد الناصر" يقوم بدور هذا الرجل . وبكثرة مشاغل "جمال عبد الناصر" فإن هذا الدور انتقل إلى "عبد الحكيم عامر" ، ومن خريف سنة ١٩٧٠ وحتى حرب أكتوبر (خريف ١٩٧٣) كان "محمد حسنين هيكل" من أقرب الناس إلى "أنور السادات" (١٥)، ثم بدأ السيد "كمال أدهم" مستشار الملك "فيصل" ورئيس المخابرات السعودية يزداد قربا من الرئيس "السادات"، ثم انتقل الدور لبعض الوقت مناصفة بين السيد "كمال أدهم" وبين السيد "إسماعيل فهمى" وزير الخارجية المصرى بعد حرب أكتوبر ، ثم انتقل هذا الدور المؤثر نهائيا وبطريقة حاسمة إلى "هنرى كيسنجر" الذى كان "أنور السادات" قد قبل منه وعدا مؤداه "أنه وقد تدخل فى حرب أكتوبر لمساعدة إسرائيل حتى يحول دون انتصار مصرى واضح (حتى وإن لم يكن كاملا) ـ فإنه سوف يضع كل جهده ونفوذه فى خدمة أنور السادات لكى يعوضه عن ضياع النصر العسكرى بتحقيق السلام الشامل" .

وكان "كيسنجر" منذ أن التقى الرئيس "السادات" أول مرة وحتى نهاية حياته هو المؤثر الأكبر .

وكان "أنور السادات" على استعداد لأن يصدق أى شىء يقوله "كيسنجر" . فالأمريكى الداهية يومها راسم خرائط عالم جديد ، ثم إن الولايات المتحدة هى القوة التى يعتمد عليها فى تحقيق الرخاء والثراء ، ثم إنها السلطة الدولية الوحيدة التى لا تملك إسرائيل عصيانا لأمرها ونهيها .

٨ ـ وفى الاستعداد لحلم الرخاء والثراء فى الداخل ـ ومع ابتعاد "هنرى كيسنجر" عن السلطة فى واشنطن ـ فإن فكر "أنور السادات" اتجه إلى رجال من أمثال "عثمان أحمد عثمان"، فهو رجل صنع لنفسه الثروة ، ويستطيع أن يساعد غيره على صنعها . وكانت تلك إشارة إلى توجه اجتماعى مختلف .

---

(١٥) ذلك تعبير الرئيس "السادات" بحروفه فى حديث عام وفى أحاديث صحفية .

وترافق ذلك مع عودة مئات من المصرين والأجانب غادروا مصر فى سنوات سابقة إلى العالم العربى أو إلى أوروبا ، وهناك راكموا ثروات طائلة من أعمال المقاولات أو الوكالات. وقد عادوا الآن إلى مصر وقد بدت لهم مثل كنز تفتحت أبوابه وسط الكهوف .

وترافق ذلك أيضا مع وجود آخرين على الساحة ، بعد أن ابتعدوا أو أبعدوا عنها لأسباب متعددة تتعلق بارتباطات وولاءات ومصالح وامتيازات طبقية تبدت استعادتها واستزادتها الآن ممكنة !

٩ - ومع رغبة "أنور السادات" فى تأسيس شرعية جديدة ، ومع الرغبة فى علاقات من نوع مختلف مع الولايات المتحدة بتأثير السحر الذى مارسه "كيسنجر" على صديقه - أو أخيه فى القاهرة على حد تعبير "السادات" نفسه - ومع نماذج فى تحقيق الرخاء والثراء من النوع الذى انفسح أمامه الطريق ، ومع عودة العائدين إلى قلب الساحة — فإن تأسيس شرعية جديدة كان يسهل تحويره ليكون بمثابة تقويض لدعائم الشرعية السابقة . وكانت المقولة جاهزة ، وهى هزيمة سنة ١٩٦٧ - كأن هذه الهزيمة كانت مجرد تقصير وتخلف ، ولم يكن فيها عنصر خارجى مهد وخطط لها وشارك فى التنفيذ . ثم كأن مشهد الصراع السياسى والاجتماعى الذى بدأته مصر سنة ١٩٥٢ ، انتهى كله سنة ١٩٦٧ - ولم يلحقه انتصار سنة ١٩٧٣ . ولقد كان نقد التجربة السابقة ضروريا — لكن الإدانة الشاملة على النحو الذى مورست به وقتها ـ كانت كفيلة أن تفقد الشعب المصرى ثقته بكل شىء ، ومن ثم تجعله قابلا لأى شىء .

والغريب أن "كيسنجر" كان أول من لمح المشكلة فى حوار فى مجلس الأمن القومى الأمريكى بعد عودته من زيارته الأولى لمصر ولقائه مع "أنور السادات" يوم ٧ نوفمبر . فقد سأله وزير الدفاع "ملفين ليرد" عما إذا كان "السادات" قادرا على إجراء التغييرات الواسعة التى وعده بها ؟ ورد "كيسنجر" بأنه "يظن أن السادات يستطيع .. على الأقل لديه فرصة" . وفى شرحه لما يريد قوله أضاف "إن "ناصر" أجرى تحولات عميقة فى المجتمع المصرى ، لكن مشكلته أنه أزاح القوى التقليدية فى هذا المجتمع وأفسح الطرق لقوى جديدة ، وهذه القوى الجديدة لم تصل بعد إلى حيث تستطيع أن تقف أمام خلفه أو تتصدى للتغييرات الواسعة التى وعده بها" .

١٠— وهكذا فإن مصر فى تلك الفترة كانت تعيش فى حالة تشبه حالة الدوار malaise - بين ماض يبدو لها مكلفا ، ومستقبل يلوح أمامها مغريا ، ثم جرى بالقصد استدعاء مشاعر كانت نائمة فى الذاكرة : مثل دعوى أن الوطنية المصرية متناقضة مع القومية العربية ، ومثل أن العرب شمتوا فيها أيام وقعت تحت مطرقة ضربة سنة ١٩٦٧ ، ومثل أنهم أصبحوا الفقراء ثم إن الفقراء أصبحوا هم الأغنياء .

□

كانت مصر فى أزمة نفسية ومعنوية وإنسانية سبقت حرب أكتوبر ولحقت بها ، ومن الطبيعى أن أدباء مصر ـ بقرون الاستشعار التى يملكها الأدب ـ كانوا أسبق من غيرهم إلى ملامسة حالة الدوار التى يعيش فيها المجتمع المصرى فى الاستعداد لحرب لا تظهر مقدماتها ، (وفيما بعد حرب التبست نتائجها) .

وفى بداية سنة ١٩٧٣ وقعت حادثة لم توضع بعد فى سياقها ، وهى تلك الحادثة التى اشتهرت باسم بيان الكتاب والأدباء .

كان "الأهرام" فى ذلك الوقت نوعا من الجبهة الوطنية الفكرية تمتد مع كل ألوان الطيف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، وكان ذلك مطلوبا لروح مؤسسة صحفية تعبّر عن عصر وعن حالة وعن حوار لا يصح أن ينقطع بين الأفكار والتيارات . وكان التفكير مطلوبا حتى فيما "لا يصح التفكير فيه" ، فتلك هى المغامرة الخيّرة لاستكشاف الآفاق والتطلع إلى الأمام على الدوام .

وكان مكتب الأديب الكبير الأستاذ "توفيق الحكيم" موقعا من أهم مواقع اللقاء والحوار بين مختلف التيارات . وفى لحظة من لحظات الإحباط التى مرت بمصر فى تلك الفترة وقعت اضطرابات بين شباب الجامعات ، وهم بطبيعة الحال دائرة من أكثر الدوائر حساسية واستعدادا للفوران .

ولم يكن فى مقدور "الأهرام" أن يغلق أبوابه أمام جموع من الشباب جاءت إلى مبناه تحاول أن تلتقى بمن فيه من أصحاب الرأى . وعلى نحو ما ، فإن فوران الشباب تفاعل مع مواريث الشيوخ ، فإذا البعض فى مكتب "توفيق الحكيم" يقترحون كتابة عريضة إلى الرئيس "السادات" ، وإحساسهم أن الرجل أسير ظروف مفروضة عليه لا يستطيع أن يخطو خارجها باطمئنان . وكتبوا إليه بالفعل ، ثم أرسلوا البيان الذى كتبوه إلى بيروت حيث نشرته جريدة "السفير" .

وجرى بيان الكتاب والأدباء كما يلى :

"نحن الكتاب والأدباء الموقعين على هذا البيان ، قد رأينا من واجبنا أن نعاون ونشارك من مواقعنا فى المجتمع ـ مؤسسات الدولة فى تقصى الحقائق فى حالة الاضطراب التى بدت بوادرها الآن فى بعض الأحداث الجارية . يدفعنا إلى ذلك شعورنا بالمسئولية التاريخية وثقتنا بشعبنا وتقديرنا لوطنية رئيس الدولة .

واعتقادا منا بأن فى استطاعته الإمساك بالزمام للسير بالبلاد فى طريق محفوف بالمخاطر تهب عليه الزوابع من كل جانب ، ويحتاج إلى الحكمة وسداد الرأى لتجنيب الوطن ويلات الشطط وتوجيهه إلى حيث يجد نفسه ويؤكد شخصيته ويسترد قوته .

ولما كان من خصائص الكتاب والأدباء بحكم رسالتهم فى الأمة أن يكتشفوا باطن ضميرها . فى حين أن مهمة الصحافة هى تحرى أخبارها ، ومهمة الهيئات الرسمية هى تقصى حقائقها من واقع أحداث معينة قد تكون مجرد بثور خارجية لمرض دفين . ودخان ظاهرى لنيران متأججة تحت رماد . لذلك كان علينا نحن الكتاب والأدباء ، أن نكمل الصورة ونقدم المعونة بإبراز ما استتر وتخفى مما يعتمل الآن ويضطرم فى باطن الأمة وضميرها.

وليس ذلك فقط لمجرد استكمال عمل تقوم به الهيئات الأخرى . ولكنه أيضا للخشية من أن يهمل أمر هذا الغليان الذى يفور فى نفوس الناس فيجد طريقه فى أى لحظة إلى الانفجار وتقع الكوارث . وذلك أنه مما لا شك فيه لدينا أن البلد يغلى فى الباطن على نحو لم يعد يخفى على أحد . وقد لا يعرف كل الناس تعليلا لما يشعرون به من قلق واضطراب وغليان داخلى . وقد يبدى البسطاء من الناس والأبرياء من الشباب تعليلات مختلفة يسوقونها بغير تفكير أو تمحيص ويرددونها فى أحاديثهم أو يصعدونها فى منشوراتهم . وهذه التعليلات أو المطالب أو الاحتجاجات قد تبدو فى أغلبها سطحية أو غير ناضجة أو مدروسة . ولكن يكفى الحقيقة التى لا شك فيها وراء كل هذا وهو شعورهم جميعا بأنهم قلقون بشىء ما أو أنهم ما عادوا يحتملون ما هم فيه من إحساس بالضياع .

والآن ما هو منشأ هذا الاحساس العام بالقلق والاضطراب والضياع فى نفوس الناس ؟

لعل السبب الأهم فى ذلك هو عدم وضوح الطريق أمامهم ، فالصيحة المرتفعة فى كل حين بكلمة المعركة وإن الطريق هو المعركة ، كان من الممكن أن يكون هو الجواب على أسئلتهم والطريق الواضح أمام أعينهم .

وهذا لا شك ما أرادت الدولة أن تقدمه كجواب أو مصباح الرؤية فى طريق المستقبل المعتم .

ولكن مع الأسف تمضى الأيام وتصبح كلمة المعركة مجرد كلمة غامضة لا حدود لها ولا أبعاد لمعناها ولا تحليل لعناصرها ، مجرد كلمة مطلقة تلوكها الأفواه . مجرد لقمة مستهلكة لكثرة مضغها . ويصبح الناس ويمسون وهذه الكلمة تتردد على جميع النغمات فى الأناشيد والأغانى والخطب والشعارات حتى فقدت قوتها وفاعليتها بل وصدقها ، وصارت اللقمة المضوغة فى الفم غصة . لا هم

يستطيعون ابتلاعها ، ولا هم يجرءون على لفظهـا. وأصبحوا فى حيرة من شـأنهم ، وأصبح طريق المستقبل أمامهم مرة أخرى مسـدودا وهـم فى ضيـاع .

ولما كان الشباب هو الجزء الحساس فى الأمة . وهو الذى يعنيـه المستقبل أكثر من غيره . فهو لا يرى أمامه إلا الغـد الكئيب .فهو يجهد فى دراسـته ليحصـل على شهادته النهائية فإذا هى شهادة القذف به فى رمـال الجبهـة لينسـى مـا تعلمـه ولا يجد عدوا يقاتله.وهذا أيضا هو الضياع . أما بقيـة المواطنـين فهـم يعيشـون بالنسبة إليه فى حيـاة صعبـة ، سيئـة الخدمات العامة .وكل نقص وإهمال أو توقف أو عبث يختفى خلف صوت المعركة وفى انتظـار المعركـة وتمحكـا بالمعركـة،وإذا بـالأمر فـى نظرهم ينقلب إلى مهزلة وإلى سخط وإلى قرف عـام .

هذا بعض ما اسـتقر فى الضمـائر هـذه الأيـام . ولا بـد مـن حـل سـريع لـهذا الوضـع . ولا يمكن أن يكون هناك حـل إلا فى الصـدق ، والصـدق وحـده ، لإن الصـدق هو الذى ينهى الحيرة ويقنع الناس ويهـدئ النفـوس .

ولأن الغليان فى باطن الإناء يهدأ إذا كشـف الغطاء فإن الشـعب يريـد أن يقتنـع بشـيء لأنه غير مقتنع . ولا بد لراحة باله واقتناعه من عرض حقـائق الموقـف أمامـه واضحة ، وهذا يقتضى النظر فى تغيير بعض الإجـراءات التـى تسير عليهـا الدولـة اليوم : ومنها حريـة الـرأى والفكـر وحرية المناقشة والعرض ،لإلقاء الضـوء على كل شئ حتى تتضح الرؤيـة . وليكـن ذلـك داخـل المؤسسـات ، إذا كـانت السريـة فـى ظروفنا الحاضرة تقتضـى ذلك . على ألا يكون للدولـة رأى مسبق تضغط بـه علـى أهـل الـرأى وتجعلهم مجرد أبـواق لترديده وترويجـه .

بل أن تكون الدولة آخر من يبدى الـرأى بعد أن تسـتمع وهـى جـادة صادقـة إلى رأى مصـر الحـر أولا . وأن تصوغ هى رأيها من رأى الشعـب وممثليـه ، لا أن تصـوغ الـرأى وتضع الشعار وتلقـى بـه إلى الناس وتفرضـه عليهم فرضـا .

آن للدولة فى هذه الظروف العصيبـة أن تتخفـف هى من كل العـبء والمسـئولية وتضعها على ظاهـر الأمـة . إن فى ذلك مصلحتها ، وصيانة لها أمام التاريـخ .

الاثنين ٨ يناير سنة ١٩٧٣ "

كان معـنى رسالة الأدباء أنهم يطلبون إلى الرئيس"السادات" أن "يصرف النظـر عن قصة المعركة ،وأن ينصرف إلى البحث عن حل سلمى هم على استعداد لمساعدته فىالتمهيـد لـه ". وكانت مشكلـة هـؤلاء الأدبـاء أنهم لا يعرفـون أن الرجل أضنى نفسـه فـى البحـث عـن حل سلمـى،وأنه يحاول أن يبحث لنفسـه عن طـريق آخـــر إلى الحـــل،حتـى ولـــو كـان عـن طريق الحـرب .

□

قــرأ الرئيـس "أنـور السـادات" بيـان الكتـاب والأدبـاء واشـتعل غضبــه علـى كاتبيــه وموقعيـه. كان الرجـل يعـرف أنه يحاول قـدر جهـده فـى معركـة التسويـة ،ويرتــب قـدر طاقته أيضا فى معركـة القتـال ، وقـد ضايقـه أن الذيـن لا يعرفـون اختـاروا هـذا التوقيـت الدقيـق لإحراجـه وتوريطـه فيما لم يجـيء وقتـه بعد فى حساباته وخططـه .

ويـوم ٢٧ فبراير انتهـز الرئيس "السادات" فرصـة لقـاء له مع مندوبى مؤسسات الإعـلام من الصحافة والإذاعة والتليفزيون ـ ورد على بيـان الكتاب والأدبـاء قـائلا بـالحرف "إنـه مـن الحماقة أن فئـة من الكتـاب تعــبر عـن المعركــة بحــبر مـن الحقـد والانتهازيــة مصوريــن المستقبـل بما يوحـى باليـأس والـتردى والهزيمـة" .

ثم شـن الرئيس "السادات" هجوما شديدا اختـص بـه الأسـتاذ "توفيـق الحكيـم" واصفـا قلمـه بأنه ملـيء بـ "السم الأسـود" ، وبأنـه "رجـل أصابـه الخـرف يهـذى بما لا يعرفــه" . وكان مثل ذلك يصعـب قبولـه أو السكوت عنـه فى حالة رجـل فى مكانـة "توفيق الحكــيم". وحاول "محمـد حسنين هيـكل" (وهو وقتها رئيس مجلس إدارة الأهـرام ورئيس تحريــره) أن يتوسط ليخفف ثـورة الرئيس "السادات" . وكان الرئيس "السادات" عنيفا فى غضبـه لا يلـوى على شـيء ، وقد قـال :

"اسمـع .. توفيق الحكـيم يحلـم بـالحصول علـى جـائزة نوبـل ، ويتصـور أن اليهـود وحدهم الذين يستطيعون مساعدته فى الحصول عليها . وأنا لا يهمنى إذا حصـل عليهـا أو لم يحصل عليها ، ولكنى لن أسمـح لأحـد باستغـلال الصعوبات التى يعيشهــا الشباب لإثـارة البلبلـة فى صفوفـه ."

ولم تكد تمضى أيام حتى اتصل الرئيس"السادات" بـ "محمد حسنين هيكل" يقـول له :

ـ "هـل تعـرف أن توفيـق الحكـيم يكتـب كتابـا يهاجـم فيـه جمـال عبد الناصـر ؟"

وقـام "هيـكل" بسؤال "توفيق الحكـيم" ، وأنكـر الرجـل ذلك . ونقـل "هيـكل" إنكــاره إلى الرئيس "السادات" الذى تأججت ثورتـه أكـثر وقــال : "لـدىّ فصـول مـن هـذا الكتـاب جاءت بها المباحث العامة وسـوف أبعـث بهـا إليـك لـترى بنفسـك وتحكـم ، ولا تعـود وتدافـع عنـه أمامـى" .

وبالفعل بعـث الرئيس "السادات" بثلاثــة فصـول كـان واضحـا أنهـا بأسـلوب "توفيـق الحكـيم" . وتوجـه "هيـكل" إلى مكتـب "توفيق الحكـيم" وطلـب إلى ثلاثـة من الحـاضرين أن

يتركوه مع صديقه بعض الوقت ، ثم صارحه بما حدث . وقال "توفيق الحكيم" ما مؤداه "إنه كاتب هذه الفصول فعلا ، وقد كتبها من قبيل التجريب والمحاولة ، ولكنها ليست كتابا ولا جزءا من كتاب" .

وفيما بعد ظهرت هذه الفصول وغيرها بالفعل فى كتاب لـ "توفيق الحكيم" بعنوان "عودة الوعى" .

وتلك قصة طويلة أخرى لها تفاصيل وذيول ليس هذا موقعها ولا مكانها .

والمهم أن حالة الدوار - حتى بعد حرب أكتوبر - وبسبب الظروف التى أحاطت بنهاياتها والاتفاقيات التى نجمت - كانت لا تزال تعترى مصر من قمة الثروة إلى قاع الفقر ، ومن آفاق الفكر إلى مهاوى الضياع !

وهذه أيضا قصة طويلة أخرى ...

□

وبشكل من الأشكال فإن خيارالاتفاق مع إسرائيل جرى تصويره فىذلك الوقت وكأنه خيار معقول تستدعيه الظروف، وكان المنطق الذى رتب الحجج لهذا الخيار على النحو التالى:

- لقد جربنا العمل العربى المشترك - ولم يأت بنتيجة - أليس كذلك ؟
- ثم إننا جربنا السلاح السوفيتى فى الحرب مع إسرائيل وتفوقت بسلاح أمريكى - أليس كذلك ؟
- وكذلك فنحن جربنا مواجهة الولايات المتحدة وقد استطاعت أن تفرض نفسها علينا - أليس كذلك ؟
- وليس هناك سبيل إلى الولايات المتحدة إلا إذا تركناها تهندس شكل علاقات لا تجعلها حائرة بيننا وبين إسرائيل - أليس كذلك ؟
- ولقد تعبنا جميعا فى كل تلك الخيارات ، وصرفنا مالا وبذلنا دما ، وهذه هى المحصلة - أليس كذلك ؟
- ولم يبق غير خيار واحد هو التعامل مع إسرائيل كأمر واقع يصعب إنكاره ، ثم هو خيار لم نجربه على الإطلاق ، وقد تكون هناك فائدة منه - ما الذى يمنع ؟!

وكانت الحجج تمضى أبعد من ذلك إلى قضية فلسطين ، فإذا أصحاب الحجج ينسون تاريخ المنطقة وحقائقها ومستقبلها - ويركزون فقط على أنه "ما شأننا نحن بشعب فلسطين ؟ .. "هم الذين باعوا أراضيهم لليهود" .. وإذا كان ذلك فما شأننا نسترجعها لهم "فيما هم مشغولون بتجارة الكنافة والبقلاوة إلى آخره" !

ومضت بعض الذرائع إلى أبعد : "لقد عرفنا اليهود لعهود طويلة وتعاملنا معهم ، وكانوا بيننا تجارا فى الموسكى والسكة الجديدة ، وكانوا بالقرب منا مسالمين فى حارة اليهود ."

ونسى القائلون بذلك أن المسألة ليست اليهود . فاليهود الذين عرفناهم كانوا من مجتمع البحر الأبيض وثقافته ، وأما اليهود الذين يواجهوننا فى فلسطين فهم غرباء جاءوا من قرب البحر الأسود وما حوله .

اليهود الذين عرفناهم وتعاملنا معهم كانوا من الشرق الأوسط . واليهود الذين قاتلناهم كانوا من شرق أوروبا !

وحين وقف الرئيس "السادات" أمام مجلس الشعب يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ يعرض محاولات التوصل إلى فك ارتباط مع إسرائيل كان قوله :

"لقد جربنا كل الخيارات ، وآن أن نجرب خيار السلام" .

ولم تكن تصرفات الوفود الإسرائيلية فى واشنطن أو جنيف أو الكيلو ١٠١ أو أسوان تعكس نفس الآراء والتصورات والظنون ، وإنما كانت التصرفات كلها هناك توحى - على حد تعبير "كلاوزفيتز" الشهير عن الدبلوماسية - بأنها : "الحرب بطريقة أخرى".

□

ثم توافقت مع ذلك كله عملية أكثر خطورة ، وهى عملية تطويع العقل العربى لقبول فكرة السلام مع إسرائيل ، وعلى أساس الأمر الواقع .

كان "كيسنجر" يومها يتحدث - هو الآخر ! - عن نظام عالمى جديد ،وكانت مفردات توصيف هذا النظام العالمى الجديد تظهر فى كتاباته وأحاديثه وخطواته السياسية الجسورة .

وأحس كثيرون من المفكرين المصريين والعرب أن هناك شيئا جديدا فى العالم ، وكان بينهم من تنبه إلى ذلك فعلا من منتصف الستينات ، لكن التطورات التى دهمت الجميع

قبل وبعد حرب أكتوبر أيقظت النيام على هزة ، وهرعوا على غير استعداد يستطلعون الأحوال . وفى ذلك الوقت المبكر لم يحدث تشخيص دقيق لهذا الجديد الذى يتغير فى العالم . وهكذا فإن كثيرين من المفكرين المصريين والعرب لم يكن فى وسعهم غير أن يصفوا ما يرونه دون إضافة . وفى حالة المفكر فإن ذلك معناه الترجمة دون المشاركة فى الحوار أو فى الخلق !

وكانت هناك قوى كثيرة جاهزة لتدبير برامج وبنود رحلة الفكر المصرى والعربى إلى عالم جديد لا يعرفونه .

وفى سنة ١٩٧٤ دعى مفكرون ومثقفون عرب إلى ما يزيد عن ستمائة ندوة ولقاء فكرى فى أمريكا وفى أوروبا . وكانت الندوات عن النظام العالمى الجديد ، أو عن العلاقات بين الشرق والغرب ، أو عن أزمة الصراع العربى ـ الإسرائيلى ، أو عن التعاون فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، أو عن ؟ أو عن ؟ مئات الموضوعات الأخرى.

وظهرت فجأة عشرات المؤسسات والمنظمات التى تولت أمر الرحلة الفكرية ، أو السياحة الفكرية لقادة الرأى العام العربى ، أو من يفترض أنهم كذلك ، وكان نشاطها أشبه ما يكون بنشاط شركات السياحة التقليدية وإن اختلف المجال .

وبدلا من أن يزور السياح قصر "فرساى" ، وبرج لندن ، وكنيسة "سان بيترو"، واستوديوهات "هوليوود" ـ اتجهت قوافلهم إلى جامعات ومراكز بحث وشركات تنظم مؤتمرات وجدت مولين لأنشطة ليست بعيدة عن اهتماماتها .

وكانت تذاكر السفر جاهزة ، والغرف فى الفنادق محجوزة ، وأوراق العمل تغطى شيئا أشبه ما يكون بالألغام المعبأة بغازات أعصاب . وفى البداية كان هناك مشاركون من اليهود ، ثم مشاركون إسرائيليون من أحزاب السلام ، ثم مشاركون إسرائيليون عن الأحزاب الحاكمة .

وراحت الثلوج تذوب . بل أصبح حجم الدعوات إلى الندوات الدولية الواصلة إلى أى مفكر أو مثقف عربى معيارا لقياس أهميته و"حداثته" !

إن كثيرين من المفكرين المصريين والعرب ذهبوا بحسن نية ، وبرغبة أصيلة وصادقة فى الاستكشاف والتعرف على شكل أزمنة جديدة ، وكان لهم الحق أن يدخلوا مع هذه الأزمنة فى حوار ، وإنما كانت المشكلة أنهم لم يعدّوا أنفسهم بالقدر الكافى وربما لم تتح لهم الفرصة ـ كما أن غيرهم هو الذى طرح الموضوعات وفصلها بتحديد محاور البحث، ثم إن البعض كان يريد أن يلتقط بسرعة ما يستطيع التقاطه لكى يهرع بسرعة عائدا إلى حيث يستطيع أن يعرض ما لديه وأن يؤثر به وأن يتحرك معه إذا استطاع إلى أعلى .

كان تطويع الفكر العربى معركة من أهم المعارك فى التمهيد للتسوية ، ولم يكن مهما أن يجيء السلام ،وإنما كان الأهم أن تتهاوى بعض القيود التى كانت تفرضها "المقدسات : المحرمات" .

[ولعل هذه قضية من أهم القضايا التى تستحق التقصى والتحليل ، خصوصا وأن هناك صعوبة فى الحصول على أرقام دقيقة يمكن أن يقاس بها حجم الجهد الذى بذل فى تطويع العقل العربى . إلا أن قراءة تقارير أربع جامعات أمريكية كبرى إلى مجالس أمنائها فى سنة ١٩٨٤ تشير إلى أن هذه الجامعات عقدت أو شاركت فى ترتيب عقد ١٤٣ مؤتمرا وندوة يتصل نشاطها بالشرق الأوسط ، أو بالإسلام ، أو بصنع القرار السياسى فى بعض بلدان العالم العربى . وكان متوسط تكلفة الندوة يصل إلى مليون دولار ، ما بين تذاكر السفر، وفواتير الفنادق ،ومكافآت المشاركين ، وعمليات الطبع ... إلى آخره .

وإذا كانت أربع جامعات قد صرفت فى عام واحد ما يصل إلى ١٤٠ مليون دولار ، فإن حجم عملية تطويق العقل العربى - أو لالتزام الدقة حملة إعادة تركيب العقل العربى - لا بد أن تكون تكاليفها فى حجم تكاليف حرب مسلحة كبرى . وإلى حد ما فإن ذلك صحيح .]

والحاصل أن المفكرين والمثقفين العرب كانوا أكثر من غيرهم فى معاناة حالة الدوار ، ذلك أن الصياغات الجديدة لم تفاجئهم بأسسها وأطرها فحسب ، وإنما فاجأتهم أيضا تأثيرات الثورة التكنولوجية فى مجال الاتصالات ، وقد أغرقتهم بسيل فاق كل توقعاتهم. كما فاجأهم ما كانوا يرونه من سرعة التحولات فى العالم العربى دون مشاركة منهم فى تأصيل أو تحليل أو تفسير ما يجرى أمامهم . وبشكل ما فإن تغييرات أساسية كانت تجرى على تركيبة المشتغلين بقضايا التأصيل والتحليل والتفسير . قبل الثورة كان هناك نسق ثقافى وفكرى تابع ، وبعد الثورة ، وبالتحديد بعد السويس ، بدأ ظهور نسق آخر . وباندفاع مد حركة القومية العربية بأبعادها الاجتماعية فى التعليم والتصنيع ، وبحركة الصعود الاجتماعى النشيط لعناصر جديدة ، طرأت على الفكر العربى ثقة زائدة تحولت إلى نوع من الكسل الفكرى ما لبث أن استيقظ على صدمة ١٩٦٧ . وعندما ضبط كثيرون منهم على غير استعداد (سقطت من حولهم جدران الحمام - كما يقال فى التعبير الشائع) لم يكن لديهم من تبرير غير إلقاء اللوم على الهزيمة . فهم صدقوا ما قيل لهم ، ثم اكتشفوا متأخرين أنهم كانوا ضحايا وهم . وتلك كلها عمليات تنصل من المسئولية ونوع من الهروب حتى وإن بدا هروبا إلى الأمام .

وبقدر ما كانت متغيرات الحوادث تسبق جهود الفكر - كانت الأزمة تتبدى أكثر وأكثر كل يوم .

وأخيرا زاد على الصورة أن بعض المقربين الجدد من الرئيس "السادات" خطر لهم أن لديهم ما يمكن استغلاله فى تسهيل مرور تحولات واسعة فى نفوس الناس وفى مجموعة ما استقر فى وعيهم من قيم (بالذات فى المجال الاجتماعى) .

وكانت البداية عملية تشجيع للتيارات الدينية بين الشباب ، قصد لها أن تتركز فى الجامعات بين الشباب لكى تقدم أفكارا قادرة على طرد أفكار أخرى ، وبذلك يمكن أن يخف ضغط الشباب على العمل السياسى وقراراته . وكانت النتيجة على أرض الواقع أن اتجاهات فكرية دخلت فى صدام مع اتجاهات أخرى . ثم خرج الأمر عن نطاق صدام الأفكار ، وإذا هو يصل إلى شباك بالأيدى وبجنازير الحديد وبالسلاح الأبيض داخل حرم الجامعة .

وبالتوازى مع ذلك بدأت المؤسسة الدينية الرسمية تستخدم ضد المثل العليا للإسلام، وبينها مثل المساواة ، ومثل العدل الاجتماعى . وكان الانقضاض على الماضى دون حدود . ولم يكن متصورا أن تقوم عوازل بين بعض الماضى وبعضه ، ولم يكن فى مقدور المؤسسة الدينية الرسمية أن تختار على مزاجها وتستبقى على هواها . وبدلا من أن تجرى مراجعة الماضى بمعيار أنه "حيث تكون مصلحة الناس فهناك شرع الله" ـ على حد التعبير المأثور عن الإمام الشاطبى ـ فإن مراجعة الماضى جرت بالنصوص الخارجة عن سياقها فى الدعوة وفى التاريخ ، حتى وصل الأمر بقمة المؤسسة الدينية أن تفتى بأن السلام مع إسرائيل حلال بغير تحرز ، وبغير شروط ، وبغير إضافة فى النهاية بأن الله أعلم !

وهكذا حدثت التحولات الكبرى من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ ، بل وهكذا جرى الانقلاب!

الفصل الثالث

يناير ١٩٧٧ وما بعده !

عندما يتسع العنف فى أى مجتمع
وتتسع دائرته لتضم ألوف وعشرات ألوف الناس ،
فمعنى ذلك أن ظاهرة العنف سياسية .
ومعنى أن تكون الظاهرة سياسية
أن علاجها يستحيل أن يقتصر على أداة الأمن وحدها ،
وإنما يتحتم أن يكون العلاج سياسيا أى اجتماعيا
وغير ذلك لعب بالنار
لأنه يتصاعد بالعنف إلى درجة التمرد
وبالتمرد إلى درجة الثورة !

١

كارتـــــــر

" تصرف بريجنيف مثل الثور الهائج عندما يرى الوشاح الأحمر "

(تقريـــر من وزيـــر الخارجيـــة المصـــرى إلى رئيس الجمهوريـة)

فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم ١٨ يناير ١٩٧٧ ، كان الرئيس "السادات" جالسا فى حديقة استراحة الخزان فى أسوان يدلى بحديث إلى الصحفية اللبنانية السيدة "هدى الحسينى" . ولاحظ أن الصحفية التى يتحدث إليها شردت عما يقوله وراحت تتطلع من ورائه إلى شىء ما فى خلفية المشهد ، واستغرب ذلك التصرف . وأحست بأنها مطالبة أن توضح له تصرفها ، فقالت إنها ترى دخانا يتصاعد من المدينة التى تبدو بعيدة هناك عند مدى النظر . والتفت الرئيس "السادات" وشاهد أعمدة دخان ولم تلفت نظره كثيرا، ولكنه لم يلبث غير قليل حتى جاءه أحد ضباط الحراسة على عجل حاملا ورقة قرأها الرئيس "السادات" مقطب الجبين . ثم أنهى لقاءه مع الصحفية اللبنانية قبل أن يكتمل وقام مسرعا. وكانت الحوادث أسرع منه !

كانت أعمدة الدخان التى شاهدها الرئيس "السادات" لمحة من مشهد الغضب العام الذى اجتاح مصر بعد قرارات رفع الأسعار (١٧ يناير ١٩٧٧) ، وما ترتب عليها من الأحداث التى اشتهرت بوصف "مظاهرات ١٨ و١٩ يناير" مرات ، واشتهرت بوصف "مظاهرات الطعام" مرة أخرى ، وبوصف ثالث أطلقه الرئيس "السادات" عليها وهو وصف "انتفاضة الحرامية" .

إن أحداث ١٨ و١٩ يناير كانت ظاهرة أكبر كثيرا من كل الأوصاف التى أطلقت عليها. وفى حقيقة الأمر ، فإنها كانت أعلى صوت بالاحتجاج صدر عن الطبقة المتوسطة المصرية وما تحتها وما فوقها أيضا احتجاجا على النتائج الاجتماعية التى أسفرت عنها حرب أكتوبر.

فالطبقات الوطنية التى أعطت خيرة أبنائها للدفاع عن وطنها تحملت ما وضعه عليها الواجب من أعباء ، صابرة وآملة فى يوم تستطيع فيه أن تستعيد حقوقها بعد ظروف الحرب القاسية . لكن الذى حدث فعلا هو أن مكاسب الحرب بدأت بسياسات الانفتاح ، التى اختارها الرئيس "أنور السادات" ، وكأنها غنيمة لطبقة طفيلية ظهرت فجأة على سطح الحياة المصرية ، وراحت تخطف ثروات طائلة دون جهد أو عمل ، ومن غير مصدر ظاهر أو مشروع . بل إن تعبير "العبور" الذى كان وصفا لملحمة تاريخية ، تنازلت به الظروف الجديدة فأصبح "العبور" هو "العبور إلى الثروة"، والجسور إليه كلها مريبة معتمة لا يكشف ما يجرى عليها نور أو نار .

□

إن الرئيس "السادات" فوجىء بهذا الاحتجاج الغاضب الذى شاركت فيه كل طبقات الأمة ، وفى مقدمتها الطبقة المتوسطة التى وجدت حياتها تستحيل يوما بعد يوم ، وفارت مشاعرها فجأة كرد فعل لقرارات نصف عاقلة باتجاهاتها ونصف ناضجة بتوقيتها . وإذا ملايين الناس يخرجون إلى الشوارع رافعين صوتهم بالاحتجاج .

لم يكن الرئيس "السادات" يتوقع هذه الغضبة ، وبهذه الدرجة من الحزم . فقد كان يتصور أن قرار أكتوبر يعطيه فترة سماح طويلة . وإذا هو يفاجأ بأن معين الصبر قد نفد . وراح يحاول أن يبحث عن السبب فيما جرى ، خصوصا وأنه اعتبره مهينا لكرامته فى ظرف انفرد فيه بسياسة عربية ساقته إلى بعيد ، راهن فيه على الولايات المتحدة ووضع بيدها ٩٩٪ من أوراق حل أزمة الشرق الأوسط ، وهذا الرهان معرض للضياع الآن بسبب سقوط "فورد" ، وسقوط "كيسنجر" وراءه . والنتيجة أنه أمام رئيس أمريكى جديد ("جيمى كارتر") وهو لا يعرف شيئا عما ينتظره معه فى مستقبل الأيام والعلاقات . ثم إنه (الرئيس "السادات") يحس أن مصداقيته فى الداخل ، وفى المحيط القريب ، وفى العالم تتأرجح وتهتز . وضايقه كثيرا أن يستقل الطائرة من أسوان إلى القاهرة فيقال له إن شاه إيران "محمد رضا بهلوى" اتصل به تليفونيا يعرض عليه اللجوء إلى طهران إذا أراد ، أو كحد أدنى أن يبعث بأسرته إلى طهران حتى تهدأ العاصفة وتتضح الظروف .

وكانت النقطة الحساسة التى تؤرقه أنه اضطر إلى استعمال القوات المسلحة فى السيطرة على الموقف . وكان عليه هو أن يصدر الأمر . فعندما بدأت التظاهرات واكتشف رئيس الوزراء "ممدوح سالم" أن البوليس لا يستطيع السيطرة على الموقف ، اتصل بوزير الدفاع

"محمد عبد الغنى الجمسى" وطلب إليه اشتراك الجيش فى السيطرة على الموقف ، لأن الحالة "أصعب من أن يواجهها البوليس بمفرده" . واعتذر "الجمسى" لسببين أبداهما لـ "ممدوح سالم" :

الأول ـ أن القرار بنزول الجيش إذا صدر يجب أن يصدر من القائد الأعلى وليس من وزير الدفاع ولا من مجلس الوزراء كله مجتمعا .

والثانى ـ أن نزول الجيش لمواجهة مشكلة داخلية وفى مواجهة جماهير الشعب هو محظور سبق له وللمشير "أحمد إسماعيل" أن اتفقا مع الرئيس "السادات" على تجنبه مهما كانت الظروف . فالجيش بحرب أكتوبر وضع صورته أمام جماهير الشعب حيث ينبغى لها أن تكون . ودخوله بمقولة المحافظة على الأمن الداخلى يعرض القوات لاحتمال صدام مع الجماهير وهذا يسىء إلى الجيش .

واتصل رئيس الوزراء "ممدوح سالم" برئيس الجمهورية يطلب إليه إصدار الأمر إلى "الجمسى" بإنزال الجيش إلى الشوارع وإلا تكررت مأساة حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ . وفوجىء الرئيس "السادات" عندما اتصل بـ "الجمسى" بأن وزير الدفاع على استعداد بالطبع لإطاعة الأمر ، ولكنه يرجو أن يصدر الرئيس قرارا بإلغاء الزيادات التى طرأت على الأسعار، لأنه لا يستطيع أن يضمن موقف القوات إزاء الشعب إذا جرى نزولها إلى الشوارع لحفظ الأمن فى ظل تلك القرارات . ولم يكن لدى الرئيس "السادات" وقت ليفكر . وقد وافق على عجل لأن الموقف كان يتطور بسرعة . لكن موافقته أحدثت جرحا عميقا فى كبريائه جعله لا يبحث عن السبب فيما حدث وإنما يبحث عن المدبر له . وهكذا ، فإنه بدلا من أن يتجه إلى تفسير اجتماعى سياسى للحوادث اختار أن يلجأ إلى تفسير بوليسى لها .

□

وكان أول ما خطر فى باله أنها مؤامرة سوفيتية رتبتها موسكو بواسطة أعوانها انتقاما منه على استبعاد الاتحاد السوفيتى من عملية الحل ، وعلى شواهد بادية أمام الزعماء السوفيت فى أنه ـ أى الرئيس "السادات" ـ عقد اتفاقا ضدهم مع "كيسنجر" كانت علامته الظاهرة قراره يوم ١٤ مارس ١٩٧٦ بإلغاء معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتى .

والشاهد أن الرئيس "السادات" كان يعرف عن موقف الاتحاد السوفيتى ما يكفى لرد شكوكه فيه . فالاتحاد السوفيتى كان فى الحقيقة يحاول كل ما فى وسعه أن يتجنب صداما

معه . وحتى عندما أحس الاتحاد السوفيتى بكثير من خيبة الأمل فيما ناله بعد حرب أكتوبر، وفى الطريقة التى تعامل بها الرئيس "السادات" معه خلال مؤتمر جنيف وغيره من كل جهود تسوية الأزمة ـ فإن الزعماء السوفيت كانوا على استعداد باستمرار لفتح صفحة جديدة . وعلى سبيل المثال ، فحينما ذهب وزير الخارجية "إسماعيل فهمى" إلى موسكو فى شهر يناير ١٩٧٤، بعد فراغه من أعمال مؤتمر جنيف ، كان الزعماء السوفيت على استعداد لحل وسط يحفظ لهم ولو جزءا من مركزهم فى الشرق الأوسط وقد أحسوا أنه مهدد كله بالضياع إذا وقعت القطيعة بينهم وبين مصر . فى ذلك الاجتماع ـ شهر يناير ١٩٧٤ وبعد مؤتمر جنيف ـ بدأ "بريجنيف" لقاءه مع "إسماعيل فهمى" بأن شن هجوما شديدا على السياسة المصرية . وحسب وصف "إسماعيل فهمى" فى تقريره إلى الرئيس "السادات" فإن "برجنيف" تصرف مثل ثور هائج رأى الوشاح الأحمر أمامه . ولاحظ "إسماعيل فهمى" أن "بريجنيف" ـ الذى كان يعرف أنه أقلع عن التدخين ـ بدأ فطلب علبة سجائر دخنها كلها بعصبية طوال الحديث ، ثم طلب علبة ثانية ما لبثت أن احترقت هى الأخرى ، ثم قطع كلامه فى إحدى اللحظات ليرفع سماعة التليفون يطلب أن يبعثوا إليه بعلبة ثالثة .

وحاول "إسماعيل فهمى" أن يهدئ غضب "بريجنيف" ومن كانوا يشاركون معه من الزعماء السوفيت فى جلسة العمل المشتركة التى عقدها الوفد المصرى فى موسكو . وقد اختار "إسماعيل فهمى" أن يأخذ جانب الهجوم ، فقال لـ "بريجنيف" إن بداية المشاكل كانت موافقة الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٦٧ على وقف لإطلاق النار لا يتضمن طلبا إلى القوات المعتدية بالعودة إلى مواقعها . ذلك أن الموافقة على هذا القرار أدت إلى وضع الأراضى المحتلة رهينة فى يد إسرائيل تطمئنها إلى أن الوقت معها . وهكذا فإن عملية البحث عن حل تجمدت لست سنوات كاملة .

وجرى حديث عن السلاح السوفيتى ، وكيف أن الولايات المتحدة زودت إسرائيل بأسلحة متطورة أعطتها الفرصة للتفوق باستمرار . وتدخل رئيس الدولة السوفيتية "نيكولاى بادجورنى" فضرب المائدة بيده قائلا "أية أسلحة متطورة هذه التى أعطتها الولايات المتحدة لإسرائيل ؟ كان عندكم دائما ما يواجهها وقد أثبت رجالكم ذلك فى حرب أكتوبر". وأراد "إسماعيل فهمى" أن يلطف الموقف فقال "على أى حال ، إن الطريقة التى استعملنا بها السلاح السوفيتى فى حرب أكتوبر أعطته شهادة تخرج graduation certificate" . وهاج "بادجورنى" أكثر قائلا "إن سلاحنا لم يكن ينتظر شهادة تخرج" .

ثم أحس القادة السوفيت أن الأمور واصلة إلى مشادة . وبشكل ما فإن حدة المناقشة خفت . وكان تقدير "إسماعيل فهمى" أن الذى أدى إلى ذلك هو إشارة أبداها بـ "أن المهم أن نلتفت إلى المستقبل وليس الماضى ، وإن المهمة الكبيرة التى تنتظر الاتحاد السوفيتى الآن هى

المساعدة فى جهود التعمير ، وإن عقودا كثيرة تنتظر الاتحاد السوفيتى ، والتمويل العربى لهذه العقود جاهز وحاضر" .

وإذا صح تقدير "إسماعيل فهمى" ، وهو فى جزء منه صحيح ، فإن الاتحاد السوفيتى لم يحصل على شىء من عقود التعمير ، وأضيف بذلك إلى أسبابه للخلاف مع مصر سبب آخر .

□

ويبدو بالفعل أن إغراء الحصول على نصيب من عقود التعمير كان مطلوبا وبإلحاح من الاتحاد السوفيتى . ولم يكن "إسماعيل فهمى" وحده هو الذى أحس به ، وإنما أحس به أيضا السيد "ياسر عرفات" رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الذى قام بزيارة إلى موسكو فى أعقاب زيارة "إسماعيل فهمى" لها بعدة أسابيع ، وأحس ـ "عرفات" ـ أن القادة السوفيت عاتبون بشدة لأن أموال الشرق الأوسط تذهب إلى الآخرين ولا يصل منها شىء إلى يد السوفيت . وعاد "ياسر عرفات" من موسكو وفى ذهنه أن يرتب شيئا يحصل بمقتضاه الاتحاد السوفيتى على جزء من الغنائم . وبعد مشاورات بينه وبين الرئيس "الأسد" والرئيس "معمر القذافى" ـ وافق الرئيس الليبى على أن يشترى صفقة سلاح كبيرة من الاتحاد السوفيتى تكمن أهميتها فى أنها "بيع بالنقد" أكثر مما هى قوة عسكرية يستطيع الجيش الليبى استيعابها أو استعمالها .

وكان أن عرف الرئيس "السادات" بقصة الصفقة وبالدافع الحقيقى وراءها ، بل إن الظروف أعطته الوسيلة لمعرفة ما هو أكثر . فقد أبلغه "دافيد روكفللر" ـ وهو رئيس مجلس إدارة بنك "تشيز مانهاتن" ـ بأن الليبيين حوّلوا بليونى دولار ثمن الصفقة إلى بنك "نورودنى" السوفيتى . لكنه فى نفس اليوم قام بنك "نورودنى" بتحويل الجزء الأكبر من المبلغ لتمويل صفقة قمح مشتراة من كندا والولايات المتحدة . وقد روى "دافيد روكفللر" الواقعة للرئيس "السادات" كدليل على سوء الأحوال فى الاتحاد السوفيتى ، وقال له إن مجلس الأمن القومى الأمريكى درس الطريقة التى تمت بها هذه العملية ، وتوصل إلى أن الأحوال الاقتصادية فى الاتحاد السوفيتى هى أسوأ مما كان متصورا قبلا . وراح الرئيس "السادات" يروى تفاصيل ما سمعه من "دافيد روكفللر" أثناء عشاء فى بيته حضره صهراه المهندس "سيد مرعى" والمهندس "عثمان أحمد عثمان" ويعقب عليه قائلا : "أولاد (........) ليسوا عاجزين فقط ولكنهم مفلسون أيضا" .

وحتى عندما أراد القادة السوفيت إظهار ضيقهم بموقف الرئيس "السادات" تجاه بلدهم ، لم يكن فى وسعهم أكثر من إبلاغه بأن "بريجنيف" الذى كان قد وعد "إسماعيل فهمى" عند لقائهما بأن يزور مصر فى أوائل سنة ١٩٧٦ ، ليس فى إمكانه ـ بسبب انشغاله فى ترتيب مؤتمر قادم للحزب الشيوعى السوفيتى ـ أن يقوم بهذه الزيارة . وكان تعليق الرئيس "السادات" مرة أخرى أنه "بركة يا جامع" ، وفى الحقيقة فإنه كان يبحث عن عذر لتأجيل الزيارة ، وكان يتحرج من إعلانه ، فهو المضيف وهو الداعى أصلا .

وقد يكون من المتاح الآن إضافة وثائق الاتحاد السوفيتى السابق ، وبالذات وثائق اللجنة المركزية وهى الآن مفتوحة لمن يريد الاطلاع عليها ، وفيها تظهر حقائق وأسرار قد يكون من المفيد ضمها إلى مجالات التوثيق عن السياسات الدولية فى المنطقة .

وتظهر هذه الملفات أن الاتحاد السوفيتى كان مأخوذا بقوة اندفاع حركة القومية العربية ، وبرغم أنه اعتبرها حركة مشوبة بظواهر "شوفينية" (تعصب وطنى) فى مرحلة من المراحل ـ إلا أن تقديرات خبرائه لسنوات ظلت تؤكد للقيادة فى الكرملين أن هذه القوة القومية هى وحدها القادرة على ضرب النفوذ الاستعمارى فى المنطقة .

وتظهر هذه الملفات فى الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٤ غضبا سوفيتيا عارما على "جمال عبد الناصر" ، لكن الغضب كان يكبح مشاعره لأن الحركة القومية التى يقودها "عبد الناصر" كانت القوة الوحيدة القادرة على التصدى لخطط الولايات المتحدة .

وتظهر فى ملخص محضر مناقشة حضرها "خروشوف" بعد انتهاء زيارته لمصر فى مايو ١٩٦٤ عبارة منسوبة له قال فيها : "إننا لن نستطيع أن نجعل " ناصر" شيوعيا ، وليس أمامنا من خيار إلا أن نتعامل معه كما هو" .

وعندما بدأت أسعار البترول ترتفع بعد الثورة الليبية ، كان هناك سؤال ملح فى اجتماعات المكتب السياسى يظهر ويتكرر ويطرح طوال الوقت : "متى يثق الأصدقاء العرب فى الاقتصاد السوفيتى ويوجهون إليه بعض فوائض أموالهم ؟"

وفى حين أن رجلا مثل "سوسلوف" كان يبدو يائسا ، فإن رئيس الوزراء السوفيتى كان متفائلا يظنها مسألة وقت ، وكانت آماله كبيرة فى "العراق" و"ليبيا" و"الجزائر" ، وأشار فى مداخلاته بعض المرات إلى "الكويت" .

ومن الحقائق الملفتة للنظر طبقا لهذه الوثائق أن القيادة السوفيتية العليا رفضت فى الفترة ما بين سنة ١٩٧٢ إلى سنة ١٩٧٧ توصيات ملحة ـ من التنظيم الدولى فى اللجنة المركزية ومن الـ "كى. جى. بى." (المخابرات السوفيتية) ـ بإعادة الحياة إلى الموافقة على إنشاء حزب شيوعى فى مصر أو مساعدة ذلك الحزب . وكانت أسباب الرفض باستمرار هى "أن

العلاقات مع مصر استراتيجية ولها حساسية خاصة لا تسمح بأى نشاط يضايق السلطة الوطنية الحاكمة" .

وفى سنوات أخيرة كانت علة الرفض "عدم إعطاء عناصر رجعية متنفذة فى مصر فرصة التشويش على الاتحاد السوفيتى والحركة الشيوعية" .

ومن الملاحظ أن الملفات الخاصة بالأحزاب الشيوعية في مصر توجد فى معظمها فى القسم الخاص بالحزب الشيوعى الإيطالى فى إدارة التنظيم الدولى ، وكذلك توجد فى الملفات الخاصة بالأحزاب الشيوعية فى الجزائر والمغرب وتونس ولبنان والعراق .

وترد أول توصية بالموافقة على إنشاء حزب شيوعى فى مصر فى سنة ١٩٧٦ ، ثم تظهر كشوف المساعدات أن الحزب الشيوعى المصرى حصل على مساعدة قدرها ٥٠ ألف دولار، مما يعنى أن الحزب أعيد تأسيسه فى وقت ما سنة ١٩٧٧ ، والراجح أن يكون ذلك فى أعقاب أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ وليس قبلها .

وبالطبع فإن الرئيس "السادات" لم يكن يعرف شيئا عما تحتويه الملفات السرية للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى خاصا بالتنظيم الدولى الشيوعى . لكن ما كان يعرفه فعلا كان يكفيه لتبرئة الاتحاد السوفيتى من تدبير أحداث ١٨ و ١٩ يناير .

□

وراح الرئيس "السادات" يبحث عن متهمين آخرين ، واتجهت شبهاته إلى مراكز القوى . وكان يقصد السيد "على صبرى" ومجموعة الرجال الذين أقصاهم عن السلطة وحاكمهم بعد أحداث ١٤ مايو ١٩٧١ . وقيل له إنه بذلك الاتهام يعطى قوة لمن لا يملكون أسبابها ، سواء بسبب غيابهم داخل السجون ، أو بسبب بعدهم عن أى تأثير جماهيرى فى الظروف الراهنة . وبذلك فهو يعيد إلى الحاضر وبدون داع أشباحا أسدل الزمان عليها أستار النسيان . وسكت الرئيس "السادات" ولو مؤقتا عن هذا الاتهام .

ثم رأى أن المدبر الحقيقى عناصر خارجية لم يسمها ، واتهمها بالتمويل والتحريض والتآمر . وعقد ثلاث جلسات لمجلس الأمن القومى فى بيته مصرا على أنها مؤامرة ، فى مواجهة آخرين من المشاركين فى الاجتماعات معه يحاولون عرض وجهة نظر أخرى مؤداها أنها قضية سياسية اجتماعية ، والأولى علاجها على هذا الأساس . ولم يكن مستعدا لقبول وجهة النظر هذه،وكان يريد من أجهزته أن تجد الأدلة على صحة ظنونه .

وفى غيبة الأدلة ، فقد راح يتهم "العرب" الذين لم يساعدوا بعد كل ما قدمته مصر من تضحيات . وقد تعلل الرئيس "السادات" بأنه طلب مساعدات إضافية من المملكة العربية السعودية ، ولكن الملك "خالد" (الذى لا يملك قراره على حد تعبير الرئيس "السادات") لم تكن لديه جرأة "فيصل" ، وإنه رد عليه فى مجال الاعتذار قائلا "إن المملكة تواجه ضغوطا مالية متزايدة لأن كثيرا من الدول الأفريقية تطلب مساعدات على أساس أنها قطعت علاقاتها بإسرائيل استجابة لطلب العرب ، وأنها تعانى بسبب ذلك من مشاكل اقتصادية عنيفة" .

وكان الملك "خالد" بالفعل قد قال للرئيس "السادات" فى لقاء بينهما "إن هناك من يصوروننا فى هذه الأيام بأننا أغنياء إلى درجة القدرة على شراء العالم كله . وهذا غير صحيح."

والحقيقة أن السعودية وغيرها من دول الخليج ساعدت . ومع أنه كان هناك باستمرار مجال لزيادة المساعدات ، فإن أحدا لا يستطيع إنكار أنه فى الفترة ما بين بداية حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبداية سنة ١٩٧٧ ، وبعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير ، وصل مجموع المساعدات التى تلقتها مصر من بلدان النفط إلى مبلغ تتراوح تقديراته ما بين ١٦ إلى ٢١ بليون دولار . وبالتالى فإن إلقاء المسئولية على العرب لم يكن له ـ منطقا وعدلا ـ ما يبرره .

وكان على الرئيس "السادات" أن يبحث عن متهم آخر . وأدرك بحسه السياسى أن أزمة الشرق الأوسط المعلقة بين اللا حرب واللا سلم ، رغم معارك أكتوبر ، قد تكون هى السبب . وبالتالى فإن الإسراع فى حلها قد يكون هو الوسيلة . وكان السؤال الكبير هو : كيف ؟

لم يكن الرئيس "السادات" وحده الباحث عن جواب لهذا السؤال الكبير الذى طرح نفسه فى الواقع على المنطقة كلها . فكل ملوك المنطقة ـ من الملك "الحسن" فى الرباط إلى الملك "خالد" فى الرياض ، ومن شاه إيران فى طهران إلى السلطان "قابوس" فى عمان ـ دهمهم القلق شاعرين أن سقوط الحكم فى مصر يمكن أن تكون له عواقب تصيب الشرق الأوسط كله بزلزال .

وكان نفس الشعور ـ وإن بطريقة مختلفة ـ يلح على كثيرين من المهتمين بمستقبل عملية السلام فى المنطقة ، وأبرزهم الرئيس الرومانى "نيكولاى تشاوشيسكو" والمستشار النمساوى "برونو كرايسكى" والمستشار الألمانى السابق "ويلى برانت" الذى كان يرأس الدولية الاشتراكية الثانية ، واهتمامها بسلام الشرق الأوسط ظاهر ومعلن .

وكانت لهذا الشعور أصداء فى واشنطن ذاتها . ذلك أن الرئيس الأمريكى "كارتر" بدأ يسمع من مستشاريه من يلحون عليه بأن الشرق الأوسط كله سيضيع إذا لم يتحرك

بسرعة لتدارك الأمور فى منطقة تعتبر من أكثر المناطق أهمية بالنسبة للمصالح الأمريكية . وقد فعل الجمهوريون فيها تحت قيادة "كيسنجر" نوعا من المعجزات ، وانتزعوها من الاتحاد السوفيتى . والآن ، فإن الفوضى يمكن أن تعم فيها - على غرار ما حدث فى القاهرة يومى ١٨ و ١٩ يناير - وذلك يمكن أن يفتح الفرصة مرة أخرى لعودة سوفيتية . فسقوط نظام الرئيس "السادات" أمام الضغوط الشعبية التى يتعرض لها لن يؤدى فقط إلى فشل عملية السلام ، وإنما سوف يؤدى كذلك إلى إقناع كثيرين فى الشرق الأوسط بأن الصداقة مع الولايات المتحدة مجلبة للمشاكل ومثيرة للقلاقل .

ويوم ٢٠ يناير - بعد يوم واحد من حوادث القاهرة - تسلم الرئيس "كارتر" مهام رئاسة الولايات المتحدة . وفى نفس اليوم عقد اجتماعا لمجلس الأمن القومى حضره وزير خارجيته "سايروس فانس"، ومستشاره للأمن القومى "زبجنيو برجينسكى"، ووزير دفاعه "هارولد براون"، ونائبه للرئاسة "والتر مونديل"، و"هاملتون جوردان" الذى أصبح رئيسا لهيئة مستشارى البيت الأبيض - وتقرر فى هذا الاجتماع إعطاء الأولوية الأولى على جدول أعمال الرئيس الجديد لقضايا الشرق الأوسط .

وطلب "كارتر" إلى مجلس الأمن القومى إعداد تصور لخطوط للتحرك إزاء أزمة الشرق الأوسط . وكان معهد "بروكنجز" للدراسات السياسية والاستراتيجية ، وهو قريب فى العادة للحزب الديمقراطى ، قد أعد بالفعل تقريرا عن خيارات السلام فى الشرق الأوسط . وكان بين الذين شاركوا فى إعداد هذا التقرير عدد من الخبراء الذين أصبحوا فيما بعد من أركان رئاسة "جيمى كارتر" . وهكذا فإن مجلس الأمن القومى عاد فى جلسة بتاريخ ٤ فبراير ١٩٧٧ ليبحث الخطوط العريضة فى تقرير معهد "بروكنجز" لتكون أساسا لسياسة أمريكية جديدة فى المنطقة .

واختلفت الآراء فى مجلس الأمن القومى ، ثم تركزت فى خيارين :

١ - رأى يفضل أن تكون محاولة دفع أزمة الشرق الأوسط على طريق الحل من جديد فى إطار استئناف مؤتمر جنيف ، وباشتراك كل الأطراف المعنية والمهتمة بالأزمة .

٢ - ورأى آخر يخشى أن إعادة الحياة إلى مؤتمر جنيف سوف تترتب عليها إعادة الاتحاد السوفيتى لاعبا رئيسيا فى المنطقة ، وهو أمر غير مرغوب فيه حتى بالنسبة للرئيس "السادات" نفسه .

ثم قرر مجلس الأمن القومى أن يتوجه وزير الخارجية "سايروس فانس" على الفور إلى زيارة استطلاعية للمنطقة ، يعود بعدها إلى المجلس بتوصياته عن الخيار الأنسب الذى يمكن للسياسة الأمريكية أن تعتمده طريقا للحل .

ووصل "سايروس فانس" على عجل إلى المنطقة يوم ١٥ فبراير ، وأعلن أن هدف مهمته أن يكسر العقدة المستعصية break the log jam في أزمة الشرق الأوسط .

جاء "سايروس فانس" مستمعا ليتعلم - كما قال - وليعد تقريره لـ "جيمى كارتر" . وكان لدى الرئيس "السادات" كثير يقوله له ، لكن معظمه كان ينصب على الماضى بما فيه خيبة أمله إزاء كل ما تلقاه من وعود ساقها إليه "هنرى كيسنجر" . وركز على وعدين تبددت أحلامه فيهما :

الأول - أن "كيسنجر" وعده بسلام سريع يعوض له به تدخل الولايات المتحدة في حرب أكتوبر بإمداد إسرائيل بالسلاح مما غير موازين المعركة .

والثانى - أن "كيسنجر" وعده بمشروع "مارشال" للمنطقة يجعل شعوبها ، وخصوصا الشعب المصرى ، يشعرون بمزايا السلام على نفس الطريقة التىحدثت مع أوروبا الغربية - بمشروع "مارشال" - بعد دمار الحرب العالمية الثانية .

ثم أضاف الرئيس "السادات" إلى ذلك أنه غير مطمئن بعد آخر اتصال جرى بينه وبين "كيسنجر" . ففى ذلك الاتصال أبلغه وزير الخارجية السابق أن سياسة الخطوة خطوة قد انتهت ، وأن عليه الآن أن يكون مستعدا للتسوية بما تتضمنه من قرارات صعبة وأولها التفاوض مباشرة مع إسرائيل وبدون وسيط وبغير اشتراك الدول العربية إذا لم تكن هذه الدول مستعدة للتفاوض المباشر . وأبدى الرئيس "السادات" بعد ذلك أنه كان مستعدا أن يدرس مقترحات "كيسنجر" عليه لولا أن الظروف الأخيرة ، وأهمها أحداث ١٨ و١٩ يناير ، تضعه في موقف لا يستطيع معه التفكير في مثل هذه المقترحات . إضافة إلى أنه الآن أصبح أكثر من أى وقت مضى يحتاج إلى معونات الدول العربية .

وكانت النقطة المضيئة في هذا الاجتماع بالنسبة للرئيس "السادات" هى اللحظة التى قال فيها "فانس" إن الرئيس "كارتر" يوجه إليه دعوة لزيارة الولايات المتحدة في أقرب وقت يستطيع فيه أن يقوم بهذه الزيارة . وقال الرئيس "السادات" إنه مستعد لذلك من الآن . وبعد اتصال بواشنطن عاد "فانس" ليقترح على الرئيس "السادات" أن يكون اجتماعه مع الرئيس "كارتر" في أوائل شهر مارس إذا كان ذلك يناسبه . ووافق الرئيس "السادات" بلا تردد .

□

إن إسرائيل أيضا كانت في حالة من عدم الاطمئنان بعد حوادث ١٨ و ١٩ يناير . وقامت بدراسات مكثفة لتقييم الموقف في مصر ، كما أن عددا من زعماء الحركة

الصهيونية - وبينهم "فيليب كلوتزنيك" رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وقتها - هرعوا إلى إسرائيل يلفتون النظر إلى خطورة تغير الأوضاع فى مصر . وظهر "ناحوم جولدمان" بنفسه فى فيينا وفى بون يدعو "كرايسكى" و"برانت" إلى ضرورة التدخل لدى الحكومة الإسرائيلية لتتخذ موقفا أكثر تعقلا ، وإلا وجدت نفسها تفقد كل ما حصلت عليه فى القاهرة بفضل جهود "كيسنجر" . بل إن "كيسنجر" نفسه كتب رسالة إلى "رابين" ينصحه بأن يكون أكثر كرما more magnanimous تجاه اليد التى مدها الرئيس "السادات" عبر سيناء إلى إسرائيل .

وقرر "رابين" بعد أن عرف بالدعوة الموجهة للرئيس "السادات" لزيارة واشنطن والاجتماع بـ "كارتر" أن يطلب لقاء مع الرئيس الأمريكى الجديد حتى يوضح له موقف إسرائيل ، "ويظهر له استعدادها للتحرك" قبل أن يلتقى "كارتر" مع "السادات" .

وبالفعل ، فقد التقى "رابين" مع "كارتر" فى البيت الأبيض يوم ٧ مارس . أى بعد أيام قليلة من عودة "فانس" إلى واشنطن .

وربما من نتيجة تقرير "فانس" إليه ، ومن نتيجة مقابلته مع "رابين" ، أن الرئيس "كارتر" أعلن يوم ١٦ مارس مجموعة أفكار "تخطر له" لحل أزمة الشرق الأوسط . وقد عرض أربع نقاط على النحو التالى :

١ - إنه يعتقد أن الوصول إلى تسوية شاملة هو الهدف الذى يجب أن يسعى إليه الأطراف بعد أن يتفقوا على المبادئ الرئيسية للتسوية .

٢ - وهو يعتقد أيضا أن إسرائيل تستطيع أن تحقق أمنها داخل حدود ما قبل يونيو ١٩٦٧ مع تعديلات بسيطة .

٣ - وهو يعتقد كذلك أن مصر لا تستطيع أن تمضى وحدها فى سلام منفرد إلا إذا بدت شواهد مقنعة على أن عملية سلام شامل قد أصبحت ممكنة .

٤ - وأخيرا ، فإنه يعتقد أن الفلسطينيين يجب أن يكون لهم دور فى عملية السلام، مشيرا إلى أنه من حق الفلسطينيين أن يكون لهم كيان قومى homeland .

وبدا ذلك مشجعا .

٢

بيجـــــــين

" إذا قبلـت منظمـة التحريـر الفلسـطينية بوجـود إســرائيل كدولة فهــى حينئـذ لـن تصبـح "منظمـة تـحرير فلسطـين" "

(وزيـر الخارجية الإسـرائيلى "ييجـال آللـون" لوزيـر الخارجية الأمريكى "سايروس فانس")

توجه الرئيس "السادات" إلى واشنطن ، وكان موعده مع "جيمى كارتر" قد تحـدد نهائيا بيوم ٤ أبريـل ، متأخرا بشهر عن الموعد الذى اقترحه "فانس" لأن الرئيس الأمريكى الجديـد بعد لقائه بـ"رابـين" دعــا إلى سلسـلة اجتماعـات لمجلـس الأمــن القومــى لوضــع اللمسـات النهائية على ما يمكن لـه أن يعرضه على الرئيس "السـادات" . ووصــل الرئيـس "السـادات" إلى واشنطن مصمما على أن ينجـح فى إيجاد تفاهـم حقيقى بينه وبين "جيمى كارتر" متصـورا أن الرئيس الأمريكى الجديد لديه الفرصة لثمــانى سـنوات فـى البيـت الأبيــض، وإنـه مهمـا كانت الظروف سيكون الرجـل الجالس فى البيـت الأبيــض فـى اللحظـة التـى تصـل فيهـا مشكلة الشرق الأوسـط إلى حـل من نـوع ما .

وإلى حـد كبير فإنه يمكن القطع بأن الرئيس"السادات" نجـح فيما قصـد إليــه ، واسـتطاع أن يصـل إلى قلـب "جيمى كارتر"، والشاهد على ذلـك هـو قـول "كارتـر" نفسـه فـى عبـارة وردية جاءت فى مذكراته [١] : "يـوم ٤ أبريـل سطـع ضـوء علـى مشـــهد الشـرق الأوسـط أمامى، فقد التقيت بالرئيس المصرى أنـور السادات ، وهو رجـل اسـتطاع أن يغـير مجـرى التاريـخ، وقد أعجبـت به أكثر مما أعجبـت بأى رئيـس آخـر ."

---

(١) مذكـــرات "جيمـى كـــارتر" ـــ "الحفـــاظ علـى الإيمـــان · مذكـرات رئيـــس" ـــ الصـــادرة عـــن دار "بـانتم" للنشـر سـنة ١٩٨٢ .

وروى "كارتر" أنه فى بداية لقائه مع "السادات" أحس بأنه خجول ، وأنه قلق بشكل ما ، وكان يتصبب عرقا عندما كانا يتبادلان التحية فى بداية جلساتهما . وقال له "السادات" إنه أصيب بلفحة برد أثناء توقفه فى باريس واعترته نوبة حمى . ثم لاحظ "كارتر" أن "السادات" بدا له أكثر سمرة مما توقع ، كما أنه لاحظ علامة غامقة فى مقدمة جبهته وعرف أنها من أثر السجود طويلا أثناء الصلاة . ولاحظ أيضا أنه لم يدخن كثيرا وإن ظل يحتفظ بغليونه قريبا منه ، وأبدى ضيقه حين تأخر أحد مرافقيه فى تقديم الغليون له .

إن "كارتر" طبقا لنقاط رسمية تلخص وقائع الجلسة ، بدأ فقال للرئيس "السادات": "إنه يريد أن يفتح له قلبه وأن يتحدث معه بصراحة :

١ - فهو راغب رغبة أكيدة فى المساعدة على تحقيق السلام فى الشرق الأوسط .

٢ - وهو يرجو من ضيفه أن يعرف أنه لا يستطيع ، كما لا يستطيع أى رئيس أمريكى ، أن يضغط على إسرائيل . وقصارى ما يمكن أن يحاوله أن "يقنعها" بمصلحتها وليس بالضغط عليها ضد هذه المصلحة .

٣ - ومع أنه يعتقد بأهمية الاتصال المباشر بين الأطراف ، وهو أمر تصرّ إسرائيل عليه ، ومع أنه أيضا لاحظ أن الرئيس السادات أبدى لسايروس فانس حين التقاه فى مصر قبل أسابيع أنه كان يفكر جديا فى إمكانية التفاوض المباشر مع إسرائيل ـ كما سبق أن اقترح عليه كيسنجر ـ إلا أنه يدرك الآن ويسلم بأن ذلك فى الظرف الراهن صعب. وهو لا يريد أن يستعجل قراره فى هذا الصدد ، لكنه يأمل أن تجىء ظروف ـ يترك تقديرها للرئيس السادات ـ يجد فيها ضيفه (أى الرئيس السادات) أنه مستعد لهذه الخطوة الجريئة التى يعتقد "كارتر" أنها ستكون مفترق طرق فى تسوية الأزمة.

٤ - إنه لا يستطيع أن يخفى عليه أنه أحس أثناء مقابلته لرابين أن رئيس الوزراء الإسرائيلى تراوده مطامع لضم أراض عربية . لكنه فى هذه النقطة بالذات مستعد لأن يمارس نفوذه للحيلولة دون ذلك .

٥ - إنه والأمور على هذا النحو لا يجد سبيلا للنقاش بين الأطراف سوى إطار مؤتمر جنيف. وهو يظن أن ذلك الإطار مقبول من الرئيس السادات .

٦ - وهو يأمل أن يكون مؤتمر جنيف المتجدد على نفس النسق الذى جرى فى مرحلةسابقة. بمعنى أن يكون المؤتمر إطارا عاما للمفاوضات ، لكن المفاوضات تحت مظلته ستكون ثنائية بين كل وفد عربى ووفد إسرائيلى .

٧ - وهو يقترح أن تكون الموضوعات المطروحة للمناقشة فى نطاق الأطر الأربعة الرئيسية فى الأزمة ، وهى :

(أ) طبيعة السلام .

(ب) خطوط الانسحاب .

(ج) القضية الفلسطينية بكل جوانبها .

(د) مستقبل القدس ."

وأضاف "كارتر" أنه يعرف من دراسته للأزمة أن بعض الأطراف العربية ، وبينها سوريا ، قد لا تكون راغبة فى محادثات تجرى تحت المظلة العامة للمؤتمر ــ مباشرة بين وفد سورى ووفد إسرائيلى . كذلك فإن هناك مشكلة اشتراك الفلسطينيين فى المؤتمر ، وهو أمر تعترض عليه إسرائيل . وقد طرح وزير خارجيته "فانس" حلا لبعض هذه المآزق ، وهو أن يكون التمثيل العربى لمؤتمر جنيف بوفد واحد مشترك يجمع الكل ، ولا يدقق أحد حول جنسية المشتركين فيه ويفرزهم إلى مصريين وسوريين وأردنيين وفلسطينيين . وهو يقدر مسبقا أن إسرائيل سوف تعترض على فكرة وجود العرب مجتمعين فى وفد واحد ، لكنه يعد أن يحاول قصارى جهده لإقناعها بالقبول .

وأضاف "كارتر" عند هذه النقطة تحفظا قال فيه "إن وجود أعضاء فلسطينيين فى الوفد العربى مرهون باعتراف منظمة التحرير بقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ . وتذكر "كارتر" أن "فانس" وجه حول هذه النقطة سؤالا مباشرا إلى "ييجال آللون" (وكان وقتها وزيرا لخارجية إسرائيل) سأله فيه عما إذا كانوا مستعدين لقبول اشتراك منظمة التحرير إذا هى قبلت قرار مجلس الأمن ٢٤٢ بما فيه حق إسرائيل فى الوجود كدولة . وكان رد "آللون" على "فانس" هو قوله "إنهم لا يمانعون فى ذلك لأنه إذا قبلت منظمة التحرير الفلسطينية بوجود إسرائيل كدولة ، فإنها لن تصبح فى هذه الحالة "منظمة تحرير فلسطين"، ووقتها وإذا حدث ذلك فسوف يكون لإسرائيل موقف آخر" .

□

كان الحديث على هذا النحو يطرح تصورا عاما لحركة عملية السلام . لكن "كارتر" كان يريد أن يستكشف أعماق تفكير الرئيس "السادات" فيما يتعلق بالتسوية النهائية

والسلام الكامل بين العرب وإسرائيل . ولهذا فقد رأى ، بعد عشاء رسمى أقامه للرئيس "السادات" فى البيت الأبيض ، أن يدعوه إلى الدور العلوى فى البيت الأبيض حيث الجناح الخاص لسكن الرئيس وأسرته . وعندما أصبحا وحدهما فى السكن الخاص ، وطبقا لرواية "كارتر" فى مذكراته (٢) ، فإن "كارتر" سأل الرئيس "السادات" عن التغييرات التى يتصور حدوثها بالنسبة للخطوط التى تنسحب إليها إسرائيل ، لأنها لن تنسحب تماما إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ على كل الجبهات لأسباب تتعلق بالأمن . وأبدى "السادات" استعدادا لقبول بعض التعديلات . وروى "كارتر" أنه سأل "السادات" : "متى تكون مستعدا للجلوس وحدكم كمصريين وإسرائيليين ؟" ورد "السادات" بقوله : "عندما يتم تقدم فى المسألة الفلسطينية" . وسأله عن رأيه فى الموعد الذى يمكن فيه رفع المقاطعة العربية ؟ ورد "السادات" بأنه يمكن إنهاء المقاطعة فى أجواء السلام . وسأله : "متى تسود بين الطرفين علاقات جوار طبيعية ؟" فقال : "إن ذلك يمكن أن يحدث بعد سنوات إذا حدث تقدم ملموس" . وسأله عن إمكانيات قيام علاقات دبلوماسية وتبادل سفراء بين البلدين ؟ وسجل "كارتر" فى مذكراته أن "السادات" قال له بالحرف الواحد: "ليس فى حياتى "not in my lifetime" .

وكان الرئيس "السادات" قد أبدى لـ "فانس" رغبته فى الحصول على أسلحة أمريكية لأن ما لدى مصر من أسلحة سوفيتية أصبح مستهلكا ، كما أن الجيش بعد حوادث ١٨ و ١٩ يناير فى حاجة إلى شىء يرفع معنوياته ، ولا يرفع معنويات أى جيش أكثر من حصوله على أسلحة جديدة . وأبدى له "كارتر" أن ذلك قد يكون مطلبا صعبا . وبادر "السادات" للقول : "إننى لا أريد الآن سلاحا لأنى أعرف أن ذلك قد يؤدى إلى الإضرار بفرص التسوية ، وأنا أرى استعدادك طيبا فى محاولتها" . وسجل "كارتر" أن قول الرئيس "السادات" ذلك أقنعه بحسن نيات الرجل وباستعداده للسلام .

وعاد "أنور السادات" إلى القاهرة . وعاد معه قدر كبير من الاطمئنان .

□

لكن كلا الرجلين ــ "السادات" و"كارتر"ــ لم تتح له الفرصة طويلا للعيش مع الاطمئنان. فقد انفجرت فى إسرائيل أزمة سببتها فضيحة مالية حين ظهر أن رئيس الوزراء "إسحاق رابين" يحتفظ بحساب بالعملات الأجنبية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

---

(٢) المرجع السابق .

واضطر "رابين" إلى الاستقالة ، وقدمها فعلا يوم ٧ أبريل ، وعهد برئاسة الوزارة بالنيابة إلى "شيمون بيريز" . وقرر حزب العمل الإسرائيلى أن يحتكم إلى الشعب الإسرائيلى بتقديم موعد الانتخابات إلى شهر مايو بدلا من الموعد الطبيعى لها وهو أكتوبر ١٩٧٧ . وكانت نتيجة الانتخابات صدمة ليس لـ"كارتر" و"السادات" وحدهما ، وإنما لكل المهتمين بشئون الشرق الأوسط على اتساع العالم . ذلك أن كتلة "الليكود" ربحت الانتخابات ، ومن ثم أصبح "مناحم بيجن" ـ بكل ما هو معروف عنه من تصلب وتشدد ـ رئيسا لوزراء إسرائيل. كما أن "بيجن" اختار الجنرال "موشى ديان" ليكون وزيرا لخارجيته .

كان نجاح كتلة "الليكود" فى الانتخابات صدمة غير متصورة . ومع أنه كانت هناك دلائل تشير إلى هذا الاحتمال ، فإن جميع المهتمين بالمنطقة راحوا يستبعدونه كواقع ممكن عمليا . وكانت هناك عدة أسباب تدعوهم إلى هذا الاعتقاد :

١ ـ إن حزب العمل هو الذى كان مسيطرا على المسرح السياسى فى إسرائيل منذ إنشاء الدولة ، ومنه خرج المؤسسون الأوائل الذين ساهموا فى بنائها وتدعيم قواتها : "بن جوريون" ـ "شاريت" ـ "أشكول"ـ "جولدا مائير" .

٢ ـ ثم إن حزب العمل هو الذى كان فى الحكم حينما حققت إسرائيل أكبر انتصارين فى تاريخها وهما انتصارا ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وفوق ذلك فإن رئيس الوزراء الذى دعا إلى الانتخابات العامة هذه المرة هو "إسحاق رابين" الذى كان رئيسا لأركان الحرب سنة ١٩٦٧ . كما أن نائبه كان "شيمون بيريز" وهو تلميذ مخلص لـ "بن جوريون" ، ومهندس عملية تسليح إسرائيل ابتداء من صفقات السلاح الفرنسى سنة ١٩٥٦ إلى المفاعل النووى فى "ديمونة" مع فرنسا أيضا .

٣ ـ ونتيجة لهذه الظروف فإن المؤسسة الصهيونية العالمية ، وبالذات فى الولايات المتحدة، كانت قد عرفت وتعاملت باستمرار مع حزب العمل ، ولم تتح لها الفرصة لتتعامل مع غيره . بل إن المؤسسة الصهيونية أيضا كانت تشعر بحساسية شديدة تجاه كتلة "الليكود"، وتعتقد أن تشددها ودعاواها شبه الدينية قد تؤدى إلى تأزيم العلاقات مع واشنطن التى يتعين عليها أن تراعى مصالحها البترولية والاستراتيجية فى العالم العربى مهما كانت درجة حماستها وتأييدها للمشروع الصهيونى ولدولة إسرائيل .

٤ ـ إن حزب العمل كان عضوا فى الدولية الاشتراكية الثانية . وبالتالى فقد كانت له أرصدة واسعة من العلاقات والصداقات مع معظم الأحزاب الحاكمة فى أوروبا وقتها بزعامة رجال من أمثال "برونو كرايسكى" فى النمسا ، و"ويلى برانت" و"هيلموت شميت" بعده فى ألمانيا ، و"هارولد ويلسون" و"جيمس كالاهان" فى إنجلترا . ونتيجة

لهذه العلاقات والصداقات فإن الدولية الاشتراكية لم تعط تأييدها المعنوى فى الانتخابات لحزب العمل فحسب ، وإنما أضافت إلى ذلك مساعدات مالية لها قيمة حتى يستطيع حزب العمل أن يصرف على معركته الانتخابية فى إسرائيل . وقد أضيفت مساعدات الدولية الاشتراكية الثانية إلى مساعدات قدمها عدد من الشخصيات الصهيونية فى المنظمة الأمريكية الذين أحسوا أن حزب العمل يواجه هذه المرة تحديا أكبر من العادة بسبب طول مدة الحزب فى الحكم ، وكذلك بسبب الفضيحة المالية التى تفجرت فى وجه "رابين" وأرغمته على التخلى عن رئاسة الوزارة . فضلا عن أن "رابين" فى رغبته لمساعدة نفسه فى الموقف الحرج الذى واجهه اتخذ مواقف متشددة إزاء "كارتر" بعد لقائهما الأول ، مدعيا أن الرئيس الجديد لم يفهم عنه ما قاله ونسب إليه أشياء لم يقلها . وذلك أساء إلى مركز "رابين" وإلى مركز حزب العمل أيضا .

وهناك دلائل تشير إلى أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ساعدت بطريق خفى فى إثراء صندوق الحملة الانتخابية لحزب العمل حتى لا تحدث مفاجآت غير متوقعة . وبرغم ذلك كله تلقى الجميع مفاجأة لم يتحسبوا لها وهى نجاح "الليكود".

□

إن الأجهزة البيروقراطية تملك مرونة هائلة فى كل الدول وفى كل العصور على إيجاد تفسيرات لأية مفاجأة لا تتحسب لها ، ومن ثم أصبحت تهدد مصداقية ما سبق من تصوراتها أمام صناع القرار السياسى . وعندما راح "كارتر" يسأل كل الأجهزة المعنية بالأسباب التى يمكن بها تفسير نجاح كتلة "الليكود"، وما يمكن أن يترتب على نجاحها من آثار على خطته من أجل التسوية فى الشرق الأوسط ، كانت الردود قد تمت صياغتها وجرت تعبئتها وتغليفها وتقديمها له :

١ - السبب فى سقوط حزب العمل هو تصرفات "رابين" ، وبالذات وقوفه موقف جدل عنيف إزاء "كارتر" بعد الاختلاف على تفسير كل منهما لما دار بينهما فى اجتماعهما السابق فى واشنطن . إضافة إلى ذلك ،فحزب العمل ترهل وغابت عنه قياداته السياسية التاريخية، والحاضرون هم من بقايا مديرى المكاتب (مثل "بيريز" فى حالة "بن جوريون") ، أو من الموظفين (مثل "رابين" فيما تقلده من وظائف فى الجيش).

٢ ـ إن هناك فرصة كبيرة أن ينجح "مناحم بيجن" ـ الذى وصل إلى الحكم لأول مرة فى تاريخ إسرائيل فى إثبات نفسه ، وأن يكرر تجربة "ديجول" حينما استطاع بشخصيته التاريخية أن يقود فرنسا إلى تسوية مع الجزائر لم يكن غيره قادرا على إقناع الشعب الفرنسى بها . وهكذا قيل لـ "كارتر" إن نجاح "بيجن" قد يكون نعمة حتى وإن ظهرت على السطح وكأنها نقمة ، فهو الشخصية التاريخية الوحيدة الباقية من مؤسسى إسرائيل ، وهو شخصية قوية ، وهو قادر ، إذا اقتنع ، على أن يقود الشعب الإسرائيلى ـ حتى الصقور فيه ـ إلى قبول تسوية من منطق أن أحدا لا يستطيع أن يزايد عليه فيما يتعلق بوجود إسرائيل وأمنها . إضافة إلى ذلك ـ فإن "بيجن" الذى اشتهر طوال حياته بأنه إرهابى عنيف قد يختار أن يختم حياته بدور الرجل الذى يجىء لإسرائيل بالسلام .

وبرغم كل هذه الحجج المتفائلة التى ساقتها وزارة الخارجية الأمريكية وساقها عدد من الخبراء فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، فإن "جيمى كارتر" ظل فى أعماقه متخوفا من مجىء "بيجن" ، منتظرا إشارات واضحة من القدس تجعله يميل إلى هذا الجانب أو ذاك فى تحسبه للتعامل مع زعيم كتلة "الليكود" .

ولم تطل الحيرة بـ"كارتر" ، لأن "بيجن" فى بيانه الأول أمام الكنيست يوم ٢١ يونيو ١٩٧٧ عرض تصوراته لحل أزمة الشرق الأوسط :

١ ـ أعلن رفضه للانسحاب من الضفة الغربية تحت أى ظرف من الظروف .

٢ ـ وأعلن أنه يؤيد حركة الاستيطان اليهودى فى كل فلسطين بلا قيود .

٣ ـ وأعلن أن الولايات المتحدة لا يحق لها أن تقحم نفسها فى حل أزمة الشرق الأوسط بأكثر من السعى إلى جمع الأطراف معا .

كان الكلام كله داعيا إلى التخوف .

ويوم ٢٣ يونيو أكد "بيجن" بالعمل ما أبداه بالقول ، فشارك فى إنشاء مستوطنة جديدة هى مستوطنة "إيلون موريه" ، وأعلن عند موقعها أنه يؤيد إنشاء مستعمرات مثلها فى كل مكان من أرض إسرائيل .

وفى يومياته الخاصة التى كان يسجل فيها خواطره كل يوم ، والتى استشهد بأجزاء منها فى مذكراته ، سجل "كارتر" مجموعة من الملاحظات عن مقابلاته مع زعماء الشرق الأوسط الذين التقاهم فى هذه الفترة . كتب فى يومياته يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٧ عن الملك "حسين" يقول : "جاء الملك حسين ملك الأردن ، وكنا جميعا سعداء باستقباله واستمتعنا بزيارته ، ووجدنا فيه حليفا قويا ومثابرا . وقد قال لى إنه لأول مرة منذ ٢٥ أو ٣٠ سنة

يشعر بأمل فى أن هذه السنة قد تشهد حلا لأزمة الشرق الأوسط . إننى أيضا أشاركه نفس الشعور ، وأعتقد أنه فى وسعنا أن نعد المسرح لزيارة يقوم بها فانس مرة أخرى للمنطقة ، ويمكن أن نحقق من خلالها نتائج طيبة ."

وفى يومياته يوم ٩ مايو ١٩٧٧ ، سجل "كارتر" قوله : "إن الرئيس حافظ الأسد الذى التقيته فى جنيف ، وقد طرت إليها خصيصا لزيارته ، رجل مثير ، واللقاء معه تجربة ممتعة ، وقد وجدت الرجل بنّاء فى توجهاته ومرنا بأكثر مما توقعت . وقد قال لى إنه قبل سنة أو سنتين كان الحديث عن السلام مع إسرائيل داخل سوريا نوعا من محاولة الانتحار ."

ولم يكن "كارتر" قد قابل "بيجن" بعد ، ولا كان "بيجن" قد أصبح رئيسا لوزراء إسرائيل . ومع ذلك فإن "كارتر" سجل فى يومياته بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٧٧ ، وأثناء الحملة الانتخابية فى إسرائيل - ما نصه : "طلبت تسجيلا لبرنامج قضايا وأجوبة الذى أجرى مع مناحم بيجن رئيس حزب الليكود ، والرجل الذى يحتمل أن يجيء رئيسا لوزراء إسرائيل . وقد أصبت بذعر حقيقى من مواقفه ، وراودنى الإحساس أنه من الصعب تحقيق السلام مع هذا الرجل ."

لكن "كارتر" وجد - وبعد أن أصبح "مناحم بيجن" رئيسا لوزراء إسرائيل - أنه ليس أمامه غير أن يتعامل مع هذا الرجل . وقد دعاه للقائه يوم ١٤ يوليو فى واشنطن . وسجل "كارتر" فى يومياته : "رحبنا اليوم فى البيت الأبيض برئيس الوزراء مناحم بيجن وزوجته. إننى أعددت نفسى جيدا لهذه الزيارة ، وكنت أتخوف منها فعلا . لكنى وجدت أن مناحم بيجن رجل ودود ومخلص وشديد التدين . واعتقادى أنه إنسان ممتاز ، وإن كنت أشعر أنه سوف يكون من الصعب علىّ أن أقنعه بتغيير مواقفه . لكنى أعتمد على ما يصلنى من تقارير تقول إن الرأى العام الإسرائيلى يريد الوصول إلى تسوية سلمية ."

إن "مناحم بيجن" فى محادثاته مع "كارتر" استمع إليه وهو يشرح له تصوراته للسلام على النحو الذى عرضه على الرئيس "أنور السادات". وأضاف "كارتر" لـ"بيجن" أنه قلق من موقفه فى قضية المستوطنات . وأنه تابع تصريحاته فى هذا الصدد ، كما أنه شاهد على التلفزيون وقائع اشتراكه فى مراسم إنشاء مستعمرة "إيلون موريه" . وطوال الوقت كان "مناحم بيجن" يسمع فى صمت دون أن يعلق . وقد قال إنه يريد بالدرجة الأولى أن يسمع تصور الرئيس الأمريكى . ولبعض الوقت أحس "كارتر" بنوع من التفاؤل ، لكنه عاد وسجل فى مذكراته : "إن شعورى بالتفاؤل كان قصير العمر جدا" .

والذى حدث هو أن "بيجن" أعاد على الرئيس الأمريكى نفس التصورات التى طرحها أمام الكنيست .

٣

القذافـــــــى

" لا بـد مـن وقـف العمليـات العسكريـة ضـد ليبيـا فـورا ... "

(السـفير الأمريكـى "هيرمـان آيلتـس" لـلرئيس "السادات" ناقلا رسالة من الرئيس "كارتـر")

كان الرئيس "السادات" يتابع ، وهو الآخر مثـل "كارتـر" أحـس أن الاطمئنـان الـذى عـاد به من واشنطـن راح يتبخـر ، وكان عليه أن يفكـر فى طريق آخـر . وبـدا لـه أن انتظـار "بيجـن" حتى يغير موقفه يقتضيه وقت لا يستطيع أن يتحمل مـرور أيامـه وشـهوره وربمـا سنيه . وكان شاغله الأكـبر المشكلة الاقتصادية التى تطبـق عليه وتهـدده بتجدد حـوادث ١٨ و ١٩ ينايـر ، وقد تفاجئه بما هو أخطـر .

وتوصل الرئيس "السـادات" فجأة إلى حـل بالـغ الغرابـة . خطـر لـه أن يغـزو ليبيـا ، وفى ذهنـه أن يحتـل ولايـة "برقـة" الشرقيـة وفيها معظم منـابع البـترول الليـبى . وكـانت ملابسات هذا الخاطر تدعـو إلى تساؤلات عويصـة وإلى استنتاجات محـيِّرة :

١ ـ هـل تذكر الرئيس "السـادات" الاقـتراح الإسرائيلى الذى قـدم إلى الوفـد العسكرى المصرى أثناء جلسات مؤتمر جنيـف فى أواخر ١٩٧٣ وأوائل ١٩٧٤ ؟ ـ وإذا كان ذلك فهـل تذكـر الرئيس "السادات" من تلقاء نفسـه ، أو إن أحـدا أعـاد تذكيره بهـذا الاقـتراح القديـم وبالمغريات التى تضمنتها المذكرة التى قدمت فى ذلك الوقت والتى كان عنوانها "أمـل مصـر الحقيقـى : ليبيـا" .

٢ ـ هـل خطـر له أن مـوارد البترول الليـبى تستطيع أن تخفـف الأزمـة الاقتصادية فـى مصـر ، وربما تحلهـا حـلا جذريا ؟ ـ وإذا كان ذلك ، فهـل هو قادر عمليا وعربيـا علـى تنفيذها والنجاح فيها ؟ ـ إن الرئيس "السـادات" كان فى ذلك الوقت مصابا بخيبـة أمـل

فى الأمة العربية كلها بعد الحملة عليه فى أعقاب فك الارتباط الثانى . بل أكثر من ذلك فإنه كان مصابا بخيبة أمل فى الشعب المصرى نفسه بعد حوادث ١٨ و ١٩ يناير، وقد حسبها جحودا لا يستحقه بعد حرب أكتوبر .

٣ ـ هل تصور الرئيس "السادات" أن ضيق الغرب ، والولايات المتحدة فى مقدمته، بالرئيس "معمر القذافى" سوف يجعل الجميع مؤيدين متحمسين لعمليته كعقاب لـ "القذافى" على استفزازاته للغرب ؟ ثم لعل واشنطن ـ مثل تل أبيب ـ تراها حلا لمشاكل مصر الاقتصادية دون تكاليف تدفعها الخزينة الأمريكية ؟ ـ وإذا كان ذلك ، فكيف أجرى الرئيس "السادات" حساباته بالنسبة لمواقف بقية القوى الدولية بما فيها الاتحاد السوفيتى وأوروبا الغربية .

٤ ـ هل تصورها الرئيس "السادات" غنيمة يزينها للشعب المصرى لكى يقبل بالعملية؟ وهل تصورها إلهاء للجيش المصرى يعطيه مهمة جديدة بدلا من دور ضاع منه بعد عمليات فك الارتباط ؟ ـ وإذا كان ذلك ، فكيف كان عليه أن يصور هذا التوجه المفاجئ للشعب المصرى وللجيش المصرى ؟

□

كانت الذرائع جاهزة ـ أو بمعنى أصح كانت نائمة ومن السهل إيقاظها ، وقد تمثلت فى صفقة السلاح السوفيتى التى عقدتها ليبيا مع الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٧٥ . كانت دواعى هذه الصفقة التى توسط فيها الرئيس "حافظ الأسد" والسيد "ياسر عرفات" ـ معروفة لدى من يعنيهم الأمر ، وفى مقدمتهم الرئيس "السادات" ، بل إن معرفته بظروف هذه الصفقة كانت هى التى دفعته إلى القول بـ "إفلاس الاتحاد السوفيتى" .

وكانت البداية تضخيم هذه الصفقة . وطبقا للبيانات التى نشرت فى مصر فقد ارتفع حجم الصفقة فجأة عن حقيقتها وهى بليونا دولار ـ إلى الضعف ـ وهو ٤ بلايين دولار . وقيل إن بين بنودها قوة مدرعة تصل إلى ألفى دبابة . كذلك أضيف إليها "أن ليبيا وافقت ـ بمقتضى الاتفاق العسكرى الذى عقدت على أساسه هذه الصفقة ـ على إقامة قواعد عسكرية سوفيتية برية وجوية وبحرية على أراضيها وفى موانيها" . كذلك أن الاتفاق يقضى بأن "يمد الاتحاد السوفيتى ليبيا بكل الأسلحة المتطورة التى تنتجها المصانع الحربية السوفيتية والتى تمتنع موسكو عن إمداد دول المواجهة بها" . كذلك فإن الاتحاد السوفيتى اشترط لتوقيع هذه الصفقة "أن يبعث إلى ليبيا بخبراء فى جميع النواحى

العسكرية وعلى جميع المستويات ، وذلك لكى يمكن تحقيق الأهداف الاستراتيجية والسياسية من التحالف العسكرى بين الاتحاد السوفيتى وليبيا فى جنوب البحر الأبيض".

ثم بدأت التلميحات بعد ذلك إلى الاستشهاد بمجلة "آفييشن ويك" ، وهى المجلة الأمريكية المتخصصة فى شئون الطيران الحربى ، عندما قالت "إن طائرات ميراج التى تملكها ليبيا لا تجد طيارين يقومون بتشغيلها ، وإن ليبيا فى حاجة إلى عشرين سنة لكى تستطيع استعمال هذه الطائرات" . ثم كان التعليق المنطقى على هذا الاستشهاد بالقول إنه "إذا لم يكن لدى ليبيا طيارون لاستعمال الميراج التى تملكها ، فمن الذى سيقوم الآن بتشغيل واستعمال الطائرات التى اشترتها ليبيا بمقتضى صفقتها مع الاتحاد السوفيتى ؟" وكان التعليق على ذلك منطقيا بأن تشغيل هذه الطائرات واستعمالها سوف يتمان بواسطة طيارين سوفيت .

كانت المبالغة فى الصفقة الليبية ـ السوفيتية مقدمة أولى . وكانت الخطوة التالية هى الإشارات المتكررة بأن هذا الحجم من السلاح على الجانب الليبى من الحدود المصرية مع وجود خبراء سوفيت وطيارين ، وفى ظرف تدهورت فيه العلاقات بين القاهرة وموسكو ـ كل هذا يمثل خطرا شديدا على الأمن المصرى .

□

ويوم ١٩ يوليو ١٩٧٧ ، بدأت فى القاهرة عملية نشر وإذاعة أخبار بقيام قوات ليبية بالإغارة على مواقع مصرية فى منطقة السلوم . ثم أعلن أن قوات مصرية ردت على العدوان وقامت بالدخول إلى المواقع التى انطلقت منها العمليات ضد المواقع المصرية ، وإنها قامت بتدميرها وعادت إلى قواعدها فى مصر . ويوم ٢٣ يوليو ١٩٧٧ أذيع بيان لمتحدث عسكرى مصرى كان نصه : "بعد أن عادت قواتنا إلى مواقعها داخل الأراضى المصرية أمس الخميس ٢١ يوليو ١٩٧٧ بعد تنفيذ مهامها ضد القوات الليبية المعتدية ، عاد النظام الليبى ليلة أمس واستأنف قصف مواقعنا الأمامية بنيران المدفعية على فترات متقطعة خلال الليل . وقامت قواتنا بالرد عليها بالنيران حتى أسكتتها . وفى صباح اليوم ٢٢ يوليو ١٩٧٧ قامت الطائرات الحربية الليبية بثلاث إغارات جوية تتكون كل منها من طائرتين ضد منطقة السلوم . وأصابت ثلاثة أفراد عسكريين بجراح . ولما كان النظام الليبى مستمرا فى اعتداءاته وخاصة بقواته الجوية بطريقة تهدد أمن قواتنا وأراضينا ، فقد

قامت قواتنا الجوية بعد ظهر اليوم - الجمعة - بمهاجمة قاعدة العضم الجوية (من المفارقات أن اسم القاعدة كان قد تغير منذ سنة ١٩٧٠ من قاعدة العضم إلى قاعدة جمال عبد الناصر الجوية) التى تستخدمها الطائرات الليبية فى الإغارة علينا . وهى تقع على مسافة ٣٠ كم جنوب مدينة طبرق ، وعلى بعد ١٢٠ كم غرب الحدود المصرية . وقد أسفر هجومنا الجوى على القاعدة عن تدمير شديد بالقاعدة ومنشآتها وبعض الطائرات بها . وعادت جميع طائراتنا التى قامت بالضربة إلى قواعدها سالمة دون أية خسائر ."

واتسع نطاق العمليات . وكان الرئيس "السادات" حتى هذه اللحظة يسميها عملية "تأديب" للقذافى . ولكن حجم الغارات على المطارات الليبية فى برقة كان يشير إلى أهداف أوسع .

وكانت الصورة فى بعض جوانبها مأساوية . فالهجوم على القواعد الليبية أحدث خسائر كبيرة . ومن المحزن أن الجرحى الذين أصيبوا فى الغارات على قاعدة العضم مثلا جرى نقلهم بسرعة إلى مستشفى طبرق ، ومعظم أطبائه فى ذلك الوقت مصريون ، كما أن مديره كان جراحا مصريا مشهورا ، هو الدكتور "مصطفى الشربينى" ، وقد وصل به الأسى إلى درجة أنه بعث ببرقية إلى الرئيس "السادات" يقول فيها إنه كان يجرى العمليات للضباط والجنود الليبيين وهو لا يكاد يرى مواقع جراحهم لأن الدموع كانت تملأ عينيه .

كان الرأى العام المصرى فى حالة دهشة . وكانت العواصم العربية لا تكاد تصدق ما هو جار على الساحة . وتحرك الرئيس الجزائرى "هوارى بومدين" يدعو إلى وقف لإطلاق النار . وعرض السيد "ياسر عرفات" أن يقوم بمسعى للوساطة بين القاهرة وطرابلس .

□

فوجئت واشنطن بهذا التصعيد الخطير على الحدود المصرية - الليبية . وتحركت شركات البترول الأمريكية العاملة فى ليبيا وأبدت قلقها على سلامة حقول النفط فى برقة ، كما أبدت خشيتها من أن يكون هدف الرئيس "السادات" من هذه العمليات فى ليبيا أوسع من غارة تأديبية . ومن ناحية أخرى فلم يكن هناك فى واشنطن من هو مستعد لقبول فكرة استيلاء مصر على حقول النفط الليبية . فقد كان الهدف الأمريكى الثابت هو الحيلولة بين مصر وبين أى تأثير كبير على أسواق النفط أو على مواردها . وربما أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن تعرف شيئا عن إيحاء إسرائيلى سابق بأن إسرائيل على

استعداد أن تطلق يد مصر في الغرب في مقابل أن تسمح مصر من جانبها بإطلاق يد إسرائيل في الشرق - وهو المعنى المفهوم من الإيحاءات الإسرائيلية السابقة .

وتلقى السفير الأمريكي في القاهرة "هيرمان آيلتس" تعليمات بمقابلة الرئيس "السادات" ليطلب منه وقف العمليات العسكرية ضد ليبيا فورا ، باعتبار "أن هذه العمليات تمثل تصعيدا خطيرا للموقف في الشرق الأوسط لا تتحمله الظروف والأوضاع السائدة فيه" . ومن المثير أن الرئيس "السادات" لم يكن يتوقع تدخلا أمريكيا . فقد كان على شبه يقين بأن الولايات المتحدة لا تمانع في عمل يقوم به لتأديب "القذافي" ، كما خطر له أنها على علم بوسيلة من الوسائل بالإيحاء الإسرائيلي القديم . ويبدو أنه لم يشأ إخطارها بنياته مقدما حتى لا يحرجها أو يحرج نفسه . لكن آخر ما تصوره هو طلب أمريكي حازم إليه بضرورة وقف العمليات العسكرية على الحدود المصرية ـ الليبية .

وقد ساق "هيرمان آيلتس" حججا موضوعية عزز بها الطلب الأمريكي . وبدأ فتساءل عما إذا كانت العمليات العسكرية جزءا من مخطط سياسي عام له جزء سياسي مواز داخل ليبيا ؟ بمعنى أن مصر رتبت لانقلاب عسكرى ضد "القذافي" في طرابلس" أو لحركة شعبية تقوم ضده . وكان الرد عليه بأن مصر لم تفعل ذلك ، وإن كان احتماله واردا عندما يرى الجيش الليبي والشعب الليبي عواقب استفزازات "القذافي" ضد مصر .

ثم أثار "آيلتس" موضوع كفاية القوات المصرية المشتركة في العملية لاحتلال منطقة بحجم برقة . وأبدى أنه يشك في ذلك ، وأضاف أنه اطلع على صور استكشاف قامت به الأقمار الصناعية فوق منطقة العمليات ، وقد اتضح منها أن بعض ناقلات الجنود إلى الحدود الليبية قد تعطلت على الطرقات ، وإن عدم نجاح العملية العسكرية قد يؤدى إلى إفقاد الجيش المصرى لثقته بنفسه بعد ما حققه هذا الجيش في أكتوبر . والنقطة المركزية هنا ، هي أن أرض العمليات واسعة جدا والسيطرة عليها شاقة خصوصا إذا لجأت ليبيا إلى المقاومة على طريقة حرب العصابات .

ووصل "آيلتس" بعد ذلك إلى حجة أحس أنها سوف تؤثر على الرئيس "السادات" أكثر من غيرها ، فتساءل عما إذا كان الجيش المصرى في هذه اللحظة مستعدا لأن يجد نفسه ممنوعا من التمركز في الشرق في مواجهة إسرائيل ومحتشدا للعمل في الغرب ضد دولة عربية ؟

وكانت تلك قمة المفارقات !

وفي كل الأحوال فقد كانت رسالة واشنطن واضحة بضرورة وقف العمليات فورا .

ومن حسن الحظ أن الرئيس "هوارى بومدين" توجه في هذه اللحظة إلى ليبيا ، ثم

ظهرت طائرته فجأة فوق مطار الإسكندرية وطلبت إذنا بالنزول فيه . وفى تلك اللحظة كان هناك بيان عسكرى مصرى يقول "إن قوات من وحدات الصاعقة المصرية تساندها القوات الجوية تقوم الآن بمهاجمة معسكرات ليبية فى منطقة واحة جغبوب شمال غرب واحة سيوة المصرية . كما أن الطائرات المصرية قامت بتدمير مطارى العضم والكفرة وقواعد كثيرة للرادار والصواريخ" .

□

كان اللقاء بين الرئيس "السادات" والرئيس "بومدين" عاصفا ، مع أن الرئيس "السادات" كان مطلوبا منه أمريكيا أن يوقف إطلاق النار، فقد ظن من الأنسب فى هذه الظروف أن يعطى الفضل للرئيس"بومدين" ولو كغطاء يستر التدخل الأمريكى . وهكذا راح يشرح لـ "بومدين" أنه اضطر اضطرارا إلى العمل العسكرى . وكانت حججه :

- إن "القذافى" يتحرك بمخطط مرسوم له من الاتحاد السوفيتى الذى أوضح فى بياناته بعد نشوب المعارك "انحيازه الكامل إلى وجهة النظر الليبية" .

- إن "القذافى" يقوم بحملة كراهية ضده وقد استغل شعار "رد العدوان" ليعبئ الشعب الليبى بالشك فى مصر وفيه شخصيا ، والدليل على ذلك الطريقة المسرحية التى يتم الإعلان فيها عن "أسماء قوائم الشهداء الليبيين الذين قتلهم المصريون" .

- إن "القذافى" يريد تغطية مشاكله الداخلية ، ولذلك افتعل معركة مع مصر ولم يكن أمامه ـ أى "السادات" ـ سوى أن يرد عليها بما يوقف "القذافى" عند حده. وقد أعطى الرئيس "السادات" معلومات لـ "بومدين" مؤداها "أن القذافى يستخدم وسائل الحرب البكتيريولوجية ضد القوات المصرية ، وأنه قام بتسميم عدد من الآبار التى تعتمد عليها القوات المصرية للحصول على مياه الشرب" .

ودام اجتماع "بومدين" و"السادات" ست ساعات ونصف الساعة ، عاد بعده "بومدين" إلى طرابلس وبدأ يعد لترتيبات لوقف إطلاق النار بعد أن حصل من الرئيس "السادات" على قبول مبدئى بالفكرة . ولم يكد "بومدين" يغادر مصر حتى وصل إليها عدد من الرؤساء والمبعوثين العرب والأفارقة ، بينهم الرئيس "أياديما" رئيس جمهورية توجو الذى جاء معه بالسيد "ويليام أتيكى" سكرتير عام منظمة الوحدة الأفريقية . وبعدهما وصل السيد

"ياسر عرفات" والسيد "عبد الحليم خدام" والشيخ "صباح الأحمد الصباح" . وكانت ألسنة النار قد بدأت تهدأ على الحدود المصرية ـ الليبية .

واكتشف الرئيس "السادات" أن فكرة غزو ليبيا أجهضت فى بدايتها ، ثم إنها لم تؤد إلى تغيير يذكر فى مجمل الوضع العام الذى يواجهه . فلا هى حققت مكسبا اقتصاديا ، ولا هى شدت اهتمام الشعب المصرى ، ولا هى ألهت القوات المسلحة المصرية . بل ربما كان العكس هو الصحيح . فقد بدا الأمر من أوله إلى آخره مغامرة غير محسوبة فى موقف شديد الدقة والحساسية .

وكان لا بد من البحث عن فكرة جديدة ، وعن مخرج قابل للنجاح .

٤

القـــــدس

" الملـك الحسـن كـان يتحـدث معـى طـوال الوقـت كعضـو فى نقابـة الملوك العرب "

("موشـى ديان" عن مقابلته مع ملـك المغرب)

تلقى الرئيس "السـادات" ثـلاث ضربـات موجعـة فى النصـف الأول من سنـة ١٩٧٧:

- أحداث ١٨ و ١٩ ينايـر، حين وجد جمـــاهير الشـــعب المصرى تنتفض ضـد نظام حكمـــه.
- نجاح كتلـة "الليكود" فى الانتخابات النيابية للكنيست الجديد فى إسرائيل - حـين وجـد أمامه صقور إسرائيل ، وكان يتصور أنه سيجـد الحمائم (على فرض أن حـزب العمل كان من حمائم السـلام) .
- إجهاض محاولته الأخيرة لحـل مشاكل مصـر الاقتصادية بموارد ليبيـا البتروليـة — حين اكتشـف أن الذى تصـدى لإيقاف المحاولة ليس خصومه مـن العـرب ، وإنمـا صديقه الجديد فى البيت الأبيـض .

كانت تلك حالة من الحصار فرضته الحوادث وخلقت به مناخا من حوله قابـلا فـى أى لحظـة للالتهاب . ومن سـوء الحـظ أن مجمل الظروف السياسية والاجتماعية فـى مصـر فـى ذلـك الوقـت أحاطتـه بمجموعـة مـن الأصدقـاء والمستشـارين كـانت رؤاهـم الاسـتراتيجية والاقتصادية والفكرية غائمة ومعتمـة . وذلك وضعـه تحت شعور مما يعرف فى علـم النفـس بـ "حصار المكان" claustrophobia . وراح يبحـث بعصبية عن مخـرج مما يشعـر بـه وكأنـه يطبـق عليه .

□

كان "كارتر" فى واشنطن من أكثر الناس متابعة لمشكلة الرئيس "السادات" ، وﻗ
أنه يتحمل مسئولية خاصة تجاهه . فالرجل أثناء لقائهما فى واشنطن أعطاه ثقته
وترك له قضيته أمانة ، وأظهر له اعتماده بالكامل عليه . وهو لم يستطع فى الم
يقدم له شيئا . بل إن الظروف فرضت عليه أن يقوم نحوه بدور "نذير السوء" :

ـ أخطره بما دار بينه وبين "بيجن" وليس فيه ما يشجع .

ـ وطلب منه أن يوقف عمليته فى ليبيا ، وهو يتصور أنه علق عليها أملا .

وبشكل ما ، فإن "كارتر" كان يشعر أن الرئيس "السادات" لا يعرف طبيعة
السياسى الأمريكى بالقدر الكافى . فهذا النظام القائم على الضوابط والضمانات
and balances لا يعطى للرئيس الأمريكى السلطة التى يتصور كثيرون فى الع
يملكها . ثم إن إيقاع النظام الأمريكى بانتخابات عامة كل سنتين (كل أربع سنوات
ومجلس النواب ونصف مجلس الشيوخ وحكام الولايات ـ وكل سنتين لنصف الكو
ـ ومعنى ذلك أن رئيس الولايات المتحدة يواجه حالة انتخابات مستمرة يتعرض فيه
المصالح والضغوط والنزعات التى تؤثر فى الناخب الأمريكى . ومع أن هذا النظام
حيوية ضخمة للتجديد فى الولايات المتحدة ، فإنه يحد من حرية الرئيس فى
على السياسات خصوصا فى المجال الدولى .

وأحس "كارتر" أنه مطالب بالتحرك على جبهة الشرق الأوسط ، وإلا فإن
الرئيس "السادات" سوف يتعرض للخطر فى مصر بسبب الضربات الثلاثة التى تلق
نصف العام الذى مضى ، وأيضا بسبب ما يمكن أن يندفع إليه من تصرفات نتيجة
فى الحفاظ على سلطته فى مصر . وكان انحياز مصر للغرب جائزة من أهم الجوائ
يمكن أن تحسم صراع الحرب الباردة . فإخراج الاتحاد السوفيتى من قلب الشرق
لم يكن ممكنا على الإطلاق بواسطة الولايات المتحدة ، وإنما كان ممكنا بواسطة
الأوسط نفسه . وقد قام الرئيس "السادات" بهذا الدور فعلا .

وفى يومى ٣٠ و ٣١ يوليو ١٩٧٧ عقد "كارتر" اجتماعين للجنة الدائمة لمجلس
القومى، وطرح للبحث أمر الخيارات المطروحة أمام الرئيس "السادات" . وفى خلال
البحث ـ وطبقا لرواية "بيل كوانت" وهو يومها مختص بشئون الشرق الأوسط فى
الأمن القومى ، ومساعد خاص لـ "زبجنيو برجينسكى" ـ جرى الحديث عن
الرئيس "السادات"، وذلك فى معرض بحث خياراته المتاحة من منظوره . وسجل "كو

- إن "فانس" قال إن الرئيس "السادات" قوى فى العموميات ، ضعيف عندما
الأمر إلى مستوى تنفيذها .

● وأما "برجينسكى" فقد كان رأيه أن مشكلة "السادات" هى عجـــزه عـن التفرقـة بـين الحقيقة والخيال fact and fiction .

□

وكانت نتيجة الدرس والبحـث : "أن الخيـار المتــاح لـلرئيس "الســادات" هـو مواصلـة السعـى على طريق التسويـة السلمية ، وإن الولايات المتحـدة مسئولـة عن مســاعدته باسـتبقاء قـوة الدفـع فى هذه العمليـة وتحريكهـا باستمـرار ."

وهكذا ، فإن "كارتـر" سارع إلى التصرف وقـرر إرسال وزيـر خارجيته "سايروس فانــس" إلى المنطقة بادئا بزيارة الرئيس "السادات" فى بدايـة شهـر أغسطس ١٩٧٧ ولم تكن قد مضت على وقـف المعارك ضـد ليبيـا أكثر من عشـرة أيـام .

وتحتوى مجموعة أوراق الرئيس "كارتر" على مذكرة كتبها بخط يده تضمنت تعليماته إلى "سايروس فانس" وجاء فيها بالنص :

"إنك مقبـل عــلى مهمـــة صعبـــة فى رحلتـك القادمة . وأنا أتمنى أن تحقــق مـــا يلـــى :

(أ) أن تقنع الأطراف بالإطار الذى نقترحه للتسوية . وإذا لم تتمكـن مـن ذلـك فإنى أريد أن تكون المواقف محددة بحيث نستطيع أن نحشد أكبر قــدر مـن التأييد ضد هؤلاء الذين يعترضون طريق التسوية .

(ب) أريدك أن تقنع الأطراف بضرورة التفاهم قبل عقــد مؤتمـر فـى جنيــف . ويمكن أن يتم ذلك العمل التمهيدى فى سـبتمبر فـى نيويـورك بمناسـبة وجودهم جميعا فى دورة الجمعية العامة للأمـم المتحدة .

(ج) الحصول على موافقة الأطراف على اتباع الترتيبات السابقة التى مورسـت من قبل أثناء مؤتمر جنيـف .

(د) أن ترتب لمنظمة التحرير الفلسطينية وجـودا فـى المؤتمـر مـع بقيـة الـدول العربية وعلى أساس اعتراف المنظمة بقرارى مجلس الأمـن ٢٤٢ و ٣٣٨ - مـع قبـــول فكـــرة أن المشكـــلة الفلسـطينية سـوف تكـون علـى جـــدول أعمال المؤتمـر .

إننا يجب أن نبقـى الاتحاد السوفيتى علـى علـم بخطواتنـا ، ويجـب أن نتبـع أسلوب الصراحة مع كل الأطراف ، ويجب أن نكون مستعدين لاتخـاذ مواقـف قويــة

وعلنية بعد أن تعود من رحلتك . وإذا ما استجابت منظمة التحرير لطلباتنا بالاعتراف بحق إسرائيل فى الوجود ، فلك أن تتصل بهم علنا أو سرا كما ترى مناسبا .

مع أحسن تمنياتى

جيمى "

□

وعندما التقى "فانس" بالرئيس "السادات" فى الإسكندرية وجد - على حد ما قاله فى تقريره إلى الرئيس "كارتر" فيما بعد - "إن الرئيس "السادات" نافد الصبر وضيق الصدر بما يسمعه . وكان "يتفجر" بتصورات كثيرة يريد أن يختبرها" . وحاول "فانس" تهدئته ، ثم اكتشف بعد قليل أنه أمام مشكلة حقيقية لأن الرئيس "السادات" لا يريد أن تكون التسوية فى المرحلة القادمة من خلال مؤتمر عام على نسق مؤتمر جنيف تحضره كل الأطراف العربية بوفود منفصلة - كما حدث من قبل - أو بوفد واحد كما يقترح عليه "فانس" الآن . وفيما يتعلق بفكرة وفد عربى واحد فإن "فانس" فوجئ بالرئيس "السادات" يقول له "إذا جلسنا فى وفد واحد فسوف ننفجر من داخلنا لأن كل واحد فينا سوف يكون له فيتو على الآخر" . وكان الحل الأفضل من وجهة نظر الرئيس "السادات" أن تتولى الولايات المتحدة دور الشريك الكامل فى اتصالات مع إسرائيل بحيث يمكن التوصل إلى حل مصرى - إسرائيلى لا يكون على سوريا بعد ذلك غير أن تحتذى مثاله ، ويليها الأردن ، ولا يعود فى وسع الاتحاد السوفيتى أن يفعل شيئا .

وكان الرئيس "السادات" يعتقد ، كما بدا من حديثه مع "فانس" ، أنه رتب الموضوع الفلسطينى وضمن اعتراف منظمة التحرير بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ وإن بطريقة مبطنة. كان السيد "ياسر عرفات" فى مصر وقتها ، و"فانس" يعرف ذلك . وكان "أبو إياد" الرجل القوى فى المنظمة وقتها مع "عرفات" فى مصر . وقد حصل الرئيس "السادات" من "عرفات" على ورقة قدمها لـ "فانس" جاء فيها :

"إن منظمة التحرير تقبل قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، مع التحفظ بأنها تعتبر القرار غير كاف فى إشارته للمشكلة الفلسطينية ، لأنه لا يشير فى أى بند من بنوده إلى وطن قومى للشعب الفلسطينى homeland . وهى تعتبر أن لغة القرار ٢٤٢ متصلة بحق كل شعوب المنطقة فى أن تعيش بسلام" .

وكان "فانس" راضيا عن هذه الصيغة رغم أن السفير الأمريكى فى القاهرة اقترح أن تضاف إلى آخرها جملة "بما فى ذلك إسرائيل" . لكن "فانس" اعتبر الصيغة الفلسطينية التى قدمها له الرئيس "السادات" "معقولة" وكافية لدعوة الفلسطينيين لأن يكون لهم ممثل ضمن الوفد العربى الموحد - وهى فكرة لم يكن الرئيس "السادات" قد اقتنع بها بعد، لكنه سمح بمناقشتها عسى أن تصل فى النهاية إلى مخرج . وقد وصل فى بحث التفاصيل مع "فانس" إلى حد اقتراح أن يكون الممثل الفلسطينى فى الوفد العربى الموحد من غير أعضاء المجلس الوطنى الفلسطينى ، كما كان يطلب "فانس" ، ولكى لا تشك إسرائيل فى أن أحدا ينصب لها فخا لاعتراف غير مباشر بمنظمة التحرير لم تكن قابلة له . وقدم الرئيس "السادات" لـ "فانس" اسم الدكتور "إدوارد سعيد" ، وهو مفكر فلسطينى مرموق يعمل أستاذا للأدب المقارن فى جامعة كولومبيا فى نيويورك ، ثم إنه يحمل جواز سفر أمريكيا .

ولوهلة بدا أن الأمور تسير مع أن الرئيس "السادات" كان لا يزال على شكوكه إزاء فكرة الوفد العربى الموحد ، لكنه تصور أنه إذا أخذ الفلسطينيين معه إلى تسوية مع إسرائيل فإن أحدا من الأطراف العربية لا يبقى فى يده ما يزايد به عليه .

وهكذا ، فإنه كان جادا فى مسألة التمثيل الفلسطينى بصرف النظر عن المؤتمر الدولى فى جنيف ، وهل ينعقد أو لا ينعقد ، وهل يحضر العرب فيه وفدا واحدا أو لا يحضرون.

وزاد على ذلك أن الرئيس "السادات" عرض فى نفس يوم وجود "فانس" فى الإسكندرية على السيد "عرفات" وبحضور "أبو إياد" - فكرة "غزة" و"أريحا" أولا بحيث تستطيع المنظمة أن تحصل على قطاع غزة وعلى موطئ قدم فى الضفة الغربية ، وهذا يعطيها صفة مفاوض يقف على أرض وطنية ويعمل منها فى طلب بقية الأرض فى حدود مفهوم وتفسيرات قرارات مجلس الأمن .

ولكن محاولة "فانس" نسفت من أساسها عندما ذهب إلى إسرائيل والتقى بـ"بيجن" وقدم إليه نتائج محادثاته فى الإسكندرية . فقد اعترض "بيجن" أولا على العودة إلى جنيف أو إلى غيرها ، كما رفض بطريقة قاطعة اقتراح الوفد العربى الموحد . وفيما يتعلق بالفلسطينيين ، فإن "بيجن" أمسك بالورقة التى تحمل الصيغة التى حملها "فانس" وقال لـ "فانس" طبقا لروايته : "هذا شىء يمكن مقارنته بتصرف تشمبرلين فى ميونيخ حينما استسلم أمام هتلر ، وهو غير مستعد لذلك . وهو يعجب لأن بلدا يؤمن بالحرية مثل الولايات المتحدة يقبل ولو ورقة من جماعة إرهابية مثل منظمة التحرير ." ثم ختم كلامه لـ "فانس" بقوله "إن إسرائيل لا تقبل هذا ، ولن تقبله" .

وعـاد "فانـس" إلى واشـنطن بعـد أن عـاد مـرة أخـرى إلى مصـر ، والتقـى الرئيـس "السـادات". وكان ما زال يؤكد أن الرئيس "كارتر" سيجد وسيلة لإقناع "بيجـن" بأن مؤتمـرا دوليا على غرار جنيف هو السبيل الوحيد للوصـول إلى تسـوية فـى الشـرق الأوسـط يمكـن أن ينتج عنها سلام حقيقـى . ولكـن "فـانس" أحـس أن الرئيـس "السـادات" ـ أيضـا ـ ليـس متحمسـا . ثم وجـد الرئيس "السادات" ينفـرد به لبعض الوقت ويعطيه مشروع اتفاق سـلام بين مصـر وإسرائيل يعرضه على الرئيس "كـارتر" . وقـال "فـانس" فـى مذكراتـه إن الرئيـس "السـادات" قـال له إن المشروع الذى يقدمـه لـه هـو موقـف مبدئـى يمكـن أن يكـون أساسـا للبحـث ، لكنه ليس "موقفـى النهائـى" . ثم طلب إليه أن يقول ذلك للرئيس "كـارتر" وأن يرجوه فى الاحتفاظ بذلك سرا ، ولا ينقلـه الآن للإسرائيليين .

□

وفى هذه اللحظة المواتية تلقى الرئيس "السادات" رسالة مـن "نيكـولاى تشاوشيسـكو" ، وكان الرئيس الرومانى فيها ينقـل رسالة من "بيجـن" تكرر رسائل سبـق لـ "تشاوشيسـكو" أن تلقى مثلها من قـادة حـزب العمـل ـ تعرض استعداد "بيجـن" للقـاء الرئيس "السادات" فى أى مكان يختاره . وقال "تشاوشيسكو" إنه يشعر بعد لقـاء بينه وبين "بيجـن" أن رئيس وزراء إسرائيل الجديد "راغب فى دخول التاريخ كرجل سـلام ، وإنـه مـن جانبـه كصديـق ينصـح بانتهاز الفرصـة ، خصوصا وأنه يتصور بيقـين أن "بيجـن" سوف يكـون مسـتعدا أن يعطـى الرئيس "السادات" مباشرة أكـثر ممـا يمكـن أن يعطيـه لـه عـن طريـق "كـارتر" أو غـيره مـن الوسطـاء . ثم إن "بيجـن" قادر على تنفيذ ما يعـد به ." ومن الغريب أن "تشاوشيسكو" أعـاد مرة أخرى إلى الرئيس "السادات" تشبيـه وضـع "بيجـن" بوضـع "ديجول" الـذى وافـق علـى اسـتقلال الجزائـر ، ولم يكـن غـيره ليسـتطيع إقنـاع الشعـب الفرنسـى بذلـك . ولم يكـن "تشاوشيسكو" مصـدر الرسائل الوحيد من "بيجـن" لأن رئيس الوزراء الإسرائيلى الـذى خـرج من لقائه لـ "كارتر" بتقدير ضعيف لكفاءتـه ـ رأى أن أفضـل طريق متاح للتسوية هو اتفـاق مباشـر بـين مصـر وإسـرائيل . وهكـذا ، فإنـه إلى جـانب رسـالته الرئيسـية عـن طريـق "تشاوشيسكو" ، بعث إلى الرئيس "السادات" برسائل تحمل نفـس المعـنى عـن طريـق الملـك "الحسن" ملك المغـرب ، وعن طريق الشاه "محمد رضا بهلوى" إمبراطور إيران.

كان "بيجـن" بعد لقائـه بـ "كـارتر" يريـد أن يتجنـب قـدر مـا يستطيع اعتمـاد البـاب الأمريكى طريقا إلى العـرب . ومن هنا ، وكمـا تظهـر الوثـائق ، فإنـه بـدأ بعـد أسابيع فـى

السلطة باتصال مباشر مع الملك "حسين" أولا . وتم بالفعل لقاء فى العقبة بين الملك "حسين" ووزير خارجية "بيجن" الجنرال "موشى ديان" . وفى هذا الاجتماع قال الملك لـ "ديان"إنه مستعد لعقد اتفاق منفصل مع إسرائيل غير عابئ بأى مواقف عربية معادية . لكنه لكى يقدم على ذلك "لا بد أن يحصل على شروط سخية تمكنه من مواجهة خصومه العرب فى عيونهم" ، وأول هؤلاء الخصوم منظمة التحرير التى قوى مركزها بعد أن حصلت فى الرباط سنة ١٩٧٤ على قرار باعتمادها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطينى . كان الملك على استعداد لقبول اتفاق منفصل إذا حصل على الضفة الغربية وعلى القدس الشرقية وعلى غزة . وحسابه أنه لو تمكن من ذلك لما وجد خصومه من العرب سبيلا إلى مهاجمته . وكان رأى "ديان" ، وقد صارح به الملك ، أن طلبه مستحيل . وكان رد الملك أنه بدون تحقيق هذا الطلب فإن إقدامه على تسوية منفردة هو المستحيل ذاته .

□

كان الملك "الحسن" أشد المتحمسين لدور الوسيط فى الصراع العربى ــ الإسرائيلى ، وبعد اتصال "بيجن" به فإنه راح يلح من الرباط ، وقد عدل الاقتراح بلقاء مباشر بين "السادات" و"بيجن" لكى يكون مستواه أقل من مستوى الرؤساء ، ولكنه ينبغى أن يكون على مستوى مسئول يعطى الاقتناع للطرفين بجدية الموضوع . وكان الملك لمزيد من طلب الجدية على استعداد لوضع الاجتماع تحت رعايته .

كان الجنرال "أحمد الدليمى" هو مبعوث الملك مرة أخرى إلى الرئيس "السادات"، الذى جلس إلى الجنرال المغربى يحاول أن يستطلع منه تصور الملك لتنفيذ اقتراحه . وفيما بعد، قال الرئيس "السادات" إنه مشى على شاطئ البحر فى المعمورة وحده عشرات الكيلومترات يفكر فى الاقتراح ، ثم انتهى إلى قبوله على شرط السرية الكاملة .

وكان تفكيره :

- إنه لن يخسر شيئا باستكشاف نيات إسرائيل طالما أخذ كلمة الملك ووعده بسرية اللقاء .
- إن الرئيس "كارتر" لا يبدو قادرا على عمل شىء .
- وإن المشكلة الآن معلقة ـ على حد تعبيره ــ "بين الأرض والسماء" ، فاتفاقات فك الارتباط وضع مؤقت لا يصنع سلاما ولكنه يمنع حربا .

- إن التوصل إلى موقف عربى عام ميئوس منه فى الظروف الحالية .
- إن أوراقه كلها على فرض التوصل إلى موقف عربى عام سوف تكون مرهونة بيد غيره ، وبالذات السوريون .
- إنه يعرف لأسباب كثيرة أن المطالب الإسرائيلية الحقيقية ليست فى مصر ، وبالتالى فإنه من الممكن الوصول إلى حل مقبول للشعب المصرى .
- وإن الوصول إلى حل مقبول يفتح الباب لحل الأزمة الاقتصادية فى مصر لأن الحصول على مساعدات أمريكية سوف يصبح ممكنا بعدها .

ثم لم يلبث الرئيس "السادات" أن تلقى رسالة من الملك "الحسن" بأن الطرف الإسرائيلى أبلغه بأن مندوبهم إلى اجتماع يرتبه الملك سوف يكون وزير الخارجية "موشى ديان" بنفسه.

□

ولم يكن الرئيس "السادات" يعرف وقتها أن الملك "الحسن" قد التقى بـ "موشى ديان" فعلا .

إن "موشى ديان" رسم صورة تفصيلية لمقابلته مع الملك يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٧ . ومن المؤكد أن رواية "ديان" فى هذه الحالة صحيحة . فهو بالقطع حريص على عدم إغضاب الملك "الحسن" من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الملك "الحسن" لم يتعرض بتعليق لما رواه "ديان".(٣)

قال "ديان" إن لقاءه مع الملك مساء هذا اليوم كان فى القصر الملكى فى فاس ، وإنه بدأ فى الساعة الثامنة والنصف واستغرق ساعة ونصف الساعة قبل العشاء . وحضره عدد من خاصة الملك ، وعدد من الإسرائيليين الذين رافقوا "ديان" إلى لقائه السرى مع الملك . ويقول "ديان" إن حديث الساعة ونصف الساعة قبل العشاء كان جوهر اللقاء . وروى "ديان" بكلماته :

---

(٣) صفحة ٤٠ من مذكرات "موشى ديان" : "الاختراق" Breakthrough - الصادر فى لندن عن دار نشر "ويدنفيلد آند نيكلسون" عام ١٩٨١ .

"كنا وحدنا الملك وأنا ، ولم يكن هناك مترجم ، وكان الملك مفتوحا وديا ولبقا ومباشرا . وقد أحس دون أى إشارة منى إلى أهمية أن يوضح لى موقفه فيما نحن بصدده . وعبر عن ذلك بقوله "إذا أصبح أمر هذا اللقاء معروفا فإن عرشى قد يسقط، إن لدىّ جالية يهودية كبيرة فى المغرب ، ولى شعبية بينهم . وبالنسبة لى فهم مواطنون مغاربة . إننى أتحدث بصراحة عن علاقتى باليهود وعن رغبتى فى تحقيق السلام بين الدول العربية وإسرائيل" . ووجد الملك ضروريا أيضا أن يعتذر عن غياب وزير خارجيته قائلا " إنه فى القاهرة يحضر اجتماعا لوزراء الخارجية العرب" . وتحدث الملك عن العالم العربى مشيرا إلى حرب يوم الغفران (حرب أكتوبر) مشيرا إلى أنه كان هناك لواء مغربى حارب مع السوريين ضدنا فى هضبة الجولان . ثم ذكرنى مرة أخرى بأن لقاءه بى كعضو فى الحكومة الإسرائيلية يمثل مخاطرة بالنسبة له ."

ويمضى "ديان" فى روايته ليقول :

"حتى بعد أن سمعت هذا الإيضاح من الملك فلم يكن ظاهرا لى لماذا قام بهذا المسعى من أجل السلام الآن ؟ وما هو السبب الخاص الذى دعاه إلى ذلك ؟ ـ لقد كانت هناك مواجهات متعددة بيننا وبين بلاده . وقد أخذت الانطباع بأن الملك بمزاجه يرغب فى عمل أشياء طيبة بطبيعته do gooder by nature ".

(لم يدرك "ديان" بوضوح كاف أن دافع الملك إلى مجهوده الذى قام به الآن، كان ـ بين أسباب أخرى ـ مخاوفه مما يمكن أن يحدث فى مصر بعد الضربات الثلاثة التى تلقاها الرئيس "السادات" فى النصف الأول من سنة ١٩٧٧ ـ وأخطرها فى رأيه حوادث ١٨ و ١٩ يناير ، وقد خشى أن تكون بداية حالة ثورية جديدة تجتاح العالم العربى وتصل تأثيراتها إلى الرباط .)

ويستأنف "ديان" روايته :

"إن الملك قال لى إنه كان يتطلع إلى زيارتى لكى يسمع منى آرائى فى المشكلة المركزية والهامة فى الشرق الأوسط وهى "كيف نصنع السلام ؟" ـ وقلت له إن لدينا مشاكل مع العالم العربى المنقسم على نفسه تجاه هذه المسألة . فهناك من لا يرغبون فى السلام مع إسرائيل ولا يريدون أن يروا علما إسرائيليا على مقدمة سيارة سفير إسرائيلى فى دمشق ـ وأعنى بذلك حافظ الأسد . ثم شرحت للملك أننا نرى صورة متناقضة أمامنا فى العالم العربى . فمن ناحية لا تريد دولة عربية أن تنفرد بعقد السلام معنا ، وفى نفس الوقت فإن العرب مجتمعين لا يستطيعون أن يصلوا معا إلى تصور لهذا السلام معنا . وقال الملك وهو يناقش ما

قلت "إن هناك دولة مستعدة للكلام معكم - وهى مصر" . وتمسكت بذلك وقلت للملك " إنه سوف يكون أمرا هاما لو استطاع ترتيب لقاء بيننا وبين ممثل سياسى مصرى" . وقلت له إننا نريد اجتماعا على أعلى مستوى ، ويمكن أن يكون مع حسنى مبارك نائب الرئيس السادات ، أو مع السادات نفسه ، أو مع أى شخص ثالث يختاره الرئيس السادات ليمثله . وقد قال الملك إنه سيرد علىّ خلال أيام ."

ويستطرد "ديان" فيقول :

"وعلى مائدة العشاء ، وبحضور مستشارى الملك ومساعدى الحاضرين معى ، أبدى الملك تفاؤلا بأنه يظن أن الرئيس الأسد سيوافق فى يوم من الأيام على الاجتماع بنا . وشعرت أن الملك يحتفظ بتقدير عال للأسد . وقلت له أيضا إنه لم تجر اتصالات بيننا وبين الرئيس الأسد حتى الآن ، ولقد حاولنا ذلك وفشلنا . ولم يكن الملك متفائلا فيما يتعلق بالفلسطينيين . فالملك حسين ، فى رأيه ، لا يستطيع أن يعقد اتفاقا معنا لأن من شأن مثل هذا الاتفاق أن يطيح بعرشه . وأبدى الملك تقديرا للسادات على حساب سلفه جمال عبد الناصر ، فقال إن عبد الناصر لم يكن رجلا صادقا ، وقد خدع أصدقاءه وأعداءه على السواء . ولكن السادات مختلف ."

وأضاف "ديان" إن الملك كان يتحدث طوال الوقت باعتباره عضوا فى نقابة الملوك العرب .

وعاد "ديان" إلى إسرائيل . ويوم ٩ سبتمبر - بعد أربعة أيام من لقائه مع الملك "الحسن" - تلقى رسالة من الملك بأن الأمور جرى ترتيبها ، وأن المبعوث المصرى المقابل له سوف يكون السيد "حسن التهامى" نائب رئيس الوزراء فى مصر .

وكان "حسن التهامى" فعلا هو اختيار الرئيس "السادات" لذلك اللقاء السرى مع "ديان" فى المغرب . وهو اختيار سوف يظل إلى زمان طويل موضعا للدهشة ، خصوصا بعد أن تكشفت حقائق كثيرة تتصل بترتيبه قبل وقائعه ، وبينها أن اللواء "كمال حسن على" وهو وقتها مدير المخابرات العامة ، كلف بالانضمام إلى "حسن التهامى"، وسافر معه بالفعل ، لكنه لم يحضر الاجتماع مع "ديان" ولم يشارك فيه ، ولم يعرف حتى اسم المسئول الإسرائيلى الذى قابله "التهامى" — وإن كان قد عرف أنه "مسئول إسرائيلى كبير"!

٥

حسن التهامى

"هذا ما عندنا ولكم أن تقبلوه أو أن ترفضوه ،
ولكن ليس هناك سبيل إلى مساومات"

("حسن التهامى"لـ"موشى ديان" أمام الملك
"الحسن")

وإذا كانت هناك رواية واحدة بالنسبة للقاء الأول بين الملك "الحسن" و"موشى ديان"، فإن هناك روايتين للقاء بين السيد "حسن التهامى" وبين الجنرال "ديان" . فقد أذاع كل منهما جانبه من الصورة .

رواية موشى ديان :(٤)

قال "ديان" إن الاجتماع كان محددا له الساعة الثامنة مساء فى قصر الملك فى الرباط. ثم أبلغ فى اللحظة الأخيرة أن الاجتماع سيتأخر بضع دقائق لأن نظيره المصرى يرغب فى لقاء الملك وحده لعدة دقائق قبل الاجتماع . ثم يقول "ديان" : "ولكن هذا اللقاء الذى قيل لنا إنه سيستغرق دقائق امتد لساعة كاملة" .

وتمضى رواية "ديان" وبكلماته على النحو التالى :

"وجدت نفسى أدخل إلى قاعة كبيرة كان الملك يقف فيها وبجانبه "الدكتور" التهامى وعدد من خاصة الملك . ولم يكن معى إلا مرافق واحد هو "رجلنا فى المغرب" . ورحب بى الملك ترحيبا حارا ، وقدمت له هدية هى سيف كنعانى ورأس حربة من البرونز وكلاهما من الألفية الثانية قبل الميلاد . وبينما كان الملك يتفحص الهدية قلت له إنه قبل اختراع الفانتوم والميج فإن الإمبراطوريات كانت تغزى بمثل هذه الأسلحة . وبمثل هذه الأسلحة فى أيدى الإسرائيليين بعد

---

(٤) صفحتا ٤٤ و ٤٥ - المرجع السابق .

الخروج من مصر ،فإن الشعب الإسرائيلى استطاع أن يخضع مملكة كنعان والممالك المجاورة . وشكرنى الملك ثم قال "إن هذه الأسلحة ذكريات حروب قديمة ، وقد جاء الوقت الآن لكى نبنى السلام" . وقدمنى الملك إلى "الدكتور" التهامى ، وهو رجل حسن المظهر له ذقن فضية مقصوصة بعناية وفوقها وجه يعكس قدرا كبيرا من الصحة والعافية. وقد راح يستعمل لهجة توحى بالثقة بالنفس إلى درجة التوتر . وأخرج من جيبه رسالة ، وقال إنها من الرئيس السادات وإنه يريد أن يقرأها علىّ . وفعل ذلك بصوت إملائى أراده مؤثرا . كانت الرسالة مقترحات مصرية للسلام . وقد أنهى حسن التهامى تلاوتها بقوله وهو يضغط على الكلمات "هذا ما عندنا ، ولكم أن تقبلوه أو ترفضوه ، ولكن ليس هناك سبيل إلى مساومات" . ولم أقل شيئا ."

ويمضى "ديان" فى روايته :

"وانتقلنا من حيث كنا إلى ما أسماه الملك عشاء عمل . واستمر هذا العشاء أربع ساعات وانتهى فى الساعة الثانية صباحا . واعتذر الملك بعد بدايته قائلا إنه سوف يذهب لزيارة والدته ويتركنا وحدنا نبحث ما بيننا بطريقة مفتوحة . وراح التهامى يتكلم، ومن خلال كلامه أحسست أنه جاء فعلا للبحث عن سلام . ولكن لفت نظرى أنه لم يكن يعرف شيئا عن الحقائق . وكل ما كان لديه هو الإلحاح على الانسحاب الإسرائيلى من الأرض المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ . وقد أوضح أنهم اتخذوا خطوة جريئة بهذا اللقاء معى ، وإن أحدا لا يعرف بأمره سوى رجلين فى مصر وهما الرئيس السادات ونائبه حسنى مبارك. ثم عاد وضغط على أهمية السرية وألا نفشى خبر هذا اللقاء لأحد ولا حتى للأمريكيين .

وبشكل ما ، فقد أحسست أن إلحاحه على السرية يعكس أزمة كبرياء لديه لا يعرف كيف يعبر عنها ولا يعرف كيف يداريها !

وعاد الملك إلى الاجتماع بعد قرابة ساعة وكنا قد فرغنا من العشاء ، وأبدى رغبته فى أن نتحدث بطريقة منظمة قائلا إنه سيفتتح الحديث . فهذا اجتماع "يمكن أن يكون بداية لمرحلة جديدة فى الشرق الأوسط ، وهو فرصة تتهيأ للأطراف لكى يناقشوا مباشرة ما بينهم". وأضاف أن "الدكتور" التهامى قريب من الرئيس السادات وموضع ثقته . ثم التفت إلى وقال إن مكانتى فى إسرائيل معروفة ، وإن كلينا يستطيع أن يمهد للقاء بين السادات وبيجن . ثم دخل الملك إلى صميم مشاكل الأزمة قائلا "إن الأرض المحتلة هى الموضوع الرئيسى فى الصراع" . ثم ركز بصره على التهامى قائلا "إن هذه الأرض الآن تحت سيطرة إسرائيل ، وإسرائيل لن تتركها بدون ضمانات أمن كافية ، وهكذا فالموضوع الذى يجب مناقشته هو ضمانات الأمن".

وانتقل الملك إلى المشكلة الفلسطينية فقال إنه على استعداد لقبول المنطق الذى يرى أنها خطر يتهدد مستقبل كل من إسرائيل والملك حسين . وهى مشكلة عربية ويمكن الوصول فيها إلى حل مرض لإسرائيل . ولكن ذلك يكون عن طريق الدول العربية كلها .

وفيما يتعلق بسوريا قال إن الرئيس الأسد برغم كل تصريحاته المعادية لإسرائيل سوف يجىء إلى السلام ، ولكنه لا يعتقد أن ذلك سوف يحدث إلا بعد أن يوقع الرئيس السادات صلحا مع إسرائيل . وأعطى الملك الكلمة للتهامى الذى بدأ فقال : إنه لم يكن يتصور يوما أن يلتقى بى إلا فى ميدان القتال ، ولكن مقابلته لى هنا فى بيت الملك الحسن ترضيه ، وقد جاء هنا للبحث عن السلام بفضل جهود الملك وبدافع الثقة التى يضعها السادات فى بيجن وفى شخصيا . وأضاف أن السادات لم يكن يثق فى الحكومة السابقة ، ولكنه ملىء بالثقة فينا نحن (وزارة الليكود) .

ثم قال التهامى إنهم جادون فى البحث عن السلام . فدعونا نرى كيف نستطيع تحقيقه ولكن على شرط أن نحتفظ بما نفعله بيننا وبدون علم الولايات المتحدة . وفيما بعد، وباتفاق على ذلك نستطيع أن نقول لهم . وقال إن السادات يعتقد أن الوقت قد حان لبحث التفاصيل معنا . وإن الرئيس الرومانى نيكولاى تشاوشيسكو اقترح عليه أن يلتقى مع بيجن عنده فى رومانيا ، ولكن الرئيس السادات فضل أن يتم اللقاء بوساطة ملك المغرب الذى يثق هو الآخر فى حكومة بيجن . وإن الرئيس السادات يعلق أهمية كبرى على اللقاء بيننا كمقدمة للقاء بينه وبين بيجن ، فهو لا يريد لذلك الاجتماع على مستوى القمة أن يفشل لأن موضوع السلام هام بالنسبة له ، وعليه تتوقف مسألة السيادة والشرف الوطنى ، وحتى بقاء السادات فى منصبه .

ثم أوضح التهامى أنهم يريدون إجراء جولات أخرى من المباحثات المكثفة بيننا ، ثم يتم الانتقال بها إلى جنيف فى مؤتمر يعطى للجميع سقفا . وأضاف أنه واثق أن اتفاقا بين مصر وإسرائيل سوف يكون له تأثير كبير على الرئيس الأسد وعلى الملك حسين . وأضاف أنه فى ظرف أربع سنوات أو خمس فإن المشكلة كلها يمكن أن تحل . وتدخل الملك الحسن عند هذه النقطة من الحديث وقاطع حسن التهامى قائلا له "ليس لك أن تحدد مواعيد".

وعاد حسن التهامى إلى حديثه فقال إن السادات يريد سلاما وليس استسلاما . وظللت أستمع إليه ثم قلت فى النهاية "إننى سوف أعود إلى رئيس الوزراء بيجن وأبلغه بما سمعته الليلة". وحين حاول أن يحصل منى على إجابات أكثر تفصيلا قلت له "أرجوك أن تتذكر أننى هنا مجرد رسول لبيجن وليس من حقى أن أبدى وجهة نظر فيما سمعته منك" . ووجدت ضروريا أن أستوضحه فى مجموعة من

الأسئلة ، فسألته عن استعداد السادات لتسوية منفردة مع إسرائيل ، وعن رأيه في حرية الملاحة فى البحر الأحمر ، وعن رأيه فى الجولان ، وعن رأيه فى القدس ، وعن تصوره لحل القضية الفلسطينية . وقلت له إننا نثق في السادات ولكننا لا نثق في بقية الزعماء العرب وأولهم حافظ الأسد .

وتدخل الملك ليقود الاجتماع إلى نقاط يتفق عليها ، وجرى الاتفاق على النقاط الثلاثة التالية :

١ ـ إن كلا من الطرفين سوف يعود إلى رئيسه ليعرض عليه ما دار بيننا . وإن علىّ أن أحمل إلى بيجن طلب السادات بتعهد إسرائيلى بالانسحاب من الأراضى الواقعة تحت إدارتنا كشرط لاستمرار المحادثات .

٢ ـ إن كلا من الطرفين سوف يعد مشروعا للسلام يقدمه للآخر كى يدرسه قبل اجتماعنا القادم هو وأنا . وإن ما يقدمه كلانا من مشروعات سوف يعرض على الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ ـ وإذا جرت موافقة رؤساء الحكومات على ذلك فيكون الاجتماع القادم في المغرب فى ظرف أسبوعين .

وحاول حسن التهامى أن يلح فى أسئلته علىّ ، وأجبته بأن كل شىء يمكن أن يطرح للتفاوض . وانتقل حسن التهامى من ذلك إلى مهاجمة عبد الناصر . ووجه إلى سؤالا غريبا، فقد ركز بصره علىّ وسألنى : "قل لى بصراحة ألم يكن جمال عبد الناصر متآمرا معكم سنة ١٩٦٧ ؟" ـ ولم أجد عندى إجابة على مثل هذا السؤال . واستطرد التهامى يقول "إنه رجل مجنون ، وأنا سوف أكتب كتابا عنه" . "

ويختم "ديان" كلامه قائلا :

"إننى عدت بعد ذلك إلى إسرائيل وقدمت تقريرى إلى بيجن ، واتفقنا على ما يلى :

١ ـ أن نتبادل مع السادات مشروع معاهدات سلام بحيث يدرس كل منا موقف الآخر . وأن نخطر الأمريكان بأننا نتفاوض مع دولة عربية دون أن نسميها بالذات .

٢ ـ إنه يجب أن أواصل لقاءاتى مع حسن التهامى .

٣ ـ إنه لا داعى للتفكير الآن فى لقاء مباشر بين بيجن والسادات لأن بيجن ليس على استعداد لأن يعطى تعهدا باستعداد إسرائيل للانسحاب من الأراضى المحتلة ."

ونقل "ديان" عن رئيس الوزراء قوله "إن السادات سوف يعرف رأينا في شرط الانسحاب عندما يطلع على مشروعنا للسلام الذى سنقدمه له" .

رواية حسن التهامي :

في مقال منشور (٥) روى "حسن التهامي" القصة على النحو التالي :

"كان هوى الكتلتين العظميين في ذلك الوقت هو الاسترخاء المؤدى إلى ضياع الحقوق . فكان قرار إجراء الحوار (اللقاء مع ديان) في حد ذاته كسرا لذلك الجمود وإثباتا لعدم الاعتراف بالسطوة الدولية العالمية ، وأننا أحرار في خطواتنا وسياستنا . ولما قيل لى إن المقابلة ستكون مع ديان بنى إسرائيل اتسم الموقف بنوع من التحدى . فديان في نظر العالم صاحب عملية اكتساح حرب ١٩٦٧ ومحقق أحلام إسرائيل وآمالها ، بينما لم يكن في نظرى سوى أعور بنى إسرائيل الذى دخل القدس الشريف على حين غفلة من أمتنا وشعوبنا وتاريخنا ، وإنه لا بد أن يكسر شوكة هذا الرجل رجل منا يوما من الأيام . وبهذا المفهوم والدافع السياسى والقرار ذهبت لمواجهته في هذا الموقف . فلما بادرنى بالسلام ومادا يمينه للمصافحة لم أصافحه ، ولكننى رددت عليه السلام الذى ألقاه بالعربية التى يتحدثها بطلاقة لسان أهل الشام . وقلت له إننى لم أتوقع في حياتى أن أقابلك إلا مواجهة في ميدان المعركة . فرد قائلا "إنه يعتز بهذا اللقاء الذى يعتبره تشريفا له ، فإنه لم يكن ليتوقع أن يلتقى برجل من مصر على هذا المستوى من المنصب والتاريخ الشخصى" !"

وفي حديث صحفى(٦) قال "حسن التهامى" إن "ديان" قال له حينما قابله في المغرب "إنكم أصبتمونا بزلزال (سنة ١٩٧٣) وكنا نعطى الأوامر للجنود الإسرائيليين بالتوجه إلى ساحة القتال مع مصر فيلجئون إلى تعطيل الدبابات أو الآليات ، أو كانوا يختبئون بها في المقابر ، حتى لا يواجهوا الموت على أيدى المصريين" . وتساءل "ديان" مندهشا (طبقا لرواية "حسن التهامى" في هذا الحديث الصحفى) - "لماذا أوقفتم الحرب في اليوم الرابع وكنا على استعداد لأن نستسلم لكم في مقابل أن تبقونا أحياء فقط ؟ وكنا معتقدين أنكم سوف تستمرون في الزحف إلى إسرائيل . وقد حدث انهيار كامل وانتظرنا التسليم في أى لحظة مقابل أن تبقوا علينا أحياء . وقد ذهبت جولدا مائير إلى أمريكا لتطلب منهم الاستسلام . وهذا ثابت ومعترف به في المصادر الإسرائيلية ذاتها ." وقد

---

(٥) مجلة أكتوبر بتاريخ ١٩٧٩/١٢/١٦ .

(٦) جريدة الأنباء الكويتية بتاريخ ١٩٨٦/٤/١٨ .

-وصف كيسنجر جولدا مائير فى مذكراته بأنها كانت حين قابلها أثناء الحرب كالفحمة المحترقة بعد أن كانت قبلها مثل الزهرة اليانعة . ولهذا فإننى قلت لديان عندما قابلته "اسمع ، نحن نتفاوض من مركز القوة" ."

ويبقى الآن ما نقله السيد "حسن التهامى" إلى الرئيس "أنور السادات" ، وليست هناك بشأنه غير رواية واحدة وهى رواية الرئيس "السادات" نفسه . وقد أشار إليها فى اجتماع عقده للمكتب السياسى للحزب الوطنى يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٧ . وقال الرئيس "السادات" بعد أن أبلغ أعضاء المكتب السياسى باللقاء الذى تم فى المغرب بين "ديان" و"حسن التهامى" - إن "التهامى" أبلغه بأن إسرائيل مستعدة للانسحاب من الأراضى المصرية دون تأخير ، ومستعدة بعد ذلك للتفاوض فى كل شىء ، وإنهم يقبلون الانسحاب من بقية الأراضى العربية المحتلة على أساس تعديلات طفيفة كما جاء فى "مشروع روجرز" ، وإنه الآن واثق من النجاح خصوصا وأنه يتذكر أن "كيسنجر" طالما قال له إن الصراع العربى ـ الإسرائيلى قضية نفسية قبل كل شىء ، ولو انكسر الحاجز النفسى لحلت مشكلة الأمن الإسرائيلى وهى العقبة الرئيسية بالنسبة لاستعداد إسرائيل للسلام .

☐

كان الرئيس "السادات" لا يزال يفكر فى الطريقة التى يدفع بها الأمور ، خصوصا وقد كان فى ذهنه على الدوام أن يتجنب فكرة مؤتمر جنيف ، وألا يترك نفسه تحت رحمة ما أسماه مزايدات السوريين والفلسطينيين . وهكذا قرر أن يقوم بزيارة إلى رومانيا يسأل فيها الرئيس "تشاوشيسكو" ويسمع منه . وكان لديه سؤالان وجههما مباشرة إلى الرئيس الرومانى فى لقاء بينهما يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٧٧ .

وطبقا لرواية الرئيس "السادات" نفسه فقد كان السؤال الأول : هل بيجن رجل سلام ؟ - ورد "تشاوشيسكو" بالإيجاب .

وكان السؤال الثانى : وهل بيجن يملك القوة للوصول إلى اتفاق وإلى التزام بتنفيذه ؟ وكان رد "تشاوشيسكو" بالإيجاب أيضا .

ومر الرئيس "السادات" فى طريق عودته من رومانيا بطهران ، والتقى بالشاه الذى تسلم فى نفس يوم وصول الرئيس المصرى إلى العاصمة الإيرانية - خطابا من "بيجن" قام "يورى لوبرانى" القائم بأعمال السفارة الإسرائيلية فى طهران بتسليمه إلى "أسد الله علم" رئيس الديوان الإمبراطورى .

واستنادا إلى ما تلقاه شاه إيران من "بيجن"، فإنه من جانبه شجع الرئيس "السادات" على ما أسماه "عملا جريئا" يكسر العقدة المستعصية لأزمة الشرق الأوسط .

ولم يكن الرئيس "السادات" قد استقر بعد حتى هذه اللحظة على نوع "الخطوة الجريئة" التي يقوم بها . كان حائرا فى شأنها ، وكان تطور الأحداث في واشنطن يزيد من حيرته . فوزير الخارجية الأمريكى "سايروس فانس" ما زال يقوم بالأعمال التحضيرية اللازمة لمؤتمر جنيف ،رغم علمه باعتراضات كل من الرئيس "السادات" ورئيس الوزراء "مناحم بيجن" على فكرته ، فهو حتى هذه اللحظة لم يكن قادرا على إيجاد صيغة أخرى تؤمن لقاء الأطراف ، ولم تكن لديه فكرة عن أن اجتماعا عقد بين "حسن التهامى" و"ديان" فى المغرب .

ولم يعرف "فانس" بأمر هذا اللقاء إلا عندما وصل "ديان" إلى نيويورك لحضور اجتماع الأمم المتحدة يوم ١٩ سبتمبر ، وقابل وزير الخارجية الأمريكى وأخبره بسر اللقاء، وطلب إليه كتمانه إلا على الرئيس "كارتر" ومستشاره للأمن القومى "برجينسكى" ولا أحد غيرهما. والملاحظ أن الرئيس "السادات" فى القاهرة توقع أن يحدث شيء من هذا النوع . وهكذا ، فإنه قام عن طريق أحد مساعديه وهو المستشار "أسامة الباز" بإخطار السفير الأمريكى فى القاهرة "هيرمان آيلتس" بأن اجتماعا تم فى المغرب بين "حسن التهامى" و"موشى ديان" ، وإن الهدف منه استكشاف مدى جدية إسرائيل فى العمل من أجل السلام ، وليس الهدف منه أن مصر مستعدة لعقد صلح منفرد مع إسرائيل .

وكان وزير الخارجية المصرى "إسماعيل فهمى" قد وصل هو الآخر إلى نيويورك يحمل معه خطابا من ثمانى صفحات موجها من الرئيس "السادات" إلى الرئيس "كارتر" . وتوجه "إسماعيل فهمى" من نيويورك إلى واشنطن وقابل "كارتر" لتسليمه الرسالة . وأثناء المقابلة قال "إسماعيل فهمى" لـ "كارتر" طبقا للتقرير الذى كتبه "ويليام كوانت" عن وقائعها : "إن الرئيس السادات نفد صبره من ضياع الوقت ، وهو يشعر أن الوقت قد حان لتصرف حازم مع إسرائيل ، وتكثيف ضغط أمريكى عليها" . ورد "كارتر" بأن ذلك لو جرت محاولته يكون نوعا من الانتحار السياسى ، وهو ليس مستعدا له ، والأولى من ذلك هو استعجال عقد مؤتمر جنيف ، وإنه لا بد من إدخال السوفيت فى الصورة .

وحدث أن الرئيس "كارتر" بعد ذلك دعا وزير الخارجية السوفيتى "أندريه جروميكو" إلى مقابلته . وكان "جروميكو" هو الآخر قد توجه إلى نيويورك لحضور الجمعية العامة . وصدر بيان مشترك عن اللقاء يمثل وجهة نظر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بضرورة الإسراع فى تحضير إطار التسوية ، كما تضمن أيضا توصيفا لبعض الأسس اللازمة لإنجاحها .

وفى نفس اليوم الذى أذيع فيه البيان الأمريكى ـ السوفيتى ، طلب "ديان" مقابلة عاجلة مع "كارتر" ليرجوه " ألا يقطعوا الطريق على اتصالات مباشرة تجرى بين الأطراف". وقد أعاد "ديان" على الرئيس الأمريكى ملاحظة سبق له أن ذكرها لوزير خارجيته "سايروس فانس" قال فيها : "لا تهتم كثيرا بما يقوله إسماعيل فهمى (وزير خارجية مصر) فهو الآن يمثل نفسه ولا يمثل آراء السادات" . ولم يذكر "ديان" شيئا عن سنده فى هذه الرواية ، وكان تركيزه الملحوظ على اللقاء بينه وبين "حسن التهامى" . ولم يكن "كارتر" شديد الاهتمام بهذا اللقاء الذى جرى بين "ديان" و"التهامى" ، وقد مال بفكره إلى اعتباره بادرة حسن نية ، لكنها بطبيعتها أقل من حجم الأزمة المطلوب مواجهتها . لكنه مع ذلك ظل حائرا فى طريقة مواجهة الأزمة ، خصوصا وأن مواقف الأطراف العرب بدأت تقلقه بعد وصول السيد "عبد الحليم خدام" وزير خارجية سوريا - إلى نيويورك .

كان على "كارتر" أن يرد على رسالة الصفحات الثمانية التى حملها إليه "إسماعيل فهمى" من الرئيس "السادات" . ولم يكن دافعه إلى ذلك مجرد حل أزمة فرضت نفسها عليه ، ولكن مصالحه الانتخابية بدأت تتداخل مع الأزمة . فذلك الوقت هو خريف ١٩٧٧ ولم يبق على انتخابات التجديد النصفى لمجلس الشيوخ ، وهى مؤثرة على انتخابات الرئاسة بعدها، سوى عام واحد ، وقد بدأت بالفعل مقدمات الاستعداد لها . وكان "كارتر" يعول فيها كثيرا على نجاح يتحقق له فى حل أزمة الشرق الأوسط يؤثر إيجابيا على معركة التجديد النصفى ، ويؤثر بطريقة حاسمة على فرصه فى مدة رئاسة ثانية - وذلك مطلب كل رئيس طوال مدته الأولى .

وربما لمزيد من التأثير الدرامى أراد "كارتر" أن تكون رسالته بخط يده ، شخصية وحميمة إلى أبعد حد للرئيس "السادات" . وكان نصها كما يلى :

" البيت الأبيض

واشنطن

٢١ أكتوبر ١٩٧٧

عزيزى الرئيس السادات (٧)

عندما التقينا معا ، وحدنا ، فى البيت الأبيض تأثرت جدا وشعرت بالعرفان لوعدك لى بأننى عند لحظة فارقة أستطيع أن أعتمد على مساعدتك . وإنه عندما

(٧) هناك صورة لهذا الخطاب بخط يد الرئيس الأمريكى "جيمى كارتر" ، وهى منشورة فى الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣٢) .

تثور المصاعب فى وجـــه بحثنا المشترك عن حـل لأزمـة الشـرق الأوسـط فإنى أستطـيع أن ألـجأ اليك . والآن ، فإننا وصـــلنا إلى مثـل هــذا الوضـع ، وأنـا فـى حاجة إلى مساعدتـك .

إن وزير الخارجية فانس قــدم كـل الايضاحـات التـى طلبتموهـا مـن الولايـات المتحدة (الواردة فى خطاب الثمانى صفحات) وهناك قدر كاف من المرونة فى اللغـة يستطيع الاستجابة لاهتماماتكم .

إن الوقـت قـد حـان لنتقدم إلى أمـام . وإن تأييـدك العلنـى لخطتنـا فـى حـل الأزمـة مســـألة مهمــــة وربمـــــا حيـــويـة ـ فـى دفـع كـل الأطـراف إلى التحرك نحو جنيـف .

إن هذا نـداء شخصـى أوجهــه إليـك طالبـا تأييـدك .

ولـك ولأسرتـك أصـدق أمانـىّ .

صديقـك

جيمـى كارتـر "

□

كان "كارتـر" يتحدث عن تسريع مؤتمر جنيـــف . وكـان الرئيـس "السـادات" قـد ازداد اقتناعا بأنه لا فائدة من مؤتمر فى جنيـف ، وفى نفـــس الوقـت فقد كان يريـد ـ علـى حــد قوله ـ مساعدة "كارتـر" . وراح يقول لمن حوله إن الأمـور فى حاجــة إلى عمــل درامــى ، إن الأزمـة تحتاج إلى "صدمـة كهربائية" . ثـم قـال فجـأة إنـه مستعـد للقــاء "بيجــن" وجهـا لوجـه ، وهو لا يريده اجتماعا سريـا كما يقترح "تشاوشيسكو" والملك "الحسـن" وبعدهما شـــاه إيران ، لأن الاشتراك فى اجتماع سـرى مع "بيجـن" سوف يتسرب أمـره ويتخذ وسيلة

إن الرئيس "السادات" تحـدث لأول مرة عن تفكيره فى لقـاء مباشر مع "بيجـــن" وجهـا لوجـه أثناء رحلـة طائرته من بوخارسـت ـ بعد لقائه بالرئيس "تشاوشيسكو" ـــ إلى طهـــران لكى يلتقـى بالشـاه . وساعتهـا ، وطبقا لروايته ، فإن "إسماعيل فهمـى" أصيـب بحالـة مـن الذعـر لم يستطع إخفاءها . ثم عـاد "السادات" إلى الفكـرة وفى ذهنـه رسالة "كارتر" إليــه ، وبعد أن تبلور تصميمه على أنه لن يمشـــى علـى الطريـق إلى جنيـف . ويبـدو أن "إسمـاعيل فهمـى" حاول أن يجـد مخرجا معقولا ، فقـدم للرئيس "السادات" اقتراحا بـأن يعـرض علـى الرئيس "كارتـر" فكرة أن يدعـو إلى اجتماع فى البيت الأبيـض يحضره رؤساء الـدول العربيــة

المعنية بالأزمة كلهم ، ويحضره كذلك رؤساء الدول ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن والمسئولة بالدرجة الأولى عن قراراته . وكان رأى "السادات" أن الاقتراح معقول لكنه سيؤدى إلى إحراج "كارتر" ، فقد تظهر مسائل إجرائية ومسائل متعلقة بالحساسية ، وشد وجذب بين الأطراف من أجل شروط مسبقة لضمان نجاح اللقاء . وذلك قد يقود الفكرة كلها ـ على أرجح الاحتمالات ـ إلى حائط مسدود .

وعاد "إسماعيل فهمى" إلى تعديل اقتراحه لكى يكون الاجتماع المقترح فى القدس الشرقية ، وفى أحضان المواقع المقدسة لمدينة السلام . ولوهلة ، راقت الفكرة للرئيس "السادات" وأمر بإرسالها إلى الرئيس "كارتر" ،الذى طرحها للمناقشة فى اجتماع ضيق يوم ٣ نوفمبر ضم معه كلا من "فانس" و"برجينسكى" ، وقد استهولوا جميعا إمكانية تنفيذها لعدة أسباب :

- بينها ، أنه من الصعب تصور اجتماع فى القدس الشرقية يحضره الرئيس السوفيتى "ليونيد بريجنيف"، والرئيس الصينى "هوا جو فنج"، فضلا عن الزعيم الفلسطينى "ياسر عرفات" .
- وبينها ، أن بعض الدول العربية ـ سوريا بالذات ـ لن تحضر بدون تمهيد وقبل الحصول على ضمانات .
- وبينها ، أن مثل هذا اللقاء فى القدس سوف يكون كابوسا أمنيا لا يضمن أى من المشاركين فيه حياته ، سواء من المتطرفين اليهود أو المتطرفين العرب .
- وبينها ، أن مؤتمرا بهذا الحجم وبهذه الأهمية يقتضى ، على فرض قبول الفكرة ، استعدادات لا تقل عن سنة .
- وبينها ، أنه إذا رفضت اسرئيل ـ والقدس تحت سيطرة قواتها ـ فسوف يتحول الاجتماع من دراما إلى مهزلة .

وبينما كان "كارتر" ومستشاروه يدرسون فكرة المؤتمر فى القدس ، كان الرئيس "السادات" يزداد اقتناعا بتأثيرها المسرحى والدعائى ، وبإمكانية نجاحها فى كسر عقدة الاتصال المباشر العلنى بين العرب وإسرائيل على مستوى القمة .

وقام الرئيس "السادات" باستعجال رد من "كارتر" على فكرته بواسطة السفير "هيرمان آيلتس" . وكان داعيه إلى الاستعجال أنه يريد أن يعلن الاقتراح فى اجتماع يعقده مجلس الشعب المصرى يوم ٧ نوفمبر . وحاول "آيلتس" أن يتعجل رد "كارتر" ، لكن "كارتر" كان يريد أن يصوغ ردا مهذبا لا يصيب الرئيس "السادات" بإحباط جديد . وبناء على إلحاح

من "هيرمان آيلتس" تأجل خطاب الرئيس فى افتتاح الدورة البرلمانية لمجلس الشعب لمدة يومين لإتاحة فرصة أوسع لـ "كارتر" ولرد إيجابى منه !

كان موعد خطاب الرئيس "السادات" هو السادسة مساء . ولم يتلق ردا من "كارتر" إلا قبلها بساعتين حين توجه إلى لقائه على عجل السفير "هيرمان آيلتس" ، وكان رد "كارتر" سلبيا . وطبقا لـ "آيلتس" فإن الرئيس "السادات" عبر عن شعور عميق بخيبة الأمل لانعدام الخيال السياسى فى واشنطن .

وهكذا فإنه عندما توجه الرئيس "السادات" لإلقاء خطابه فى افتتاح الدورة البرلمانية، كانت مشاعره موزعة بين الاقتناع بفكرة لقاء فى القدس ، وبين اعتراض جاءه من "كارتر" بعدم الموافقة عليها . وربما أن ذلك يفسر الطريقة الملتبسة التى طرح بها استعداده للذهاب إلى القدس .

الفصل الرابع

متاهات السلام

شروط أى عقد سياسى أو غير سياسى ،
لا بد أن تكون محفوظة ومضمونة للأطراف
قبل البدء فى تنفيذه .
وليس معقولا فى أى اتفاق
أن يبدأ طرف من الأطراف فى إعطاء ما لديه مقدما ،
ثم يعتبر أن من حقه
أن يحصل على استجابة الطرف الآخر تطوعا .
وحتى على المستوى الشخصى ،
فإن "المهر" فى عقد الزواج يتحدد قبل ليلة الفرح ،
وليس صباح اليوم التالى !

١

الكنيست

"- سوف يحاصرونك يا سيادة الرئيس ...
- كنت أظنك تعرفنى أكثر وتعرف أن أحدا
لا يستطيع أن يحصرنى فى ركن "
(حوار بين الرئيس "السادات" والسفيرالأمريكى
"هيرمان آيلتس)

كان الرئيس "السادات" يريد لخطابه أن يحظى بأكبر تأثير ممكن . وقد دعى إلى حضوره أكثر من ثمانين مراسلا أجنبيا فى مصر لم توجه إليهم من قبل دعوة لمثل هذه المناسبة .

كذلك حرص الرئيس "السادات" على أن يكون السيد "ياسر عرفات" واحدا من المدعوين ، وكان يعرف أنه موجود فى مصر . لكن الرئيس "السادات" اكتشف قبل الاجتماع بيوم واحد أن رئيس منظمة التحرير غادر القاهرة إلى طرابلس . وجرى اتصال بـ"ياسر عرفات" طلب إليه فيه بإلحاح أن يحضر جلسة مجلس الشعب "مساء غد" . وتقرر إرسال طائرة خاصة إلى طرابلس لتأتى به . وجاء سعيدا لما ظنه تكريما له واهتماما به .

وخلال هذه الترتيبات والاستعدادات ، كان الرئيس "السادات" تحت تصور أنه سوف يتطرق فى كلامه إلى الاقتراح الأول بشأن الاجتماع الموسع فى القدس . وبدأ يلقى خطابه ، ثم وصل إلى النقطة التى ألقى فيها قنبلته ، وقال إنه "مستعد للذهاب إلى أى مكان فى العالم بحثا عن السلام حتى لو كان هذا المكان هو القدس ذاتها والكنيست نفسه" . وكانت الدهشة قد أخذت كل الحاضرين . وعندما نزل الرئيس "السادات" من المنصة سأل كبار مساعديه عن انطباعهم ، فقال له رئيس الوزراء السيد "ممدوح سالم" إن كلامه "عن الذهاب

للقدس يمكن أن يحدث مشاكل كبيرة". كما قال له المهندس "سيد مرعى" رئيس مجلس الشعب "إنه خائف جدا من رد الفعل" . وأما وزير الخارجية "إسماعيل فهمى" ، الذى كان يعْرف خلفية فكرة اجتماع القدس الموسع ، فقد كان قادرا على تمالك أعصابه واكتفى بأن قال للرئيس إن "الخطاب يحتاج إلى إيضاحات حتى لا يساء فهمه". وكان تقديره أن "السادات"من فرط حماسته لفكرة المؤتمر الموسع فى القدس أفلتت منه عبارة عكست خيبة أمله فى رفض"كارتر"للفكرة أكثر مما عكست حماسته للذهاب إلى القدس .

وكان "ياسر عرفات" فى حالة عصبية شديدة ، وكان تعليقه : "إن الرجل ألبسنى العمامة وأنا جالس أمامه" . وخرج من مجلس الشعب إلى المطار مباشرة يريد مغادرة القاهرة بسرعة حتى لا يلحق به شىء من أثر التساقط الذى ستحدثه "قنبلة السادات".

كانت الحوادث الآن تكتسب لنفسها حركة ذاتية تخرج عن سيطرة أى تخطيط .

- فى الساعة العاشرة مساء ، وعقب خروجه من مجلس الشعب ، اتصل وزير الخارجية "إسماعيل فهمى" برؤساء تحرير الصحف يصدر إليهم تعليماته بعدم إبراز هذا الجزء من الخطاب الذى أشار فيه الرئيس إلى استعداده للذهاب إلى القدس وإلى الكنيست نفسه . وفى كل الأحوال فلا يجب الإشارة إلى هذا الموضوع فى عناوين الصفحة الأولى ولا فى المقدمة التى تعرضها الصحف لملخص أى حديث.

- وعندما وصل الرئيس "السادات" إلى بيته وجد قرينته السيدة "جيهان" فى حالة قلق مما سمعته من خطابه ، وأحس أنها تتصورها زلة لسان ، وغضب مؤكدا لها أنه "يعرف ما يقول" . وعندما فتح جهاز الراديو على بعض المحطات الخارجية ووجد أن كلامه هو مقدمة كل نشرات الأخبار ، التفت إلى السيدة "جيهان" يقول لها بثقة إن ما تصورته زلة لسان "أقام الدنيا وأقعدها". وأضاف "أنها رغم حياتها الطويلة معه لم تتعلم منه بعد درس السياسة" !

- وفى الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق اتصل السفير الأمريكى "هيرمان آيلتس" بالرئيس "السادات" فى بيته وقال له "سيادة الرئيس ، هذا يعنى أنك ذاهب إلى القدس ؟" ورد الرئيس "السادات" بثقة قائلا "هيرمان ، إننى قلت ما أنا مستعد لعمله". وعقب "آيلتس" بقوله "أخشى أنك ستذهب لأن بيجن لن يترك هذه الفرصة تفلت من بين أصابعه ، وأظن أنه سوف يحاصرك بها you will be cornered ." وقهقه الرئيس "السادات" ضاحكا وقال "هيرمان ، كنت أظن أنك تعرفنى أكثر ، وتعرف أن أحدا لا يستطيع أن يحصرنى فى ركن".

- فى الساعة الحادية عشرة والنصف اتصل الرئيس "السادات" ببعض رؤساء التحرير يسألهم عن الطريقة التى تعاملوا بها مع خطابه . وحين أخبروه بتعليمات "إسماعيل فهمى" إليهم بعدم إبراز اقتراحه بالذهاب إلى القدس ، ثار على "إسماعيل فهمى" وطلب إسقاط تعليماته وعدم الالتفات إليها ، كما طلب التركيز على اقتراحه فى عناوين الصفحة الأولى .

- وفى الساعة الثانية عشرة والنصف أوفد الرئيس "السادات" مدير مكتبه برسالة منه إلى السفير الأمريكى "هيرمان آيلتس" يبلغه رسميا أن الرئيس كان يعنى ما قاله ، وأنه بالفعل ذاهب للقدس إذا ما تلقى دعوة من "بيجن" .

- وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كان الرئيس "السادات" ما زال ساهرا ونشيطا وفوارا بالحيوية ، وقد أخطر بأن "والتر كرونكايت" مذيع التلفزيون الأشهر، وكذلك "باربرا وولترز" وهى وقتها نجمة التلفزيون الأكثر لمعانا - كلاهما يتصل به ويريد أن ينقل على الهواء من بيته أحاديث مصورة إلى العالم . وبالفعل وصلت معدات التصوير إلى بيت الرئيس "السادات" ، وبدأ "كرونكايت" حديثه بالقمر الصناعى مع الرئيس "السادات" ، وإذا هو يقول له "هل أنت مستعد فعلا يا سيادة الرئيس للذهاب إلى القدس ؟" ورد الرئيس "السادات" بألفة تعود على استعمالها مع نجوم التلفزيون : "والتر ، إننى أعلنت استعدادى لذلك فعلا فى مجلس شعبى" . وسأله "كرونكايت" : "ومتى تنوى أن تقوم بهذه الزيارة يا سيادة الرئيس ؟" ورد "السادات" : "والتر ، عندما أتلقى دعوة بذلك". وكانت المفاجأة أن "والتر كرونكايت" قال للرئيس "السادات": "سيادة الرئيس ، معى على الخط الثانى وأمام مشاهدينا على الشاشة الآن رئيس الوزراء بيجن ، فهل تسمح لى أن أسأله متى يكون مستعدا لتوجيه الدعوة إليك ؟" ورد "السادات" : "بالتأكيد ، بالتأكيد sure, sure" . وسمع صوت "كرونكايت" يتوجه بالسؤال إلى "مناحم بيجن" ، كما سمع صوت "بيجن" يقول : "إننا سوف نبعث إلى الرئيس السادات الآن بدعوة رسمية لزيارة القدس وللحديث أمام جلسة خاصة للكنيست كما طلب" .

- وصباح اليوم التالى كان السفير الأمريكى "هيرمان آيلتس" يتوجه إلى منزل الرئيس "السادات" يحمل إليه دعوة مكتوبة وصلت إليه من "بيجن" عن طريق واشنطن التى كانت مأخوذة بالمفاجأة ، لكنه لم يكن فى وسعها أن تتخلف أو تتأخر عن الانضمام إلى مهرجان سياسى وإعلامى ضخم ترددت أصداؤه فى العالم كله .

□

كان كثيرون من مساعدى الرئيس "السادات" ، وفى مقدمتهم رئيس الوزراء "ممدوح سالم"، ورئيس مجلس الشعب المهندس "سيد مرعى"، ووزير الخارجية "إسماعيل فهمى"، ووزير الدفاع الفريق "محمد عبد الغنى الجمسى" - فى قلق من سرعة التطورات. لكن كان هناك آخرون غيرهم من أصدقاء الرئيس "السادات" يبدون تحمسهم للفكرة ويعتقدون أن الوقت قد حان للخلاص من كل هذه "المصيبة الثقيلة مع إسرائيل" على حد تعبير أحدهم وهو المهندس "عثمان أحمد عثمان" الذى كان دوره بقرب"السادات" يزداد ويتفاقم يوما بعد يوم .

كان هناك أيضا من تحمسوا للفكرة من خارج الدائرة المباشرة للرئيس "السادات" ، وبينهم الدكتور "مصطفى خليل" الذى اتصل بالرئيس "السادات" تليفونيا يقول له إنه مستعد للسفر معه إلى القدس والالتحاق بوفده إلى هناك بأى صفة يراها الرئيس "السادات" ، لأنه "مقتنع بأن هذا هو المنهج العلمى الصحيح لمعالجة الصراع العربى - الإسرائيلى" .

كان الانقسام حول الفكرة عميقا . ودعا الرئيس "السادات" إلى اجتماع ضيق فى بيته لطمأنة "المخضوضين" على حد تعبيره ، ولتقوية عزيمة المؤيدين لفكرته . وركز الرئيس "السادات" فى الاجتماع على عدة نقاط طبقا لرواية الدكتور "مصطفى خليل" الذى حضر الاجتماع :

١ - إن كل أبواب الحل قد سدت ، وعليه الآن أن يأخذ الأمر فى يده . والوسائل القديمة لم تعد مجدية ، وقد جاء الوقت لصدمة كهربائية . والرئيس يرى أن الصدمة الكهربائية حدثت بالفعل وأحدثت آثارها بأكثر مما كان يتوقع . وللكل أن يطلع على جرائد العالم ، وأن يصغى إلى إذاعاته ويشاهد تلفزيوناته .

٢ - إن لسانه لم ينزلق بفكرة لم يجئ أوانها ، وإنما هذه الفكرة كانت تدور فى مؤخرة رأسه منذ زمن طويل ، وقد قلبها على وجوهها المختلفة وزاد اقتناعه بها كلما أطال النظر فيها . وقد عرضها وهو عارف بأهميتها ولم يفاجئه رد الفعل ، وليس صحيحا أن رد الفعل جرّه بأبعد مما قصد . وهو من البداية يقصد ما وصل إليه .

٣ - إن "بيجن"،كما فهم من "تشاوشيسكو"، مستعد للانسحاب من مصر ومستعد أيضا للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة فيما عدا تعديلات طفيفة جدا ومتبادلة على الجانبين . (وعند هذه النقطة أخرج الرئيس "السادات" من مظروف معه خريطة فتحها أمامه وقال "إن خطوط الانسحاب مقبولة". ولم يقترب أحد من هذه الخريطة ، وظن الكل و مازال بعضهم يظن أن الرئيس "السادات" حصل على هذه

الخريطة من الرئيس "تشاوشيسكو") . واستقر فى فكر الجميع أن المغامرة مأمونة ، وأن نتائجها كفيلة بأن تغطى على الصدمة التى أحدثتها .

٤ ـ إن "بيجن" سوف يكون من الآن ، وحتى إتمام هذه الزيارة ، تحت ضغط أمريكى وعالمى شديد يفرض عليه ردا إيجابيا على هذه المبادرة ، ولا يترك أمامه فرصة للتلاعب. وأبدى الرئيس "السادات" أنه بهذه الخطوة كسر الحاجز النفسى بين العرب وإسرائيل ، وأخذ الدنيا كلها فى صفه ، بما فيها الكونجرس الأمريكى والبيت الأبيض . وهذا هو سنده الأكبر فى مواجهة "بيجن" عندما يلتقيه فى القدس .

٥ ـ وأضاف الرئيس "السادات" أنه لا يريد أن يجعل المبادرة مقدمة لتسوية مصرية ـ إسرائيلية وإنما يريد أن يجعلها هجوم سلام عربيا . ومن هنا ، فإنه سوف يذهب إلى دمشق ويقابل الرئيس "الأسد" ويقنعه بأن يسمح له عندما يذهب للقدس بأن يتحدث باسم مصر وسوريا معا .

٢

وايزمـــــان

" ترفـق بـي يـا سيـدى فأنـا مجـرد فــلاح
مقاتـل ولست أستـاذ جامعـة كبـيرا مثلـك "

("موشى ديان" لـ"بطرس غالى")

وصـل الرئيس "السادات" إلى دمشـق يـوم ١٧ نوفمـبر ١٩٧٧ والتقـى بـالرئيس "الأسـد" على الفـور . وطبقا لرواية الرئيس"الأسـد" فإن وقائع اللقـاء بينهما جـرت على النحو التالى:

"فى بداية الحديث أخذ الرئيس السـادات يشـرح فكرتـه فـى الذهـاب إلى إسـرائيل [١] وتمنى أن يذهب إلى القـدس متحدثا باسـم مصـر وسوريـا . وسـأله الرئيـس الأسـد : "هـل لديك تأكيدات عن حـل نستطيع أن نقبله أو نضمنه ؟" ورد السادات بقوله بأنه قـام بعمليات جـس نبـض ، لكنه بأمانة لا يستطيع أن يدعى أن لديــه تـأكيدا أو ضمانـا . وسـأله الرئيـس الأسـد : "إذن لماذا تريد أن تذهب ؟" وقال الرئيس السادات إنه يريد أن يضـع إسرائيل أمـام مسئوليتها وأمام العالم وأن يكسـر الحاجز النفسـى . ورد الرئيس الأسـد بأن "مجـرد الذهـاب إلى إسرائيل فى حـد ذاته إشارة تعطـى معـنى الاستسـلام ، فإذا أضيف إليها أنها تـتم بـدون تأكيدات أو ضمانات فهو يخشـى أن يكون هناك من يدفــع بهـا مـن وصــف الاستســلام إلى وضـع الخيانـة ، وهذا أمـر لا يرضاه هـو لصديقه وشريكه فـى حــرب أكتوبــر، وفضـلا عـن ذلك فإنه لا يصدقـه لأنه يعـرف السـادات ويتعامل معه ."

وهنا انفعل الرئيس السادات وتساءل بحـدة : "من الذى يسـتطيع أن يتهمنـى بالخيانـة ... هؤلاء الأقزام الذين لم يحاربوا واكتفوا بإلقاء الخطـب ؟" ثم أضاف "إن الناس تعبـوا مـن الحـرب ، وأنا أيضا تعبـت" . ورد الأسـد بأن "الشعـوب لا تتعـب من أى تضحيات تعطيها لتحقيق أهدافها ، ولكن الذى يتعبهـا هو ضيـاع هذه الأهـداف" .

---

(١) رواية الرئيس "الأسـد" لـ "محمد حسنين هيكل" فى لقاء تواصل سبع ساعات يوم ٦ يناير ١٩٩٥ .

ثم راح الرئيس الأسد يتحدث عن المسئولية القومية وعن كفاح الأمم ، ولكن الرئيس السادات قاطعه قائلا بأن هذا هو "الكلام الذى عطلنا عن العصر سنين طويلة" . وسأله الرئيس الأسد عن الطريقة التى فكر بها فى هذه المبادرة ومن الذى أشار عليه بها ؟ وألمح إلى أنه يخشى أن تكون النصيحة أمريكية . ورد عليه الرئيس السادات بأنه "يستطيع أن يؤكد له أن الأمريكان كلهم فى واشنطن فوجئوا بإعلانه فى مجلس الشعب كما فوجئ به هو هنا فى دمشق" .

وكان صبر الرئيس الأسد قد بدأ ينفد ، وقال للرئيس السادات "إن هذا استهتار وخفة" . ورد الرئيس السادات بأنه لا يريد مشادة بينه وبين الأسد ، فإذا كان على استعداد لأن يعطيه الإذن بأن يتحدث باسم سوريا أيضا كان بها ، وإذا لم يكن "فيا دار ما دخلك شر" . ورد الرئيس الأسد بأن "الشر قد ملأ الدار كلها" .

ثم عاد الرئيس الأسد إلى حديث التجربة السابقة فقال "إننا أسندنا إليك قيادة معركتى أكتوبر العسكرية والسياسية ، ولكنك اتهمتنا وقت المعركة بأننا نسعى لوقف إطلاق النار من وراء ظهرك . وقد ثبت لك أن هذا غير صحيح . ثم كنت أنت بعد ذلك الذى أوقفت إطلاق النار دون استشارتنا ودون إخطارنا ، وتفاوضت بعدها مع كيسنجر منفردا بعد أن دعوته بغير علمنا ووصلت معه إلى اتفاق منفرد . ثم ضغطت على فيصل (الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية) لرفع حظر النفط قبل أن يحدث شئ على الجبهة السورية." وقاطعه الرئيس السادات : "إننى كنت أظن أننى سويت معك هذه الأمور عندما التقينا فى الكويت بعد المعركة" . وقال الأسد إنه كان على استعداد لأن ينسى الماضى" ولكنك يا أخى غريب الأطوار ، دائما مستعجل ، استعجلت على وقف إطلاق النار وأوقفته فى لحظة حرجة ، واستعجلت على فك الارتباط ، ولو قبلت أن نبقى فى حالة اشتباك فى سيناء والجولان لما خسرنا مكاسب حرب تشرين . واستعجلت على الذهاب إلى مؤتمر جنيف، ولم يستطع المؤتمر أن يفعل شيئا إلا أن يفتح الباب لصلح مصرى – إسرائيلى . وها أنت مرة أخرى تستعجل وتريد أن تذهب للقدس بدون تمهيد وبدون تأكيدات أو ضمانات . وحتى لو وافقت أنا على مسعاك فإن الشعب السورى لن يوافق عليه وسوف يشجبه ."

وأبدى الرئيس "السادات" أنه سوف يمضى فى طريقه وسيذهب إلى القدس ، وسيترك إلى الرئيس الأسد أن يحكم على النتائج . وقال له الأسد "إن مبادرتك سوف تهدم السلام بدل أن تبنيه ، فالاتفاق الثنائى بين مصر وإسرائيل شئ ، والسلام الحقيقى شئ آخر . والصلح إما أن يكون شاملا أو لا يكون أبدا . ونحن فى سوريا فرضنا شروطا تتعلق

بمساهمتنا فى مؤتمر جنيف . ولم نكن نريد أن نقاطع المؤتمر ولكن أردنا أن نضمن الحد الأدنى من الحقوق العربية قبل أن نبدأ المحادثات - فهل من الطبيعى أن تذهب أنت إلى القدس بلا شروط مسبقة ؟ "

□

بينما كان الرئيس "السادات" يستريح بعد اللقاء ، دعا الرئيس "حافظ الأسد" إلى اجتماع للقيادة السورية ، وطرح ما جرى بينه وبين الرئيس "السادات"، وقال إنه لا يعرف كيف يتصرف وإن الأمر خطير ، وهو بلا سابقة فى التاريخ العربى . وتحمس بعض أعضاء القيادة السورية واستبد بهم الانفعال إلى درجة أن أحدهم طالب باعتقال الرئيس "السادات" لمنعه من السفر إلى القدس ، وحتى لا تكون فضيحة عربية تعقبها كارثة قومية . وكان رأى الرئيس "الأسد" والحيرة لا تزال مستبدة به هو أن اعتقال الرئيس "السادات" فى دمشق أمر لا يمكن أن يكون واردا ، وإذا حدث "فهذه هى الفضيحة العربية بعينها" .

وكان آخرون من أعضاء القيادة فى غمرة الحماسة قد استبد بهم خاطر منع الرئيس "السادات" بأى ثمن من مغادرة دمشق . وتساءل الرئيس "الأسد" : "بأى حق وعلى أى أساس يملك هو أو غيره أن يتصرف على هذا النحو ؟" ورد أحد أعضاء القيادة بأنه "حق المصير العربى المشترك ، وحق التضحيات العربية المشتركة" . وكان رد الرئيس "الأسد" إن مثل ذلك سيطيح باعتبارات المصير المشترك والتضحيات المشتركة لأن الشعب المصرى، حتى وإن اختلف مع رئيسه ، لن يقبل تصرفا فى حقه على هذا المستوى ، وسوف تكون النتيجة فرقة إلى الأبد بين الشعبين .

ويبدو أن هذا الاعتبار الأخير كان فى ذهن الرئيس "الأسد" وهو يودع الرئيس "السادات" عندما حان الوقت لكى يغادر دمشق . وقد صحبه إلى المطار وكلاهما فى السيارة ساكت لا يتكلم ، والصمت ثقيل على الأعصاب وخانق . وعند مدخل المطار تساءل الرئيس "الأسد" : "ما هو رأى القوى فى مصر فى هذا العمل؟" ورد الرئيس "السادات" بأن كل قوى الشعب المصرى معه تؤيده وبنسبة مائة فى المائة .

• ولم يجد الرئيس "الأسد" لديه أعصابا تسمح له بأن يصل مع الرئيس "السادات" إلى باب الطائرة ، وهكذا ودعه عند المخرج إلى ساحة المطار ، وسارع إلى مقعد فى قاعة الانتظار جلس عليه يحاول تماسك أعصابه .

□

كانت الآراء فى بقية العالم العربى مختلطة . فالعواصم الكبرى مثل الجزائر وطرابلس ودمشق وبغداد كلها مستفزة وثائرة . وفى الخليج وشبه الجزيرة العربية كانت هناك تفاوتات فى مواقف الحكام . فقد كان الملك "خالد" ملك المملكة العربية السعودية شديد الحزن ، وقال إنه سيتوجه إلى الكعبة يوم وقفة عرفات ، وهى بعد يومين ، ليدعو الله أن تسقط الطائرة بالرئيس "السادات" قبل أن يكمل رحلته إلى القدس "ويفضحنا جميعا" . لكنه كان بين مشايخ الخليج من لم يخفوا إعجابهم بجرأة الرئيس "السادات" ، ووصفه الشيخ "خليفة" حاكم قطر بأنه "فحل" .

وكانت الحيرة فى القاهرة ذاتها ، بل وفى الدائرة القريبة من الرئيس "السادات" نفسه. وفى حين تحمس المهندس "عثمان أحمد عثمان" ، وتخوف "سيد مرعى" ، فإن وزير الخارجية "إسماعيل فهمى" قدم استقالته . وكان تحسبه أن الفريق "محمد عبد الغنى الجمسى" سوف يتضامن معه ويقدم استقالته ، وحينئذ لا يجد الرئيس "السادات" أعصابا يذهب بها إلى القدس . لكن "الجمسى" لم يستقل ، ولم يعد هناك مستقيل غير وزير الخارجية . وكانت هناك مشكلة فى اختيار خلفه لأن أول المرشحين لهذه الخلافة وهو وزير الدولة للشئون الخارجية "محمد رياض"، أبدى ملاحظة فهم منها خطأ ـ كما اتضح فيما بعد ـ أنه ليس مستعدا للذهاب إلى القدس (كان "محمد رياض" يقصد أنه ليست هناك أوراق معدة ، ووقع الظن أنه شخصيا ليس مستعدا للذهاب من حيث المبدأ). وهكذا انتقل الاختيار إلى الدكتور "بطرس غالى" وهو وقتها وزير دولة ملحق برئاسة الوزارة، وتحمس "بطرس غالى" ونتج عن تحمسه أنه عين ليلتها وزيرا للدولة للشئون الخارجية ، وبهذه الصفة ذهب إلى القدس .

وعندما أقلعت الطائرة من مطار أبو صوير قريبا من الإسماعيلية ، كان الثلاثة الكبار مع الرئيس "السادات" هم : الدكتور "مصطفى خليل"، والمهندس "عثمان أحمد عثمان"، والدكتور "بطرس بطرس غالى" . وشاء الرئيس فى الطائرة أن يقوم بتقسيم العمل فيما بينهم، فاقترح أن يتكفل هو بـ"مناحم بيجن" ، وأن يتكفل الدكتور "مصطفى خليل" بنواب

رئيس الوزارة الإسرائيلية ، وأن يتكفل الدكتور "بطرس غالى" بـ"موشى ديان" وزير الخارجية، ثم أن يتكفل المهندس "عثمان أحمد عثمان" بأعضاء الكنيست . وحين طرحت فى الطائرة ضرورة الاتصال بحزب العمل وفيه "شيمون بيريز" و"إسحاق رابين" و"جولدا مائير" وغيرهم ، ولم يكن فى الوفد وبين الكبار من لديه الوقت لذلك - استقر رأى الرئيس "السادات" على أن يتكفل بهم السيد "فوزى عبد الحافظ" سكرتيره الخاص !

□

وحتى عندما كانت الطائرة الرئاسية فى طريقها بالفعل إلى القدس ، لم تكن القيادة الإسرائيلية قادرة على تصديق حدوث مثل هذه الزيارة . وبلغ الشك حدا دعا قيادة الجيش الإسرائيلى إلى إعداد مجموعة قناصة فى شرفة المطار تنتظر فتح باب الطائرة لاحتمال أن تخرج منها مجموعة "كوماندوز" مصرية تطلق نيرانها كثيفة على كل قيادات إسرائيل السياسية والعسكرية الموجودة فى المطار لاستقبال الرئيس "السادات" . لكن باب الطائرة انفتح وخرج الرئيس "السادات" مبتسما وإن بدت خطواته بطيئة لأن القميص الواقى من الرصاص الذى ارتداه فى آخر لحظة خوفا من رصاصة عربية طائشة - كان يقيد حركته.

وكان أكثر المندهشين بين المستقبلين فى المطار السيدة "جولدا مائير" التى كررت أكثر من مرة أن هذا "شىء لا يصدق" . وفيما بعد ، وعندما حصل "السادات" و"بيجن" على جائزة نوبل مناصفة ، كانت دهشتها قد عبرت عن نفسها بتعليق أكثر نفاذا قالت فيه "إن الاثنين لا يستحقان جائزة نوبل، وإنما يستحقان قبلها جائزة الأوسكار" (لفنون التمثيل والإخراج فى السينما) .

وعندما وصل الموكب من مطار بن جوريون إلى فندق الملك داود فى القدس ، قال الرئيس "السادات" إنه لم يتحدث كثيرا مع "بيجن" ، وكان يحاول أن يتأمل مشاهد الطريق على الجانبين . وأضاف أن "بيجن" رجل متحفظ ، وإن الحديث بينهما لم يزد عن عبارات مجاملة وتهنئة بمبادرته الشجاعة وترحيب بمجيئه إلى القدس وأمل فى أن يعود الرئيس "السادات" إلى وطنه حاملا نتائج طيبة .

ولكن الدكتور "بطرس غالى" خرج بعد رحلة السيارة من مطار بن جوريون إلى فندق الملك داود ، بانطباعات طيبة من "ديان" . ويظهر أن الدكتور "بطرس غالى" بدأ على الفور يحاول أن يضع جدول أعمال للمحادثات ، وقال له "موشى ديان"

ما مؤداه إنه "يطلب منـه الـترفق بـه لأنـه مجـرد فـلاح مقـاتل وليس أسـتاذ جامعـة كبـيرا مثل بطـرس غـالى" .

وربما أن الدكتور "مصطفى خليل" كـان أول مـن تحسـب مـن أعضـاء الوفـد الكبـار أن الرحلة إلى القـدس ليست نزهـة. فقد كان مرافقه الرسمـى فى السيارة، من مطـار بن جوريون إلى فندق الملك داود ، هو نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية "سـيمحا إيرليـخ". وقـال لـه "مصطفى خليل" إن الرئيس "السادات" قادم للبحـث جديا عن السـلام، وإنه يأمل أن يتلقـى فى إسرائيل ردا إيجابيا يعـود به إلى مصر"ليشهره أمام الرأى العام المصرى وأمام الرأى العـام العربـى"، وأبـدى"سيمحا إيرليخ"موافقته على ذلك، لكنه سـأل "عـن نـوع هـذا الـرد الـذى يمكن أن يكون إيجابيا". وقال "مصطفى خليل" إن "الأراضى المحتلـة هـى العقبـة الكـبرى، واستعداد واضـح للانسحاب منهـا يعطـى الرسـالة المطلوبـة". وعندئـذ هـز "إيرليخ" رأسـه وصدرت عنه غمغمـة غير مفهومـة ، لكن الاستجابة لم تكن التعبـير الواضـح فيهـا، وأضـاف "إيرليخ" إن "أمامنا مناقشات جادة طويلة، وربما تكون صعبـة ، لكن كل شـىء فـى النهايـة قـابل للحـل" .

□

كان الرئيس "السادات" قد لاحـظ غياب وزير الدفاع "عزرا وايزمان" عـن الاسـتقبال فـى المطـار. وكان قد سمـع مـرة من "هنرى كيسنجر" أن "وايزمـان" و"ديـان" كليهمـا مـن أكـثر الشخصيات المؤثرة على قـرار "منـاحم بيجـن" . وقـد رأى "ديـان" فـى المطـار ولكنـه لم يـر "وايزمان" ، وسـأل عنه عندما وصـل إلى الفندق ، وعرف أنـه أصيـب قبـل أيـام فـى حادثـة سيارة . ويبدو أن سـؤال الرئيس "السادات" عن "وايزمان" وصل إليه فـإذا هـو يتوجـه علـى عكـاز إلى فندق الملـك داود ، وإذا هـو يدخـل جنـاح الرئيـس "السـادات" قائـلا باللغـة العربيـة وبلهجـة مصريـة (تعلمها من وقت خدمته فى الطيران البريطانى وقـت الحـرب فـى قاعدة الدخيلـة الجوية قرب الإسكندرية) - "أهـلا يا ريـس ، شرفت البـلاد" . وانفتح قلب الرئيس "السادات" له ، على حـد روايته ، وكان كثيرا ما يشير إلى أن "وايزمـان" لا يخاطبـه إلا قائلا "يا ريـس" . وقد راح "وايزمان" يحكى للرئيس "السادات" كيف أنهـم فـى إسـرائيل لم يصدقوا أنه قادم إلى القـدس ، وكيف أنهم شكـوا فى الأمـر إلى درجة أنهم تصوروها مؤامرة لقتـل كل زعماء إسرائيل ، وطلبوا إليه كوزير للدفاع إعداد فرقـة قناصـة لإطـلاق النار على طائرته إذا ظهـر نذير خطـر . وكان الرئيس "السادات" يضحـك و"وايزمان" يزيـد من مبالغاته فى وصـف المفاجـأة لكى يزيـد من طـرب سامعـه !

وشكا الرئيس "السادات" إلى "وايزمان" من أن "بيجن" "يريد إغراقنا فى أوراق كثيرة". ذلك أنه بعد أن قام "بيجن" بتوصيله إلى الفندق قال له الرئيس "السادات" إنه يحمل ضمن أوراقه مسودة لمشروع اتفاقية سبق له أن أرسلها للرئيس "كارتر" بناء على طلبه، وقد جاء بها معه لأنه رآها أساسا معقولا لبدء المحادثات . واقترح عليه أن يجلس "مصطفى خليل" و"ييجال آللون" نائب رئيس الوزراء لبحث مشروع الاتفاق الذى جاء به معه ، وبحيث يمكن أن تبدأ محادثات جدية على أساسه . لكن "بيجن" قال "إن هناك أوراقا كثيرة معدة لاجتماع يعقد غدا ، ويمكن ترتيب ذلك بين وزيرى الخارجية" .

وراح "وايزمان" ، وقد استمع إلى شكوى "السادات" الأولى من أوراق "بيجن" ، يطمئنه ويعطيه بعض المفاتيح للتعامل مع "بيجن" قائلا إنه يفهمه أكثر من أى إنسان آخر رغم أنه فى الأصل ينتمى إلى حزب العمل وليس إلى الليكود ، ولكنه يئس من حزب العمل وانضم إلى الليكود وأشرف على إدارة الحملة الانتخابية لـ"بيجن" . وبهذا النجاح الذى تحقق فيها فإن "بيجن" أصبح رئيسا لوزراء إسرائيل لأول مرة فى حياته رغم أنه من مؤسسى الدولة الكبار . وأضاف "وايزمان" أنه نتيجة لهذا التعاون فى الحملة الانتخابية فإن علاقة وثيقة وصحية ترسخت بينه وبين "بيجن" . ثم كانت نصيحة "وايزمان" للرئيس أن يأخذ فى حسابه أن "بيجن" "محام بالتعليم وبالتجربة" ، وهو مثل أى محام يهتم بالأوراق وبالنصوص وبالمراجع . ولذلك فإن على الرئيس "السادات" أن يطيل صبره عليه و"أن يقدر مقدما أن "بيجن" لا يملك جسارته ولا خياله الخلاق ".

ثم انتهز "وايزمان" الفرصة وقدم للرئيس أول طلب،فقد سأل الرئيس "السادات" إذا كان ينوى فى خطابه أمام الكنيست أن يشير إلى منظمة التحرير. واستوضحه الرئيس "السادات" عن السبب الذى يدعوه إلى هذا السؤال، وقال "وايزمان": "لأنك إذا فعلت فسوف تجد ردة فعل "منحوسة" ."

□

فى الوقت الذى كان الرئيس "السادات" يقابل فيه "وايزمان" فى جناحه الرئاسى ، أحس بقية الأعضاء الكبار فى الوفد أنه قد يكون من المناسب أن يتحركوا بسرعة لاستجلاء المواقف قبل جلسة الغد . فما ظهر من أحاديث السيارات من مطار بن جوريون إلى فندق الملك داود - كان فى أقل القليل يحتاج إلى إيضاحات . وهكذا ، فإن الدكتور

"مصطفى خليل" عاد ليلتقي بـ "سيمحا إيرليخ" ، كما أن الدكتور "بطرس غالى" رأى أن يعقد جلسة استكشاف سريع مع "ديان" قبل أول اجتماع رسمى بين مصر وإسرائيل والذى تحددت له الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى .

ويقول الدكتور "مصطفى خليل" إنه وجد "سيمحا إيرليخ" رجلا أوروبيا ، فهو مولود فى بولندا . ومن هذه الناحية فإنه لم يشعر وهو يتحدث معه بأن هناك حاجزا نفسيا أو سياسيا يصده عنه . وبعد ربع ساعة من حديث مفتوح وبلا حواجز نفسية بين الاثنين ، تزايد إحساس الدكتور "مصطفى خليل" بأن الأمور ليست بالبساطة التى كانت متصورة قبل الرحلة إلى القدس ، وإن نقاطا على الحروف لا بد أن توضع منذ البداية لأن مدة الزيارة محدودة بالطبيعة وبرنامجها مشحون ، والآمال المعلقة عليها كبيرة .

وفيما يتعلق بلقاء الدكتور "بطرس غالى" مع الجنرال "ديان" ، فإن "غالى" لم يقبل أن يودعه "ديان" إلى جناحه ثم يتركه وينصرف كما هى التقاليد المتبعة ، وإنما قال له إن عليهما ألا ينسيا أنهما مطالبان بالإعداد لأول اجتماع رسمى غدا ، "خصوصا وأن خبراءنا لم يجلسوا معا من قبل لتحضير اجتماعنا ، كما أننا لم نتبادل مباشرة أوراق عمل نبدأ على أساسها" .

وبدأ الدكتور "غالى" يشرح لـ"ديان" حجم الشجاعة التى وجدها الرئيس "السادات" فى نفسه لكى يقوم بمبادرته . وأبدى "ديان" أنه يقدر ذلك ، فقد قضى عمره فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى محاربا وسياسيا، وبالتالى فهو يقدر مدى الشجاعة والحكمة التى كانت مطلوبة لمثل هذه المبادرة . وأشار "ديان" إلى أنه عندما قابل "حسن التهامى" فى الرباط ، قال له "حسن التهامى" إن الرئيس "السادات" لا يمكن أن يضع يده فى يد رئيس الوزراء "بيجن" طالما هناك أرض مصرية محتلة ، ثم أضاف "ديان" : "كان هذا منذ أسبوعين ، ومع ذلك فأنت وأنا رأينا المصافحة بين الرجلين قبل ساعة واحدة ، وهذا يدل على مدى المرونة التى يتحلى بها الرئيس السادات ، ونأمل أن يواصل الحرص عليها" . والتقط "بطرس غالى" الرسالة قائلا : "قبل أن نتحدث عن المرونة فلا بد أن تدركوا أن الرئيس السادات يتعرض لحملة شرسة فى العالم العربى ، كما أن هناك عناصر قوية فى مصر تعارض زيارته للقدس ، والكل الآن فى انتظار النتائج ، فإذا لم تكن كافية لتقنع كل المتشككين بصواب سياسته فإن النتيجة سوف تكون مزعجة" .

ورد "ديان" معقبا على كلام "بطرس غالى" قائلا "إن فهمه هو أن الرئيس السادات تحرك إلى هذه المبادرة لعلمه بأنه ليس هناك أمل فى مؤتمر جنيف لأن السوريين والفلسطينيين ، لا يريدون السير على طريق السلام . ولهذا ، فليس للرئيس السادات أن يلقى بالا إلى أى معارضة لسياسته فى العالم العربى ." وقال الدكتور "غالى" إنه "يتحفظ على كلام ديان لأن ارتباط مصر بالعالم العربى مسألة حيوية، وإن الرئيس السادات لم

يجئ إلى هنا فى طلب حل مصرى منفرد ، وإنما جاء وفى ذهنه بالدرجة الأولى أن يكسر الحاجز النفسى بين كل العرب وبين إسرائيل" . ويظهر أن "ديان" لم يشأ أن يلح كثيرا لكى لا يؤثر على الخطة التفاوضية للوفد الإسرائيلى فى اجتماع الغد .

وطلب "ديان" نسخة مسبقة من خطاب الرئيس "السادات" فى الكنيست . ورد "بطرس غالى" بأن الخطاب ليس جاهزا فى صيغته النهائية بعد . ولم ينس "ديان" قبل أن يترك الدكتور "بطرس غالى" أن يبدى له ملاحظة "كصديق" وهى رجاؤه بألا تكون فى خطاب الرئيس "السادات" المنتظر أمام الكنيست أيه إشارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية ، وإلا فإن أحدا لا يستطيع أن يضمن رد فعل "بيجن" .

وكان ذلك هو التحذير الثانى حول نفس الموضوع فى الساعة الأولى من زيارة القدس!

□

لم ينعقد اجتماع اليوم التالى فى موعده الساعة العاشرة صباحا لأن الرئيس "السادات" ذهب لأداء صلاة العيد فى المسجد الأقصى ، وتأخر هناك عما كان مقررا . وبعدها مباشرة اقترح عليه "بيجن" أن يزور المبنى التذكارى لضحايا الـ"هولوكوست" ("فاد ياشيم") . ثم التقى الوفدان عند الظهر لما أسماه "مناحم بيجن" "غداء عمل" .

كان الحاضرون من الجانب المصرى ثلاثة : الرئيس "السادات" والدكتور "مصطفى خليل" والدكتور "بطرس غالى" . ومن الجانب الإسرائيلى كان هناك ثلاثة أيضا وهم : رئيس الوزراء "مناحم بيجن" ونائبه "ييجال يادين" ووزير الخارجية "موشى ديان" . وبدأ "بيجن" فرحب بالرئيس "السادات" مرة أخرى "على أرض إسرائيل وفى عاصمتها القدس" ، ثم دعاه إلى فتح باب المناقشة . ورد الرئيس "السادات" بأنه يظن أن الجانب الإسرائيلى يعرف ما جاء من أجله ، كما أنه يعرف آراءه وشروطه من أجل التوصل إلى تسوية ، ولا يعتقد أن هناك جديدا يضيفه إلى تصريحاته العلنية وإلى ما قدمه من أوراق إلى الرئيس "كارتر" وإلى وزير خارجيته "فانس" ، وإن موقفه هو نفس الموقف ، وإن مبادرته لا تؤثر على موقفه التفاوضى ، وإنما كان هدفه منها هو كسر الحاجز النفسى الذى يعرف أنه يمثل ٧٠٪ من المشكلة .

وفى حين كان "بيجن" ينتظر صامتا ، فإن نائبه "ييجال يادين" طلب الكلمة ليقول للرئيس "السادات" إنه كان يتوقع أن يسمع منه شرحا وافيا لتصوره للسلام بين مصر وإسرائيل . وتدخل الدكتور "مصطفى خليل" يرد على "ييجال يادين" قائلا له إنه يجب أن

يكون واضحا أن هدف الرئيس من الزيارة ليس عقد صلح منفرد مع إسرائيل ، بل وليس حتى إجراء مفاوضات مباشرة منفردة معها . وبدا الضيق على "بيجن" وقال ما مؤداه "إذن فما هو معنى جلوسنا هنا الآن ؟ إننى قبل أن ندخل إلى هذه الجلسة اقترحت على الرئيس السادات أن ننشئ خطا ساخنا مباشرا بين مكتبه ومكتبى ، ولم يصدر عنه أى اعتراض" . وقال "مصطفى خليل" إنه يريد أن يوضح أن ما يقصده هو "أن مصر لا تنوى عقد صلح منفرد" .

وتدخل الرئيس "السادات" ليعيد المناقشة إلى المجرى العام للمشكلة دون اصطدام بـ"هل هى مفاوضات مباشرة أم غير مباشرة ؟ وهل مصر تريد صلحا منفردا أو هى لا تريد ؟" وقال إن الشكليات لا تهمه وإنما يهمه الموضوع . وهو لا يريد أن يجد نفسه فى هذه الزيارة غارقا مع مضيفيه فى أوراق تفصيلية ، وإنما هو يريد اتفاقا استراتيجيا عاما يليق بعمل تاريخى من النوع الذى قام به .

وأبدى "بيجن" أنه لا يفهم بالضبط قصد الرئيس "السادات" . وهو يتصور أن المشاكل المحددة تلزمها أوراق محددة ، وتفاصيل فى هذه الأوراق ترسم أساليب التنفيذ وتوقيتاته . وتدخل "ديان" ليقول "إن هناك قضايا معروفة مثل المشكلة الفلسطينية ومثل سيناء ومثل الجولان ومثل مياه الأردن ، فهل الرئيس يريد مناقشة هذه الأشياء أثناء زيارته أم ماذا ؟ إننا يجب أن نخلق أجهزة للاتصال الدائم بحيث يمكن استمرار الاتصالات والمفاوضات ، فهل هذا مطروح ؟" . ورد الرئيس "السادات" على الفور بأنه "لا يريد أن يغرق فى أوراق ولا أن ينشئ تنظيمات ، وإنما يريد أن يسمع من إسرائيل أولا عما هى مستعدة لتقديمه له" .

وتساءل "بيجن" عما يقصده الرئيس "السادات" بقوله إنه يريد أن يعرف ما تستطيع إسرائيل تقديمه . ثم أضاف "أنه حسب فهمه لأية مفاوضات فليس هناك طرف يقدم وطرف يتقبل ما يقدم له ، وإنما كل طرف يعطى ويأخذ طبقا لمسار المفاوضات" .

وانتهى غداء العمل بسرعة لأن موعد زيارة الرئيس "السادات" للكنيست وخطابه فيه كان محددا له الساعة الرابعة بعد الظهر ، ولم يكن ممكنا تأجيله . ولاحظ "ديان" فى مذكراته أنه راوده إحساس بأن الرئيس "السادات" يتصور أنه سوف يذهب إلى الكنيست يلقى خطابه متضمنا مقترحاته ثم إن الكنيست سوف يصوت على الفور بالموافقة عليها . وأثناء خروج الوفدين بعد غداء العمل همس الرئيس "السادات" لـ"بيجن" قائلا إنه لم يفهم إشارة "ديان" فى الجلسة إلى سيناء كبند من البنود المطروحة للتفاوض ، وإنه يظن أن هذا الموضوع جرى حسمه أثناء لقائه (يقصد "ديان") مع "حسن التهامى" فى الرباط . وأبدى "بيجن" دهشته قائلا "إن ديان لم يذكر فى تقريره إليه بعد اللقاء أى شىء عن هذا الموضوع ، كما أنه لم يكن مخولا من الأصل ببحثه" . وبدا الضيق على الرئيس "السادات"

مبديا استغرابه ، ولم يكن هناك وقت لإطالة الحديث لأن الرئيس "السادات" كان يريد أن يذهب للفندق أولا ويغير ملابسه ويستعد للوقوف أمام تلفزيونات الدنيا المطلة عليه وهو واقف على منصة الكنيست .

□

لم يحصل الطرف الإسرائيلى على نسخة مسبقة من خطاب الرئيس "السادات" أمام الكنيست رغم أن "ديان" طلبها من "بطرس غالى" . والسبب أن الرئيس "السادات" أراد لكلامه أمام الكنيست أن يكون جديدا بالنسبة للجميع ، بمن فيهم رئيس وأعضاء الحكومة الإسرائيلية . وفى الموعد المحدد له تماما وقف الرئيس "السادات" يتكلم ، وألقى خطابه المشهور فى الكنيست . وكان أهم ما فيه من الناحية العامة أنه جاء يعرض وجهة نظر عربية كاملة أمام الشعب الإسرائيلى . وأما من الناحية المحددة فقد اهتم بأن يقول "إن مصر تريد انسحابا إسرائيليا كاملا من كل الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وإن المشكلة الفلسطينية هى جوهر الصراع - وتلك بداية الحل" .

ووقف "بيجن" ليلقى رده على خطاب "السادات" ، وكان يرتجله بعد أن خط بقلمه ما لفت نظره وهو يسمع ضيفه ، وكان خطاب "بيجن" كارثة محققة. ويبدو أنه أراده حازما لأنه أحس فى غداء العمل من حديث الرئيس "السادات" أنه "ينتظر عرضا إسرائيليا يقدم له هدية تقديرا لمبادرته" ، كما أن "بيجن" راوده الشك فى"أن السادات يريد أن يتحدث إلى الرأى العام العالمى من منبر الكنيست ومن فوق رأس الحكومة الإسرائيلية" .

وهكذا فإن "بيجن" فى رده على الرئيس "السادات" أعاد تكرار كل مواقفه المتشددة المعروفة ، ثم قال "إن أحدا لا يستطيع أن يأخذ شيئا فى مقابل لا شىء" . ونزل خطاب "بيجن" على الوفد المصرى كسقوط صخر من جبل . ومع أن الرئيس"السادات"حاول أن يغطى وجهه بقناع من الهدوء ، فقد كان واضحا أن سيطرته على أعصابه يمكن أن تنفرط فى أى لحظة .

وكان هناك عشاء رسمى بعد الخطاب ، وأحس بعض أعضاء الوفد المصرى أنه ليس حفل عشاء وإنما مأتم عزاء ، فقد كان الرئيس "السادات" طوال الوقت مقطب الجبين ، صامتا وغارقا فى أفكار يظهر أنها كانت تذهب به إلى بعيد ، وكان الوحيد الذى حاول تبديد كآبة الجلسة هو "عزرا وايزمان" ، وقد راح يلقى بعض النكات المصرية التى يعرفها. ولكن ضرورات الموقف عادت تفرض نفسها على الحديث حين قال "ديان" إنه فهم من

ملاحظة نقلها إليه رئيس الوزراء عن الرئيس "السادات" أنه تحدث فى أمر الانسحاب الإسرائيلى من سيناء دون شروط أثناء لقائه مع السيد "حسن التهامى" فى الرباط . وهو يريد أن يوضح أمام الجميع أن ذلك لم يحدث . فقد استمع من جانبه لكل ما قاله السيد "حسن التهامى" وكان تعليقه عليه هو "أن كل شىء قابل للتفاوض ، ولا يزال ذلك موقف إسرائيل . لكن الاستعداد للتفاوض لا يعنى الاستعداد للانسحاب" .

كانت هذه نقطة بالغة الأهمية ، وكان تحقيقها ضروريا . وحين حاول كل من الدكتور "مصطفى خليل" والدكتور "بطرس غالى" أن يلح بالأسئلة على "ديان" ، كان "ديان" مصمما على موقفه "بأنه لم يعد بشىء ولم يكن مخولا بأن يعد بشىء ، ثم إن الموضوع لم يبحث أصلا ، ويمكن الرجوع فى ذلك إلى ملك المغرب وقد كان حاضرا معظم الجلسة . ثم إنه واثق أيضا أن الجلسة لها تسجيل عند المغاربة" ، وأضاف : "وعند غيرهم أيضا" . وكانت الإشارة قابلة للتأويل - دون اعتراف صريح - بأن واحدا من مساعدى "ديان" الذين حضروا معه اجتماعه مع "حسن التهامى" قام بتسجيل الجلسة سرا . ومن سوء الحظ أنه نتيجة للإلحاح فى الأسئلة فإن "ديان" قال صراحة : "إذا كان التهامى قال ما سمعت الآن إنه نسبه إلى فإنى أخشى أن أقول إنه كذاب" .

كان الضيق قد بلغ بالرئيس "السادات" مبلغه ، وقال بنبرة أرادها مؤثرة ما نصه "يظهر أنه ليس أمامى فى المؤتمر الصحفى المشترك الذى سأعقده مع رئيس الوزراء بيجن سوى أن أعلن فشل مبادرتى وأعود إلى القاهرة" .

□

لم ينم أحد تلك الليلة بعد العشاء . واقترح الدكتور "مصطفى خليل" أن يلتقى عدد من المسئولين فى الوفدين فى جناحه بفندق الملك داود ، لأنه لا يمكن ترك مبادرة تاريخية على هذا المستوى تصل إلى طريق مسدود . وبالفعل توجه إلى جناحه كل من "عزرا وايزمان" و"سيمحا إيرليخ" و"ييجال يادين" و"بطرس غالى" ، وتركزت المناقشات على كيفية إنقاذ الموقف وعدم السماح للمبادرة بأن تضيع . وطرح الدكتور "مصطفى خليل" فى البداية "أن الطرفين لم يلتقيا من قبل ، وأن هناك ميراثا ثقيلا من سوء الظن والشك ، كما أن هناك أطنانا من الأوراق على شكل مذكرات ومقترحات . كما أن هناك حقائق جغرافية وسياسية ونفسية تثقل أرضية الصراع كلها . وليس هذا مما يمكن النفاذ منه فى زيارة تستغرق ساعات. وإن قيمة الزيارة باعتبارها حدثا تاريخيا لا ينبغى المساس بها . فقيمتها فى مجرد

حدوثها بصرف النظر عن أى شىء يجرى فيها . وصحيح أن كلمة رئيس الوزراء "بيجن" اليوم فى الكنيست أشعرت الكل بوجود خلافات عميقة فى وجهات النظر — إلا أن المسألة المهمة الآن هى : "كيف يمكن عدم المساس بهذه البداية الضخمة ثم فتح الطرق منها بعد ذلك إلى مفاوضات تدور حول القضايا والمشاكل الرئيسية" ؟"

ثم راح الدكتور "مصطفى خليل" يتحدث عن رغبة الرئيس "السادات" الملحة فى طلب السلام ، وعن استعداده للبحث فى كل ما يمكن أن يؤدى عمليا إلى تحقيقه . وطالت وتفرعت المناقشات .

وعند الساعة الثانية والنصف صباحا ، وكان الكل مجهدا ، قال "وايزمان إنه سمع من الدكتور "خليل" فى بداية الجلسة عن رغبة الرئيس "السادات" الملحة فى طلب السلام، وعن استعداده للبحث فى كل ما يمكن أن يؤدى عمليا إلى تحقيقه . وهو يفهم من ذلك:

١ - إن التصميم على السلام خيار لا عودة عنه .

٢ - وإن الوصول إلى السلام يقتضى بحثا عمليا فى الوسائل التى تؤدى إليه .

وهو مع تقديره للدكتور "مصطفى خليل" يهمه أن يسمع هذه العبارات محددة وبألفاظها من الرئيس "السادات" شخصيا .

وفى الساعة السادسة صباحا قام الدكتور "مصطفى خليل" بإيقاظ "السادات" من النوم ، وذهب إلى جناحه يحكى له تفاصيل مناقشات استمرت حتى الفجر . وكان الرئيس "السادات" قد توصل بالفعل إلى نتيجة مؤداها أنه لا يستطيع أن ينفذ ما هدد به عن الوقوف فى المؤتمر الصحفى المشترك وإعلان فشل مبادرته . كان عليه أن يستمر ، وكان عليه أن يقبل كل محاولة تترك الباب مفتوحا لفرصة أخرى .

وهكذا ، فإنه فى صباح اليوم التالى أبلغ "بيجن" بأنه سوف يوجه له الدعوة لزيارة مصر ، وفى الغالب فى الإسماعيلية ليواصلا الكلام . ورد "بيجن" بأنه "كان ينتظر أن يدعى إلى القاهرة وإلى الحديث أمام مجلس الشعب بمثل ما قام هو بدعوة الرئيس "السادات" لزيارة عاصمة إسرائيل والحديث أمام الكنيست" !

٣

التليفزيون

"كنت أبحث عن شيء يحدث موجات صدمة"

("أنور السادات" لـ"موشى ديان")

عاد الرئيس "السادات" من القدس إلى القاهرة ليجد فى انتظاره استقبالا حافلا . ورغم أن كثيرين فى مصر استمعوا إلى خطاب "بيجن" على الهواء مباشرة منقولا من قاعة الكنيست (وكان التلفزيون المصرى طوال الساعات الثمانية والأربعين التىاستغرقتها زيارة القدس يركز بعدساته طوال الوقت على وقائع هذا الحدث المثير للدهشة والانبهار فى نفس الوقت) ـ فإن هؤلاء جميعا لم يفقدوا تأثير الزيارة عليهم حتى برغم كلمات "بيجن" الداعية للتشاؤم .

والحاصل أن المشاعر المتناقضة التى تملكت الشعب المصرى وأثرت عليه طوال ساعات الزيارة ، تستحق أن تكون موضوعا لدراسة مستفيضة عن "النفسية العامة" للجماهير . ذلك أن هذه المشاعر تعرضت بسرعة لتيارات متفاوتة فى درجات حرارتها وفى قوة شحناتها :

- عندما أعلن الرئيس "السادات" استعداده للذهاب إلى القدس والحديث أمام الكنيست كان الشعور العام إحساسا بالإنكار وعدم التصديق .
- وعندما بدا من لقاءاته التلفزيونية المتعددة أنه يعنى بالفعل ما قاله وأنه ذاهب للقدس، فإن الشعور العام أصبح تحديا لمغامرة يصعب على صاحبها أن يقوم بها .
- وعندما وصلت طائرة الرئيس "السادات" إلى القدس فعلا وظهر قادة إسرائيل واقفين فى استقباله فى مطار بن جوريون ، فقد كان الشعور العام إحساسا بالدخول إلى عالم غريب ومجهول لم يسبق إليه أحد ، وكل سكانه نوع من العفاريت يسمع عنهم كل الناس ولا يراهم أحد ، وأدى ذلك إلى نوع من الإبهار !

- وعندما وقف الرئيس "السادات" ليتحدث أمام الكنيست ، وكلامه بمنطوقه الظاهر تعبير معقول عن الموقفين المصرى والعربى فى الصراع ، فقد كان الشعور العام إحساسا بأن التعبير فى واقع الأمر تعبير عن الجميع .
- وعندما عاد الرئيس "السادات" من مغامرته فى القدس ، فقد كان الشعور العام إحساسا بالمشاركة فى الحدث والمشاركة فى المسئولية .

كان ذلك كله يسرى فى النفوس ويحدث ولو مؤقتا تغييرات واسعة المدى فى تقبل الناس لمشهد يتناقض تناقضا صارخا مع كل ما كانوا يؤمنون به خلال عقود سابقة عليه . وكانت هناك لهفة لانتظار النتائج . والغريب أن الرئيس "السادات" نفسه رغم أنه يعرف نوع المشاكل الحقيقية التى اكتشفها فى إسرائيل ، أسلم نفسه بعد العودة إلى القاهرة لشعور بالتفاؤل يصعب إيجاد مبرر له . ومن ذلك مثلا أنه دعا الكاتب الكبير الأستاذ "أحمد بهاء الدين" إلى لقائه ، وقال له وعلى شفتيه ابتسامة عريضة : "ما الذى تنوى أن تفعله الآن ؟" ودهش "بهاء" واستوضحه ما يقول . ورد عليه الرئيس "السادات": "لأنك وغيرك من الكتاب أصبحتم فجأة بلا عمل ، إنكم عشتم طويلا على الكتابة عن الصراع العربى ـ الإسرائيلى ، وهذا الصراع انتهى الآن وانتهت معه كل الموضوعات التى لم تعرفوا غيرها للكتابة" . واستطرد الرئيس "السادات" يقول إنه "يرثى للكتاب السياسيين الآن" .

ولم يكن "بهاء" قادرا على تصديق مقولة أن الصراع العربى ـ الإسرائيلى انتهى ، فسأل الرئيس "السادات" : "هل سيخرجون من سيناء ؟" ورد عليه الرئيس "السادات" بثقة فيها نبرة سخرية قائلا : "بالطبع .. وهل كنت تظننى أذهب إلى هناك لو لم يكن موضوع سيناء قد انتهى ؟" وسأله "بهاء" عن الضفة الغربية . ورد الرئيس "السادات" بأن "أمرها مضمون" . وسأل "بهاء" وفضوله الصحفى يزيد : "والقدس يا ريس ؟" وضحك الرئيس "السادات" وقال : "اطمئن يا بهاء فالقدس فى جيبى" .

وخرج "بهاء" من بيت الرئيس "السادات" إلى مكتب "محمد حسنين هيكل" يروى له وقائع هذا الحوار المثير ، وجلس الاثنان لساعتين كاملتين يحاولان تقييم الزيارة حائرين بين ما قاله "السادات" وبين ما ظهر من صور الزيارة وما تحمله وكالات الأنباء الآن من تقارير وتفاصيل .

□

وفى العواصم العربية كان هناك انقسام خطير بين القيادات وبعضها ، وبين القيادات والجماهير :

- كانت الجماهير العربية بصفة عامة غاضبة من المبادرة ، شاعرة بجرح حقيقى من زيارة رئيس مصر للقدس فى هذه الظروف . وكان أسوأ ما فى الموضوع أن قطاعات كبيرة من جماهير الأمة العربية لم تصدق إعلان الرئيس "السادات" باستعداده للذهاب للقدس والحديث أمام الكنيست ، واعتبرت إعلانه نوعا من المناورة السياسية الخطرة أراد بها إحراج إسرائيل . لكنه عندما سافر الرئيس "السادات" فعلا فإن الجماهير العربية ، وبالحس قبل المعلومات ، أدركت أن هذه بداية حل مصرى — إسرائيلى منفرد .

- وعلى مستوى الحكام فقد تجلى الانقسام فى مواقف عصبية أو مواقف عاجزة أو مواقف صامتة تنتظر اتجاه الأحداث :

— دعا الرئيس "القذافى" إلى اجتماع عاجل فى طرابلس لشجب تصرف الرئيس "السادات"، وإعلان تصرفه باعتباره "خيانة عظمى"، والمطالبة بنقل مقر أمانة الجامعة العربية من القاهرة . وكانت تلك بداية ما سمى بـ "جبهة الصمود والتصدى" . وكانت هذه الجبهة مجرد موقف رفض لا يملك خطة عمل حقيقية يطرحها . وهكذا ، فقد بدا موقف هذه الجبهة عقيما على أحسن الفروض .

— فى بعض إمارات الخليج كان هناك ارتياح مكتوم لما قام به الرئيس "السادات". فكثيرون بين الشيوخ كانوا يخشون من جموح التوجهات القومية ، وكانوا يعتقدون أن الصراع العربى ـ الإسرائيلى هو باستمرار مفجر طاقات هذا الجموح وموقظ لهب الثورة فى الوضع العربى العام . وراح هؤلاء الشيوخ يراقبون ما يجرى ، معجبين فى صمت ، يتحدثون فى مجالسهم عن شجاعة الرجل ، ولا يجرءون علنا على تأييد خطواته .

— وكان هناك من أدهشتهم المبادرة وتصوروا أنه لا بد أن يكون قبلها شىء ووراءها شىء، وكان بين هؤلاء الرئيس الجزائرى "هوارى بومدين" الذى أرسل إلى الملك "خالد" يقول : "إننا نشك فى نجاح ما قام به الرئيس أنور السادات ، ولكن إذا نجحت مبادرته فى تحقيق المطالب العربية، فأنا على استعداد للذهاب إلى القاهرة لأعلن أمامه وأمام كل الناس أننى كنت على خطأ . وإذا فشلت هذه المبادرة وكانت لدى الرئيس السادات شجاعة الرجوع عنها ، فسوف أذهب أيضا إلى القاهرة لأضع كل إمكانيات الجزائر تحت تصرفه فى خدمة مرحلة جديدة من العمل العربى الموحد ."

□

وفى إسرائيل كان هناك شعور عام بالسعادة على مستوى الناس العاديين ـ لكنه كان هناك شعور بالحيرة لدى القيادة الإسرائيلية ، خصوصا هؤلاء الذين أتيح لهم أن يشاركوا فى اجتماعات القدس .

إن القيادة الإسرائيلية أحست أنها أمام أسئلة معلقة ولا بد من إجابات عليها :

١ ـ ما الذى دعا الرئيس "السادات" إلى هذه الزيارة حقيقة ؟

٢ ـ ما الذى ينتظره الرئيس "السادات" منها ؟

٣ ـ ما الذى يتوقعه العالم ـ خصوصا الولايات المتحدة الأمريكية ـ من إسرائيل بعدها ؟

● وبالنسبة للسؤال الأول عن دافع الرئيس "السادات" إلى هذه الزيارة ، فقد تنوعت أسباب التعليل طبقا لاختلاف وسائل التحليل . وكلف الجنرال "شلومو جازيت" رئيس المخابرات العسكرية بوضع ورقة تكون أساسا لمناقشة هذا السؤال فى لجنة الأمن والدفاع المتفرعة من مجلس الوزراء . واعتمد "شلومو جازيت" فى ورقته على مصادر شديدة التنوع ، بينها كل ما قيل عن الزيارة فى مصر سواء مما نشرته الصحف أو ما جاء به عملاء إسرائيل السريون فى القاهرة ، وبينها كل التعليقات والتحليلات المنشورة عن هذه الزيارة فى صحف العالم العربى والعالم الخارجى على اتساعه . وأضيف إلى ذلك كله أن "شلومو جازيت" كانت تحت تصرفه تسجيلات صوتية لكل ما دار بين أعضاء الوفد المصرى وبعضهم فى أجنحة وغرف فندق الملك داود ، وفى قاعاته وأبهائه ، وحتى فى السيارات التى كانوا يستقلونها . كما كانت تحت تصرفه أيضا تحليلات للموجات الصوتية التى سجلت للمتحدثين المصريين أثناء اشتراكهم فى الاجتماعات ، وقد جرى عليها قياس درجات الانفعال بما فى ذلك الصدق والكذب .

وبعد استعراض أسباب كثيرة توصلوا إلى ثلاثة عوامل أثرت على الرئيس "السادات" وجعلته يختار طريق القدس :

١ ـ الموقفان الاقتصادى والاجتماعى فى مصر . فهناك من ناحية ضيق اقتصادى . ثم إن هناك طبقة اجتماعية تظهر على سطح المجتمع وتريد أن تغتنى بسرعة ، وأكثر ما يحقق لها ذلك هو جو ينتفى فيه احتمال الحرب .

٢ ـ يأس الرئيس "السادات" من حل يصل إليه عن طريق مؤتمر جنيف . فهو لا يستطيع أن يقف عند حد فك الارتباط الثانى الذى توصل إليه "كيسنجر" سنة ١٩٧٥. وإنما هو مطالب بأن يمشى فى طريق الحل إلى نهايته . وهو لا يريد طريق جنيف بسبب كراهيته للاتحاد السوفيتى وبسبب شكه فى أطراف عربية أخرى . وإذا كان طريق جنيف مسدودا ، فلا بد من فتح طريق آخر .

٣ - إن الدافع الحقيقى للرئيس "السادات" هو الضغط على إسرائيل بقوة الرأى العام العالمى خصوصا فى الولايات المتحدة . وقد أراد بخطوته إحداث أكبر قدر ممكن من التأثير الدرامى . وكانت ملاحظة الجنرال "ديان" أن الرئيس "السادات" نجح فى ذلك بدليل أن الرئيس "كارتر" شبه زيارته للقدس بنزول أول إنسان على سطح القمر . كما لفت الجنرال "شلومو جازيت" النظر إلى أن طائرة الرئيس "السادات" إلى القدس كانت تحمل عليها ثلاثة من أكبر نجوم التلفزيون الأمريكى، وهم "والتر كرونكايت" نجم "سى. بى. إس C.B.S" و"باربرا والترز" نجمة "إى. بى. سى A.B.C" و"جون تشانسلور" نجم "إن. بى. سى N.B.C". وأضاف "جازيت" أن "باربرا والترز" كانت موجودة فى القدس تجرى مقابلة مع "مناحم بيجن"، لكن طائرة مصرية خاصة وصلت للقدس وحملتها إلى الإسماعيلية قبل بدء زيارة الرئيس "السادات" بثلاث ساعات . وكان القصد أن تكون ضمن ركاب الطائرة معه ، وأن تكون ضمن النازلين وراءه إلى عاصمة إسرائيل .

إن قادة إسرائيل لم يكفوا قط عن تساؤلهم عن السبب الذى دعا الرئيس "السادات" إلى زيارة القدس. وقد روى "موشى ديان" فى مذكراته :[٢]

"لقد راودتنى دائما فكرة أن أوجه السؤال إلى الرئيس "السادات" نفسه . كنت دائما أتمنى أن أوجه إليه هذا السؤال مباشرة ، وأن أسمع جوابه عليه . وقد سنحت لى الفرصة لذلك بعد سنة ونصف السنة من زيارة القدس . كان ذلك فى الإسماعيلية يوم ٤ يونيو ١٩٧٩، وبعد أن تم توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل. ولم يكن اجتماعى بالرئيس السادات مقررا من قبل لأننى جئت إلى القاهرة لمقابلة الدكتور مصطفى خليل والدكتور بطرس غالى لبحث تنفيذ معاهدة كامب دافيد . ثم أخطرنى بطرس غالى أن الرئيس السادات يريد أن يرانى ، وإنه فى الإسماعيلية ، وإن طائرة هليوكوبتر تنتظرنا لنذهب إلى هناك . وبعد ساعة من الطيران بالهليوكوبتر كنت معه، وكان معنا نائبه حسنى مبارك وبطرس غالى . وسألنى الرئيس السادات فى بداية المقابلة : "هل تعرف هذا المكان ؟" وقلت له: "نعم ، رأيته من الناحية الأخرى" .

ثم تحدثنا عن المعاهدة ، وقال إنه ملتزم بتنفيذها التزاما كاملا . وحين حاول حسنى مبارك وبطرس غالى أن يخففا حدة اندفاعه قام بإسكاتهما . ووجدت الفرصة مناسبة لسؤالى الحائر ، وطرحته عليه . قلت له : "قل لى بصراحة يا سيادة

---

(٢) مذكرات "موشى ديان" بعنوان "الاختراق" Breakthrough - الصادرة فى لندن عن دار "وينفيلد آند نيكلسون" - صفحة ٨٦ .

الرئيس، لماذا جئت إلى القدس ؟" وبدا أن السادات سعد بتوجيهي لهذا السؤال إليه ، وقد رد عليّ بقوله : "موشي .. سوف أحكي لك الحكاية من أولها" .

ثم راح الرئيس السادات مستمتعا بتفاصيل روايته يحكيها على النحو التالي :

"في البداية ، وعندما أصبح بيجن رئيسا للوزراء ، لم أكن أعتقد أنه راغب في صنع السلام . ولكنى أثناء زيارة إلى رومانيا سألت تشاوشيسكو سؤالين : هل بيجن قوى إلى درجة تسمح له باتخاذ قرارات جريئة ؟ وهل هو مخلص في رغبته في السلام ؟ وأعطاني تشاوشيسكو ردا إيجابيا على السؤالين . وقال لى إنه أجرى مناقشة مع بيجن أخيرا دامت ست ساعات ، وخرج منها بانطباع أنه قوى وأنه مخلص ."

وقلت للرئيس السادات: "ولكن متى جاءتك الفكرة لزيارة القدس ؟"ورد الرئيس السادات: "عندما كنت فوق تركيا في طريقي من بوخارست إلى طهران ، كنت أبحث عن شيء يحدث موجات صدمة **shock waves** . تصورت أن أبناء عمنا الإسرائيليين يقولون دائما إن مشكلتهم معنا مشكلة أمن . وكان ممثلو القوى الكبرى يجلسون معا ٢٤ساعة كل يوم ليأتوا إلينا بحلول لمشاكل الأمن الإسرائيلي . وقلت لنفسي إنه من الأفضل أن نتصرف نحن وإسرائيل بأنفسنا . ومن إيران،كما تعلم يا موشي ، ذهبت إلى السعودية ، ثم عدت إلى مصر . وكانت الفكرة قد تبلورت في ذهني، واتخذت قراري بأن أذهب إلى القدس ، وقد تبلور في ذهني تماما وأنا أغادر السعودية . وكان دافعي كما قلت لك أن أحل مشكلة أمن إسرائيل . قلت لنفسي حسنا سوف أذهب بنفسي وأتقابل معهم ، أنا وإسرائيل **.I and Israel**

وسألته عن اختياره لحسن التهامي ليقابلني في مراكش . ورد قائلا : "في واقع الأمر أنني أرسلت التهامي ليقابلك لسبب مختلف . في ذلك الوقت كانت هناك استعدادات لمؤتمر جنيف . ولم أكن أريده . وكانت مهمة التهامي معك أن يتأكد من أنكم ونحن - أي مصر وإسرائيل - نستطيع أن نصل سويا قبل المؤتمر إلى توافق حتى لا يتعرض المؤتمر للخطر . وكان هدف مهمة التهامي أن يمهد لاجتماع بيني وبين بيجن . هدفي من الاجتماع مع بيجن كان مختلفا . كان هدفي منه أن أجلس وجها لوجه مع إسرائيل . لم أكن مستريحا إلى جنيف رغم إصرار الولايات المتحدة عليها ، وكان الأسد يريد وفدا عربيا موحدا . وقبل كارتر الفكرة وراح يحاول إقناعي بها ." وقلت للرئيس السادات (والرواية ما تزال لموشي ديان) إنني أتذكر تلك الأيام ، وأتذكر أنني قلت لكارتر إن الأسد يريد اجتماعا في

جنيف بوفد عربي موحد ، وهذا سوف يأتي بالروس إلى المشكلة . وكنت أشعر، وأتمنى ، أن تكون أنت أيضا يا سيادة الرئيس من رأيي .

وجذب الرئيس السادات نفسا عميقا من غليونه وقال : "كنت من رأيك يا موشي".

ويستطرد "ديان" :

إن علاقتي بالرئيس السادات كانت قد تحسنت عندما أتيحت لي الفرصة لهذا السؤال، ولكنها لم تصل قط إلى مستوى علاقته بعزرا وايزمان . معي كان يصافحني ، وأما وايزمان فقد كان يعانقه ويقبله كل مرة ."

□

● وبالنسبة للسؤال الثانى عما ينتظره الرئيس "السادات" من الزيارة فقد كان واضحا لكل قادة إسرائيل أنه كان ينتظر ردا على مستواها . وكان أكثر ما أقلق قادة إسرائيل أن آخرين كانوا يشاركون الرئيس "السادات" هذا الانتظار . وقد حدث أثناء مراسم وداع الرئيس "السادات" فى القدس عصر يوم ٢١ نوفمبر أن السفير الفرنسى لدى إسرائيل قال لوزير الخارجية "موشى ديان" : "لقد عشنا أياما لا تنسى ، وأظنكم يا سيدى الوزير سوف تصبحون مطالبين بأن تعطوا شيئا للرئيس السادات مقابل كل ما أخذتموه خلال هذه الأيام". ورد "ديان" بمزيج من العصبية والسخرية قائلا : "لا أعرف لماذا يتحتم علينا أن نقدم ثمنا لما حدث فى القدس. إن ما حدث كان عظيما بلا شك ، ولكن المسائل لا بد أن تكون واضحة. إن الآخرين والعالم كله دعوا أنفسهم إلى مهرجان حافل على أرضنا . وقد رحبنا بهم . وكان ذلك المهرجان نوعا من حفلات المفاجآت (surprise parties) يجيء فيه الذين دعوا أنفسهم إليه بطعامهم وشرابهم وموسيقاهم أيضا ، ثم يذهبون بعد تقديم شكرهم للذين فتحوا لهم بيتهم مسرحا لمهرجانهم ."

وأحس السفير الفرنسى بالقلق . وكان تقديره أن إسرائيل لا تقدر مبادرة الرئيس "السادات" حق قدرها ، وإنها لا تفكر فى رد من جانبها على مستوى هذه المبادرة .

● بقى السؤال الثالث ، وهو ما الذى يتوقعه العالم بعدها ـ والولايات المتحدة بالذات ؟ وكانت الإجابة على هذا السؤال باختصار هى أن العالم ـ والولايات المتحدة خاصة ـ كان ينتظر من إسرائيل شيئا قريبا من مضمون السؤال الذى وجهه السفير الفرنسى إلى "موشى ديان" فى مطار بن جوريون .

٤

محمد إبراهيم كامل

" لا يمكن أن أحلف اليمين أمام بيجن
مهما حدث "

(وزير الخارجية المصرى لرئيس الجمهورية)

كانت واشنطن تتابع زيارة القدس فى حالة من النشوة لم تخل من هواجس حول نهاية هذا المشهد الدرامى الهائل الذى جرى فى القدس . وكتب "بيجن" إلى "كارتر" يخطره بما حدث ، وكذلك فعل الرئيس "السادات" . وفى حين كان "بيجن" متحفظا ، فإن الرئيس "السادات" كان مندفعا يريد أن يحتفظ بالمبادأة فى يده ، ويريد أن يحافظ على إيقاع الحركة . وقد قال لـ "كارتر" إنه يفكر فى ثلاث خطوات متلاحقة :

١ ـ الترتيب لاجتماع ثان بين "التهامى" وبين "ديان" تحت رعاية ملك المغرب لاستيضاح النقاط الغامضة فى لقائهما السابق ، وبالذات ما فهمه "التهامى" عن "ديان" من أن الانسحاب من الأراضى المصرية ليس مشكلة .

٢ ـ وهو بعد ذلك يريد أن يرتب لمؤتمر فى القاهرة يدعو إليه كل القوى المعنية مباشرة بالصراع فى الشرق الأوسط ، وبينها سوريا وفلسطين ، لكى يقوم بالبناء على الأساس الذى وضعه فى القدس (!)

٣ ـ وهو ـ ثالثا ـ يريد دعوة "بيجن" إلى لقاء معه فى الإسماعيلية لتزداد معرفة كل منهما بالآخر وليرسما خطا للعمل المشترك نحو السلام .

كان "كارتر" يرى استحالة تخلف الولايات المتحدة عن الموكبين السياسى والإعلامى الهائلين اللذين بدآ فى القدس ، وكانت أغراضه انتخابية فى الغالب . وأما "فانس" فقد كان مع رئيسه فى أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتخلف ، لكنها مطالبة أكثر من غيرها بأن تدفع الأمور برقة إلى طريق متوازن ، وإلا فإن السلام لن يجىء إلى الشرق

الأوسط وسوف تشهد المنطقة صراعا عربيا ـ عربيا يتقاطع مع صراع عربى ـ إسرائيلى ، ولن تصل المنطقة إلى سلام حتى ولو عقدت مصر وإسرائيل صلحا منفردا .

وأعد "فانس" مذكرة للرئيس "كارتر" (طبقا لأوراق البيت الأبيض) لخص فيها عناصر الموقف كما يراها على النحو التالى:

١ ـ إن دور الولايات المتحدة كوسيط لم يعد الآن مهما ولا مركزيا .

٢ ـ إن انعقاد مؤتمر جنيف فى هذه الظروف لم يعد أمرا محتملا .

٣ ـ إن كلا من مصر وإسرائيل تعتقد بضرورة تجنب كل من سوريا والسوفيت .

٤ ـ إن الدعم السعودى لموقف "السادات" مهم (اقتصاديا على الأقل)، ولو أن "السادات" لا يريد من الولايات المتحدة أن تكون رسولا بينه وبين السعوديين.

٥ ـ إن القطيعة بين الرئيس "الأسد" والرئيس "السادات" كاملة الآن . لكنه يجب على الولايات المتحدة أن تحاول بكل الوسائل إقناع سوريا بألا تنضم إلى جبهة الرافضين للسلام .

٦ ـ إن الأردن فى وضع صعب، وهو يخشى من عواقب اتفاق مصرى ـ إسرائيلى منفصل.

وقرر "كارتر" أن يبعث بـ "فانس" مرة أخرى إلى الشرق الأوسط لبحث ما يمكن عمله لاستعادة زمام الموقف . وكان "كارتر" يرى أكثر من "السادات" حقائق الموقف الإسرائيلى، ويعرف فى قرارة نفسه أن إسرائيل لن تقدم لـ "السادات" ردا على مبادرته يرتفع إلى مستواها . وكان "فانس" نفسه حائرا فى شأن ما يريد الرئيس "السادات" تحقيقه ، وقال لـ "كارتر" : "إن الرجل يتبع سياسة تقوم على أساس seeing is believing أى أن ما تراه العين هو الحقيقة حتى ولو كان نوعا من خداع البصر" . وكان فى واشنطن إحساس عام بالخوف من حدوث نكسة إذا ما أفاق الرئيس "السادات" إلى أن مبادرته لم تغير فى الموقف الإسرائيلى شيئا .

□

إن الرئيس "السادات" كانت لديه الفرصة ليتحقق من ذلك فعلا . ففى اجتماع "حسن التهامى" مع "ديان" فى الرباط مرة ثانية لم تؤد الأسئلة عن اجتماعهما السابق إلى شىء، ورأى الملك "الحسن" أن المستقبل أولى بالاهتمام . وبدأ "ديان" حديث المستقبل ، وكان لديه سؤال واحد محدد راح يدور حوله ويعود إليه باستمرار ، وهو ما إذا كانت مصر

الآن مستعدة لتوقيع اتفاقية صلح منفرد مع إسرائيل يوضع أساسه فى المؤتمر الذى دعا اليه الرئيس "السادات" فى القاهرة ؟ ولم يكن "حسن التهامى" يعرف عن اجتماع القاهرة ما يتعدى فكرته العامة كما سمعها من الرئيس "السادات" .

وانتقل المسرح إلى القاهرة حيث انعقد فيها ذلك المؤتمر الذى أطلق عليه "مؤتمر مينا هاوس" ، ولم يحضره أحد من الأطراف العربية المدعوة إليه . ولم يكن العرب فقط هم الذين يرفضون الحضور ، وإنما كان الإسرائيليون أيضا يملون شروطهم حتى على ترتيبات الاجتماع . ومن ذلك أن "إلياهو بن إليسار" مدير مكتب "بيجن" ورئيس الوفد الإسرائيلى إلى مؤتمر القاهرة - لمح علما فلسطينيا مرفوعا على سارية ضمن الأعلام الأخرى المرفوعة رمزا إلى الأطراف المدعوة لاجتماع مينا هاوس . وذهب "إلياهو بن إليسار" إلى رئيس الوفد المصرى قائلا له إنه "لمح فى ساحة الفندق علما غريبا لا يعرفه ، وهو يطلب رفعه أو رفع العلم الإسرائيلى ، وفى هذه الحالة فإنه لن يخطو إلى قاعة الاجتماعات" .

وفى اللقاء الذى رتبه الرئيس "السادات" فى الإسماعيلية "ليزداد معرفة بمناحم بيجن" وليشتركا معا فى رسم خط التسوية ، فإن الرئيس "السادات" لم يكن أمامه غير أن ينظر إلى الحقيقة فى وجهها ، ومع ذلك فقد اختار أن يشيح بوجهه عنها رغم أنها كانت ملء الصورة ، والصورة بعرض الأفق !

□

كان اجتماع الإسماعيلية نموذجا لاجتماعات أخرى تلته ، سواء على مستوى الرؤساء أو على مستوى أقل من مستوى الرؤساء . وجاء "مناحم بيجن" إليه يحمل رده على مبادرة الرئيس "السادات"، متمثلا فى مشروع معتدل للحل عرضه على الرئيس "كارتر"، وجاء الدور الآن لعرضه على الرئيس "السادات" .

إن الشاهد الرئيسى على مؤتمر الإسماعيلية هو وزير الخارجية الذى اختاره "السادات" قبل المؤتمر مباشرة ، واستدعاه إلى الإسماعيلية ليكون اجتماعه مع "بيجن" هناك بداية لمهامه الرسمية واشتراكه فى عملية صنع السلام .ويروى "محمد ابراهيم كامل" فى مذكراته[٣] إنه كان قبل إعلان تعيينه وزيرا للخارجية سفيرا فى بون . وقد جاء إلى

(٣) مذكرات "محمد ابراهيم كامل" بعنوان "السلام الضائع فى اتفاقيات كامب دافيد" - نشرته جريدة "الشرق الأوسط" السعودية التى تصدر فى لندن .

القاهرة يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٧٧ ليعد لزيارة ينتظر أن يقوم بها المستشار الألمانى "هيلموت شميت" لمدة يومين للقاهرة . ثم فوجئ بإعلان فى الإذاعة والتلفزيون يقول إنه عين وزيرا للخارجية خلفا للسيد "إسماعيل فهمى" . وبعد مقابلة بينه وبين السيد "ممدوح سالم" رئيس الوزراء الذى أبلغه رسميا بتعيينه ، اتصل به نائب رئيس الجمهورية "حسنى مبارك" ليبلغه أن الرئيس "السادات" يريده غدا للمشاركة كوزير للخارجية فى مباحثات الإسماعيلية، المقرر عقدها فى الساعة الحادية عشرة من صباح الغد بين الوفد المصرى برئاسة "أنور السادات" والوفد الإسرائيلى برئاسة "مناحم بيجن" .

وفى صفحة ٤٠ وتحت عنوان "لقاء الإسماعيلية" كتب"محمد ابراهيم كامل" بالنص :

"توجهنا إلى مطار ألماظة الحربى حيث قابلت السيد حسنى مبارك وركبنا طائرة هليوكوبتر حربية توجهت بنا إلى الإسماعيلية حيث وصلناها فى الساعة التاسعة والنصف .

فى استراحة الإسماعيلية التى اختيرت مكانا للمباحثات ، قابلت عددا من الأصدقاء والزملاء أعضاء الوفد المصرى وهم الدكتور عصمت عبد المجيد مندوب مصر لدى الأمم المتحدة ، وحسن كامل رئيس الديوان الجمهورى ، والدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية ، والدكتور أسامة الباز الذى عين مديرا لمكتب نائب رئيس الجمهورية بعد استقالة إسماعيل فهمى مع احتفاظه بعمله فى وزارة الخارجية .

سألت الدكتور عصمت عبد المجيد أن يلخص لى ما دار فى مؤتمر القاهرة التحضيرى للسلام الذى دعا إليه الرئيس السادات ، والذى عقد فى فندق مينا هاوس فى مواجهة الأهرام ولم يحضره غير الجانب المصرى والإسرائيلى والأمريكى - حيث رفضت كل من سوريا والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية حضوره .

وما كاد يشرع فى الحديث حتى استدعيت لمقابلة الرئيس السادات ، الذى كان ينتظرنى فى حديقة الاستراحة جالسا يستمتع بدفء الشمس الساطعة . وقد رحب بى بحرارة وذكر أنه لم يكن يعلم بوجودى ، وكان يظن أنى ما زلت فى بون .

. . . .

. . . .

ثم انساب فى حديث طويل عن المتناقضات القائمة بين الدول العربية ، وخاصة الرئيس السورى حافظ الأسد الذى ضاق به ذرعا ، وموقف الاتحاد السوفيتى الذى يسعى لإسقاطه شخصيا ويعمل على تخريب أى جهد للخروج من الحلقة المفرغة

التى يـدور فيها الـنزاع العربـى الإسرائيلى ، وإنـه لا يستطيع أن يستمر فـى ربـط مصـر بعجلة القافلة العربية التى تشتعل فيها نيران الغـيرة والغـدر والمنافسات على الزعامة والمزايدات .

ثـم حضـر حسـن كـامل ليبلـغ الرئيـس بوصـول طـائرة الوفـد الإسـرائيلى إلى الإسماعيلية . فتركنى السـادات ليتأهـب لاستقبالهـم .

وبعد وصـول الوفـد صحبـه الرئيس السادات إلى غرفـة الاسـتقبال بالاسـتراحة حيـث قدمـت لهـم بعـض المرطبـات ، ولم يلبـث أن حضـر حسـن كـامل ليبلغنـى أن الرئيس يطلبنى لحلـف اليمـين كوزيـر للخارجيـة . وأضـاف أن السـادات يعـتزم أن يشارك مناحم بيجـن وأعضاء الوفد الإسرائيلى فى مراسم حلـف اليمـين كتعبـير عـن روح الـود والسـلام . وصدمـت من الذهول . وطلبت منه أن يبلغ الرئيس السـادات أن مثل هذا لم يقـع فى العـالم من قبل، وإنى لن أقـوم بحلف اليمين أمام الإسرائيليين مهما حـدث .

وعاد حسن كامل ضاحكا وأبلغنى أن الرئيس وافـق على رأيـى . وذهبت معه إلى غرفة الاستقبال حيث كـان يجلـس السـادات مـع منـاحم بيجـن وبعـض معاونيـه ، فاستأذن منهم وتوجـه إلى ركن من الغرفـة ، ووقف على يمينه السيد حسـنى مبـارك وعلى يساره السيد ممدوح سالم ، وقمت بحلف اليمين . ولم أكـد أنتهـى حتـى جـاء مناحم بيجـن وأعوانه وصافحونى مهنئـين . ثـم اتجـه السـادات ومعـه بيجـن إلى اجتماع مغلـق بينهما ."

. . . .

. . . .

ويمضـى "محمـد ابراهيم كامـل" فى روايتـه ، فيقول تحت عنوان "الإحساس بالغيـظ" (صفحة ٤٣) :

"إن أعضاء الوفـدين المصرى والإسرائيلى جلسوا ينتظرون الاجتمـاع المغلـق بـين السادات وبيجـن . ثم فتـح الباب ودخـل السادات وبيجن ، وفوجئت بمناحم بيجـن ويـده مشتبكة فى يـد السادات الذى قـال إنه اتفـق مع بيجـن على تشكيل لجنتـين : الأولى سياسية برئاسة وزير الخارجية المصرى ووزيـر الخارجيـة الإسـرائيلى وتعقـد جلساتها فى القدس، والثانية عسكرية برئاسة وزيرى دفاع البلدين وتعقد جلسـاتها فى القاهـرة . وشعرت أن السادات وبيجـن قد وضعا العربـة قبـل الحصـان ، إذ كـان مفروضا أن يأتى مثل هذا الاتفاق كنتيجة للمحادثـات بـين البلديـن وليـس قبلهـا . وأحسست بالغيظ من السادات . لماذا وافـق علـى لجنتـين ؟ ألم يكـن المنطـق يقضـى

بالبدء بالاتفاق بين الطرفين على الأسس التى يمكن أن يقوم عليها السلام ، وهذا موضوع سياسى بحت ؟ فإذا تم الاتفاق على ذلك يمكن عندئذ تشكيل أى عدد من اللجان يتطلبها وضع بنود هذا الاتفاق السياسى موضع التنفيذ .

. . . .

. . . .

ولم أفق من خواطرى إلا على صوت الرئيس السادات وهو يفتتح الجلسة الرسمية بالترحيب بالوفد الإسرائيلى فى الإسماعيلية قائلا : "اليوم عيد ميلادى وإنها لمناسبة سعيدة أن نلتقى على الأرض المصرية لننهى معاناة الشعبين . والعالم كله يتطلع إلى هذا اللقاء وإلى إقرار السلام" . ورد بيجن مهنئا السادات بعيد ميلاده متمنيا له أن يعيش مائة وعشرين عاما كما فعل موسى الذى عبر سيناء مع شعبه هربا من مصر وبقوا فى التيه أربعين سنة بينما وصل هو (أى بيجن) إلى مصر عبر سيناء فى أربعين دقيقة ."

□

وبدأ بيجن حديثه فى الجلسة الرسمية فقال إنه والرئيس السادات عقدا اجتماعا ثنائيا مفيدا للغاية . وهو يريد فى هذا الاجتماع الرسمى بحضور الوفود أن يضع موقفه على المائدة. ثم استطرد يقول : "إن الرئيس السادات شخصية عظيمة وهو يملك ثقة الشعب المصرى كاملة . ومن سوء حظى أن هذا الامتياز لا يتوفر لى، فأنا مقيد ببرنامج حزبى الذى خضنا الانتخابات على أساسه ، كما أننى مقيد أيضا بالبرنامج الموحد لجبهة الليكود. وبرنامج الحزب يضع أمامى ثلاثة خطوط لا أستطيع تجاوزها :

أولا ـ إن حق الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل غير قابل للطعن . ولا يمكن لأحد أن يفرض علينا مشروعا يسفر عن تقسيم أرض إسرائيل المحررة . إننى ذكرت ذلك وقد وافقنى الرئيس السادات عندما كنا معا قبل قليل . إن مصر هى التى بدأت حرب ١٩٦٧ بالاستفزاز الذى وجهته إلينا عندما أغلقت مضيق العقبة . وقد أكد لى الرئيس السادات عندما كنا معا أنه لم يكن قط موافقا على ما كان يقال فى مصر فى وقت سابق عن إلقاء

إسرائيل في البحر . ووافق معي على أن حرب ١٩٦٧ كانت حربا دفاعية اضطررنا إلى خوضها[٤] . وكلكم يعلم أن الحرب الدفاعية ترتب حقوقا قانونية تطال الأرض التى بدأ منها العدوان . وهذا ليس غزوا ولا ضما وإنما هو تحرير وتأمين .

ثانيا ـ إن السلام في برنامج حزبي والبرنامج الموحد لجبهة الليكود، يقول أيضا "إن السلام معناه توقيع معاهدات سلام يمكن الوصول إليها فقط عن طريق مفاوضات مباشرة بين الأطراف" . وشروط أمن إسرائيل جزء لا يتجزأ من معاهدات السلام التى يمكن أن تعقد مع الدول العربية . وليس بين هذه الشروط ، وقد قلت ذلك للرئيس السادات في اجتماعنا به ، أن تطلب حكومة إسرائيل من أحد أن يعترف بحق إسرائيل في الوجود . الحق في الوجود تعبير سمعناه مرات حتى في إسرائيل ونحن نرفضه . فهل يخطر على بال بريطاني أو فرنسي ، بلجيكي أو هولندي ، روسي أو أمريكي ، مصري أو سعودي ، أن يطلب الاعتراف بحق شعبه في الوجود ؟ إنني قلت للرئيس السادات إننا لا ننتظر من أحد الاعتراف بحقنا في الوجود ، وإنما المطلوب اعتراف آخر وهو الاعتراف بسيادتنا على أرض إسرائيل .

ثالثا ـ إن برنامج الحزب والجبهة يشير أيضا إلى أن الاستيطان الواسع في يهودا والسامرة وغزة والجولان وسيناء قضية حيوية ، ولا يستطيع أحد أن يغير إصرارنا عليه . وقد شرحت للرئيس السادات أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تستطيع أن تفرض علينا ما يخالف معتقداتنا . إننا بالطبع نسعى إلى تعميق الصداقة بيننا وبين الولايات المتحدة ، ونرى أن ما يوحد بين إسرائيل والولايات المتحدة ليس فقط المشاعر العميقة والإيمان بالقيم الأخلاقية والديمقراطية المشتركة، وإنما كذلك إدراكنا للمصالح المترابطة بيننا، وذلك أبقى من أى نظام وأقوى من أى ظروف سياسية مؤقتة . ونحن واثقون من أن الشعب والإدارة في الولايات المتحدة لن يقبلا لنا إلا ما نقبله لأنفسنا . ففي علاقات الروابط والمصالح ليس هناك شيء اسمه ضغط يمارسه طرف إزاء طرف آخر . ما بيننا وبين الولايات المتحدة ـ وقد شرحت ذلك للرئيس السادات ـ نوع من العلاقات يقوم أساسا على الاحترام المتبادل ."

وأحس الرئيس "السادات" أن "بيجن" قال ما فيه الكفاية في الاجتماع الرسمي وعلى مسمع من كل أعضاء الوفد المصرى ، فاقترح فض الاجتماع ليتهيأ هو و"بيجن" للمؤتمر الصحفي المشترك الذى سيعقدانه معا . وكان المؤتمر كارثة علنية لأن "بيجن" قام وكرر

---

(٤) كلا الأمرين مما نسب "بيجن" إلى الرئيس "السادات" موافقته عليهما لم يكن صحيحا . ـ فلم يحدث في مصر من جانب أى مسئول أن تحدث أحد عن إلقاء إسرائيل في البحر، وهذه واقعة تم تحقيقها مصريا ودوليا ، وظهر تلفيقها . وكانت إسرائيل هى البادئة بالهجوم سنة ١٩٦٧ ، وكانت حربا هجومية بالتدبير وبالعمليات ، ولم تكن دفاعية بأى معنى من المعاني!

أمام العدسات والميكروفونات معظم ما قاله داخل جلسات المباحثات ، بما فيه استشهاده بما دار بينه وبين الرئيس "السادات" .

وبرغم كل ما حدث فى الإسماعيلية فقد كان الرئيس "السادات" يخشى على مبادرته ، ويرى أهمية الاحتفاظ بالمبادأة والتحرك باستمرار لتحقيق مراميها . وبعد اتصالات بينه وبين الرئيس "كارتر" فى واشنطن توصلا فيها إلى أهمية مواصلة "الضغط" على "بيجن" - تم الاتفاق على أن تبدأ اللجنة السياسية - التى شكلت فى الإسماعيلية برئاسة وزيرى خارجية البلدين - أعمالها فى القدس . وقرر الرئيس "كارتر"، مساندة منه لقوة الدفع ولممارسة دور الشريك الكامل الذى طلبه الرئيس "السادات" ، أن يبعث بوزير خارجيته "سايروس فانس" ليشترك فى محادثات القدس مع "محمد ابراهيم كامل" و"موشى ديان".

وتحدد للاجتماع يوم ١٦ يناير ١٩٧٨ . ومرة أخرى يروى وزير الخارجية المصرى وقتها ناحيته من الصورة كما رآها ، فيقول :[٥]

"عندما وصلت إلى الجناح المخصص لى فى فندق هيلتون القدس جلسنا بعد العشاء نتبادل الأحاديث حول برنامج الغد . وفتحنا إذاعة إسرائيل لنستمع إلى أخبارهم ، وكان الخبر الأول هو وصول الوفد المصرى فى محادثات اللجنة السياسية إلى القدس . وكان الخبر التالى له أن مناحم بيجن رئيس الوزراء قد أبلغ وفدا من اليهود الهولنديين يزور إسرائيل أن الرئيس السادات أخبره عندما التقى به فى الإسماعيلية بأن زعماء منظمة التحرير هم عملاء للاتحاد السوفيتى . ومن الغريب أنه وصلتنى برقية رمزية من السادات بدون مناسبة فى هذا الوقت بتعليمات منه يطلب منى التحكم فى أعصابى ، وإنه إذا طرأت تصرفات أعتبرها مستفزة فإن القاهرة هى التى سوف تتولى الرد عند اللزوم ."

ولم يكن ظاهرا من الجلسة الأولى أن الموقف الإسرائيلى قد تغير فى شىء عما كان عليه فى الإسماعيلية ، فقد عرض "محمد إبراهيم كامل" موقفه فى الجلسة العلنية ، وعرض "ديان" موقفه كذلك . وكتب "محمد إبراهيم كامل" فى مذكراته :[٦]

"وعدت بعد الجلسة الافتتاحية إلىالفندق ، فوجدت برقية من السيد حسنى مبارك نصها : تابع الرئيس الجلسة الافتتاحية ويهنئك على التوفيق وعلى كلمتك . ويرجو أن تكون هادئا باستمرار ويكون معدل إلقاء الكلمات ببطء وبأعصاب هادئة. وعند تعثر أى موضوع يمكن أن تطلب الرجوع إلى القاهرة لكسب الوقت للتفكير

(٥) مذكرات "محمد ابراهيم كامل" بعنوان "السلام الضائع فى اتفاقيات كامب دافيد" - صفحة ٩٦

(٦) المرجع السابق - صفحة ١٠١ .

ونخطر فورا لبحث الموضوع . ويرسل أى استفسار فى أى وقت ليلا أو نهارا ، وسيصلك الرد بأسرع ما يمكن . والرئيس يتمنى لك التوفيق."

□

ولم يتأخر "تعثر الموضوع" طويلا . فقد أقام رئيس الوزراء "بيجن" حفل عشاء للوفود المشتركة فى المباحثات . وقبل أن ينتهى العشاء وقعت الواقعة . ويروى "محمد إبراهيم كامل" فى مذكراته[7] فيقول :

"قبل نهاية العشاء فتح باب القاعة فجأة ودخل جيش طويل من المصورين والصحفيين ومندوبى شبكات التلفزيون . وكان عددهم كبيرا للغاية . والتفت إلى بيجن وقال فى زهو "العالم كله جاء إلى هنا ليشاهدنا يا سعادة الوزير" . وأخرج من جيبه ورقة صغيرة أطلعنى عليها ، وكانت فيها عبارات مكتوبة باللغة العبرية (نقاط للحديث بخط يده) ، وقال "هذا هو خطابى" . فقلت له ضاحكا "أرجو ألا يتسبب لنا فى مشاكل جديدة" . فرد علىّ "بالطبع لا ... من منا يريد مشاكل جديدة ؟"

وبدأ بيجن يلقى خطابه (باللغة الإنجليزية) ، وبعد دقائق كان قد بدد جو المرح وهدوء الأعصاب الذى كان يسود الحفل قبل خطابه ليحل محله جو من الغم والأسى ، إذ راح يحكى تاريخ اليهود من أوله ويصف ما حاق بهم عبر العصور من عقاب وتشريد على يد فرعون مصر حتى يد هتلر . واستمر فى محاضرته وقد انتعش وهو فى حالة النشوة لسماع صوته غير آبه للمكان أو الزمان .

ثم انتقل إلى ملاحظة قلتها عند وصولى إلى مطار القدس ، وقال : "كيف يجرؤ هذا القادم من مصر أن يطلب منا أن نعيد تقسيم عاصمتنا القدس بعد أن توحدت ؟ أيرضى أن أذهب إلى القاهرة وأطالبه بتقسيمها ؟ ثم يطالبنا بالانسحاب إلى حدود ما قبل ١٩٦٧ . هل نسى أننا كنا ندافع عن أرواحنا وأولادنا ضد حربهم الهجومية؟ والأسوأ من ذلك أن يطالب بحق تقرير المصير للفلسطينيين العرب .. لماذا ؟ لينشئ دولة إرهابية على أبوابنا ليذبحوا نساءنا وأطفالنا ؟ إن العرب تمتعوا بحق تقرير المصير فى إحدى وعشرين دولة عربية . وهم يريدون أن ينشئوا دولة جديدة يدعون لها بحق تقرير المصير ليقضوا على مصيرنا . إننى

(٧) المرجع السابق - صفحة ١٠٨ .

أقولها صريحة عالية : لا لتقسيم القدس ... لا للانسحاب إلى حدود ١٩٦٧ ... لا لحق تقرير مصير الإرهابيين ."

ويواصل وزير خارجية مصر روايته فيقول :

"وقمت ببطء وقد تمالكت أعصابى ومزقت الورقة التى تحوى الكلمة التى كنت قد أعددتها لهذه المناسبة . ثم وقفت وتكلمت بهدوء وقلت : إننى أشكر حكومة إسرائيل على حسن استقبالها للوفد المصرى ، وإننا عندما قبلنا الدعوة لحضور هذا الحفل كان يحدونا الأمل فى قضاء ساعات طيبة خالية من التوتر بعد عناء يوم طويل شاق . كان هذا هو أملنا ولكن رئيس وزراء إسرائيل اختار غير ذلك، وهذا حقه . إننى لا أعتقد أن هذا الحفل هو المكان المناسب للرد على ما قاله. وكل ما أريد أن أقوله هنا هو أن المبادئ التى حددتها فى خطابى فى افتتاح اللجنة السياسية والتى يرفضها رئيس الوزراء ، هى الأساس الوحيد الذى يمكن أن يبنى عليه سلام عادل شامل . أما ردى على ما قاله فأحتفظ به لأقوله فى اجتماع اللجنة السياسية غدا ، فهى المنبر المخصص لذلك ."

ولم يكتف "بيجن" بما فعل ، وإنما قام لتعليق أخير على كلام وزير الخارجية المصرى ، فقال إنه بالطبع يعرف أن وزير الخارجية المصرى لا يتذكر جيدا ما قام به "هتلر" ضد اليهود فى الهولوكوست ، والسبب واضح وهو أنه حينما حدثت تلك المأساة لليهود كان وزير الخارجية المصرى طفلا صغيرا . وقرر "محمد ابراهيم كامل" تجاهل ملاحظة "بيجن الأخيرة ، وفى ذهنه بالتأكيد تعليمات القاهرة إليه . وقد هرع إليه وزير الخارجية الأمريكى "سايروس فانس" بعد العشاء ليبلغه إعجابه بالطريقة التى ضبط بها أعصابه .

ولم يكد "محمد إبراهيم كامل" يأوى إلى فراشه بعد يوم كئيب حتى أيقظه مساعده من النوم لإبلاغه ببرقية من الرئيس "السادات" تطلب إليه العودة إلى القاهرة . ثم تقول البرقية "إن المطلوب منك أن توضح أن قرار عودتك للقاهرة ليس قطعا للمباحثات ، وإنما هو استدعاء . كذلك يطلب الرئيس أن تقابل فانس لتشرح له الظروف وتبلغه برغبة الرئيس فى مقابلته فى القاهرة ."

وفى الطريق إلى مطار بن جوريون ، والجنرال "ديان" فى مرافقته ، يكمل وزير الخارجية المصرى روايته فيقول :[٨]

"ركبت السيارة فى صحبة ديان من جديد ، واتجهت إلى مطار بن جوريون . وتبادلنا الحديث لبعض الوقت ، وقال لى : إنه آسف لخطاب بيجن على العشاء لأنه

(٨) المصدر السابق - صفحة ١١٩ .

فى رأيه السبب المباشر لاستدعاء الوفد المصرى . وقال إن بيجن رجل مهذب ولكنه لا يسعه أن يقاوم أية مناسبة ليشرح التاريخ اليهودى ومعتقداته السياسية . وانتهى الحديث وانصرف كل منا إلى تأملاته .

وفى المطار لم نجد الطائرة . كانت قد سافرت لنقل الفنيين الملحقين بالوفد وتعود . وقد استغرق ذلك أكثر من ساعة قضيناها فى كافيتيريا المطار حيث قدمت لنا السندويتشات وكنت أجلس على مائدة صغيرة مع ديان وبطرس غالى ، ولم أشارك فى الحديث إذ كنت غارقا فى التفكير . وكان ديان يتحدث عن اتصالاته ومعرفته بالفلسطينيين. ثم سمعته يقول لبطرس غالى : إن قطاع غزة لا يهمهم فى قليل أو كثير لأنه مساحة صغيرة يسكنها مئات الألوف من الفلسطينيين ، وليس له موارد اقتصادية . وكل ما فيه ثعابين وصخر وفقر . وإن كان ذلك يسهل الأمور فإنهم على استعداد للتنازل عنه متى تعهدنا بألا نجعلها منطلقا للارهابيين ضد إسرائيل ."

□

لم يكن أمام الرئيس "السادات" بعدما ظهر فى القدس إلا أن يعود إلى الرئيس "كارتر". ومن جانبه فإن الرئيس الأمريكى كان يحس بمدى الإحباط الذى يشعر به الرئيس "السادات" . وهكذا وجه دعوة إليه لاجتماع بينهما فى "كامب دافيد" تحدد له يوم ٤ فبراير ١٩٧٨ .

وشاء الرئيس "السادات" أن يذهب إلى واشنطن عن طريق الرباط ليضع الملك "الحسن" فى الصورة ، باعتباره الوسيط المباشر الذى رتب وشارك فى جلسات الإعداد الأولى للقاء مباشر بين مصر وإسرائيل . ومن ناحية أخرى فقد كان الرئيس "السادات" عاتبا على الملك، لأنه تبرأ علنا من زيارة الرئيس "السادات" للقدس وقال إنه لم يكن يتصور وهو يتوسط بين مصر وإسرائيل أن يذهب الرئيس "السادات" على النحو الذى ذهب به إلى القدس . وبالتالى فهو يريد أن يضع خطا فاصلا بين جهود قام بها لخلق قناة اتصال بين البلدين ، وبين هذا العمل المسرحى المتمثل فى زيارة القدس . ولم يكن الرئيس "السادات" راضيا عن هذا الموقف من جانب الملك ، وقد أراد أن يجهض مبكرا احتمال نزاع بينهما يبدأ بسوء فهم ثم يستفحل أمره .

وفى"كامب دافيد"طلب الرئيس"السادات" أن تبدأ المحادثات باجتماع ثنائى بينه وبين "كارتر". وكان ذلك تقليدا طارئا جرى استحداثه فىتلك الظروف لإخفاء تفاصيل المحادثات

عن أعضاء الوفد المصرى بالذات، وبالتالى عن الرأى العام المصرى والعربى. واستجاب "كارتر" إلى ما طلبه الرئيس . وقضى الاثنان معا أكثر من ساعتين ، ثم بدأت الجلسة الرسمية.

وتعمد "كارتر" أن يبدأ بالقول إنه يريد أن يلخص أمام الجميع تفاصيل ما دار بينه وبين الرئيس "السادات" فى الجلسة المغلقة ، حتى تكون الأمور واضحة ولا يساء تفسيرها من تضارب الروايات كما حدث فى مرات سابقة . ولمدة نصف ساعة راح "كارتر" يعرض لما دار بين الرئيسين فى الحديث المغلق . ويروى وزير الخارجية المصرى :(٩)

"إن كارتر خشى أن يدعى السادات بأنه التزم قبله بشىء فى الاجتماع المنفرد سواء عن قصد أو عن سوء فهم ، فرأى أن يطلع الوفدين على ما جرى بينهما حتى يكونوا شهودا عليه . وعلى مدى أكثر من نصف ساعة شرح الرئيس كارتر فى هدوء وبلغة واضحة وتسلسل بديع ما دار بينه وبين الرئيس السادات. وأنهى كلامه بتلخيص قال فيه : إن الرئيس السادات أكد لهم أن العرب بمن فى ذلك السعودية والشعب المصرى وأصدقاء الولايات المتحدة الآخرون، مستاءون للغاية من الولايات المتحدة ويشعرون بخيبة أمل تجاهها لأنهم يعتقدون أن موقف إسرائيل المتصلب غير ممكن لولا مساعدات الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية لها . وإنه - أى الرئيس كارتر - منزعج للغاية لأن الرئيس السادات قد أبلغه بأنه لا يستطيع الاستمرار فى المباحثات مع إسرائيل ، وإنه قرر أن يعلن ذلك فى نادى الصحافة الدولى يوم الاثنين القادم ."

ويمضى "محمد إبراهيم كامل" فى روايته فيقول :

"وبدأت التعليقات على تلخيص كارتر . وكان أول المتكلمين سايروس فانس وزير الخارجية فقال : "إنها تكون ضربة كبيرة إذا صدر تصريح الآن يفسره الشعب الأمريكى بأن التقدم نحو السلام قد توقف ، وستكون لذلك آثار خطيرة وعميقة ، لذلك أرجو أن يكون من الممكن التغاضى عن إصدار مثل هذا التصريح وأن نعمل معا على الاتفاق على الأهداف والعمل لتنفيذها . وتلاه نائب الرئيس كارتر وهو والتر مونديل ، فقال للرئيس السادات : "تعرفون أن زيارتكم التاريخية للقدس كانت أكثر الأمور تأثيرا .. إنك أصبحت فى خلال ثمان وأربعين ساعة رجل دولة ورسولا للسلام . وقد حدث تغيير غير متصور . ومن المهم جدا حتى تتطور سياسة إسرائيل أن يستمر الناس فى نظرتهم هذه لك ، وأن يظل الناس

(٩) المصدر السابق - صفحة ١٣٥

يسألون إسرائيل عما فعلته ردا على مبادرة السادات . لذلك يجب ألا تعطى إسرائيل فرصة للإفلات والادعاء بأن ما قمت به لم يكن حقيقيا . ثم يضعك بيجن فى موضع يمكن بعده أن يقول إنه لم يعد مطالبا تجاهك بشىء ."

والتقط الرئيس كارتر نفسه حبل الحديث ، فتدخل ليقول :

"إننى أعلم عن خبرة كيف يمكن للإسرائيليين أن يكونوا مثبطين للعزائم ... عندما ذهب الرئيس السادات إلى القدس لم يكونوا مستعدين ، ووضعتهم الزيارة فى عزلة . ولكن عندما سحبتم وفدكم (وفد اللجنة السياسية) من القدس شعر الناس أن هذه غلطة الرئيس السادات . أما قبل ذلك فقد كان بيجن يتعرض لهجوم شديد . إننى أفهم سبب سحب الوفد المصرى من محادثات القدس ، ولكن الرأى العام يقول ربما لم تكن الغلطة غلطة بيجن ."

ويمضى "محمد إبراهيم كامل" فى روايته فيقول :

"إن كارتر التفت عند هذه النقطة إلى الرئيس السادات وقال له وجها لوجه "إننى لا أريد خداعك ، ولا أريد التخلى عن مسئوليتى . ولكنى بدونك وبدون التأييد الشعبى لا أستطيع إجبار إسرائيل على تغيير موقفها لا بسرعة ولا ببطء ، أما بك فإننى أستطيع الضغط عليهم للتغيير . وفيما يتعلق باليهود الأمريكيين فإن شعورهم يتزايد بأن بيجن وحكومته هما العقبة فى طريق السلام . ولكن فى حالة مواجهة بينى وبين بيجن فإن اليهود الأمريكيين سوف يكون من الصعب عليهم ألا يقفوا إلى جانب بيجن . إننى أريد أن أضم بعض زعماء الكونجرس وزعماء اليهود إلى جانبى للضغط على بيجن . أما إذا اتخذ الرئيس السادات قرارا بوقف المفاوضات فسيقول بيجن : نحن نريد والسادات لا يريد . وهذا يقضى على حجتنا بأنك تريد السلام وهم لا يريدون ." واستطرد كارتر يقول "سيبدأ الكونجرس فى الأسبوع القادم بحث معاهدة بنما ، وبصراحة ليست لدىّ حتى الآن الأصوات اللازمة لإقرارها . وإذا رفض الكونجرس المعاهدة ستكون ضربة لقيادتى . والكثيرون ممن يؤيدون المعاهدة هم من الذين يؤيدون إسرائيل بقوة . وإذا حدثت الآن أزمة فى الشرق الأوسط بإنهاء المحادثات ، فذلك سوف يجعل الموقف صعبا بالنسبة لى ."

ثم جاء الدور على "برجينسكى" مستشار "كارتر" للأمن القومى الذى قال موجها كلامه للرئيس "السادات" :

"لى ملاحظة ، إذا أعلنتم قرارا سلبيا عن مباحثاتكم مع إسرائيل فإن رد الفعل الأمريكى سيكون أن اجتماعك هذا مع الرئيس كارتر كان فاشلا . وهذا ليس فى مصلحة أحد ."

.وراح الرئيس "السادات" يشرح وجهة نظره بالتفصيل عارضا لقصة مبادرته من أولها وحتى اجتماع الإسماعيلية . وتوصل فى النهاية إلى أن المطلوب الآن موقف أمريكى محدد، وهذا يوفر جهدا ووقتا كبيرين . ثم توصل الرئيس "السادات" إلى أن موقف "بيجن" هو الذى يخلق الصعوبات ، وأما من جانبه فإنه لا توجد عقبة أمام السلام ، وهو يرى فى الإمكان تحقيقه خلال أسبوع واحد .

ثم عاد الرئيس "السادات" إلى التركيز على ضرورة أن يكون هناك موقف أمريكى محدد. وطرح الرئيس "كارتر" أنه سيدعو "بيجن" إلى زيارته فى واشنطن وسوف يبلغه موقفا أمريكيا واضحا . وقبل أن ينتهى الاجتماع اقترح "برجينسكى" على الرئيس "السادات" أن يبذل جهده مع اللوبى اليهودى والصهيونى فى واشنطن ليساعد الرئيس "كارتر" على المواجهة القادمة مع "بيجن" .

وقضى الرئيس "السادات" ثلاثة أيام فى نيويورك كرست كلها بالكامل لليهود الأمريكيين ، ولرؤساء المجالس اليهودية ، وللأعضاء البارزين فى الحركة الصهيونية وفى مقدمتهم "فيليب كلوتزنيك" رئيس المنظمة الصهيونية العالمية فى ذلك الوقت . وقد ترسخ لدى الرئيس "السادات" من يومها اعتقاد بأن ما أصبح يسميه بـ "المؤسسة" establishment هو أهم وسائل التأثير على القرار الإسرائيلى .

٥

شيمـــون بيريـــز

" اسمع يا عـزرا .. سـوف أشق فرعا من النيل يحمل إليكم مياهه إلى النقب "

(الرئيس "السادات" لـعزرا وايزمان" وزير الدفاع الإسرائيلى أثناء لقائهما فى سالزبورج)

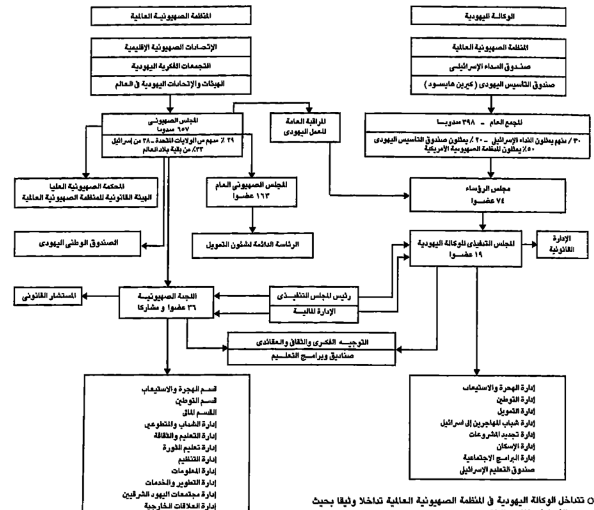
كانت الأيام والأسابيع والشهور تمر دون تقدم يذكر لأن "كارتر" ، سواء بسبب معاهدة بنما أو بسبب مسئولياته الدولية الأخرى ، لم يستطع أن يخرج بموقف أمريكى حازم يمارس من خلاله الضغط المنتظر على "بيجن" . ولم يكن الرئيس "السادات" قادرا على الانتظار بدون أجل . وفى ذلك الوقت ، وبمعونة من بعض مساعديه ، فقد توصل إلى خطة وجدها صالحة لتحريك الأمور وتشديد الضغط على إسرائيل . وكانت خطته من ثلاثة عناصر :

١ ـ استعمال ضغط المؤسسة الصهيونية العالمية على إسرائيل . وكان قد حافظ على اتصالاته بأقطابها وراسلهم وحرص على إطلاعهم على وجهة نظره ، وفى مقدمتهم بالطبع "إدجار برونفمان" [١٠] ، وقد أضيف إليه البارون "جى روتشيلد"، كما أضيف إليهما أيضا اللورد "جودمان" (المحامى البريطانى الأشهر) . وكان هناك رسل كثيرون يسعون

---

(١٠) من أكبر أصحاب البلايين اليهود المتحمسين للصهيونية فى الولايات المتحدة ، وهو يملك وأسرته شركة "سيجرام"، وهى فى الواقع مجموعة شركات تتعدد مجالات عملها من المشروبات الكحولية إلى شبكات التليفزيون . ومن اللافت للنظر أن أسرة "برونفمان" راكمت ثروة هائلة من خلال عمليات تهريب المشروبات الكحولية إلى الولايات المتحدة من كندا ، وكان ذلك فى فترة الحظر على المشروبات فى الولايات المتحدة "prohibition" . والغريب أن العميل الرئيسى لشركة "برونفمان" كان عصابة "آل كابونى" أشهر قادة عصابات الإجرام فى أمريكا (وقد وردت هذه التفاصيل محددة فى كتاب الدكتور "نورمان كانتور" من تاريخ اليهود) .

المؤسسة .. !



○ تتداخل الوكالة اليهودية فى المنظمة الصهيونية العالمية تداخلا وثيقا بحيث يصعب الفصل احيانا بين الاثنتين .

○ يتجمع فى الاثنتين معا كل يهود العالم ، حتى هؤلاء الذين لايؤمنون بالصهيونية .

○ يتحول العمل اليهودى والصهيونى فى الولايات المتحدة بالذات إلى مؤسسة متكاملة نافذة فى قلب السياسة الأمريكية.

○ تتصرف « المؤسسة » اليهودية الصهيونية سنويا فى مبالغ تتراوح بين ٢٠و٢٥ بليون دولار ، وهى تحصل على دخولها من التبرعات ومن ارباح النشاطات اليهودية ومن الضرائب التى تفرضها على كل اليهود الذين يعيشون خارج سلطة دولة إسرائيل .

○تحول « المؤسسة » مباشرة إلى إسرائيل سنويا مايتراوح بين خمسة إلى ستة بلايين من الدولارات ، وهو مبلغ يوازى ماتحصل عليه اسرائيل من المساعدات الأمريكية - أى أن إسرائيل تحصل سنويا سواء من « المؤسسة » أو من الحكومة الأمريكية على مبلغ عشرة بلايين دولار على الأقل . اى بنسبة ٢٥٠٠ دولار سنويا لكل يهودى يعيش فى إسرائيل .

○ « للمؤسسة » الحق فى الاتصال والتوجيه والإرشاد مع كل اليهود العاملين فى العمل العام والسياسى بوجه خاص ، مع تركيز على مجالات الإعلام والفنون والنشر .

○ تتمتع « المؤسسة » على هذا النحو بنفوذ مكثف ليس له مثيل فى محافل كثيرة دولية ، وعبر كل القارات ، وفى معظم العواصم النافذة دون استثناء .

○ تملك « المؤسسة » او تشرف على ستة عشر مركزا من مراكز البحث العلمى ، خصوصا فى مجالات الدراسات السياسية والإستراتيجية .

○ تتبع « المؤسسة » أقوى مجموعة ضغط فى الولايات المتحدة ، وهى « أيباك » A.I.P.A.C وهى التى يطلق عليها بصفة محددة تعبير « اللوبى الإسرائيلى».

○ تدخلت « أيبـاك » وغيرها من افرع « المؤسسة » فى الانتخابات الأمريكية الأخيرة ، وساعدت حملات أكثر من نصف أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب الأمريكيين ، كما انها باعتراف مدير مكتبها فى واشنطن لعبت دورا رئيسيا فى اختيار وزيرى الخارجية والدفاع فى إدارة الرئيس « كلينتون » ، إلى جانب التأثير على اختيار معظم المسئولين فى إدارة الرئيس .

○ كانت « أيبـاك » هى التى جندت جهود عدد من المؤسسات العالمية والفكرية لترشيح عدد من الذين حصلوا على جائزة « نوبل » للسلام اخيرا ، وعلى الأخص بالنسبة لـ « رابين» و« بيريز » و « عرفات » .

بالرسائل بينه وبين "المؤسسة" كما أصبح يرمز لها باستمرار . وكان بين الشخصيات التى ظهرت فى ذلك الوقت ولهذا الدور ، أكاديمى أمريكى يهودى هو الدكتور "ستيفن كوهين"، وكان فى ذلك الوقت شخصية نشيطة فى أحد مراكز الدراسات السياسية فى واشنطن (وهو مركز أنشأته ومولته المؤسسة اليهودية الصهوينية فى الولايات المتحدة) .

٢ - استعمال تأثير الدولية الاشتراكية على عناصر كثيرة فى إسرائيل . ومع أن اتصال الدولية الاشتراكية بإسرائيل كان أشد مع حزب العمل بطبيعة نوع التوجه العقائدى، فإن الدولية الاشتراكية بصفة عامة كان لها تأثير كبير على بعض من مؤسسات القوة فى الدولة العبرية ، وأهمها "الهستدروت" (اتحاد نقابات العمال) . وساعد على ذلك الوضع فى ذلك الوقت أن بعضا من أبرز قادة الدولية الاشتراكية مثل المستشار النمساوى "برونو كرايسكى" كانوا من اليهود وإن لم يكن "كرايسكى" نفسه صهيونيا بالمعنى الإسرائيلى . وكان "ناحوم جولدمان" نفسه ، وبدوره البارز فى الحركة الصهيونية ، واحدا من الشخصيات المؤثرة على صفوف الدولية الاشتراكية .

٣ - وتصور الرئيس "السادات" أيضا أنه يستطيع عن طريق الدولية الاشتراكية أن يلتقى بالمعارضة الإسرائيلية ، ونجمها فى ذلك الوقت هو "شيمون بيريز" زعيم حزب العمل وعضو الدولية الاشتراكية والصديق المقرب من "كرايسكى"وأيضا من "فيليب كلوتزنيك". وكان "كرايسكى" قد اقترح فعلا ترتيب لقاء فى النمسا بين "السادات" و"بيريز" . كما اقترح على الرئيس "السادات" أيضا أن يجىء إلى النمسا فى شهر يوليو، لأنه فى ذلك الوقت سوف تكون فيينا مقرا لمؤتمر عام للدولية الاشتراكية، وسوف يحضرالمؤتمر كثيرون من أساطينها ، وبينهم المستشار الألمانى السابق "ويلى برانت" وخليفته "هيلموت شميت"، إلى جانب رئيس الوزراء الفرنسى السابق "منديس فرانس"، وغيرهم . وقد تكون هذه فرصة لا تعوض بالنسبة للرئيس "السادات" .

وقبل الرئيس "السادات" فكرة الذهاب إلى النمسا واختار أن تكون قاعدته فى سالزبورج . وقد انتوى بينه وبين نفسه أن يضيف إلى أهدافه فى النمسا هدفا آخر يضغط به على "بيجن"، وهو محاولة النفاذ إلى داخل كتلة الليكود واستمالة "عزرا وايزمان" إلى جانبه . وكانت خطته على حد تعبيره "أن يأخذ عزرا من مناحم" .

ويروى "محمد ابراهيم كامل" فى مذكراته :[١١]

"كان الرئيس السادات قد طلب منى أن أعد نفسى للسفر معه إلى فيينا فى أوائل شهر يوليو - ١٩٧٨ - تلبية لدعوة المستشار برونو كرايسكى . وأشار لى وقتها إلى

---

(١١) مذكرات "محمد ابراهيم كامل" بعنوان "السلام الضائع فى اتفاقيات كامب دافيد" - صفحة ٣٠٧ .

احتمال دعوة كرايسكى لشيمون بيريز رئيس حزب العمل الإسرائيلى للذهاب إلى فيينا فى نفس الوقت ، وترتيب لقاء بينه وبين الرئيس السادات . ثم عاد الرئيس السادات وقال لى بعد ذلك إنه أعاد التفكير فى دعوته لى لمصاحبته إلى النمسا ، وأنه رأى من الأوفق عدم سفرى معه لأنه سيجتمع فى النمسا مع شيمون بيريز والمستشار الألمانى السابق ويلى برانت والمستشار برونو كرايسكى بوصفهم زعماء أحزاب . واجتماعه معهم سيكون بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى ، وبالتالى فإن الاجتماعات سوف يكون لها صفة حزبية وليست رسمية ، ووجودى كوزير للخارجية قد يكون فيه إحراج لى حيث إنه من غير المستساغ حضورى اجتماعات حزبية ."

ثم يعود "محمد ابراهيم كامل" فى مذكراته فيستكمل روايته :(١٢)

"فى الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٧ يوليو استيقظت على رنين التليفون ، وكان المتحدث السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ، وسألنى ضاحكا "إنت لسه نايم يا محمد بك؟" فقلت إننى كنت نائما بالفعل . فقال "هل رتبت نفسك للسفر إلى النمسا ؟" فقلت "إننى غير مسافر وقد أخبرنى الرئيس بذلك منذ أيام" . فقال "بل ستسافر ، فقد كنت أتحدث مساء أمس مع الرئيس وطلب منى أن أبلغك أن تعد نفسك للسفر معه ، وسيستقل الرئيس الطائرة من مطار جناكليس فى الساعة الحادية عشرة قبل ظهر اليوم ، وسأسافر بالهليوكبتر إلى جناكليس لأكون فى وداعه وأرجو أن تقابلنى فى مطار الماظة الحربى لنذهب معا إلى مطار جناكليس" .

وفى الطائرة من مطار جناكليس إلى مطار فيينا جلس الرئيس السادات لبعض الوقت مع مرافقيه فى السفر وضمنهم زوجته السيدة "جيهان السادات" ، ووزير خارجيته "محمد ابراهيم كامل" - لكنه بعد قليل قام متوجها إلى مقصورته فى مقدمة الطائرة ، وقال إنه ذاهب إلى غرفة النوم ليستريح حتى ينزل فى فيينا متجدد النشاط .

ويستأنف وزير الخارجية "محمد ابراهيم كامل" روايته فيقول فى مذكراته :(١٣)

"دعتنى السيدة جيهان - بعد ذهاب الرئيس السادات إلى مقصورته - إلى الجلوس بجانبها لتناول الغداء ، وفى أثنائه قالت لى : با لله يا محمد بك لا تترك الرئيس وحده عند مقابلته لشيمون بيريز فى فيينا" . فقلت لها "الحقيقة أنى محرج". ورويت لها ما ذكره لى الرئيس السادات عندما أبلغنى بعدوله عن سفرى معه إلى

(١٢) المصدر السابق - صفحة ٣٠٩ .

(١٣) المصدر السابق - صفحة ٣١١ .

النمسا منذ عدة أيام باعتبار أن المقابلات التى ستجرى فيها غير رسمية ، وأنها على المستوى الحزبى ولن يحضرها وزراء خارجية ، وأنى لم أعلم بتغيير هذا القرار إلا فى الساعة السادسة والنصف من صباح هذا اليوم نفسه . فقالت : "لا ـ لا ـ أرجوك ألا تتركه وحده إطلاقا مع "الجماعة دول" ، فإن الإسرائيليين فى غاية الخبث والدهاء والرئيس رجل صريح وما فى قلبه على لسانه وسيعمدون حتما إلى الإفادة من ذلك واستغلاله". وقلت "ولماذا لا تطلبين أنت منه ذلك؟" فقالت "لا أستطيع ، فهو يغضب إذا حدثته فى شئون العمل ، وهو يحبك ويثق فيك ، ولن يمانع فى حضورك معه إذا أنت طلبت منه ذلك" . وقلت "سأحاول" . وانتهى الغداء وشكرتها واستأذنتها فى الانصراف ، وعدت إلى مقعدى فى الطائرة."

ثم يروى "محمد ابراهيم كامل" أنه عند نزول الطائرة فى مطار فيينا عرف أن القائم على ترتيب برنامج الرئيس فيها وفى سالزبورج بعدها ، هو السيد "حسن التهامى" الذى عمل قبل سنوات سفيرا لمصر فى فيينا ، وتعرف مبكرا على المستشار النمساوى "برونو كرايسكى" ، وأنه هو الذى أشرف على إعداد الترتيبات للاجتماع بين "السادات" و"شيمون بيريز" ، وأنه تعاون فى ذلك مع رجل أعمال نمساوى يهودى من أصدقاء المستشار "كرايسكى" وهو المليونير المشهور فى فيينا "كارل كاهان" .

(كان نصيب "كارل كاهان" لقاء جهوده فى فيينا هو حصوله على عقد بمقدار ٢ بليون دولار لتجديد شبكة التليفونات فى القاهرة ، وهذه قصة طويلة أخرى .)

□

قبل أن يلتقى الرئيس "السادات" مع "شيمون بيريز" قدم له وزير خارجيته مذكرة قصيرة لفت النظر فيها إلى نقطتين :

(أ) إن أى مرونة فى المواقف المصرية قد يعلن عنها "بيريز" أو تتسرب عن طريقه إلى الحكومة الإسرائيلية ، قد تجعل هذه الأخيرة تتشدد فى مواقفها .

(ب) وقد يلجأ بيريز أيضا إلى تسريب أى مواقف مصرية تتسم بالمرونة على أساس أنه هو الذى استطاع التوصل إليها مستغلا ذلك فى سعيه للوصول إلى رئاسة الوزارة. وذلك يخلق تعقيدات لا داعى لها .

كان "بيريز" بالفعل كما توقع وزير الخارجية المصرى يفكر فى رئاسة الوزارة فى إسرائيل أكثر مما يفكر فى تعثر المفاوضات بينها وبين مصر . إن الرئيس "السادات"

حرص على مقابلة "بيريز" منفردا ، وبالتالى فليس هناك مصدر لما دار بينهما سوى ما اختار الرئيس"السادات" إبلاغه لمرافقيه فى هذه الرحلة. وقد ركز فيما رواه لهم على نقطتين:

الأولى - إن "بيريز" قال له : "من سوء الحظ أن مبادرتك التاريخية العظيمة لزيارة القدس تأخرت جدا ، فلم تحدث إلا وبيجن فى الحكم ، وقد أخذها بيجن لنفسه معتقدا أن تشدده هو الذى جعل العرب فى النهاية يذهبون إلى إسرائيل" .

والثانية - إن كل ساسة إسرائيل بمن فى ذلك أقرب الناس إلى "بيجن"، يشكون الآن من أن زعيمهم أصابه نوع من الغرور والاستعلاء بعد أن زاره الرئيس "السادات" فى القدس. فبعد هذه الزيارة لم يعد مستعدا لأن يسمع نصيحة أحد لأنه كان أول رئيس وزراء إسرائيلى يستقبل زعيما عربيا فى عاصمة إسرائيل.

وأضاف الرئيس "السادات" إلى ذلك فى أحاديثه إلى مرافقيه أنه الآن أمام معضلة هى "كيف يأخذ من بيجن ما أعطاه له ، وفى نفس الوقت يحتفظ بقوة الإبهار التى أحدثتها زيارته للقدس ؟"

وربما أن تسلسل تفكيره على هذا النحو هو الذى دعاه بعد ذلك إلى توجيه الدعوة إلى "عزرا وايزمان" وزيرالدفاع الإسرائيلى ليلقاه فى النمسا وفى ذهنه أن"يأخذ عزرا من مناحم".

□

كانت أجواء زيارة النمسا ما بين فيينا وسالزبورج غريبة من نوعها ، وقد حفلت بوقائع لا تبدو لأول وهلة مما يمكن قبوله عقلا . وربما أن بعض المواضع من مذكرات وزير الخارجية "محمد ابراهيم كامل" الذى كان شاهد عيان حى ، تقدم لمحات كافية للتدليل على ذلك :

- فى صفحة ٣١٥ يروى "محمد ابراهيم كامل" :

"أثناء عشاء أقامه المستشار النمساوى كرايسكى وحضره الرئيس السادات والمستشار ويلى برانت ورئيس البرلمان النمساوى ووزير الخارجية النمساوى وزوجاتهم ، وهو (أى محمد ابراهيم كامل) ، دار الحديث حول جوانب أزمة الشرق الأوسط . وأشار كرايسكى إلى أن الوقت قد حان لاشتراك الملك حسين فى مباحثات السلام حتى يمكن حل القضية الفلسطينية . ورد الرئيس السادات بأن

"الملك حسين يتبع سياسة انتهازية ، فهو لا يريد المخاطرة بأى شىء وينتظر حتى تقدم له الضفة الغربية كهدية" . وأضاف الرئيس السادات موجها كلامه للجميع "إنكم تعلمون بطبيعة الحال أن الملك "طلال" والد الملك حسين قد مات مجنونا ، وإن لديه معلومات أن الملك حسين بدأت تظهر عليه أعراض الشيزوفرينيا" . وقد تضايقت مما ذكره السادات وشعرت أن باقى الحاضرين شاركونى نفس الشعور . وانبرى كل من كرايسكى وبرانت يشيد بسياسة الملك حسين وبشجاعته وذكائه ويعبر عن تفهمه للظروف الصعبة التى تحيط بالأردن ."

- فى صفحة ٣١٦ يروى "محمد إبراهيم كامل" :

"كنا فى الطائرة من مطار فيينا إلى مطار سالزبورج ، وقد ركب الطائرة معنا السيد حسن التهامى . ودار الحديث حول وزير خارجية إسرائيل موشى ديان . وكان السادات لا يشعر بالارتياح نحوه على الإطلاق ـ بخلاف شعوره نحو وايزمان وزير الدفاع . وفجأة قال حسن التهامى إنه يعتقد أن ديان هو المسيح الدجال الذى تنبأت التوراة بظهوره ، وإنه واجهه بذلك حينما قابله فى المغرب . وهنا قاطعه السادات قائلا" يا حسن مش عاوزين نجيب سيرة الموضوع ده" ."

- وفى صفحة ٣١٧ يروى "محمد إبراهيم كامل" :

" دخلت إلى قاعة العشاء فى فندق قلعة فوشل الذى نزلنا فيه قرب سالزبورج وكان معى مدير مكتبى السفير أحمد ماهر . ودخل حسن التهامى وجلس معنا . وما هى الا دقائق حتى انطلق فى الحديث يروى قصصه ومغامراته . وقال إنه تعمق فى دراسة الديانة اليهودية وقرأ التوراة والتلمود . وتسنى له الاطلاع على وثائق ومخطوطات قديمة من بينها وثيقة سرية لا يعرف بأمرها أحد فيما عدا قلة محدودة من أحبار اليهود . وهذه الوثيقة تتحدث عن أن اليهود سيعيشون فى الشتات أكثر من ألفى سنة يعودون بعدها إلى القدس كى يذبحوا . ولم نفهم ، فسألناه كيف يكون ذلك ؟ فقال "إن الله بعد أن أغضبه اليهود حكم عليهم بالخروج من القدس والعيش فى المنفى مشردين فى أنحاء الأرض ، وإنهم تظلموا إلى الله وأعلنوا عن توبتهم والتمسوا من الله غفرانه . وآية ذلك أن يعودوا إلى القدس أرض المعاد على أن يذبحوا بعدها . وبذلك يكونون قد تطهروا من آثامهم وتابوا عن معصيتهم لله وأزالوا غضبه ونالوا عفوه" . وقال حسن التهامى إنه بعد أن اطلع على هذه الوثيقة ظل يوالى البحث والتقصى إلى أن ذهب إلى إنجلترا وقابل كبار أحبار اليهود فيها، وذكر أنهم أصيبوا

بالذهول ثم بالذعر عندما أطلعهم على معرفته بما تضمنته الوثيقة المذكورة. وعبثا حاولوا أن يعرفوا منه كيف اطلع على هذا السر الخطير ، ثم وقع فى روعهم فى النهاية أن اطلاعه عليها ومجيئه إليهم هما إشارة إلهية . فطلبوا منه أن يعود إليهم بعد ستة أشهر . وبالفعل عاد إليهم بعد ستة أشهر وقابلهم ، فقالوا له إنهم تداولوا فى الأمر ، وإن ما جاء فى الوثيقة صحيح ، ورجوه أن يعطيهم مهلة مدتها خمس سنوات حتى يرتبوا أمورهم ."

● وفى صفحة ٣٣٣ يروى "محمد إبراهيم كامل" :

"فى اليوم التالى ١٢ يوليو أبلغنى أحد أفراد السكرتارية أن الرئيس يرغب فى مقابلتى أنا والسيد حسن التهامى فى الساعة العاشرة والربع صباح اليوم فى شرفة الفندق . وذهبت إلى الشرفة فى الساعة العاشرة وجلست مع السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى والسفير أحمد عثمان الذى كان قد تولى منصبه كسفير لمصر فى النمسا منذ أسابيع قليلة . وفى الساعة العاشرة والربع تماما دخل الرئيس السادات ومعه السيد حسن التهامى. فذهبت وحييته ، وجلست على مائدته أنا وحسن التهامى . وقال الرئيس "لقد طلبتكما لنناقش موضوعا عاجلا ، وهو أنى أفكر فى دعوة وايزمان للحضور إلى هنا ومقابلتى، فما رأيكما ؟" وقلت : "وما الفكرة من حضور وايزمان إلى هنا ؟" فقال الرئيس : "لكى نحكم الحصار على بيجن ونزيد الضغط عليه" . فقلت : "يا ريس إن وايزمان وزير فى حكومة بيجن وهو عضو فى حزبه . وربما يكون أكثر اعتدالا من بيجن ، وربما أنه على خلاف معه فى بعض وجهات النظر ، إلا أن ذلك لا يعنى أنه سينضم إلينا ضد بيجن ." قال السادات : "وما المانع من حضوره والحديث معه وهو يستطيع أن ينقل وجهة نظرنا إلى بيجن" . قلت : "ولم العجلة فى ذلك ؟ إننى سأسافر فى خلال أيام معدودة إلى لندن للمشاركة فى اجتماع ثلاثى مع ديان وفانس ، وهناك سنطرح أفكارنا ، وسينقل ديان وجهة نظرنا إلى حكومته ، وهذا اختصاصه كوزير خارجية إسرائيل . فماذا سنقول لوايزمان الآن ؟" وتدخل التهامى وقال "إن حضور وايزمان الآن ومقابلته للرئيس سيغيظان ديان وسيزيدان حدة الخلاف بين وايزمان وبيجن وبين وايزمان وديان" . وبعد فترة من التفكير قال الرئيس السادات موجها كلامه لحسن التهامى : "اكتب يا حسن" . وأملى عليه السادات برقية إلى الفريق الجمسى وزير الدفاع يطلب منه الاتصال بوايزمان عن طريق بعثة الاتصال العسكرية الاستراتيجية (المقيمة وقتها بترتيب خاص فى قاعدة جناكليس) للحضور لمقابلة الرئيس غدا . ويطلب من الفريق الجمسى الحضور بدوره . وانتهى الاجتماع ."

● وفى صفحة ٣٣٤ يروى "محمد إبراهيم كامل" :

"فى الساعة الثالثة بعد الظهر - يوم ١٣ يوليو — وصل وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى إلى شرفة فندق شلوس فوشل ، وكان معه (رجل الأعمال النمساوى) كارل كاهان. واستمرت مقابلته بالرئيس السادات منفردا ثلاث ساعات . ثم عاد وايزمان إلى الشرفة حيث كان فى انتظاره الفريق الجمسى . وتلقيت رسالة من الرئيس السادات بأن أذهب إلى لقائه فى غرفته . وتوجهت إلى غرفة الرئيس بخطى ثقيلة وقلب مهموم . واستقبلنى الرئيس بحرارة يقول : "طلبتك لأخبرك بما تم بينى وبين وايزمان ، كانت مقابلة ناجحة رغم أنك كنت معترضا عليها . إننى قلت لوايزمان إن تصرفات بيجن ستؤدى إلى ضياع فرصة السلام ، وإنه قد ثبت لى أنه - أى بيجن" - لا يفقه شيئا فى السياسة ، ولو كان لديه حس سياسى لكان قدم لى مقابلا لمبادرتى بذهابى إلى القدس ، ولكنه عجز عن فهم مدلول المبادرة وقابلها بالتشدد والمراوغة ، مما أثار عليه حنق العالم كله . وقلت لوايزمان إننى كنت أتصور أن يسارع بيجن إلى إعادة العريش إلينا ، وكذلك جبل سيناء لأنى أريد أن أنشئ فيه مجمعا للأديان الكتابية الثلاثة ، اليهودية والمسيحية والإسلام ، يكون رمزا للارتباط بين هذه الأديان الثلاثة ، والمحبة والسلام فى المنطقة التى كلم الله فيها موسى ." وسكت ، لم أعلق بشىء على ما قاله الرئيس . وبعد برهة سألنى : "ماذا بك يا محمد ؟ هل هناك ما يضايقك؟" وقلت "لا شىء" . فقال : "يبدو عليك التعب .. اذهب وحاول أن تستريح فأمامك عمل كثير" .

□

إن الرئيس "السادات" لم يقل لأحد عن السر الكبير فى كل وقائع لقاءاته فى سالزبورج ، وبالتحديد أثناء اجتماعه مع "وايزمان .

كان الرئيس "السادات" يريد أن يعطى جائزة لـ "وايزمان" تسمح له بأن يتحدى "بيجن" ، وأن يمد بصره إلى أبعد ، وكان لا بد أن تكون الجائزة غالية بحيث لا يملك أحد أن يدير عينيه عنها أو يتركها تغيب عن خياله .

كان الرئيس "السادات" صريحا عندما روى أنه قال لـ "وايزمان" : "إن بيجن لا يفقه شيئا فى السياسة" . ولكن الرئيس "السادات" لم يكن صريحا لأنه أغفل شيئا مهما قاله هو

لـ "وايزمان" بعد ذلك عندما تطرق الحديث بينهما إلى الفرص العظيمة وراء السلام، والتى يرميها "بيجن" فى البحر بقصور فهمه وضيق أفقه .

إن الرئيس "السادات" قال لـ "وايزمان" :

ـ " اسمع يا عزرا . ما أفكر فيه هو سلام كامل بين مصر وإسرائيل ، وهو تعاون فى كل شىء ، فى الصناعة والتجارة والزراعة ..."

ثم راح يضغط على ألفاظه ويقول :

ـ "نعم فى الزراعة . إننى على استعداد لأن أشق فرعا من النيل يمشى تحت قناة السويس إلى العريش ويصل إليكم فى سيناء والنقب معا . هل تستطيع أنت أن تتصور أفق هذا التعاون ؟ .. بيجن بعقلية محامى أرياف صغير لا يستطيع أن يفهم هذا. إنه ليس رجل رؤى كبيرة big visions ."

كان "وايزمان" يسمع باهتمام .

وكان تعليقه أن ما يسمعه الآن بالفعل دليل قوى على مستقبل مضمون للسلام بين مصر وإسرائيل .

ثم قال الرئيس "السادات" :

ـ"لا أريد أن يعرف أحد بما قلته لك".

ثم أضاف أنه فكر فيه طويلا ، وقد سأل فيه خبراء من كبار المهندسين يعرفون منطقتى القناة وسيناء جيدا ، وقد أيدوا جميعا فكرته واعتبروها ممكنة التنفيذ وفى زمن قصير نسبيا لا يتجاوز ثلاث سنوات .

وقال "وايزمان" بهدوء :

ـ "يا ريس" إنك بطلب الكتمان الكامل تقيد حركتى فى الاستفادة من هذا الاقتراح العظيم . لا بد لى أن أقول لبعض الناس إذا كان علىّ أن أقنع آخرين بمن فيهم بيجن نفسه بشكل المستقبل الذى تتصوره للسلام ."

وفكر الرئيس "السادات" قليلا وهو يسرح بعينيه عبر النافذة إلى مياه بحيرة فوشل، ثم عاد والتفت إلى "وايزمان" يقول له :

ـ "إنه أكثر من غيره يستطيع أن يعرف أن إذاعة هذا السر يمكن أن تؤدى إلى إحراج لأن الحملات المغرضة سوف تبدأ على الفور ،ويحتمل أن يؤثر ذلك على الرأى العام المصرى لأن موضوع مياه النيل بالنسبة له مسألة حيوية ."

وربما أحس الرئيس "السادات" عند هذه النقطة أنه مطالب بإرضاء ضميره ، فقال:

- "إننا حتى بعد السد العالى نرمى إلى البحر بمليارات من الأمتار المكعبة من الماء . بدل أن نرميها إلى البحر ، ندفعها إلى سيناء والنقب . إننى أكره إهدار الموارد لمجرد منعها حتى عن عدو . ثم إنه عدو فى طريقه إلى أن يصبح صديقا !"

كان الاقتراح مذهلا .

وعلى وجه التأكيد فإن مصدر اقتراحه أو الإيحاء به يحتاج إلى بحث . وللأسف فإن استعراض كل المرافقين للرئيس "السادات"، يشير إلى احتمال أن يكون المهندس "عثمان أحمد عثمان" هو صاحب هذا الاقتراح ، خصوصا وأن كثيرا من المواصفات التى ذكرها الرئيس "السادات" فى اقتراحه عن الخبراء الذين سألهم عنه تشير إلى المهندس "عثمان أحمد عثمان" أكثر مما تشير إلى غيره !!

. . . .

. . . .

إن "وايزمان" نفسه فى مذكراته بعنوان "معركة السلام" تحدث عن "عرض المياه" كما سماه ، وعلى الصفحات من ٣١٣ إلى ٣٢٤ .

ثم إن تطور الوقائع بعد ذلك طرح كل التفاصيل على الموائد وخلال اللقاءات !

الفصل الخامس

كامب دافيد وما بعده !

لقد أثبت العالم العربى
بعد التحولات الخطيرة التى لحقت به
منذ انتهت حرب أكتوبر،
أنه الساحة الوحيدة
التى يستطيع فيها أى رئيس أمريكى عاجز
أن يحصل من أهله على أية تسهيلات
يراها ضرورية لزيادة فرصه الانتخابية .
وفى الوقت نفسه ،
فإن إسرائيل كانت تفعل العكس تماما .
فالفرص الانتخابية
هى موعد استحقاقاتها الكبرى
لدى الراغبين فى دخول
البيت الأبيض .

١

كـارتـــــــر (٢)

" الســادات لا يستطيــع الصــبر ، وكذلــك كــارتـر أمـا أنـا فأستطيـع ، ولـدىّ الوقـت "

("مناحم بيجن" لزعمـاء الحركـة الصهيونيـة فـى أمريكـا)

كان تسارع الحوادث واختلاف الظروف ، وتباين أمزجـة الحكام ، وحالة الدوار العامـة التى أصابت الأمـة العربيـة ، وحجم الاختراق داخل نخـب المثقفين والمفكرين ـ ثم ضبـاب الزمن ، قد حجـب الرؤيـــة ، وبهـت ظـل ذلـك الجســر الحيـوى علـى الزاويـة الجنوبيـة الشرقية من البحر الأبيض المتوسط . وبالتالى ، فـإن "المقدسـات : المحرمـات" التـى ظهـرت عليه وتحصنت من حوله تحولت إلى نـوع من الذكريات العتيقـــة فقــدت مـا كـان فيهـا مـن حـس ونبـض .

لكن إسرائيل كانت يقظـى ومنتبهة ، وفيها من يتابع استراتيجية عليـا بعيدة المـدى .

كانت كل الطائرات من القدس إلى سالزبورج تجـىء وتذهب ، والأمور معلقة عند مبادرة باهرة قام بها الرئيس "السادات"، ولم تـرد عليها إسرائيل بعـــد إلا بمشروعات لا تسـتطيع أن تصنع سلامـا أو حتى نصـف سـلام .

وبعد سالزبورج ، فقد كان هناك مؤتمر فى قلعة "ليـدز" فى إنجلترا شــارك فيـه "محمـد إبراهيم كامل" و"سايروس فانـس" و"موشى ديان" . ولحق لقاء "ليـدز" هو الآخر بما سبقه من لقاءات وترك الفشـل جاثما أمام الجميع فيما عدا إسرائيل .

وكان رئيس الولايات المتحدة على وشـك أن يبدأ معركته الانتخابية لمدة ثانية ، ولم يكن لديه أمـل إلا أزمـة الشرق الأوسـط . وفوق ذلك فإنــه بـالفعل ومنـذ السـنة الأولى فـى رئاسـته

الأولى والوحيدة ـ جعلها شاغله ، وتصور أنه قادر فيها على صنع الإنجاز الأكبر لرئاسته . وكان يشعر فى قرارة نفسه أن "السادات" أعطى دون حساب ، وأن على إسرائيل أن تسدد له بعض ما أعطاه مقدما (وربما أن تفكير "كارتر" الحقيقى كان أن على إسرائيل أن تسدد له هو ـ "كارتر" ـ بعض ما أعطاه الرئيس "السادات" إكراما له هو !) . وكما وعد الرئيس "السادات" فى لقاء فبراير ـ فإن "كارتر" راح يجرى اتصالات مع زعماء الكونجرس ومع رؤساء يهود أمريكا . ووصل فى بعض المرات إلى حد أن قال لـ "فيليب كلوتزنيك": "إن يهود الولايات المتحدة أمام اختيار لا بد لهم أن يواجهوه إذا تأزمت الأمور بينه وبين بيجن . فعليهم أن يحددوا بالضبط موقع ولائهم" .

وكان الرئيس "السادات" ، وربما بغير تنسيق مع "كارتر" يقوم بجهد مشابه مع المجلس الصهيونى العالمى ومجلس رؤساء اليهود الأمريكيين . ويحاول بكل طاقته أن يدفع أصدقاءه الذين تعرف عليهم فى فيينا مع المستشار "كرايسكى" إلى درجة يرون فيها أن "بيجن" يقامر بمصالح اليهود حتى فى الولايات المتحدة ، ثم هو يدفع بالمنطقة كلها إلى حالة من الفوضى الشاملة إذا ظل على عناده .

وفى المحصلة فإن الضغط بدأ يتزايد على "بيجن" حتى داخل إسرائيل ، خصوصا بعد أن شاع فى الدائرة القريبة منه والمؤثرة عليه فى المجالين الحزبى والسياسى عرض الرئيس "السادات" الذى قدمه لـ "وايزمان" والخاص بمد فرع من النيل يحمل مياهه إلى إسرائيل.

□

وفى أواخر شهر يوليو ١٩٧٨ توجه إلى إسرائيل "موريس أميتاى" مدير مؤسسة "آيباك" AIPAC (لجنة العلاقات العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية) وهى المؤسسة الممثلة لقيادة الحركة الصهيونية واليهودية بصفة عامة فى الولايات المتحدة ، ويشار إليها عندما يرد على الألسنة تعبير "اللوبى الصهيونى" فى أمريكا .

كان "أميتاى" يحمل معه من أمريكا صورة مقلقة لحيرة الحركة الصهيونية واليهودية فى الولايات المتحدة . فمعظمهم مبهور مأخوذ بمبادرة "السادات" . والإدارة الأمريكية وعلى رأسها الرئيس "كارتر" نفسه يلحون عليهم كل يوم بأن "بيجن" لم يقدم رد إسرائيل بعد على هذه المبادرة . ثم إن الرئيس "السادات" أصبح فى أمريكا نجما تلفزيونيا ، وصورته على كل البرامج الإخبارية توحى بأنه فعل كل ما فى استطاعته وأكثر ، لكنه لم يتلق حتى الآن ردا مناسبا . والصحف الأمريكية الصادرة صباح مساء فى الولايات المتحدة تتحدث

كلها عن احتمالات خطر على نظامه، إذا لم يحدث شيء يثبت للناس أن زيارته التاريخية لم تكن مجرد مشهد تلفزيونى انطفأ وغابت ألوانه وأصواته !

وأحس "بيجن" أن الصورة التى نقلها "أميتاى" يحتمل أن تؤثر على عدد من ساسة إسرائيل وبينهم بعض أقرب المساعدين إليه . وكان طلبه الذى نقل إلى "أميتاى" هو دعوة "القلقين والمترددين" من زعماء الحركة الصهيونية واليهودية فى أمريكا إلى لقاء عاجل وخاص معه يعقد فى مصيف "نهاريا" .

وأقبلت الطائرات بركابها تقطع الأجواء بسرعة حاملة أقطاب "المؤسسة" فى الولايات المتحدة . وأمام جمعهم المتلهف جلس "مناحم بيجن" يشرح تصوراته . والشاهد أنه كان محاميا يترافع عن قضية درسها بعناية . وقد بدأ "بيجن" [1] فقال إنه سمع عن قلق القادة والزعماء اليهود الأمريكيين ، وهو يستطيع أن يتفهم دواعى قلقهم . لكنه يطلب منهم فى هذه المرحلة الدقيقة ألا يتحول قلقهم ليصبح عنصرا ضاغطا عليه وعلى حكومة إسرائيل . ثم استطرد :

"إن هناك من يقولون إننى أضعت وقتا طويلا ، وأنا لا أعتقد أن هناك وقتا ضاع . وإنما أظن أن استراتيجيتنا تمضى كما رسمنا . ولدىّ لبيان ذلك عنصران :

أولهما ـ إننى أفضل أن يدرك الرئيس السادات بالتجربة ، وخطوة خطوة ، أنه إذا أراد اتفاقا معنا فهذا الاتفاق لا يجب أن يكون إلا اتفاقا مصريا ـ إسرائيليا فقط .

إنه بدأ معنا، وهو يطالب بالانسحاب الكامل لإسرائيل من يهودا والسامرة ، بل ويطلب منا العودة إلى تقسيم القدس . وهذا من وجهة نظرى ـ وأرجو أن تكونوا متفقين معى فيه ـ مستحيل . ولست أنا الرجل الذى يسمح بضياع الحلم التاريخى لإسرائيل . ثم إن الشعب الإسرائيلى انتخبنى على أساس برنامج محدد معروف للكافة ، وهو برنامج يقوم على كامل أرض إسرائيل . ونحن لا نريد شيئا من مصر إلا أن يدرك السادات أنه ليس أمامه معنا غير سلام منفرد يوقعه نيابة عن مصر ـ وفقط ."

واستطرد "بيجن" يقول "إن الرئيس السادات قرر أن يجىء إلى القدس وهو على اطلاع كامل بالنسبة لسياسة الحكومة التى أرأسها . وقد أعدت تأكيد خطوط هذه السياسة فى نفس الوقت الذى وجهت فيه الدعوة إليه لأننى لم أشأ أن أترك شيئا للمصادفات . وإذن، فقد جاء الرجل وهو يعرف ما يمكن أن يحصل عليه عندنا . وإذا كانت آماله قد دفعته إلى تصور

---

(١) عرف المستشارالنمساوى "كرايسكى" بما جرى فى الاجتماع عن طريق " ناحوم جولدمان" وقد اعتذر "جولدمان" نفسه عن عدم حضور الاجتماع لمرضه وتخلف في باريس . لكن بعض المشاركين فى الاجتماع وضعوا "جولدمان" فى أجواء ما حدث فى تلك الجلسة العاجلة والخاصة .

ما هو أكثر ، فذلك ليس ذنب إسرائيل ، ولا ذنب الحكومة ، ولا ذنبى . وليس أمامنا إلا أن نعطيه الفرصة لكى يتوصل بنفسه إلى هذه الحقيقة. إننا قلنا ما عندنا علنا فى برنامجنا الانتخابى ، وقلناه فى بيانات الحكومة ، وقلناه فى جلسات المفاوضات بيننا ، ولم نخف شيئا ."

وواصل "بيجن" كلامه :

"مضافا إلى ذلك فإن السادات لم يجىء إلينا مفوضا من أحد . فهو لم يستشر زملاءه من الملوك والرؤساء العرب قبل أن يجىء إلينا . والرئيس الوحيد الذى استشاره وهو الأسد ، رفض صراحة أن يعطيه تفويضا بالحديث نيابة عنه . وإذن ، فإنه جاءنا وحده . وإذا كان يريد اتفاقا معنا فهو سيوقعه وحده وبالنيابة عن بلده وحده . والانتظار الذى يقلق منه بعضكم هو - فى واقع الأمر - فرصة ضرورية لترك الحقائق تستقر فى عقل السادات وحتى تجىء تصرفاته متسقة مع هذه الحقائق .

ثانيا - إن السادات هو الذى يجب أن يكون فى عجلة من أمره وليس نحن . فهو قد رهن مستقبله السياسى بالمبادرة التى قام بها وفق حساباته ، وكان هو الذى أعلن بنفسه أنه سوف يقدم استقالته ويعتزل إذا فشلت مبادرته . ولا أظنكم تختلفون معى فى تقديرى بأنه ليس هناك سياسى عربى مستعد للاستقالة أو مستعد للاعتزال إذا فشل . والحقيقة التى أعترف بها أن السادات لم يفشل، وإنما هو نجح فى مبادرته ولكن ليس بالطريقة التى يتصورها . إنه فتح الطريق بهذه المبادرة إلى اتفاق مصرى - إسرائيلى . ولم يكن له أى حق فى أن يتجاوز ما يتعدى ذلك . وإذا أراد أن يبقى فى السلطة وأن يبقى فى الأضواء فعليه هو وليس علينا نحن - أن يمشى فى مبادرته إلى خاتمتها الطبيعية. وهو الذى يجب أن يتعجل ذلك وليس أنا ."

وانتقل "بيجن" إلى موقف الرئيس الأمريكى "كارتر" فقال :

"إن الرئيس كارتر قد يكون هو الآخر فى عجلة من أمره لأسباب انتخابية . وأنا أقول لكم بصراحة إن موقفى لن يتأثر بجدول أعمال الرئيس الأمريكى لأن مستقبل أرض إسرائيل ليس بندا مطروحا فى الانتخابات الأمريكية ، وإنما هو أمر يتقرر هنا ."

وختم "بيجن" كلامه قائلا إنه أراد أن يضع ما عنده أمام زعماء الحركة الصهيونية واليهودية فى أمريكا لكى يساعدوا إسرائيل ولا يساعدوا عليها ، وهذه مسئوليتهم التاريخية.

إن "ناحوم جولدمان" وهو ينقل بعض ملامح ما جرى فى هذه الجلسة للمستشار النمساوى "برونو كرايسكى" عقب قائلا "إن بيجن فى هذه الجلسة أدى مرافعة عمره

وكسب قضيته أمام هيئة محلفين كانوا على استعداد للتعاطف معه رغم وساوس سابقة خطرت لهم ."

□

ومن المؤكد أن الرئيس الأمريكى "جيمى كارتر" ، الذى كان فى عجلة من أمره لأسباب انتخابية ، وصله بعض ما جرى فى اجتماع "نهاريا" . وقد راح يتساءل فى هذه الفترة عما إذا كان المخرج الوحيد الآن هو البحث عن وسيلة لحل مصرى ـ إسرائيلى منفرد . ويقول مستشاره للأمن القومى "برجينسكى" فى مذكراته[٢] إنه تلقى تعليمات من الرئيس بأن يبدأ الإعداد لاحتمال اتفاق مصرى ـ إسرائيلى . ويسجل "ويليام كوانت" فى كتابه عن "كامب دافيد" (صفحة ١٧٧) أن الرئيس الأمريكى "كارتر" راح يتحرك على خط اتفاق مصرى ـ إسرائيلى ، شاعرا أن هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن تتقدم عليه أزمة الشرق الأوسط . ولم يكن وزير خارجيته "سايروس فانس" مقتنعا بهذا الاتجاه . وربما من هذا السبب أن الرئيس الأمريكى تخطاه وكلف نائبه "والتر مونديل" بأن يتوجه إلى المنطقة ليعرض فكرة اجتماع على مستوى القمة فى "كامب دافيد" ، يحضره معه كل من الرئيس "السادات" ورئيس الوزراء "بيجن" للتوصل إلى اتفاق مصرى ـ إسرائيلى بالدرجة الأولى ، مع إمكانية التعرض والبحث لإطار الحل الشامل ، وإنما على أساس عام وغير محدد . والسبب واضح ، وهو أن الأطراف الذين يعنيهم هذا الحل مثل سوريا والفلسطينيين والأردن ليسوا مدعوين إلى هذا الاجتماع . ثم "إنهم تخلفوا حتى الآن عن المشاركة الإيجابية فى عملية صنع السلام" !

وطار "والتر مونديل" بالفعل إلى المنطقة ليعرض الفكرة على الرئيس "السادات" وعلى رئيس الوزراء "بيجن" . ووافق الرئيس "السادات" بشرط واحد وهو أن تدخل الولايات المتحدة كشريك فعلى فى المفاوضات . وأما "بيجن" فقد تردد لبعض الوقت ، وحسب تعبيره فإنه خشى أن يكون فى الأمر فخ يراد اصطياده فيه . لكنه لم يكن فى وسعه أن يرفض دعوة للقاء الرئيس الأمريكى والاشتراك فى محادثات تحت رعايته مع الرئيس "السادات" وإلا عرض نفسه لأن يفقد بعض الأرضية التى كسبها مع زعماء الحركة الصهيونية واليهودية فى أمريكا ـ فضلا عن إغضاب الرئيس الأمريكى نفسه .

---

(٢) مذكرات "برجينسكى" التى صدرت بعنوان "القوة والمبدأ" ـ صفحة ٢٤٤ .

كانت حجـة "فانـس" فى التردد إزاء فكرة اجتماع ثلاثـى فى "كامب دافيد" مبعثهـا أن الاقتراح قد لا يلقـى قبـولا لدى "الســـادات" و"بيجـن" كليهما . وعندمـا قبـل كـل منهما الفكـرة ، كان على "فانـس" أن يسحب تحفظاتـه ، وأن يقـوم بنفسه بزيارة للشـرق الأوســط فى منتصف أغسطس هدفها الترتيب للمؤتمر بعد لقاء الكل على فكرته .

وكان الرئيس "السادات" قد بـدأ يواجـه نفسه بأن ذلك ما أراده منـذ البدايـة . فهـو لا يستطيع أن يرهن موقف مصـر ، ويتركه تحت رحمـة "الأسـد" أو "عرفـات" أو "القذافـى" أو غيرهم ، وإنما هو يريد أن يتحرك . وهو بحركتـه لا يصنـع سـلاما منفـردا وإنمـا هـو يضـع النموذج المثالى الذى يمكن أن يحتذيه باقى العـرب عندما يقررون فى يـوم من الأيام أنـه ليـس أمامهم غير أن يلحقوا به .

وعندما عـاد "مونديـل" إلى واشنطـن وبـدا أن الرئيس "السـادات" قد استقر علـى المضى إلى اتفاق مصـرى ـ إسـرائيلى ، كـان الإحسـاس فـى واشـنطن أن الاتفـاق فـى متنـاول اليـد within reach . وكان تعليق "برجينسكى" هو قولـــه لـلرئيس "كـارتر" تشـجيعا : "إبعـد القضية الفلسطينية عن العلاقة بين مصـر وإسرائيل وستجـد أن الباقى كله سهـل" .

□

إن وزير خارجيـة مصـر "محمـد إبراهيـم كـامل" فوجـىء عندمـا أبلغـه "فانـس" فـى الإسكندرية بموافقة الرئيس "السادات" على اجتماع ثلاثـى فى "كامب دافيـد" . وقـد كتـب فى مذكـراتـه :[٣]

> "إن فكرة عقـد مؤتمـر ثلاثـى بين كارتر والسادات وبيجن قد باغتتنى تـماما ، ولم أكن أتوقعها على الإطـلاق" ، وإنما كان تفكيرى منصرفا إلى أن مهمة فـانس هـى محاولة إقناع الرئيس بالموافقـة علـى اجتمـاع جديـد علـى مستوى وزراء الخـارجيـة والدفاع ، وأنهم قد يعرضون عليه ضمانات أمريكية تكفل إحراز تقدم فـى المباحثـات على النحو الذى ننشده ، مما قد يغريه على الموافقة علـى عقد مثـل هـذا الاجتمـاع . والواقع أننى كنت محقا بعض الشىء فى استبعاد دعـوة الرئيـس كـارتر لمؤتمـر قمـة

---

(٣) مذكرات "محمد إبراهيم كامل" بعنوان "السلام الضائع فى اتفاقيات كامب دافيد" ـ صفحة ٤٤١ .

ثلاثى فى الوقت الذى وصل فيه الخلاف المصرى ــ الإسرائيلى إلى زاوية تبلغ مائة وثمانين درجة ــ الأمر الذى يجعل تدخل الرئيس الأمريكى ضربا من المقامرة والمغامرة بالمخاطر بكل المقاييس."

وقرر وزير الخارجية أن يذهب رغم أن الساعة متأخرة لكى يقابل الرئيس "السادات" ويبلغه باعتراضه . وتمضى روايته للقاء على النحو التالى :(٤)

"كانت الساعة قد قاربت الواحدة بعد منتصف الليل عندما وصلت إلى استراحة المعمورة . وكنت أخشى أن يكون الرئيس السادات قد أوى إلى فراشه . ولكننى كنت قلقا وأرغب فى معرفة رد فعله . وقابلت السيد حسن كامل رئيس الديوان الجمهورى وهو يوشك على الانصراف ، وسألته عن الرئيس فقال إنه يتناول طعام السحور فى الحديقة . و توجهت معه إلى حيث كان يجلس الرئيس على مائدة حفلت بكل أنواع الطعام التى يتميز بها شهر رمضان . وعندما رآنى دعانى إلى الجلوس معه إلا أنه لم يقل شيئا ، وظل منهمكا فى تناول الطعام بشهية طيبة . وبعد فترة من الصمت قلت: "لقد أخبرنى فانس عن موضوع مؤتمر قمة فى كامب دافيد وأنك وافقت على حضوره"، فقال : "نعم ، نعم .. إن هذا ما كنت أسعى منذ البداية من أجله ، وهو أن تقوم أمريكا بدور الشريك الكامل . وقد نقل لى فانس تأكيدات الرئيس كارتر بأنه سيقوم بذلك . ولا تنس أن كارتر سيضحى بمستقبله إذا فشل هذا المؤتمر . ولذلك فإنى واثق ومطمئن من أننا سننجح ، لأن نجاح المؤتمر أو فشله فى أيدينا . وقد آن الأوان لتضغط أمريكا على إسرائيل وتضع مناحم بيجن فى حجمه الحقيقى ومكانه . ألم أقل لك بأنى متفائل ، وأن مبادرتى لا يمكن أن تفشل؟" وقلت "إن شاء ا لله ستنجح" . ولم أجد ما أقوله غير ذلك . وساد الصمت بعض الوقت ، فأخذت عنقودا من العنب وشرعت التقط حباته . وبعد فترة قال السادات "أتذكر أيام كنا فى السجن؟ سوف تدخل معى التاريخ يا محمد" . وأجبت تلقائيا "إن شاء الله" .

ويستطرد "محمد ابراهيم كامل" فى روايته فيقول :

"فجأة وجدتنى أقول "إننى أحتاج إلى أجازة" . فنظر إلىّ الرئيس باندهاش قائلا "ماذا تقصد؟ إن أمامنا عملا كثيرا " فرددت : " إننى أعرف ، ولذلك أحتاج إلى ثلاثة أو أربعة أيام للراحة" فقال الرئيس السادات "لم لا تذهب إلى شاطىء سيدى عبد الرحمن ؟"

(٤) مذكرات "محمد إبراهيم كامل" بعنوان "السلام الضائع فى اتفاقيات كامب دافيد" - صفحة ٤٤٢ .

وبدأ الإعداد لـ "كامب دافيد" . وراحت وزارات الخارجية وإدارات المخابرات فى الدول الثلاثة تعد أوراقها ومذكراتها ومواقفها التفاوضية . ويقول وزير الخارجية المصرى "محمد إبراهيم كامل": (٥)

"عندما وصلنا فى إعداد المؤتمر إلى مرحلة تقتضى العرض عليه والحصول على موافقته (على ما لدينا من أوراق) - طلبت من الرئيس أن يستقبلنى وفريق العمل الذى يعاوننى ، إلا أنه طلب إرجاء ذلك لأنه صائم ويرهقه العمل فى رمضان . فعاودت طلبى بعد أيام، وعاود التهرب والتسويف . ولم أستطع تفسيرا لسلوكه وعدم اكتراثه بموضوع قد يكون جوهريا بالنسبة له شخصيا ، وبالنسبة لمصر ولمستقبل منطقة الشرق الأوسط كلها . هل هو مجرد استهانة وعدم تقدير لأهمية الإعداد الجيد للمؤتمر ؟ هل هو فرط ثقة منه فى نجاحه معتمدا على نفسه فقط ؟ هل هو ارتكان إلى وعود قاطعة نقلها إليه فانس من كارتر بألا يقلق وأنه سوف يؤازره على طول الخط ؟ أم هل هو يدبر فى عقله شيئا آخر يريد أن يحتفظ به حتى اللحظة الأخيرة مثلما فعل عندما فاجأ العالم بزيارته للقدس ؟ - وبدأ القلق يعترينى . وأخيرا طلبته فى استراحة الإسماعيلية وقلت له إننى لا أستطيع الاستمرار فى العمل بهذا الأسلوب ، ولا بد أن نتفق على مواقفنا والاستراتيجية التى سنتبعها فى المؤتمر . وقال الرئيس السادات إنه سيقابلنى فى استراحة الإسماعيلية حيث دعا مجلس الأمن القومى إلى اجتماع هناك ."

ويوم ٣ سبتمبر ، وفى الساعة السابعة والنصف مساء بعد الإفطار مباشرة ، قامت طائرة خاصة من مطار ألماظة الحربى تحمل أعضاء مجلس الأمن القومى إلى الإسماعيلية .

(كان مجلس الأمن القومى وقتها مكونا - بعد الرئيس - من نائب رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، ورئيس مجلس الشعب ، ورئيس الاتحاد الاشتراكى العربى ، ووزراء الدفاع والداخلية والخارجية ، ورئيس المخابرات ، والسيد حسن التهامى .)

ويكتب وزير الخارجية المصرى فى مذكراته (٦) فى وصف الاجتماع قائلا :

"قادنا الحرس إلى التراس الفسيح فى استراحة جزيرة الفرسان الذى يطل على البحيرات المرة ، وكان الرئيس السادات جالسا أمام التلفزيون الذى كان يذيع إحدى حلقات الفوازير الاستعراضية التى تقوم الفنانة نيللى ببطولتها طوال ليالى شهر رمضان بنجاح كبير .

---

(٥) المصدر السابق - صفحة ٤٥١ .

(٦) المصدر السابق - صفحة ٤٦٣ .

ووقف الرئيس السادات لاستقبالنا ، وعندما جاء دورى فى مصافحته خيل إلى أن استقباله لى يعتريه شىء من الفتور لم أعهده من قبل . ثم تركنا الرئيس واتجه إلى داخل الاستراحة . وجلسنا بعض الوقت نتابع الاستعراض التلفزيونى وقدمت إلينا الحلويات والمكسرات والمشروبات المعتادة فى شهر رمضان . وفى هذه الأثناء أحضرت منضدة مستطيلة إلى الشرفة وصفت حولها المقاعد ، ولم يلبث أن عاد الرئيس ودعانا إلى أخذ أماكننا حول مائدة الاجتماع . وساد السكون برهة ، ثم تلفت الرئيس حوله وفجأة صفق بيديه ، فحضر أحد رجال الحرس على الفور ، وقال الرئيس "أين همت وسعد زغلول ؟ استدعهما وجهز لهما مكانا بالقرب من مائدة الاجتماع" . وبعدها بدقيقة وصلت السيدة همت مصطفى مديرة التليفزيون ، والسيد سعد زغلول نصار المسئول عن الشئون الصحفية بالرئاسة حاملين أوراقا وأقلاما ، وجلسا إلى المائدة التى أعدت لهما بالقرب من مكان جلوس الرئيس . وعقدت الدهشة لسانى . فاجتماعات مجلس الأمن القومى هى أخطر الاجتماعات وما يثار فيها ويتداول داخلها مفروض فيه أنه على أكبر درجة من الأهمية والسرية . وفى العادة كان الرئيس يكلف أحد أعضاء المجلس وقد يكون رئيس الوزراء أو وزير الخارجية بإذاعة بيان بما يرى إذاعته بشأن موضوع الاجتماع . وكان هذا الاجتماع بالذات وهو المخصص لمناقشة الخطة المصرية فى كامب دافيد خطيرا للغاية ، إذ سيتناول المسائل الاستراتيجية والتكتيكية التى سنتبعها فى المؤتمر وهى أمور غاية فى الحساسية وذات سرية قصوى . وشعرت بعدم الارتياح وبشىء من الغضب . وتركت مقعدى وتوجهت نحو الرئيس لأسترعى نظره إلى الأمر . ولكننى عندما وصلت إليه تداركت نفسى بسرعة إذ إن الأمر لن يخرج عن إحراجه أو إحراج نفسى لأنه كان من الصعب عليه أن يطلب منهما الانصراف بعد أن دعاهما إلى الحضور أمام أعضاء المجلس . أما أنا فماذا يكون موقفى إذا رفض الأخذ بملاحظتى وأصر على حضورهما ؟ ونظر إلى الرئيس وقال "فيه حاجة يا محمد ؟"

□

وبدأ الرئيس "السادات" يتحدث عن خطته . وطبقا لملخص كتب عن وقائع الجلسة فإنه قال :

- عندما زارنى فانس حاملا دعوة الرئيس كارتر قبلت وأخبرته أننى كنت أنوى أن أقترح عليهم الفكرة ولكنهم سبقونى . وسألت فانس "على أى أرض تقف أنت

والرئيس كارتر ؟" وقال "على أرض صلبة" . وسألته "إلى أى مدى أنتم مستعدون للذهاب مع بيجن ؟" فقال "إلى النهاية ، لأن الرئيس كارتر لم يعد مهتما بانتخابه رئيسا لأمريكا مرة ثانية طالما أنه سيحل نزاع الشرق الأوسط ويدخل التاريخ كبطل للسلام ."

- إننى لا أنوى قبول حل منفرد مع إسرائيل. فأنا لم أقم بمبادرتى من أجل مثل ذلك.

- إننى أضع نموذجا للاتفاق . والكل أحرار فى الدخول أو الخروج . وسأقول لكل العرب بصراحة إن قرار الحرب والسلام فى يد مصر ، ومصر تتكلم باسم نصف الأمة العربية وزيادة .

ثم جرى عرض ورقة أعدها السيد "كمال حسن على" بوصفه مديرا للمخابرات . وتحدث بعض أعضاء المجلس . ثم عاد وزير الخارجية يطلب الكلمة ويقول إن السفير الأمريكى أبلغه أن الرئيس "كارتر" يقدر أن يستمر المؤتمر أسبوعا كاملا ، وإنه يرى "أن نبدأ فى الأيام الأولى من "كامب دافيد" بمواقف متشددة حتى نفسح الفرصة أمامنا لإبداء نوع من المرونة أمام الأمريكيين" ."

ويكتب وزير الخارجية "محمد إبراهيم كامل" فى مذكراته :[(٧)]

"عندما أبديت هذه الملاحظة شرع الرئيس يقهقه ضاحكا بطريقة مسرحية تدل على التسفيه . ثم قال بصوت جهورى هز المحيطين به : "بقى إنت فاكر نفسك دبلوماسى يا سى محمد ؟ " ثم قهقه من جديد وقال : "والله ما انت دبلوماسى . أسبوع إيه اللى أنتظره يا سى محمد ؟ أنا لازم أول ما أوصل أقدم مشروعى على طول ، وأفرقع المؤتمر وأرجع مصر بعد ٤٨ ساعة بالكثير ."

إن الرئيس "السادات" كان يتحدث فى هذه الفترة فعلا وكأن مؤتمر "كامب دافيد" سوف يكون تحت رحمته ، لأنه يستطيع أن "يفرقع" كل شىء ، ويهدم فرص "كارتر" الانتخابية ، ويكشف "مناحم بيجن" ، وكلاهما بالطبع لن يقدر على تحمل مثل هذه المخاطر . وفى تقديره أنه لن يكون أمامهما غير القبول بمشروعه . ومضى الرئيس فى تفصيل خطته أكثر ، فبعث باثنين من المندوبين فوق العادة (الدكتور "تحسين بشير" إلى لندن ، والدكتور "على السمان" إلى باريس) ـ ومع كل منهما ظرف مغلق يحمل تعليمات بفتح نار حرب دعائية ضد "بيجن" عندما يتلقى الإشارة من "كامب دافيد" بأن الرئيس انسحب من المؤتمر .

---

(٧) المصدر السابق ـ صفحة ٤٧٢ .

ومرت طائرة الرئيس "السادات" فى باريس ومعه أسرته التى تقرر أن تنتظره فى العاصمة الفرنسية . وتناول العشاء ليلتها مع الرئيس الفرنسى "جيسكار ديستان" . وأبدى له الرئيس الفرنسى تشاؤمه من أن يسفر اجتماع "كامب دافيد" عن شىء ، وقال له الرئيس "السادات" إنه سوف يتصرف بأسلوب "جون فوستر دالاس" (وزير الخارجية الأمريكى فى عهد "أيزنهاور") القديم ويضع الجميع على حافة الهاوية on the brink . ولم يحاول "ديستان" أن يستوضحه متصورا أن لديه خطة لا يريد أن يفضى بها لأحد .

□

لقد كتب كل الذين شاركوا فى اجتماع "كامب دافيد" شهاداتهم تقريبا ، وليس هناك داع لإعادة تكرار وقائع أيامه التى امتدت ثلاثة عشر يوما كاملة . ولكن بعض المواقف ما زالت تستحق الوقوف أمامها ، وهى المشاهد الافتتاحية للمؤتمر والمشاهد الختامية له .

□□ فى المشاهد الافتتاحية : قدم الرئيس "السادات" لـ "كارتر" مشروعا وصفه بنفسه وهو يقدمه للرئيس الأمريكى (طبقا لرواية "كارتر") بأنه "مجرد موقف تفاوضى وأنه يقدمه لتسجيل المواقف ، وأيضا لإسكات بعض المتشددين من أعضاء الوفد المصرى الذين لا يطمئن إلى توجهاتهم". وكان "كارتر" فى دهشة من هذا التصرف، واعترف أنه"لم يفهمه"! وزادت دهشة "كارتر"عندما قال الرئيس"السادات" إنه"سوف يقرأ هذا المشروع كاملا فى حضور بيجن وأثناء اللقاء الأول بين الثلاثة". وقال"كارتر"إن "السادات كان يتوقع أن "ينفجر" بيجن إذا سمع مشروع السادات كما قدمه له، ولذلك فإن الرئيس المصرى رجاه أن يطلب من بيجن أن يسمع إلى النهاية ، ولكنه ليس مطالبا باعتبار ما فيه موقف مصر النهائى". ثم قال الرئيس"السادات" إن لديه مشروعا آخر "معتدلا" يختلف عن المشروع "المتشدد" ، وإن عضوا واحدا فى الوفد يعرف به لأنه هو الذى تعاون معه فى إعداده وصياغته .

وكانت تلك بداية غريبة لمؤتمر حاسم تتقرر فيه مصائر تاريخية واستراتيجية وقومية ووطنية .

□□ ما بين المشاهد الافتتاحية والمشاهد الختامية كانت هناك صور أخرى حفلت بها الساعات والمواقف فى "كامب دافيد" :

- كان الوفد المصرى كله تقريبا لا يعرف ما يجرى حوله رغم أن الجميع يعيشون فى غرف متلاصقة وأسرة متجاورة .

- وكان وزير الخارجية ("محمد إبراهيم كامل") يشك طوال الوقت أن هناك شيئا يجرى "طبخه" بعيدا عنه ، وهو "يشم" الرائحة ولكنه لا يرى "المائدة" .

- وكان وزير الدولة للشئون الخارجية "بطرس غالى" مشغولا بالحالة النفسية لنائب رئيس الوزراء "حسن التهامى" ، فقد سمعه يتحدث همسا مع "طيف مر بجواره" كما قال له ، وحينما سأله عرف منه أنه يرد تحية "سيدنا الخضر عليه السلام". وعندما تكررت زيارات الطيف وزادت عبارات التحية والسلام، كان تعليق "بطرس غالى" إن "حالة حسن التهامى تأخرت وإنه أصبح يخاف على نفسه" .

- وكان الرئيس "السادات" لا يزال يراهن على"وايزمان" بوصفه وزير الدفاع ، ويظهر الشك فى "ديان" وهو وزير الخارجية . ولكن "وايزمان" ذهب إليه يقول له إنه "لا بديل لديه غير التعامل مع ديان إذا كان يريد أن يصل إلى حل، وإنه سعيد أن "الريس" يخصه (وايزمان) بوده، ولكن الرجل الذى يعول عليه هو ديان، فهو الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يؤثر على بيجن". وكان بين ما قاله"وايزمان" للرئيس "السادات": "اعتبر أن ديان جرعة دواء مر، لكن الشفاء فيه". وقد ردد الرئيس"السادات" هذا التعبير عندما أبلغ بعض أعضاء وفده أنه سيقابل "ديان" منفردا رغم تأكيد سابق بأنه لن يفعل !

- وكان الرئيس "السادات" إلى جانب ذلك يتصور ـ وهو صحيح فى الغالب ـ أن تليفوناته فى "كامب دافيد" مراقبة . ولذلك خطرت له فكرة تمرير رسائله عن طريق الرقابة، ومن ذلك مثلا أنه اتصل بقرينته السيدة "جيهان السادات" فى وسط المفاوضات وهى تنتظر فى باريس ، يقول لها : إن الأمور متعثرة وإنه يقدر أنه سيترك "كامب دافيد" غدا . وكان قصده بالطبع أن يعرف "كارتر" أن صبره كاد ينفد . ثم أضاف إلى ذلك أمرا إلى سكرتيره "فوزى عبد الحافظ" بأن يبدأ فى حزم حقائبه وأن يخطر بقية أعضاء الوفد بأن يفعلوا نفس الشىء ، وقصده هو نفس القصد وهو إظهار نفاد الصبر . وكانت المشكلة أن الآخرين كانوا يعرفون من حقائق الأمور ما هو أكثر من التظاهر بنفاد الصبر !

❑❑ وأخيرا كانت هناك المشاهد الختامية للمؤتمر ، وقد بدأت فى اليوم العاشر منه، وحين وجد الرئيس "السادات" أن ما هو مطروح عليه لا يفى بالحد الأدنى من مطالبه حتى بالنسبة لحل مصرى ـ إسرائيلى . وراودته فكرة "فرقعة" المؤتمر . وبالفعل أصدر أمرا إلى سكرتيره السيد "فوزى عبد الحافظ" بأن يطلب إلى أعضاء الوفد أن يتجمعوا

للرحيل . وعرف "فانس" بما يحدث فى مقر إقامة الرئيس "السادات" ، فأسرع وأبلغ الرئيس "كارتر" الذى توجه بسرعة إلى حيث كان يقيم الرئيس "السادات" داخل منتجع "كامب دافيد" [(٨)].

□

إن هذا اللقاء بين "كارتر" و"السادات" كان حاسما . ويصف"برجينسكى"ما دار فيه قائلا :[(٩)]

"إن الكلام بين الرجلين لم يستغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة . وقد ظل كلاهما واقفا أثناءها . وكان الحديث بينهما مشحونا . وكان الرئيس كارتر يتكلم "بجدية قاتلة" deadly serious ".

ولخص "برجينسكى" ما قاله "كارتر" على النحو التالى :

"إننى أريد أن أكلمك بصراحة .. إنك تستطيع أن تنسحب من المؤتمر ، لكن ذلك سوف يعنى نهاية العلاقة بين الولايات المتحدة وبين مصر . فليس أمامى سبيل إلى شرح موقفك فى هذه الحالة للشعب الأمريكى . إن ذلك سوف يضع نهاية لكل جهودنا من أجل السلام ، وقد وضعت أرصدتى كلها فى هذا الجهد . وسوف

---

(٨) أثناء مفاوضات كامب دافيد ، ومن أولها إلى آخرها ، لم تطرح قضية الأسلحة النووية الإسرائيلية للمناقشة رغم أن البعض حاول التنبيه إليها قبل وأثناء الاجتماع . وعلى سبيل المثال فإنه على غداء بين المهندس "سيد مرعى" وبين "محمد حسنين هيكل" قال "سيد مرعى" إن "الريس سوف يفرقع اجتماع كامب دافيد ويعلن موقفه للعالم إذا لم تتحقق له شروطه كاملة" . وقال "سيد مرعى" إن "الرئيس السادات سلمه مظروفا مغلقا يحوى تعليمات بطريقة تنسيق خطة لحملة شاملة ضد بيجن تلقى عليه مسئولية فشل مبادرة السلام ".

ولم يكن "محمد حسنين هيكل" مقتنعا بأن الرئيس "السادات" لديه فى هذه اللحظة ـ سواء نفسيا أو سياسيا ـ ما يسمح بذلك . ومع ذلك فإن "هيكل" رجا صديقه "أن يُذكّر الرئيس السادات بإثارة موضوع الأسلحة النووية الإسرائيلية أثناء مفاوضات كامب دافيد لأنه لا يصح أن يعقد اتفاق ولا يمكن أن يقوم سلام فى ظل سلاح نووى تنفرد به إسرائيل" . وبالفعل نقل "سيد مرعى" هذه الرسالة إلى الرئيس "السادات" ، وكان تعليقه عليها كما نقله "سيد مرعى": "قل لصاحبك إننى ذاهب لكى أحل وليس لكى أُعقّد" !

وحدث بعد ذلك أثناء المفاوضات فى كامب دافيد أن بعض الشباب من مستشارى الوفد المصرى أثاروا نفس الموضوع وكتبوا مذكرة عنه ، وأقنعوا الدكتور "بطرس غالى" بوجهة نظرهم . والغريب أن رد الرئيس "السادات" كان نفس الرد " إنه جاء ليحل وليس ليُعقد" !

(٩) مذكرات "برجينسكى" التى صدرت بعنوان "القوة والمبدأ" ـ صفحة ٢٧٢ .

يعنى فشلنا انتهاء رئاستى لأن مهمتى معكم سوف تصبح مشينة . إن ذلك سوف يعنى أيضا نهاية شىء أعتز به وهى الصداقة بينى وبينك ."

وطبقا لـ "برجينسكى" فإن "كارتر" سأل "السادات" : "إلى أين تريد أن تذهب ؟"

وانتهت حكاية "فرقعة" المؤتمر . وكان على الرئيس "السادات" أن يقبل النتيجة على النحو الذى يريده الرئيس "كارتر" . ويكتب وزير خارجية مصر "محمد إبراهيم كامل": (١٠)

"حضر المدلك الخاص للسادات وأبلغنى أن الرئيس يدعونى للذهاب إليه مع أسامة الباز على الفور . وكان أسامة فى استراحته فأرسلت أبلغه ليلحق بى عند الرئيس . ومشيت متثاقلا نحو استراحته (استراحة الرئيس) أحاول أن أستنتج ما سيطلع به على من جديد . وعندما وصلت قادنى خادمه إلى الصالون ، وكنت أسمع صوته الجهورى وهو يتكلم فى التليفون من غرفة نومه مع السيدة زوجته التى كانت فى باريس ويبلغها باحتمال التوصل إلى اتفاق مشرف خلال يوم أو يومين . ثم طلب أن يحادث حفيده "شريف"، وظل يقول له "إنت كخة يا شريف" ثم يقهقه ضاحكا ، ويكرر هذه العبارة ثم هذه القهقهة أكثر من عشرين مرة . وأخيرا دخل إلى الغرفة ورحب بى ترحيبا حارا ، وسأل عن أسامة فقلت إنى أرسلت إليه ليحضر . فقال "لقد طلبتك لأخبرك أنى اتخذت موقفا صلبا هذا الصباح مع فانس وكارتر ، وهذا الموقف الصلب حقق نتائج سريعة وممتازة" . وقلت "خيرا" . فقال "انتظر حتى أحضر لك الوثيقة لتراها بنفسك" . وخرج وعاد بعد برهة يحمل ورقة فى يده ، وقال : "تعال اجلس بجانبى واقرأ" . وبدأت فى القراءة فقال "لأ، اقرأ بصوت عال حتى أسمعك" . وبدأت أفعل ذلك ، وقبل أن أصل إلى نهايتها دخل أسامة الباز إلى الغرفة ، فرحب به الرئيس وقال "اقرأ من الأول يا محمد حتى يسمع أسامة" . وشرعت فى قراءتها من جديد !

كانت الورقة من صفحة واحدة مكتوبة بخط اليد وموجهة إلى "الرئيس أنور السادات ورئيس الوزراء مناحم بيجن"، ومذيلة فى آخرها بالحروف الأولى من اسم جيمى كارتر J C . وكان مضمونها أنه قد مضت مدة كافية على بداية المفاوضات أتاحت لكل جانب إبداء آرائه ووجهات نظره ومواقفه على نحو استوعبه الرئيس كارتر تماما . ولذلك فقد قرر الرئيس كارتر إنهاء المؤتمر يوم الأحد القادم الموافق ١٧ سبتمبر . وهو يدعو الطرفين إلى إبداء ملاحظاتهما النهائية على الصياغة الأخيرة لمشروع أمريكى سيقدم إليهما بعد ظهر هذا اليوم نفسه لتكون هذه الملاحظات تحت نظره فى موعد أقصاه غدا السبت ١٦ سبتمبر . وسيتقدم الرئيس

---

(١٠) مذكرات "محمد إبراهيم كامل" - صفحة ٥٨٢ .

كارتـر بهذا المشروع وهو إطـار للسلام لكى يوقــع عليـه الرئيـس السـادات ورئيـس الوزراء بيجـن ، ثم إنه هو شخصيا سوف يوقعــه بوصفــه شاهــدا عليـه . ويرجـو الرئيس كارتـر كلا مـن الطرفين أن يمتنـع عـن الإدلاء بأيـة تصريحـات أو تعليقـات تتصـل بالاتفاقية بعد إتمام التوقيع عليهـا وحتـى انتهائـه مـن إلقـاء بيـان لــه أمـام جلسـة مشتركة لمجلسـى الكونجرس يـوم الاثنين ١٨ سبتمـبر ."

وعندما انتهيـت من قراءتها نظر إلىّ السادات وقـال"هيه، مـا هـو رأيـك الآن؟" فقلت"رأيى فى ماذا؟" فقال"عيبك الوحيد يا محمد أن مخـك تركىعنيد ولا تريـد أن تفهم"، فقلت "بل إنى فاهم تماما" . فالتفت السادات نحو أسامة الباز وقال لـه "قـل له يا أسامة ما هو رأيك؟" . ونظـر إلىّ أسامة وهو يحاول أن يسيطر على تعبير وجهه حتى لا يضحك ، ولم يتكلم . وعاد السادات يربـت علـى ركبتـه ويقـول "أرجـوك يـا محمد أن تثـق بى ، ألا تثـق فىّ؟" وقلت "المهم هو ما سـيتضمنه مشـروع كـارتر مـن الناحية الموضـــوعية . أما هــذه الورقـــة ، فلا قيمـــة لهـا على الإطـلاق" . وامتدت يد السادات بسرعة واختطفت الورقة من بـين أصابعى وهـو يقـول "بـل هـى وثيقـة خطيرة ، وبخط كارتر نفسه ، وسآخذها معى وأحفظها فى خزانتى السرية فى مصـر حتى يحين الوقت المناسب" ."

وعاد وزير الخارجية إلى استراحته فى "كامب دافيـد" وقـال لمعاونيـه إنـه سـوف يكتـب استقالة يبعث بها إلى الرئيس "السادات" . واقترح عليه مدير مكتبه السفير "أحمد ماهـــر" أن "إرسال استقالة مكتوبة لـلرئيس السـادات بينمـا هـو يقـيم علـى بعـد خطـوات منـك ليسـت مناسبـة" . ثم اقترح عليه أن ينتظر إلى الغـد ويتوجـه لمقابلـة الرئيـس "السـادات" ويتحـدث معه بصراحة ، وهناك احتمال مهما كان ضئيلا فى أن يتدارك الأمـر ، "فإذا لم يفعـل تبلغــه مباشرة باستقالتك" .

وفى تلك الأثناء جاء مشروع الرئيس "كــارتر" وكـان صـورة طبـق الأصـل مـن المقترحـات الإسرائيلية . ذلك أن كارتر" ، وانتخابات الرئاسة فــى ذهنــه ، لم يكـن يسـتطيع أن يفـرض على "بيجن" كلمة واحدة لا يريدهــا رئيـس الـوزراء الإسـرائيلى الـذى كـان يـدرك أن رئيـس الولايات المتحدة الأمريكية رهينة فى يده داخل منتجع "كامب دافيد"

واطلع وزير الخارجية المصرى مثل غيره من أعضاء الوفد على مشروع "كــارتر" ، وتوجـه فى الساعة الحادية عشرة إلى استراحة الرئيس "السادات" ، وكان جالسا فى شرفة الاستراحة ومعه الدكتور "بطرس غالى" والدكتور "أشرف غربال" . وطلب "محمد كامل ابراهيم" أن ينفرد بالرئيس دقائق ، وانصرف كل من الدكتور "بطـرس غـالى" والدكتـور "أشـرف غربـال" وبقـى الرئيس ووزير خارجيته معا .

وطبقا لمذكراته ، فقد كتب "محمد ابراهيم كامل" ما يلى :

"قلت للرئيس فى هدوء إننى أرغب فى أن أتحدث إليه لا بوصفى وزيرا للخارجية يتحدث لرئيس الجمهورية ، ولكن بوصفى صديقا وأخا أصغر أكلنا معا العيش والملح فى السجن منذ ثلاثة وثلاثين عاما [١١] . وأنت تعلم مدى إخلاصى لك وللحق ، وإنى حريص على ألا تقدم على شىء تندم عليه فيما بعد . وقال السادات بصوت هادئ "وهل بينى وبينك حجاب يا محمد ؟ قل ما تريد ولاتتردد"."

وراح وزير الخارجية يفضى إلى رئيسه بكل مخاوفه . وانتهى الرئيس "السادات" إلى القول بأنه مهما كانت كل الحجج التى أبداها فإن "نجاح مؤتمر كامب دافيد سيؤكد نجاح كارتر فى الانتخابات القادمة بسهولة ويسر ، وحينئذ سوف ينفذ وعوده لى لأنه رجل قيم ومبادئ" . ثم قال الرئيس لوزير خارجيته "ماذا جرى لك ؟ هل تريد أن تعارضنى ليشمت فىّ الاتحاد السوفيتى وحافظ الأسد والقذافى؟" ثم قال الرئيس "السادات" "إننى أعرف ما أفعله ، وسأمضى فيه إلى النهاية" . وقال "محمد ابراهيم كامل" : "إذن فأرجو أن تقبل استقالتى" ورد "السادات" : "كنت أعلم من البداية أنك تلف وتدور لتقول هذا فى النهاية ، وأنا أقبل استقالتك" .

---

(١١) كان الاثنان متهمين فى قضيى اغتيال "أمين عثمان" سنة ١٩٤٥

٢

مصطفى خليل

"كل هذا من أجل الرئيس كارتر ؟ .. الله يلعن .... "

(وزير الخارجية المصرى لرئيس الجمهورية)

عاد "أنور السادات" من "كامب دافيد" وهو يعرف فى قرارة نفسه ، وبحس المغامر وغريزته أنه مقبل على ظروف دقيقة وخطرة . فهو فى "كامب دافيد" وضع كل أرصدته على رجل واحد وهو الرئيس الأمريكى "جيمى كارتر" . وقد تراجع أمامه فى اللحظة الحاسمة وترك له كل شىء على أمل أن ينجح فى الحصول على مدة رئاسة ثانية ، وإذن فسوف يعوضه عما قدم مسبقا وأعطى بغير أن يحاسب .

وليس مؤكدا أن الرئيس "كارتر" وعد الرئيس "السادات" بأنه سوف يعوضه عن تنازلاته المبكرة فى وقت لاحق ، فـ"السادات" أكد ذلك لمعاونيه ، ولكن "كارتر" أنكر أنه كانت هناك صفقة. ولكن الواضح أن "كارتر" أعطى تلميحا حين قال لـ"السادات" : "إن خروجى من كامب دافيد وإعلانى فشل الاجتماع سوف يؤثران على فرصى فى مدة رئاسة ثانية" ـ ومن ناحيته فإن الرئيس "السادات" سحب هذه العبارة بأمانيه وحولها إلى صفقة محددة ، ولم يسمح لأحد أن يناقشه فى التثبت من عباراتها . وفى المشهد الذى جرى فيه قبول استقالة "محمد إبراهيم كامل" ـ فإن وزير الخارجية سأل الرئيس فى حضور الدكتور "بطرس غالى" والمستشار "أسامة الباز" عن "السبب الذى يدعوه إلى القبول بما قبل به ؟" ورد الرئيس "السادات" بطريقة غامضة فيها من الإيحاء أكثر مما فيها من الإفضاء ، بأنه "يهمنى أن ينجح كارتر فى انتخابات الرئاسة الثانية" ـ وفقد وزير الخارجية أعصابه وقال "كل ذلك من أجل كارتر ؟... يلعن ....." (ثم أكمل اللعنة واصلة إلى والدة "كارتر" وواصلة بعدها إلى أبيها !)

وتدخـل "بطرس غالى" و"أسامة البـاز" لتلطيـف الجـو .

□

ولعل هذا الانفجـار مـن وزيـر الخارجيـة باللفـظ (متنـاولا "كـارتر" وعائلـة والدتـه) ، وبالفعـل (بالاستقالة والعودة وحـده إلى مصـر) - جعـل الرئيـس "السـادات" يستشـعر المنـاخ المتغير الذى يمكن أن يواجهـه بعد "كامب دافيـد" .

وكان لدى الرئيس "السـادات" ما هو أكثر من حـس المغامر وغريزته - وهو حافـز البقـاء ودواعى الحرص الكامنة فيه ، ثم إنه كان الأكثر معرفة من غيره بحجـم ما أعطـى وقـدم . والواقع أنه - من وجهة نظره - لم يكن لديـه خيـار :

- فإما أن يقبـل بما قبـل به ويمشـى فى الشـوط إلى نهايتـه .
- وإما أن يعلـن فشـل مبادرته وكل ما أعقبها مـن مباحثـات ومفاوضـات ، ثـم يكـون عليه أن يواجـه موقفا مستحيلا فى مصـر وفى العالم العربـى ، وهو موقـف لن يـترك له فرصـة للحركة أو المناورة لتفادى عواقـب وخيمـة لا شـك فيها .

ولم يكن فى مقدوره أن يتجاهـل الحقائـق :

١ - إن ما اتفـق عليه فى "كامب دافيد" هو مجرد إطـار لحـل ، أو إعـلان مبـادئ. وهذا الإطار أو الإعلان هو الدائرة التى ستجـرى فيها مفاوضات تضـع التفاصيل وتمـلأ الفراغات . وإذا كان وضـع الإطـار والمبادئ قد اقتضـى كل هذا العنـاء ، فكيف يكون الحال عند التحديد والتدقيق ؟ هذا مع ملاحظة أن الإطـار أو إعلان المبادئ صياغات عامة مطاطـة تسهـل فى ثناياها أساليب التغطية وفنون التمويه . وأما التفاصيل فليس فيها مجـال لشـئ من ذلـك .

٢ - إن الإطـار الـذى توصـل إليـه هـو بوضـوح حـل مصـرى - إسرائيلى منفـرد، وليس هنـاك قنـاع يقـدر علـى تغطيـة وجـه الاتفـاق كما هـو . ولقـد كـان الثمـن الـذى قبلـه "بيجـن" لإزالـة مستوطنة "يـاميت" فـى سينـاء هـو قبـول مصـر نهائيـا بحـل منفرد ، وقـد قالهـا "بيجـن" بنفسـه لـ"كـارتر" وهـو يعـده بـأن يوصـى الكنيست بقبـول إزالة مسـتوطنة "يـاميت" : "إن السـادات يـمكن أن يأخـذ لمصـر بمقـدار مـا يعطـى من فلسطـين" .

٣ ـ وفى واقع الأمر ـ وإن لم يدرك الرئيس "السادات" ذلك حق الإدراك ـ فإنه لم يكن يعطى من فلسطين فقط ، وإنما كان ينسحب بمصر من المشرق العربى ويحصر مستقبلها وراء سيناء ، ويترك الجسر البرى التاريخى إلى الشام بغير سبيل إلى اتصال غير كلمات جوفاء عند اللزوم وعند الاقتضاء ، وهى كلمات لا تصنع سياسة فضلا عن أن تكون أساسا لاستراتيجية عليا .

٤ ـ وفيما يتعلق بفلسطين فقد كان الرئيس "السادات" يعرف أنه وعد ووضع توقيعه على بند يقول إنه إذا تقاعس الملك "حسين" عن أداء دوره فى الحكم الذاتى فيما تبقى من فلسطين ـ فإن مصر سوف تكون مستعدة للقيام بهذا الدور .

واتصالا بهذه النقطة الأخيرة فقد لمح الرئيس "السادات" إشارة فهمها على الفور فيما يتعلق بالملك "حسين" . فالملك "حسين" كان فى أوروبا ينتظر نتائج "كامب دافيد" ، وكان الرئيس "السادات" قد أرسل إليه مبعوثا يحمل إليه المشروع المصرى الأول للحل (مشروع وزارة الخارجية المصرية ، أو مشروع المتشددين كما وصفه الرئيس "السادات" وهو يقدمه إلى الرئيس "كارتر" ويوصيه ألا يوليه اهتماما كبيرا ، وأن يركز بدلا منه على مشروعه هو الذى قدمه ، وهو المشروع المعتدل حسب وصفه) .

وعندما قرأ الملك "حسين" المشروع الذى تلقاه فى باريس (مشروع المتشددين) ـ فقد وجده مناسبا ، وأبلغ الرئيس "السادات" بذلك فعلا فى "كامب دافيد" ، ورجاه الرئيس "السادات" أن ينضم إليه هناك . ولكن الملك "حسين" بتجربة طويلة آثر أن ينتظر النتائج، لكنه أظهر استعداده أن يلتقى بالرئيس "السادات" فى الرباط على طريق عودته من الولايات المتحدة . ثم أطلع الملك على نتائج "كامب دافيد" الفعلية فإذا هى أشد ما تكون اختلافا عما أرسل إليه فى باريس . وبعث الملك "حسين" إلى الملك "الحسن" يطلب إليه إلغاء ترتيبات اجتماعه فى الرباط مع الرئيس "السادات" .

ولكن الشاغل الأكبر للرئيس "السادات" لم يكن موقف الأردن ، وإنما كان موقف السعودية . وقد طلب من الرئيس "كارتر" أن يوفد وزير خارجيته "سايروس فانس" إلى الرياض ليقنع السعوديين بالتحفظ فى ردة فعلهم إزاء اتفاقيات "كامب دافيد" .

وحين صعد السفير الأمريكى "هيرمان آيلتس" إلى الطائرة المسافرة بالرئيس "السادات" إلى مصر يودعه بعد انتهاء "كامب دافيد" ، والفراغ من مراسم الاحتفال بها فى البيت الأبيض والكونجرس ـ كان السؤال الوحيد الذى أراد الرئيس "السادات" أن يطمئن إلى إجابة له هو : "هل سافر فانس إلى الرياض ؟" وطمأنه "آيلتس" إلى أن طائرة "فانس" تستعد للإقلاع الآن فى طريقها إلى الرياض ، وإن "فانس" يحمل معه رسالة "حازمة" من الرئيس "كارتر" .

٥ - وأخيرا فإن الرئيس "السادات" كان يقدر أن الأوضاع فى مصر تقتضى حركة سريعة تشغل الناس بفوائد السلام ، وتلفت أنظارهم بعيدا - قدر الإمكان - عن عملية التفاوض من أجل التفاصيل ، ثم تلهيهم بالكامل بعيدا عن القضية الفلسطينية وعن غيرها من القضايا العربية إذا أمكن . وكان أمله فى المعونات الأمريكية خصوصا بعد أن وعده "كارتر" بالمساواة بين مصر وبين إسرائيل فى المساعدات الاقتصادية . وبالفعل بدأ الكونجرس الأمريكى مناقشات من أجل إصدار القوانين اللازمة ، وكان أن البند الخاص بالمساعدات لمصر وإسرائيل ، جرى وضعه تحت عنوان "دعم السلام فى الشرق الأوسط" فى ميزانية المساعدات الأمريكية .

☐

هكذا عاد الرئيس "السادات" إلى القاهرة وفى ذهنه أن الأمر يقتضى وزارة جديدة فى مصر تتحمل بمهمتين :

❑ الأولى : التفاوض من أجل وضع التفاصيل فى الإطار العام لـ"كامب دافيد" ، وهو لا يريد أن يقوم بهذه المهمة بنفسه ، ويكفيه ما توصل له فى المفاوضات مع إسرائيل من لحظة المبادرة بزيارة القدس إلى لحظة التوقيع على كامب دافيد .

❑ والثانية : تنشيط العمل فى الداخل بما يجعل فوائد السلام تصل إلى الناس وتقنعهم بحكمة سياسته ، وبأنهم وحدهم وباستدعاء الوطنية المصرية - يستطيعون صنع حياة جديدة بعيدا عن مشكلات العالم العربى وتعقيداتها .

وفى اليوم التالى لعودته إلى القاهرة استدعى نائبه "حسنى مبارك" وكلفه بتشكيل وزارة جديدة . وبدأ "حسنى مبارك" يجرى اتصالات لتشكيل هذه الوزارة .

كان نائب الرئيس "حسنى مبارك" لا يزال يجرى اتصالاته واتصل فعلا بأحد عشر وزيرا - حين عاد السفير الأمريكى إلى القاهرة "هيرمان آيلتس" وسمع بما حدث، وطلب موعدا عاجلا مع الرئيس"السادات"، وذهب إليه يسأله عن صحة تكليف"النائب" برئاسة الوزارة. وحين تلقى من الرئيس تأكيدا للنبأ، راح يبدى اعتراضه "كصديق" للرئيس وللنائب.

كانت وجهة نظر السفير الأمريكى أن تكليف "حسنى مبارك" برئاسة الوزارة فى هذه الظروف "مجازفة" لا داعى لها . كان رأى "آيلتس" أن "وضع نائب رئيس الجمهورية

لا يجب تعريضه لمشاكل العمل التنفيذى لأنها قد تؤثر على مصداقيته ، وبما أنه الاحتياطى الضرورى للرئيس فإن المحافظة عليه مطلوبة" .

وفى لحظة من لحظات الحوار بين الرئيس والسفير الأمريكى ، قال "آيلتس" إن "تعريض النائب لمسئولية رئاسة الوزارة تعنى حرقه - إلا إذا كان فى نية الرئيس أن يعين نائبا آخر لرئيس الجمهورية . فمن المستحيل فى تقديره أن يحصل الجمع بين المنصبين : رئيس الوزراء ، ونائب رئيس الجمهورية ."

وأظهر الرئيس "السادات" حيرته فى المعضلة التى فاجأه بها السفير الأمريكى ، قائلا "إنه منذ عاد من كامب دافيد وفكره مستقر على تكليف حسنى مبارك برئاسة الوزارة ، وهو لم يفكر فى غيره" . وكان رأى السفير الأمريكى أنه "لا يزال ينصح بالبحث عن مرشح آخر مارس المسئولية التنفيذية من قبل ، ويكون قابلا للتغيير فى أى وقت عندما تقتضى ذلك ظروف سياسية ."

وفى نفس اليوم دعى الدكتور "مصطفى خليل" إلى مقابلة عاجلة مع الرئيس "السادات" فى استراحة القناطر ، وهناك أبلغه أنه قرر - بعد إطالة التفكير - إسناد رئاسة الوزارة إليه ، وعليه أن يجرى مشاوراته وأن يقدم له التشكيل الجديد فى ظرف ثمان وأربعين ساعة .

ودهش الدكتور "مصطفى خليل" .

كان الرئيس "السادات" قبل شهور قد ألمح إليه برغبته فى إسناد رئاسة الوزارة إليه ، ثم تدافعت الحوادث وبدا أن الفكرة توارت . وحين لاحظ الرئيس "السادات" دهشة "مصطفى خليل" بادره قائلا بأنه "لم يعد يستطيع أن يقف وحده" .

ورد "مصطفى خليل" قائلا : "إنك يا سيادة الرئيس لست وحدك ، فكلنا واقفون معك. وسيادتك تذكر أنك عندما أعلنت عزمك على زيارة القدس كنت أنا الذى اتصلت بك راجيا منك أن تأذن لى بمرافقتك ." وقال الرئيس "السادات" إنه "يتذكر ذلك ولكنه الآن يطلب من مصطفى خليل ما هو أكثر" .

وأبدى "مصطفى خليل" ملاحظة أخرى - كانت لا تزال تعبر عن دهشته فقال :

"إنه يعرف أن النائب حسنى مبارك يقوم بتشكيل الوزارة الآن فعلا ..."

وقاطعه الرئيس "السادات" قائلا : "مالكش دعوة" .

واستكمل "مصطفى خليل" كلامه بـ : "إن النائب اتصل ببعض المرشحين للوزارة فعلا".

وقاطعه الرئيس "السادات" مرة أخرى قائلا إنه "يا أخى هذا شغلى أنا" .

□

ولم يكن أمام "مصطفى خليل" غير القبول ، وبدأ يعرض على رئيس الجمهورية بعض طلباته ومؤداها :

١ - إنه يطلب السلطة التى تمكنه من أداء مسئوليته .

٢ - وإنه لا يحتاج إلى تذكير بحدود سلطات رئيس الجمهورية ، وسلطات رئيس الوزراء . فهو يعرف الحدود ويقبلها .

٣ - وإنه يرجو أن يعطيه الرئيس حرية اختيار وزرائه — فيما عدا وزارات السيادة (الدفاع والداخلية والخارجية والإعلام) - وهو سوف يقدم للرئيس بدل الاسم اسمين ليختار الرئيس من يشاء بينهما .

وكان رأى "مصطفى خليل" الذى عرضه على الرئيس أنه "يلح فى اختيار الوزراء لأنه إذا عرف الوزير أن رئيس الجمهورية هو الذى اختاره فإن تعاونه مع رئيس الوزراء يصبح حساسا وصعبا .

٤ - إنه ("مصطفى خليل") يعتبر أن المفاوضات على أساس إطار "كامب دافيد" هى المهمة الرئيسية له ، ولذلك فهو يريد أن يأذن له الرئيس فى الاحتفاظ بوزارة الخارجية إلى جانب رئاسة الوزراء .

ووافق "أنور السادات" وأضاف أنه سوف يعطى لرئيس وزرائه خبرته فى التفاوض مع إسرائيل ، خصوصا مع "بيجن" وهو "رجل معقد كئيب محدود الخيال فى السياسة" .

وقال "مصطفى خليل" :

"إنه يتصور المفاوضات عملية طويلة شاقة متعددة الجولات ، وهو كأسلوب فى العمل يقترح قبل أى جولة أن يجلس لاجتماع طويل مع الرئيس ومع "السيد النائب" لتحليل الموقف ولرسم الحدود الدنيا والقصوى التى يتحرك فيها ، وبذلك فإنه يدخل إلى كل جولة ومعه التفويض اللازم للوصول إلى اتفاق ."

لم يكن "مصطفى خليل" سياسيا مجربا ، ولا كان دبلوماسيا محترفا ، وإنما كان بسجله العملى من الفنيين النجوم الذين شدتهم ثورة ١٩٥٢ إلى آفاق المسئولية السياسية وزيرا للمواصلات، ثم نائبا لرئيس الوزراء فى نفس الاختصاص، مع فترة تولى فيها وزارة الصناعة.

وأقبل "مصطفى خليل" على مهمة التفاوض مع إسرائيل لتحويل إطار "كامب دافيد" إلى معاهدة سلام - بعقلية مهندس . وقد وجد أمامه اثنين من المفاوضين الإسرائيليين : "موشى ديان" وزير الخارجية مفاوضا فى إطار مبادئ الاتفاق بين مصر وإسرائيل ، ثم "يوسف بورج" وزير الداخلية مفاوضا فى إطار مبادئ التسوية الخاصة بالحكم الذاتى الفلسطينى .

وفى بروكسل فى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٨ ، وبعد توليه رئاسة الوزارة بأسابيع قليلة ، التقى "مصطفى خليل" مع "موشى ديان" لأول اجتماع رسمى بينهما .

ثم كان لقاؤه بعد ذلك بـ "يوسف بورج" .

وكان التقدير الأول لـ "مصطفى خليل" أن المفاوضات تحتاج أكثر ما تحتاج إلى عملية إعادة تنظيم وضبط ، فالمجموعة المصرية لا تعمل كفريق ، ثم إن هناك تعقيدات ورواسب كثيرة أصابت المجموعة المصرية بسبب أسلوب العمل الذى كان متبعا . مضافا إلى ذلك أن استقالة وزير الخارجية "محمد إبراهيم كامل" أحدثت حالة من الإحباط فى وزارة الخارجية، وقد بدأ اتهام بعض دبلوماسييها المحترفين بأنهم من المتشددين ، ووصل الأمر إلى حد أن البرقيات والتقارير كانت تحجب عن عدد من الأعضاء فى المجموعة المصرية لعدم الثقة فى توجهاتهم من قبل القيادة السياسية . وكانت قصة لقاء "ديان" مع "حسن التهامى" فى الرباط ما زالت تسحب ذيولها فى أجواء مجموعة التفاوض المصرية ، ففى "كامب دافيد" وحين أبدى الرئيس "السادات" أن "ديان" خدع "حسن التهامى" ووعده بأن كل "المشاكل محلولة" - راح "ديان" يتهم "حسن التهامى" علنا بأنه "كذاب" ، كما راح "حسن التهامى" يتهم "ديان" بأنه هو "الكذاب" .

وهكذا كان على "مصطفى خليل" أن يبدأ بإعادة تشكيل مجموعة التفاوض المصرية ، وبمحاولة استعادة الروح المعنوية لأعضائها .

□

ثم كانت الخطوة الثانية وضع قواعد للتعامل بين المتفاوضين المصريين والإسرائيليين. وطبقا لـ "مصطفى خليل" فإنه فى أول اجتماع لوفدى التفاوض اقترح وضع خطوط يلتزم بها الطرفان ، وكانت على النحو التالى :

١ ـ لا بد من إيجاد علاقات جيدة بين الطرفين ، "فنحن لا نتقابل كأعداء يدير كل منا ظهره للآخر ، وإنما نتقابل كطرفين راغبين فى الوصول إلى اتفاق بينهما" ، وبناء على ذلك فلا بديل عن علاقات ود بين الطرفين تظهر فى جلسات العمل وخارجها ، ومن ذلك مثلا أنه عند تناول الطعام بين جلسات التفاوض لا يجلس المصريون معا والإسرائيليون معا ، وإنما يختلط الفريقان على الموائد بحيث تنشأ علاقات اجتماعية .

٢ ـ أن تجرى المناقشات بطريقة متحضرة مهذبة ، وباللياقة والأدب والاحترام المتبادل، وألا يرفع أحد صوته أثناء الحديث ، أو يوجه إلى غيره كلمة جارحة .

[وقد جرت على سبيل المثال مشادة بين "كمال حسن على" وزير الدفاع المصرى، و"آرييل شارون" وزير الدفاع الإسرائيلى ، أثناء مناقشة خاصة بالأمن، وإذا "شارون" يقوم بحركة معينة بإصبعه . وطلب "مصطفى خليل" وقف الجلسة، وطلب إلى رئيس الفريق الإسرائيلى "بورج" أن يطلب من "شارون" تقديم اعتذاره لـ "كمال حسن على" .]

٣ ـ أن يكون الكلام موضوعيا باستمرار وبدون استشهادات بالنصوص المقدسة لا فى القرآن ولا فى التوراة ، وذلك يمتد أيضا إلى دعاوى الحقوق التاريخية !

[وحدث مرة أن استشهد وزير العدل الإسرائيلى فى كلامه بـ "الحقوق التوراتية"، ورفع "مصطفى خليل" يده وطلب وقفة يذكر فيها الجميع بأنهم يتفاوضون على إعلان مبادئ ، ولا يتفاوضون فى الدين أو فى التاريخ!]

٤ ـ إن مرجعية التفاوض هى إعلان المبادئ المتفق عليه فى "كامب دافيد" ، والمطلوب هو ملء إطار الاتفاق بالتفاصيل التى يجب تحديدها للوصول إلى السلام ، وبالتالى فإن هدف المفاوضين باستمرار هو الوصول بخلافاتهم إلى صيغة مقبولة .

٥ ـ إنه ليس من حق أى طرف فى المفاوضات أن يخرج من الجلسات ليتكلم عما جرى فيها من وجهة نظره ، ثم يجد نفسه على هذا النحو مدفوعا بتوجيه حديثه إلى الرأى العام فى بلاده ، ومن ثم تقع المشاكل . وبدلا من ذلك فإن كل جلسة يجب أن يصدر عنها بيان للصحافة يتفق عليه لا يتجاوزه أحد .

٦ ـ الاحتفاظ بسرية الجلسات بطريقة كاملة ، ولا يسمح لطرف أن يقوم بتسريب أخبار لوسائل الإعلام ، وإنما يعلن ما يتم الاتفاق عليه فى مؤتمر صحفى يحضره رئيسا الوفدين .

وبدأت المفاوضات تنتظم بعض الشىء ، لكن ذلك الأسلوب فى إدارتها كان مستحيلا. فحين يتوقف الاستشهاد بالدين أو بالتاريخ تتعطل عملية التفاوض من أولها إلى آخرها .

ذلك أن "الدين" حاضر فى المناقشة دون أن يستدعيه أحد . فإسرائيل أصلا وأساسا، وجودا وحركة ـ كيان قائم على دعوى دينية . والمفاوض الإسرائيلى نفسه موجود على مائدة التفاوض بشرعية لا سند لها غير ما ورد فى "التوراة" .

ثم إن استبعاد التاريخ يسلب المفاوض العربى حقه فى الاعتماد على القواعد القانونية المترتبة عليه ، وحين يختفى دور القواعد فإن الذى يتبقى بعدها هو "الأمر الواقع" ، وهو يتحول على الفور ليصبح إطارا محيطا بعملية التفاوض يجعل القوة التى صنعت هذا "الأمر الواقع" مرجعية أساسية لكل شىء وموردا ومصدرا .

وعلى أى حال فقد بدأت القضايا الحساسة الكامنة فى النصوص العامة لإعلان المبادئ تظهر ، ثم تجمعت فى سلسلة متصلة الحلقات من القضايا :

ضمانات الأمن ـ أولوية ارتباط مصر بالمعاهدة مع إسرائيل على غيرها من ارتباطات مصر العربية بما فيها مواثيق الجامعة العربية ـ التطبيع ـ تزويد إسرائيل بالبترول المصرى ـ الإعداد للحكم الذاتى الفلسطينى .

وكان الرئيس "كارتر" يريد أن تجرى المباحثات تحت توجيه رئاسى ، وهكذا فقد اختار لنفسه ممثلين شخصيين يتابعون الاتصالات والاجتماعات . ومن المفارقات أن الممثلين الشخصيين للرئيس "كارتر" كانوا جميعا من اليهود ، وبينهم "روبرت شتراوس" و"صول لينوفيتش" وغيرهما ، وكأنه أراد بذلك أن تطمئن "المؤسسة" إلى أن كل شىء ـ بما فى ذلك سلطة الرئيس الأمريكى ـ فى يدها ، وأن لها أن تطمئن بالكامل إلى أن توجهه الرئاسى للمفاوضات عن طريقها !

٣

الخميـــــنى

" إن الرئيس كارتـر يتوجـه بنظـره الآن إلى صديقـه الرئيس الســادات وينتظـر منـه المساعـدة "

("برجينسكى" مستشار الرئيـس "كـارتر" فـى رسـالة حـملها إلى الرئيس "السادات")

يشـير اسـتقراء الحـوادث إلى أن ذلـك التفويـض الـذى منــح لـ"مصطفـى خليـل" لإدارة المحادثات مع إسرائيل ـ لم يقـدر له أن يعيـش طويـلا . والواقــع أن ذلـك التفويـض الـذى طلبـه "مصطفى خليـل" وحصـل عليه من الرئيس "السادات" استمـر بالكاد عـدة أسابيـع .

وربما أنه فى هذه الأسابيع القليلة استطاع "مصطفى خليـل" أن يطـرح بعض التصورات ، كان أهمهـا :

- ❑ مـحاولته لإيجاد صلـة ـ على نحـو ما ـ بين إطـار التسوية بالنسبة لمصـر، وإطــــار الحكـم الذاتـى بالنسبة للفلسطـينيـين .
- ❑ ثم محاولته لإعادة التوازن فى شأن أسبقية ارتباط مصـر بمعاهدة السـلام مع إســرائيل على كل ارتباطاتها الأخرى ، بما فى ذلك ارتباطاتها العربيـة بمقتضى ميثـــــــاق الجامعة العربيـة .

وفى هذين التصورين فقد كان "مصطفى خليـل" حريصا على استبقاء الروابـط بـين مصـــر والعالم العربـى . وعندما اجتمع مع "ديـان" فى بروكسـل ـ يوم ٢٣ ديسـمبر ١٩٧٨ ــ فإنـه عـبر عن ذلك بقولـه ـ طبقا لما سجلـه "سـايروس فانــس" وزيـر الخارجيـة الأمريكـى الـذى شارك فى اجتماع بروكسل : "إن النص على أسبقية معـاهدة الســلام بـين مصــر وإسـرائيل على كافة ارتباطات مصـر الأخرى بما فيها ارتباطاتها العربية ــ ليـس فـى صـالح مصـر ، وأكثر من ذلك فهو ليس فى صالح كـل مـن الولايـات المتحـدة وإسـرائيل ، بمعنـى أن ذلـك

النص سوف يؤكد لكل الدول العربية أن مصر عقدت اتفاق سلام منفردا مع إسرائيل، وأنها تخلت عن كل التزاماتها العربية بسببه . والدول العربية قد تواجه تهديدات من الخارج أو من الداخل ، ومن الأفضل أن تظل هذه الدول على معرفة بأنها سوف تجد المساعدة المصرية حين تطلبها . وفى هذا الصدد أيضا ، فإنه من الأفضل أن ترى الدول العربية بعينها أن مصر تعمل من أجل قضية فلسطين بالإلحاح على وجود رابطة linkage بين إطار الحل المصرى وإطار الحكم الذاتى الفلسطينى ."

ولأن القضايا السياسية الكبرى كانت تنطوى على تعقيدات تمتد إلى أعمق وأوسع ، فإن "مصطفى خليل" - فيما يبدو - أراد أن يكسب الوقت لمزيد من الاستعداد ولتهيئة الأجواء.

- وهكذا فإنه ، وهو يعلم حساسية الإسرائيليين فى موضوع التطبيع ، لم ينتظر المهلة المحددة فى إطار "كامب دافيد" (وهى ضرورة البدء فى العملية فى ظرف ستة شهور من توقيع الاتفاقية) ، وبدلا من ذلك فإنه بعد شهرين فقط من توقيع "كامب دافيد" دعا الطرف الإسرائيلى إلى البدء على الفور فى مناقشة اتفاقيات التطبيع ، وتوالت هذه الاتفاقيات حتى بلغ عددها اثنتين وعشرين اتفاقية .

- فى نفس الوقت قام "مصطفى خليل" مع فريق من معاونيه بإعداد مجموعة من الدراسات التفصيلية عن موضوعات فنية كثيرة ، بينها موضوع الأراضى والمياه والهجرة والاستيطان فى إسرائيل . كما كانت بينها موضوعات قانونية حاول فيها تدارك ما تعنيه اتفاقيات "كامب دافيد" من الفصل بين الأرض والسكان فى مناطق الحكم الذاتى الفلسطينى . فقد كانت النصوص التى جرت الموافقة عليها فى "كامب دافيد" لا تربط بين الفلسطينيين وأرضهم ، وإنما على العكس تتعرض لأمور السكان وتباعد بكل وسيلة بينهم وبين أرض يعترف لهم بها . وكان التصور الذى خرج به "مصطفى خليل" مع مستشاريه القانونيين هو أفضلية أن تجرى انتخابات مجلس السلطة المحلية على أساس دوائر انتخابية محددة ومعينة ، ولا تكون الانتخابات بقائمة فى المطلق معلقة فى الهواء . ثم كان اقتراحه بعد ذلك أن يكون مجلس السلطة المحلية المنتخب عن دوائر جغرافية محددة على الأرض هو منشأ التشريع .

- ثم أخذ "مصطفى خليل" بعد ذلك يقترب بعلاقات صداقة مع بعض القيادات الإسرائيلية ، وفى مقدمتهم "عزرا وايزمان" و"شيمون بيريز" ، عن ظن بأن الصداقات الشخصية تستطيع تليين مآزق تنتظر على الطريق .

كانت تلك كلها اجتهادات ومحاولات تتصل بالأساليب والإجراءات أكثر مما تتصل بالسياسات والاستراتيجيات ، وربما كان ممكنا لها أن تتطور فيما بعد إلى أكثر ، لكن

الظروف لم تعطها فسحة الوقت اللازمة للتجربة ، ذلك أنه بعد أسابيع قليلة كان التفويض الممنوح لـ "مصطفى خليل" قد جرى سحبه عمليا وواقعيا بصرف النظر عما إذا كان حامله قد تنبه إلى ذلك أو لم يتنبه .

لقد كانت هناك تفسيرات واعتبارات حقيقية وراء سحب التفويض :

أولها ـ إن منطق التفويض نفسه كان بعيدا عن طبيعة الرئيس "السادات" ، ويمكن تصور أوضاع يترك فيها الرئيس "السادات" حبالا على الغارب لآخرين ، ولكن "الحبل على الغارب" ليس هو منطق التفويض .

والثانى ـ إن الرئيس "السادات" عندما أعطى هذا التفويض لـ"مصطفى خليل" كان فى فترة نقاهة بعد حمى "كامب دافيد" ، وقد خرج منها وهو يشعر بـ"تكسير فى العظام"، والغريب أنه استعمل هذا التعبير بالقصد المادى له ، وإن كان "تكسير العظام" المعنوى ـ بالإحساس ـ أشد وطأة وأدعى إلى الإحساس بالإرهاق واستنفاد الطاقة .

وثالثها ـ إن التفويض جاء فى ظرف أحس فيه الرئيس "السادات" بأن فريق التفاوض فى حالة من الفوضى والإحباط نزلت بمعنوياته إلى الحضيض ، وقد لحقت بذلك عمليات تبادل للاتهامات والتشكيك فجرتها استقالة وزير الخارجية ، رغم كل محاولات التغطية الإعلامية على حقائق اتفاقية "كامب دافيد" .

ورابعها ـ إن موضوعى العلاقات مع الولايات المتحدة ، والعلاقات مع إسرائيل وكلاهما وجهان لعملة واحدة ـ كانا بالنسبة للرئيس "السادات عملة ذهبية لا يستطيع أن يتركها لغيره . فمغامرة القدس أساسا مبادرته، والعلاقات مع الولايات المتحدة رهانه، والسلام هو المعيار الذى سوف يحاسب به سياسيا وتاريخيا. ولم يكن معقولا أن يترك الرئيس"السادات"هذا كله لرئيس وزرائه مهما كان أو يكون!

□

إلى جانب هذه التفسيرات والاعتبارات وراء سحب التفويض لـ"مصطفى خليل" ـ كان هناك سبب آخر بالغ الأهمية وحاسم ، وهو نجاح الثورة الإسلامية فى إيران بعد أسابيع قليلة من تفويض الرئيس "السادات" لرئيس وزرائه بمسئولية تحويل إطار "كامب دافيد" إلى اتفاقية سلام .

إن الثـــورة الإيرانيـــة غـيرت وجــه منطقة الشرق الأوسـط فكـرا وحـركة ـ مناخا وسياســة .

ثم إن خروج الشاه "محمد رضا بهلوى" مطـرودا مـن إيـران ، أفقـد الولايـات المتحـدة رجـلا من أهـم رجالهـا فى المنطقـة .

وخروج إيـران من إطـار الترتيبات الاستراتيجية الغربيـــة فـى الشـرق الأوسـط ، خلـق خلـلا فى التوازن العـام ، وأتـى إلى الخليج بعنصر مجهول ، مؤثـر بشـدة ، ولكـن قواعـد حسابه ليست معروفـة فضلا عن أن تكون ثابتـة .

وإذا أضيـف إلى ذلك أن إيـران وموقعها ، والشـاه وجيشـه ، كانوا فـى معادلـة الغــرب قوامين على دور رجـل البوليس قرب أهـم منابع البترول فى العالـم ـ إذن فقـد كـان هنـاك تغيـير هـائل فـى الـحقائق الإقليميـة خلـط الأوراق كلهـا ، وأوجـد حالـة جديـدة تمامـا ، وخطـرة بالتأكيد .

وفى ديسمبر ١٩٧٨ وأثناء إجازة الأعياد التى قضاها الرئيس "كارتر" فى منتجع "كـامب دافيـد" ـ توجه إلى مقابلته وزير خارجيته "سايروس فانس" . وكان الهـدف من اجتماعهمـا ـ على حـد تعبير "فانـس" نفسـه ـ هـو مناقشـة جـدول أعمـال السياسـة الخارجيـة للسنة الجديدة ١٩٧٩ والاتفاق على خطوطها الرئيسية . ولاحظ "فانس" أن "كارتر" مهمـوم بالشـرق الأوسط ، وأنه يعتقد أن مستقبل رئاسته الثانيـة (فـى انتخابـات سنـة ١٩٨٠) مرهـون بمـا سوف يحدث فـى هـذه المنطقـة الفـوارة بـالتطورات ، وأولهـا مـا كـان باديـا مـن أن الثـورة الإسلامية فى إيـران نجحـت ، وإن محاولة ترتيب انقـلاب عسكرى ضدهـا فى آخـر لحظـة قد فشلـت ، وإن الشـاه الذى ضيـع أعصابه أوشـك على تضييع عرشـه أيضـا ـ وهـو علـى وشـك أن يغادر طهـران .

ولاحظ "فانـس" أيضا أن "كارتر" يعلـق آمالــه فـى الشـرق الأوسـط علـى وصـول مصـر وإسرائيل إلى اتفاق نهـائى يتحـول بـه إطـار "كـامب دافيـد" إلى معـاهدة سـلام كاملـة بـين البلدين، وإن ذلك فى رأيـه هـو السـبيل الوحيـد لتثبيـت المنطقـة فـى مواجهـة الهـزة التـى أحدثتها الثورة الإيرانية . وينقل "فانس" عـن "كـارتر" قولـه : "علينـا أن نواصـل الحركـة هناك بقـوة وألا نسمح بتأجيل الاتفاق مهما كان التوصل إليه صعبا لأن ذلك قـد يكلفنـا أيضـا ثمنا غاليا فى السياسـة المحليـة" .

وعرف "فانـس" ، ولم تكن تلك مفاجأة له ، أن "كارتـر" يفكر فـى فرصـه الانتخابيـة فى ذات الوقت الذى يفكر فيه فى المصالح الاستراتيجية للولايات المتحـدة . وطلـب "كـارتر"

من "فانس" أن يحدد له مواقع الخلاف التى تعوق الاتفاق النهائى بين مصر وإسرائيل . وعددها "فانس" على النحو التالى :

١ ـ محاولة المفاوض المصرى الجديد ("مصطفى خليل") لإيجاد رابطة linkage بين التسوية بين مصر وإسرائيل وبين الحكم الذاتى للفلسطينيين ، مضيفا أن المفاوض المصرى على سبيل المثال يريد أن يربط تبادل السفراء بين مصر وإسرائيل ببدء تنفيذ الحكم الذاتى .

٢ ـ تشدد موقف "بيجن" أكثر من العادة ، ورغبته فى إفراغ الحكم الذاتى للفلسطينيين من أى مضمون له معنى مستغلا فى ذلك خروج مصر من معادلة القوة فى العالم العربى بتوقيعها لاتفاق منفرد مع إسرائيل .

٣ ـ إن هناك مسائل معلقة لم يتم الاتفاق عليها ، وبينها الإسراع فى التطبيع وإمداد إسرائيل بالبترول المصرى .

□

وفى هذا الاجتماع اتخذ "كارتر" ثلاثة قرارات تمثل ثلاثة اتجاهات متوازية للتحرك فى المنطقة :

أولا ـ اتفق مع وزير الخارجية على ضرورة تسريع المفاوضات المصرية ـ الإسرائيلية ، وذلك بدعوة "مصطفى خليل" و"ديان" إلى واشنطن لجولة مكثفة من التفاوض تحت إشرافه (إشراف الرئيس "كارتر") مباشرة .

ثانيا ـ قرر أن يبعث بوزير الدفاع الأمريكى "هارولد براون" إلى الشرق الأوسط لإعادة تقييم الموقف العسكرى بعد سقوط إيران فى أحضان الثورة الإسلامية وقيادة "آية الله الخمينى" .

وثالثا ـ قرر إيفاد مستشاره للأمن القومى "زبجنيو برجينسكى" إلى لقاء ذى طبيعة خاصة مع الرئيس "السادات" للاتفاق معه على تكثيف الدور المصرى فى المنطقة لتعويض غياب إيران ، بما فى ذلك بحث خطط مشتركة بين مصر والولايات المتحدة للعمل السرى، سواء ضد الثورة الإسلامية فى إيران أو ضد تأثيراتها فى النطاق المحيط بها والذى بدأ يتفاعل مع نداءاتها .

وقبل أن يجيء "برجينسكى" إلى لقائه مع الرئيس "السادات" ، كتب مذكرة إلى الرئيس الأمريكى ضمنها ما يمكن أن يكون استراتيجية إدارة "كارتر" فى المرحلة المقبلة آخذا فى اعتباره ضرورات السياسة الأمريكية فى المنطقة ، وفى نفس الوقت المصالح الشخصية للرئيس "كارتر" فى انتخابات الرئاسة الأمريكية . وكان تقرير "برجينسكى" يطرح صياغة لما سمى فيما بعد بـ"مبدأ كارتر" ، ويتضمن عدة أسس :

أولا ـ إعلان عزم الولايات المتحدة على التدخل لحماية موارد البترول فى الخليج بالقوة العسكرية إذا ظهر تهديد محتمل أو محقق .

ثانيا ـ الانتهاء بأسرع ما يمكن من تثبيت اتفاقية "كامب دافيد" وتحويلها إلى معاهدة سلام حتى وإن كان السلام منفردا بين مصر وإسرائيل وحدهما ، وبدون تداخل القضية الفلسطينية ، إذا تعذر ايجاد وسيلة للتوفيق بين القضيتين .

ثالثا ـ المحافظة على علاقة الرئيس "كارتر" بالقوى اليهودية والصهيونية فى الولايات المتحدة أثناء الحركة من أجل اتفاق سلام كامل بين مصر وإسرائيل . ويكون ذلك عن طريق إقناع "بيجن" بقدر من الاعتدال فى مطالبه ، وإبقاء جماعات الضغط اليهودى والصهيونى على علم دائم بالتفاصيل ، بل واشتراكها فعليا فى عملية التفاوض.

وعندما اطلع الرئيس "كارتر" على مذكرة "برجينسكى" ، كان تعليقه بعد الموافقة على خطوطها هو قوله : "لم يعد لدينا وقت طويل لنضيعه ، ولا بد أن نتحرك بأقصى سرعة" .

وطار "برجينسكى" إلى القاهرة للقاء مع الرئيس "السادات" فى الأسبوع الأول من شهر يناير ١٩٧٩ ، وكان يرافقه مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الأميرال "ستانفيلد" ، وفى صحبتهما عدد من خبراء مجلس الأمن القومى الأمريكى .

□

كان الرئيس "السادات" فى حالة استعداد كامل للقاء "برجينسكى" . ولم ينتظره حتى يعرض ما لديه وإنما بادره مشيرا إلى ما يحدث فى إيران وقائلا له إن ذلك ما كان يحذر منه باستمرار ، وإن تردد الولايات المتحدة فى سياستها وبطأها فى التصرف مهما كانت دواعيه ، سواء كان السبب من الكونجرس أو من مراعاة الرأى العام ـ كل هذه العوامل هى التى سمحت للأمور فى الشرق الأوسط أن تصل إلى ما وصلت إليه . وكان تقديره أن

الولايات المتحدة لم تبادر إلى إنقاذ الشاه فى الوقت المناسب بسبب عقدة فيتنام ، وإنه قد آن الأوان للتخلص منها والتصرف بحزم وقوة وخيال على نحو ما فعله هو بمبادرته إلى زيارة القدس .

وطبقا لرواية "برجينسكى"، فإن مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى رد فأثنى على حكمة الرئيس "السادات" وبُعد نظره ، وأضاف "إنه من سوء الحظ أن طبيعة المؤسسات فى الولايات المتحدة لا تسمح للرئيس الأمريكى أن يتصرف منفردا عن الكونجرس، أو يتخذ قرارا مفاجئا بدون تهيئة الرأى العام لقبوله ، وإن ذلك يجعل السياسة الأمريكية تضيع وقتا ثمينا وتفرط فى فرص نادرة ، ولكن تلك طبائع النظام الأمريكى وليس فى مقدور أحد تغييرها ."

ثم وصل "برجينسكى" إلى بيت القصيد فقال "ولكن أصدقاءنا يستطيعون مساعدتنا بتعويض أسباب القصور لدينا" .

ثم استطرد "إن الرئيس كارتر يتوجه بنظره الآن إلى صديقه الرئيس السادات وينتظر منه المساعدة فى المرحلة القادمة" .

ويقول "برجينسكى" إنه "عند هذه النقطة من الحديث طلب الرئيس السادات غليونه وملأه بالتبغ وراح يحاول إشعاله ، ويقول لى "إنه على استعداد" ، ثم استدرك يقول "ولكننا هذه المرة يجب أن نكون على اتفاق كامل ، فإذا بدأنا بسياسة لا بد لنا من تكملتها إلى نهايتها دون توقف قبل نهاية المشوار" ."

وقام "برجينسكى" بعرض ما لديه على الرئيس "السادات"، وكان ضمنه خطط للعمل ضد الثورة الإيرانية بما يمنعها من تثبيت حكمها فى طهران . كما كانت لديه خطط لإجراءات أمنية تتخذ فى عدد من دول الخليج ، كما نقل رغبة الرئيس "كارتر" فى تسريع المفاوضات المصرية ـ الإسرائيلية والعدول عن ربطها فى التوقيت على الأقل بمشكلة الحكم الذاتى للفلسطينيين ، وبمشكلة أسبقية معاهدة السلام مع إسرائيل على غيرها من التزامات مصر الإقليمية والدولية، لأن هذه المسائل تتعرض لقضايا شائكة يصعب على "بيجن" أن يتقبلها بالسرعة الكافية ، ويصعب على الإدارة الأمريكية فى نفس الوقت أن تفرضها عليه.

وكان من الواضح أن الرئيس "السادات" قد وجد نفسه أمام عرض ، فسره لنفسه بـ"أن الولايات المتحدة تعرض عليه فى حقيقة الأمر دورا يعوض دور الشاه ، يقوم فيه هو بدور رجل البوليس المعتمد أمريكيا فى المنطقة" .

وعـاد "برجينسكى" إلى واشنطـن وفى تقريـره الذى قدمـه للرئيس "كارتـر" :

١ ـ إن الرئيس "السادات" مستعد للتعاون مع الولايــات المتحـدة فـى مواجهـة الأوضـاع الطارئة فى المنطقة .

٢ ـ إن ما يهمه (الرئيس السـادات) بالدرجـة الأولى هـو التوصـل إلى معـاهدة مصريـة ــ إســرائيلية وإنه لا يأبه كثــيرا بما يحــدث على الجبهة الفلسطينية doesn't give a damn، وإن كان يفضـل أن تجرى محاولة أخيرة على الجبهة الفلسـطينية تتمثل فى أحـد احتمالين :

- إما اتصال أمريكى بمنظمة التحرير يطمئنهــا إلى أن مصــر لا تـزال تقوم بمسـاعدة قضيتها .
- أو إعطاء قطاع غـزة لمصـر تقيم فيه حكما ذاتيا فلسطينيا مـن السـكان المحليـين ، وتكون تلك ورقة فى يدها أمام منظمة التحريــر ، كمـا تكـون مـن ناحيـة أخـرى إشارة إلى الملـك "حســين" بأن مصر مستعـدة للقيــام بـدوره فـى اطــار الحكـم الذاتـى للفلسطينيين ما دام هو غير جاهـز للتقدم إلى هذه المسـئولية. ثـم إن ذلـك يـمنع الملـك من المزايدة على مصـر فلسطينيا أمام الـرأى العام العربـى .

٣ ـ إن الرئيس "السادات" وافق مبدئيا على فكـرة اجتماع بين رئيــس وزرائـه "مصطفـى خليـل" ووزير خارجية إسرائيل "موشى ديان" فى واشنطـن وتحت رعايـة الرئيس "كارتـر" مباشرة كما أنه من جانبه سوف يقـوم قبل ذلك بجــس النبــض للمحاولـة الأخيرة مع الفلسطينيـين .

□

وفى نفس الوقت ، كان وزير الدفاع الأمريكى "هارولد براون" قد جـاء إلى الشرق الأوسط وعـاد منه ليقدم تقريره إلى الرئيس "كارتـر" ، ومؤداه أن كلا من الرئيـس "السـادات" ورئيـس الوزراء "بيجـن" يشعــر بالقلــق مـن التطـورات الجاريـة فـى إيـران ، وكلاهمـا علـى كـامل الاستعداد للتعاون على تأمين المنطقة ضـد الأخطار الجديدة الوافـدة . ثم إنه ينصح بتكثيـف الوجود العسكرى الأمريكى فى المنطقة ، ويـرى أن كل من قابلهم من زعمائهـا علـى اسـتعداد لتقبـل ذلك . بل إن بعضهم يستعجلون تكثيـف الوجـود الأمريكـى .

و كان رأى "براون" أن كلا من "السادات" و"بيجن" على استعداد للتقدم نحو معاهدة سلام كامل بين بلديهما دون انتظار لحل التفاصيل المعقدة للحكم الذاتى للفلسطينيين . وعقب الرئيس "كارتر" على كل ما سمع بقوله "إنه منذ كامب دافيد أحس بأن السادات ليس مهتما بالفعل بقضية الضفة الغربية He did not give a damn about the West Bank ، وإنه لو حصل بشكل ما على قطاع غزة فسوف يكون ذلك كافيا بالنسبة له .

وحين أثار الجنرال "دافيد جونز" رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة (وكان يرافق وزير الدفاع فى زيارته للمنطقة) - أهمية "توضيح" طبيعة الالتزامات العسكرية الأمريكية فى المنطقة ، مشيرا بالذات إلى السعودية ، عقب الرئيس "كارتر" بقوله "إن على السعوديين أن يتعاونوا مع الولايات المتحدة ومع مصر" .

ويوم ٦ فبراير قام الرئيس "كارتر" بتوجيه خطابين إلى كل من الرئيس "السادات" ورئيس الوزراء "بيجن" يدعوهما إلى إرسال "مصطفى خليل" و"موشى ديان" إلى محادثات تبدأ فى "كامب دافيد" يوم ٢١ فبراير ١٩٧٩ . وكان "برجينسكى" يبدى تحفظا على هذا الاجتماع الذى تحمس له وزير الخارجية "فانس" . وكتب "برجينسكى" للرئيس "كارتر" مذكرة بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٧٩ قال فيها إنه لا يعتقد بإمكانية نجاح مفاوضات "مصطفى خليل - ديان" ، وإنه من الأفضل أن يتولى الرئيس "كارتر" الأمر بنفسه مع "السادات" و"بيجن" . لكن الرئيس "كارتر" فى ذلك الوقت وجد من الأفضل أن يعطى الفرصة لوزير خارجيته ، ولا يعرض نفسه مباشرة لاحتمال صدام بين "السادات" و"بيجن" وقد لمس بنفسه حساسية كل منهما الزائدة تجاه الآخر .

□

قبل أن يتم اجتماع "مصطفى خليل - موشى ديان" ، قامت القاهرة فعلا بمحاولة لجس نبض الفلسطينيين فيما يتعلق بنقطتين :

النقطة الأولى - إمكان إجراء اتصال سرى مع ممثل للولايات المتحدة لعرض وجهة نظرهم عليه تمهيدا لمراحل أخرى فى العلاقات .

والنقطة الثانية - رأيهم فى أن تكون غزة هى البداية التى تتركز فيها محاولة إقامة سلطة وطنية فلسطينية .

وقام الدكتور "مصطفى خليل" باستدعاء "سعيد كمال" مندوب المنظمة فى القاهرة وقتها ، رغم أن وضعه كان ملتبسا إلى درجة كبيرة .

كان المفروض أنه الممثل الرسمى للمنظمة في القاهرة . ثم حدث بعد زيارة القدس واتفاق "كامب دافيد" أن ظهرت اعتراضات فى أوساط المنظمة على وجوده فى القاهرة . لكن الزعيم الفلسطينى "ياسر عرفات" كان يريده أن يبقى فى القاهرة رغم معارضة آخرين فى القيادة الفلسطينية لذلك . وكان أن اتفق "عرفات" معه على مناورة تسحبه "رسميا" من القاهرة وتستبقيه "عمليا" فيها . كان ملخص المناورة إبلاغه بأن يعود إلى مقر قيادة المنظمة للتشاور ، مع تعليمات سرية من "عرفات" إليه تسمح له بأن يعصى الأمر . وإزاء ذلك فإن "عرفات" سوف يعلن تجميد عضويته فى المجلس الوطنى الفلسطينى بسبب تخلفه عن الذهاب إلى مقر قيادة المنظمة . وهكذا فإن "سعيد كمال" بقى ممثلا فعليا لـ"عرفات" وإن نزعت عنه صفة تمثيل المنظمة . كان ذلك بالفعل وضعا غريبا ، لكن التعامل مع "سعيد كمال" ـ فى ظل هذا الوضع الغريب ـ استقر واستمر الاتصال عن طريقه .

وهكذا فإن"مصطفى خليل"حين استدعاه كان يعرف أن رسالته واصلة إلى"ياسر عرفات" شخصيا . وقام "سعيد كمال" فعلا بتوصيل رسالة الدكتور"مصطفى خليل" إلى السيد"ياسر عرفات"، وتلقى "سعيد كمال" ردا ملتبسا هو الآخر ، فقد كان الرد يقول له ما نصه :

> " ليست هناك ممانعة فى الاتصال على أن يبقى سرا لأن السوفيت والسوريين لن يقبلوا . ولعلمك ، فإن السوريين يشكون فيك . وقد لفتوا نظرنا أكثر من مرة إلى أن بقاءك فى مصر عملية "ضحك عليهم" . وإذا كان الأخوة المصريون يقومون بحمايتك فتقدم ، وإذا لم يحمك المصريون فنحن لن نتقدم لحمايتك ."

وكان الدكتور "مصطفى خليل" متنبها إلى مثل هذه الأوضاع الملتبسة ، وطلب من "سعيد كمال" أن يقول له بوضوح هل هو مفوض من قيادته أو غير مفوض ؟ وأبلغه "سعيد كمال" بأنه "مفوض بشرط أن يبقى الاتصال سرا" .

وفجأة تسرب فى نيويورك خبر عن اتصالات تجريها المنظمة مع الأمريكان عن طريق قناة اتصال مصرية . وقام السيد "عبد الحليم خدام" وزير الخارجية السورى باستدعاء السيد "عبد المحسن أبو ميزر" عضو القيادة الفلسطينية واتهمه غاضبا بأن المنظمة "تلعب من وراء ظهرنا" . واضطر "ياسر عرفات" إلى إصدار نفى من مقر قيادته مؤكدا مرة أخرى أن "سعيد كمال" مجمد . والغريب أنه تبين أن الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة هو الذى سرب هذا النبأ لكى تنشأ ظروف تؤدى إلى وقف أى اتصال بالفلسطينيين .

وتعطلت المحاولة من البداية ،وسافر الدكتور"مصطفى خليل"إلى نيويورك وليس معه غير أوراق مصرية .

٤

أهرامـــات الجـــيزة

" الحـق واسمـع ما قالـه لـى ديـان .... "

("بطرس غالى"لـ"مصطفى خليل"بعد عودته من إسرائيل)

بـدأ الدكتـور "مصطفـى خليــل" اجتماعاتـه فـى "كـامب دافيـد" (الثانيـة) مـع وزيـر الخارجية الإسرائيلى "موشى ديان" يوم ٢١ فبراير ١٩٧٩ . وقد اسـتقبلهما الرئيـس "كارتـر" بنفسه فى اليوم السابق وأبلغهما "أنه يتمنى لو استطاع تكرار تجربة "كامب دافيد" السابقة ، ويبقيهما داخل المنتجع الرئاسـى حتى يتوصـلا إلى اتفـاق لأن أوضـاع الشـرق الأوسـط الآن لا تحتمل أى فشـل" . وفى رأيـه أن الفشـل "سوف يكون دافعا إلى الوراء مما يضيف إلى فوضـى الثـورة الإسلامية فى إيـران فوضى أخرى مشابهة ناشئـة عن فشـل كـل المحـاولات السـلمية ابتداء من مبادرة الرئيس السادات بزيارة القدس ـــ إلى الاتفـاق بـين السـادات وبيجـن فـى كامب دافيـد ." وقال لهما أيضا إن وزيـر خارجيته "سايروس فانـس" "سـوف يكـون معهمـا ممثـلا فوق العـادة لـه" .

وكانت النقطة المعقدة الأولى على جـدول الأعمال هى المـادة السادسة من اتفاقيـة "كـامب دافيد" ، وهى المادة الخاصة بأولوية معاهـدة السـلام بين مصـر وإسرائيل على أى ارتباط آخر من ارتباطات مصـر الدوليـة والعربيـة أيضا . وفى الجلسة الأولى وقـع تبادل عـام للآراء حـول هذه النقطة وحول غيرها ، وبالذات حول أى بادرة حسـن نيـــة يمكـن لإسـرائيل أن تعطيهـا للفلسطينيـين . وبشكل ما ، فإن الدكتور "مصطفى خليــل" أحــس أن "ديــان" ليـس مخـوّلا بسلطات كافية تمكنه من التوصل إلى اتفـاق . وترسـخ هذا الإحسـاس لديـه عندمـا عـرف أن "إليـاهو بـن إليسـار" مدير مكتـب "بيجـن" وصـل إلى "كـامب دافيـد" وانضـم إلى الوفـد الإسرائيلى . وكانت تلك إشـارة فهمهـا "مصطفـى خليـل" علـى أن التفويـض الـذى يحملـه "ديـان" تفويـض محدود ، وكان ذلك نفس تقدير "سايروس فانـس" .

وفى حين أن "ديان" حاول أن يتظاهر أمام "مصطفى خليل" بأنه يملك سلطة كافية للتفاوض ، فإنه مع "سايروس فانس" كان أكثر صراحة ، إذ أبلغه أن موقفه حرج ، لأن "بيجن" مصمم على أن تعرض كل نقطة من نقاط التفاوض عليه فى القدس قبل البت فيها . وحينما أبلغ الرئيس "كارتر" بهذه الأجواء ــ كان تعليقه أن "برجينسكى" مستشاره للأمن القومى كان على حق حين تشاءم من إمكانية توصل محادثات "مصطفى خليل ـ ديان" إلى نتيجة يمكن أن يبنى عليها بما يؤدى إلى معاهدة سلام .

ويظهر أن"ديان"وصل إلى وضع لم يعد قادرا فيه على إخفاء حقيقة الضغوط التى يتفاوض تحتها . وهكذا قرر أن يذهب بنفسه إلى الدكتور "مصطفى خليل" ويقول له : "I feel incompetent to continue the negotiations with you" (أى أننى لا أعتقد أن لدىّ صلاحية أن أواصل المفاوضات معك) . وسأله "مصطفى خليل" عما يعنيه بهذه الملاحظة ؟ ورد "ديان" بقوله إنه يظن أنه "أصبح من الأفضل الآن أن يجىء بيجن بنفسه ويتفاوض معك كرئيس وزارة مع رئيس وزارة" . وأضاف "ديان" أن "بيجن فى زيارة للولايات المتحدة الآن فعلا يشارك فى مؤتمر للمنظمات الصهيونية ، وسوف يتصل به لإبلاغه بوجهة النظر التى توصل إليها" . ورد "مصطفى خليل" بقوله : "موشى .. لا تقل لى هذا الكلام الآن ، فأنا لا دخل لى فى تكوين الوفد الإسرائيلى لأن ذلك من شأنكم". وعاد "ديان" يؤكد "أنه أصبح الآن مقتنعا بأن مجىء بيجن ورئاسته للوفد الإسرائيلى ضرورة إذا كان لا بد للمفاوضات أن تنجح" .

كانت وسائل الإعلام الأمريكية مزدحمة بنشاط "بيجن" وتصريحاته ، وكان بينها تصريح ملفت للنظر قال فيه "بيجن" إن "اليهود هم الذين بنوا أهرامات الجيزة ، وإن هذه الأهرامات عبقرية إسرائيلية وليس من الحق نسبتها إلى المصريين أو إلى غيرهم" . وفى خطاب أمام المؤتمر الصهيونى فى نيويورك تلك الليلة ، فوجئ "مصطفى خليل" وهو فى "كامب دافيد" قرب واشنطن بوكالات الأنباء تحمل تصريحا جديدا لـ "بيجن" قال فيه إنه "ليس مستعدا للتفاوض مع مصطفى خليل" . ثم أضاف "بيجن" : "إننى رئيس وزراء منتخب من الشعب الإسرائيلى ، وأما هو ـ (يقصد "مصطفى خليل") فرئيس وزراء معين من قبل الرئيس السادات ، فإذا كان علىّ أن أتفاوض مع نظير لى فلا بد أن يجىء السادات شخصيا ليتفاوض معى" .

وقام الدكتور "مصطفى خليل" بدعوة كل من "فانس" و"ديان" للاجتماع به على عجل . وكان كل من وزير الخارجية الأمريكى ووزير الخارجية الإسرائيلى قد اطلع على تصريحات "بيجن" ، وكان باديا للدكتور "مصطفى خليل" أن "فانس" متضايق كما أن "ديان" كان محرجا . وفتح "مصطفى خليل" الموضوع قائلا إنه مندهش من تصريحات "بيجن" ، فهو أولا (أى "مصطفى خليل") ليس صاحب اقتراح دخول

رئيس الوزراء الإسرائيلى فى المفاوضات . وثانيا ، فإن كلام "بيجن" عن رئيس الوزراء المعين تدخل فى الشئون الداخلية لمصر . ثم التفت "مصطفى خليل" إلى "ديان" وطلب إليه أن ينقل إلى "بيجن" على لسانه شخصيا "أنه رئيس وزراء دولة أهم عشر مرات من إسرائيل ويرجع تاريخها إلى سبعة آلاف سنة" . ثم أضاف موجها كلامه أيضا إلى "ديان" : "أرجوك أن تبلغه أيضا أننى أنا الذى أرفض التفاوض معه الآن . وأرجوك أن تبلغه كذلك أننى لست صاحب اقتراح التفاوض بينى وبينه ."

وفشلت اجتماعات "كامب دافيد" الثانية كما توقع "برجينسكى" .

□

ويوم انتهاء اجتماعات "كامب دافيد" الثانية كتب "برجينسكى" إلى الرئيس "كارتر" مذكرة قال فيها ما نصه :(١٢)

"إن الأوضاع فى إيران لا تسمح لك بالوقوف موقف المتفرج بعد فشل محادثات"خليل ـ ديان" ، وإذا تركنا اتفاقية كامب دافيد (الأولى) تسقط ، فهذا معناه تحويل النصر إلى كارثة . وسوف تكون نتائج ذلك مأساوية على مجمل الأوضاع فى الشرق الأوسط ككل . إن الأوضاع تفرض عليك أن تتحرك بسرعة لأن بيجن يتصرف بهذه الطريقة المتشددة عارفا أنه يستطيع تحمل نتائج فشل المحادثات ، فى حين أنك لا تستطيع بسبب ظروفك الانتخابية . ويساورنى فى بعض الأحيان اعتقاد بأن بيجن لا يريدك أن تنجح فى انتخابات الرئاسة القادمة . ولذلك فعلينا رفع مستوى المفاوضات إلى بيجن ـ السادات وأن تشارك شخصيا فى العملية بنفس القوة التى شاركت فيها فى الوصول إلى اتفاق كامب دافيد المبدئى."

ومن الواضح أن الرئيس الأمريكى قبل بنصيحة مستشاره للأمن القومى . وكبداية لمحاولة جديدة يقوم بها شخصيا ، فقد وجه دعوة إلى "بيجن" الذى كان ما زال فى الولايات المتحدة ـ إلى لقائه فى البيت الأبيض . وفى هذا اللقاء ، وطبقا لرواية "ويليام كوانت" الذى سجل محضر الجلسة (١٣) بين الاثنين بوصفه مسئولا عن الشرق الأوسط،

---

(١٢) مذكرات "برجينسكى" بعنوان "القوة والمبدأ" ـ صفحة ٢٧٩ .

(١٣) دراسة "ويليام كوانت" عن "كامب دافيد" التى صدرت سنة ١٩٨٦ عن معهد "بروكنجز" ـ صفحة ٢٩٨ .

فإن "بيجن" فى لقائه مع "كارتر" يوم ٢ مارس ١٩٧٩ بدأ حديثه بافتتاحية قال فيها "إن الولايات المتحدة يجب أن تساعد إسرائيل باعتبارها حليفها الوحيد فى المنطقة ، فهى التى تقف سدا منيعا ضد الاستيلاء السوفيتى على الشرق الأوسط ، وهى القوة الوحيدة التى تستطيع أن تمنع قيام الشيوعيين باحتلال السعودية" . ثم استطرد "بيجن" فإذا هو يعرض على "كارتر" استعداده للسماح للولايات المتحدة بأن تستعمل "قواعدها" الجوية فى سيناء ضمن خططها الدفاعية عن الشرق الأوسط . وكانت هذه الملاحظة من "بيجن" مبعث دهشة للرئيس الأمريكى ومستشاريه الحاضرين معه فى هذا الاجتماع ، لأن إسرائيل كانت قد تعهدت بإعادة هذه القواعد إلى مصر بمقتضى اتفاقية "كامب دافيد" . لكن أحدا منهم لم ينطق بكلمة اعتراض لأن "بيجن" على الفور واصل كلامه ليقول "إن المحادثات مع مصر تمر بأزمة عميقة لأن السادات يثير الآن عددا من القضايا المتصلة بيهودا والسامرة (الضفة الغربية) وبغزة أيضا" .وقال "إن إسرائيل على استعداد لأن تتخلى عن غزة فى مقابل شروط معينة ولكنه ليس جاهزا الآن ولا غدا للكلام عن يهودا والسامرة (الضفة الغربية)".

ثم أبدى "بيجن" ملاحظة قال فيها "إنه لا يرى داعيا للعجلة فى المحادثات ، وإن هناك قضايا عملية معلقة يتحتم حلها قبل استئناف الكلام فى السياسة ، وأهمها موضوع البترول . فإسرائيل ـ طبقا لأقواله ـ كانت تشترى بترولا من إيران إلى جانب ما تحصل عليه من بترول سيناء . وهى الآن فقدت أو توشك أن تفقد كلا المصدرين . ولا بد أن يكون هناك اتفاق مصرى محدد على إمداد إسرائيل ببترول سيناء ، ثم يكون على الولايات المتحدة أن تكفل إمدادها من أية موارد أخرى تحت تصرفها بما تحتاج إليه إسرائيل من البترول ." ثم قال "بيجن" أخيرا "إن إسرائيل لن تعيد آبار بترول سيناء إلى مصر إلا إذا وقعت مصر على اتفاق مباشر معها بشأن إمدادها بالبترول" .

كان "كارتر" محبطا . وتركه "بيجن" ليذهب مع "فانس" لتناول الغداء فى وزارة الخارجية ،وذهب "برجينسكى" معهما . وعلى الغداء حاول كل من "فانس" و"برجينسكى" تليين موقف "بيجن"بحيث يكون مستعدا للخطوة التالية التى اقترحها مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى ("برجينسكى") ـ وهى التفاوض مرة أخرى مباشرة مع "السادات" وبحضور واشتراك الرئيس "جيمى كارتر" بنفسه .

□

وقرر "كارتر" أن يزور منطقة الشرق الأوسط بنفسه وأن يقوم بزيارة لمصر وإسرائيل بقصد تقريب المواقف بينهما بما يؤدى إلى اتفاق ، وذلك بدلا من دعوة الاثنين إلى واشنطن وإلى "كامب دافيد" جديدة . وكان "برجينسكى" هو صاحب هذا الاقتراح أيضا ، لأنه خشى أن يجىء كل من "السادات" و"بيجن" إلى واشنطن وتتزايد التوقعات ، ثم لا يقع الاتفاق لأن "بيجن" يبدو واثقا من موقفه ، عارفا بضعف موقف الرئيس الأمريكى بسبب بوادر حمى الحملة الانتخابية ، خصوصا فى مناخ الضربة التى تلقتها السياسة الأمريكية بنجاح الثورة الإسلامية فى إيران .

وتمهيدا لزيارته للمنطقة قام "كارتر" بإيفاد مستشاره للأمن القومى "زبيجنيو برجينسكى" إلى القاهرة لمقابلة الرئيس "السادات" وإبلاغه برسالة [١٤] خاصة وسرية لعلمه تقول :

"إن الموقف السياسى الداخلى للرئيس كارتر يضعف بسبب قرب موعد انتخابات الرئاسة . ومن المحتمل كثيرا أن بيجن يريد أن يرى كارتر وقد هزم فى انتخابات الرئاسة وحل محله رئيس آخر من الجمهوريين يستطيع أن يتعامل معه أفضل ."

ويوم ٦ مارس ١٩٧٩ ، كان "برجينسكى" فعلا يجلس أمام الرئيس "السادات" لينقل إليه رسالة "كارتر" . وطبقا لرواية "برجينسكى" فى مذكراته فإن الرئيس "السادات" بدا مطمئنا إلى قدرته على تطويع موقف "بيجن" . وقد قال لـ "برجينسكى" : "دع الرئيس كارتر يجىء مطمئنا ، فزيارته سوف تنجح بالتأكيد ، وسوف أستعمل السلاح السرى الذى أحتفظ به وكنت أؤجل استعماله إلى اللحظة المناسبة . وبدا أن "برجينسكى" مندهش لما سمع عن وجود سلاح سرى لدى الرئيس "السادات" ، وفوجئ "برجينسكى" عندما قال له الرئيس "السادات" إن سلاحه السرى هو "ماء من النيل لرى مستعمرات النقب" .

ولم يعلق "برجينسكى" بشىء .

□

كان رئيس وزراء مصر الدكتور "مصطفى خليل" قد سمع هو الآخر من قبل عن سلاح سرى لدى الرئيس "السادات" . ففى الإسكندرية ، وأثناء تعثر المحادثات بين

---

(١٤) مذكرات "برجينسكى" - صفحة ٢٨٢ .

"مصطفى خليل" و"يوسف بورج" حول الحكم الذاتى ، ذهب رئيس الوزراء يشكو لرئيس الجمهورية من تعنت الوفد الإسرائيلى . وفى حضور الدكتور "بطرس غالى" رد الرئيس "السادات" على مخاوفه قائلا له "اطمئن يا مصطفى ، الحل فى جيبى" .

وفى مرة أخرى أثناء تعثر المفاوضات عاد "مصطفى خليل" يشكو للرئيس "السادات". ونظر إليه الرئيس "السادات" بابتسامة عريضة وقال له : "إنتم تاعبين نفسكم ، وأما أنا فالحل فى جيبى" . وقال له "مصطفى خليل" : "طيب يا ريس .. بدل أن تتركنا دائخين بهذا الشكل ، اعطنا الحل" . وقهقه الرئيس "السادات" ضاحكا وقال لرئيس وزرائه : "الإسرائيليون يعرفون ماذا أستطيع أن أعطيهم ، وفى الوقت المناسب سوف أقول لكم" .

وفى أوائل سنة ١٩٧٩ كان الدكتور "بطرس غالى" فى زيارة لإسرائيل ، وعاد منها ليتوجه مباشرة إلى مكتب رئيس الوزراء الدكتور "مصطفى خليل" ليروى له تفاصيل واقعة حدثت أثناء زيارته لإسرائيل . فخلال عشاء أقامه له "ديان" شكا له وزير خارجية إسرائيل من أن رئيس الوزراء يتخذ مواقف قاطعة لا يحيد عنها ، وإنه كان يناقشه قبل يومين فى أمر المفاوضات مع مصر ، فإذا "بيجن" يقول له منفعلا : "اسمع ، أنا لن أبيع سيادة إسرائيل مقابل ماء من النيل" . وقال "بطرس غالى" لرئيس الوزراء إنه حاول استقصاء الموضوع من "ديان" برقة ، ثم عرف أن "بيجن" تلقى عرضا سريا من الرئيس "السادات" باستعداده لإقامة خط أنابيب من مياه النيل يصل إلى النقب لرى أراضى مستعمرات يمكن نقلها من الضفة الغربية إلى هناك (إلى النقب) فى حالة التوصل إلى اتفاق فى شأن الضفة الغربية .

وأحس "مصطفى خليل" بخطورة الأمر وذهب لمقابلة الرئيس "السادات" ومعه الدكتور "بطرس غالى"، وطلب من "بطرس غالى" أن يروى للرئيس "السادات" ما سمعه نقلا عن "ديان" . وكانت المفاجأة للاثنين أن الرئيس "السادات" استمع إلى ما قيل له بهدوء ، ثم قال : "وماله" . وبينما كان "مصطفى خليل" و"بطرس غالى" ينظران إليه باستغراب ، استطرد الرئيس "السادات" يقول : "حتى بعد بناء السد العالى فنحن ما زلنا نرمى بكميات من مياه النيل إلى البحر .. وأى ضرر يحدث لنا إذا أعطيناهم هذه المياه لنحل المشكلة ؟" ورد الدكتور "مصطفى خليل" قائلا "إن هناك فعلا كميات من المياه ترمى فى البحر ، ولكن ذلك يحدث فى حدود ضيقة وبهدف خدمة الملاحة فى النيل فى غير موسم الفيضان ، وأيضا بسبب ضرورات تشغيل محطات كهرباء السد العالى، ولكى يكون هناك مسقط للمياه كاف لتوليد الكهرباء" . وقاطعه الرئيس "السادات" قائلا : "خلاص .. ندّيهم الميه دى" .

واضطر "مصطفى خليل" إلى أن يقول للرئيس : "إننا لا نستطيع أن نعطيهم هذه المياه لأننا سوف نظل دائما مضطرين إلى إطلاق مياه من السد العالى لأغراض الملاحة والكهرباء" . ورد الرئيس "السادات" قائلا إنه بعث بعرضه فعلا إلى "بيجن" ، ولا بد من إعادة النظر فى هذا الموضوع بما يسمح بتنفيذ وعده ، وهو يرى أن عرضه هذا "يحل كل شىء" . ومع أن الرئيس "السادات" أبدى دهشته مما نقله "بطرس غالى" عن "ديان" من قول "بيجن" إنه لا يبيع سيادة إسرائيل فى مقابل مياه من النيل - إلا إنه ظل برغم ذلك مقتنعا بأن لديه سلاحا سريا يستطيع به فى اللحظة المناسبة حل إشكالية المفاوضات.

ورأى "مصطفى خليل" بعد هذا اللقاء أن عليه أن يتحرك بسرعة لإقناع الرئيس "السادات" بالعدول عن عرضه . وقام على وجه الاستعجال بتشكيل لجنة ضمت وزير الرى وبعض خبرائه ، إلى جانب الدكتور "بطرس غالى" وزير الدولة للشئون الخارجية مع عدد من المستشارين القانونيين فى الوزارة . ثم عاد "مصطفى خليل" ومعه "بطرس غالى" يعرضان على الرئيس "السادات" نتائج بحث هذه اللجنة .

وبدأ الدكتور "بطرس غالى" بعرض الناحية القانونية ، فقال "إن نتائج البحث القانونى أظهرت ما يلى :

١ - إن اتفاقية مياه النيل الموقعة بين دول حوضه ، لا تسمح لدولة من دول الحوض بأن تعطى لطرف ثالث أى كمية من المياه إلا بموافقة كل دول الحوض .

٢ - إنه إذا حصل طرف ثالث على أى كمية من المياه لمدة سنة ، واستزرع عليها أرضا ، فهذا يرتب لذلك الطرف ، وبمقتضى القانون الدولى ، حق ارتفاق دائم على هذه المياه .

٣ - إن هناك اثنتى عشرة معاهدة تم توقيعها بين كل دول حوض النيل . وعلاقة مصر بهذه الدول وكلها بالطبع فى أفريقيا - ليست فى أحسن أحوالها الآن . وإذا جئنا وطالبنا بإعادة الاتفاق على توزيع المياه فى هذه الظروف ، فإن أى توزيع جديد لحصص المياه لن يكون فى مصلحتنا لأننا نأخذ بالفعل أكثر من حصتنا ، ونقول لدول الحوض إننا نقوم بإصلاح مساحات ضخمة من الأراضى ونحتاج إلى كل نقطة ماء مما نأخذه . فإذا جئنا الآن وأعطينا لإسرائيل مياها قلنا إنها زائدة عن حاجتنا — فإننا بذلك نفتح الفرصة لكل دول الحوض أن تنقض معاهدات توزيع حصص المياه . وصحيح أن بعض دول الحوض تتجاوز الآن فيما تسحبه من النهر ، ولكنها تفعل ذلك خفية وعلى استحياء. فإذا جئنا الآن

وأعطينا المياه لطرف ثالث ، فمعنى ذلك أننا نعطى لكل دول الحوض تصريحا رسميا بأن تفعل كل منها ما تشاء ."

واستمع الرئيس "السادات" إلى الحجج التى ساقها "بطرس غالى" وقال "نستطيع أن نقول للأفارقة إننا سوف نعطى مياه شرب للعرب الفلسطينيين" . وتدخل "مصطفى خليل" فى الحديث وقال بانفعال : "إننى رئيس وزرائك ، ومن واجبى تجاهك ، فضلا عن واجبى إزاء البلد ، أن أحمى صورتك أمام الناس . وأنا لا أستطيع بضمير مستريح أن أمد أنبوبة قطرها بوصة واحدة إلى إسرائيل لأسباب واضحة ."

وراح "مصطفى خليل" يعد أسبابه :

١ - ليست عندنا مياه فائضة على الإطلاق .

٢ - نحن من الآن فعلا نستعير جزءا من حصة المياه المخصصة للسودان .

٣ - إن إيراد مياه النيل يشهد تذبذبا خطيرا فى السنوات الأخيرة ، وقد بدأت بالفعل سنوات قحط فى الجنوب ولولا بناء السد العالى لحلت بمصر كارثة . ولو استمرت سنوات القحط فإننا سوف نستهلك مخزون بحيرة السد فى ظرف سنوات قليلة .

٤ - إن احتياجاتنا الحالية من الماء الآن ٥٥ مليار متر مكعب . وأملنا الحقيقى فى احتمالين :

(أ) أن نتمكن من تغيير أساليب الرى فى مصر ، ونلجأ إلى الرش بدلا من الغمر . ونحن نطبق ذلك فى الأرض الجديدة ولا نطبقه فى الوادى القديم، ولن نقدر على ذلك إلا بعد سنوات طويلة .

(ب) أن نتمكن من معالجة مياه الصرف ، وهذه تحتاج إلى استثمارات كبيرة وإلى وقت طويل حتى تصبح ممكنة .

وكان الرئيس "السادات" يسمع ساكتا . وتصور "مصطفى خليل" أنه تمكن من إقناعه .

كان دور "مصطفى خليل" يتحول من دور مفاوض لديه سلطة واسعة للتصرف إلى دور نوع من مانعات الصواعق .

□

والتفت "مصطفى خليل" إلى موضوع آخر يريد تسويته ، قبل أن تبدأ مرحلة حاسمة من المفاوضات السياسية بين "السادات" و"بيجن" باشتراك "كارتر" . وكان الموضوع الذى طرح نفسه عليه هو موضوع البترول . فقد وصل إلى القاهرة وفد رسمى برئاسة وزير الطاقة الإسرائيلى "إسحاق موداعى" ، وقد صحبه فى هذه الزيارة "عزرا وايزمان" الذى شارك بوصفه مسئولا سياسيا عن اتفاقيات التطبيع بصفة عامة . وبدأ الاجتماع بأن قدم وزير الطاقة الإسرائيلى "موداعى" طلبات من البترول المصرى وجدها "مصطفى خليل" مبالغة فى تجاوزها . وحين أبدى رأيه بذلك فوجئ بـ "موداعى" يسلمه خطابا من "كارتر" موجها إلى "بيجن" ، يشهد فيه الرئيس الأمريكى بأن "الرئيس السادات التزم أمامه (أى أمام كارتر) لرئيس الوزراء الإسرائيلى بيجن ، بأن تقدم مصر إلى إسرائيل كمية من البترول سنويا لا تقل عما كانت إسرائيل تحصل عليه من آبار سيناء أثناء احتلالها لشبه الجزيرة، وأن يتم ذلك بأسعار تفضيلية وبصفة مستديمة" .

وفوجئ "مصطفى خليل" بهذا الخطاب ، لكنه رأى أن يتجاهله قائلا لـ "موداعى" إن "هذا الخطاب غير ملزم للحكومة المصرية ، وإنه شخصيا لا يعرف بماذا تعهد الرئيس السادات لبيجن خصوصا وأن هذا الخطاب لم يرد له ذكر ضمن الملاحق الرسمية لاتفاقية كامب دافيد" . وقال "موداعى" : "إن الخطاب معك" . ورد "مصطفى خليل" بأنه "ليس مستعدا أن يضع نفسه تحت رحمة إسرائيل ، فمصر لا تريد أن تفقد أسواقها بإعطاء تعهد معلن لإسرائيل بتزويدها بمليونى طن سنويا" ، كما يطلب "موداعى" . ثم أضاف "مصطفى خليل" إن "مصر لا تستطيع أن تبيع لإسرائيل بترولا بسعر مخفض ، ولو فعلت ذلك فإن الشركات الأمريكية ـ على الأقل ـ سوف تطلب المعاملة بالمثل ، وهذا سوف يسبب خسارة فى فروق الأسعار تصل إلى ٨٠٠ مليون دولار فى السنة" .

ثم قال "مصطفى خليل" إنه "مستعد أن يبيع لإسرائيل بترولا كما يبيع لأى طرف آخر، وأن يتم ذلك بالشروط التى تعلنها هيئة البترول المصرية لجميع المشترين ."

ثم واصل "مصطفى خليل" كلامه قائلا لوزير الطاقة الإسرائيلى : "إننى لا أستطيع أن أقطع على نفسى تعهدا بإعطاء إسرائيل مليونى طن سنويا باستمرار ، وذلك لأسباب فنية أيضا . فإنتاج البترول كما تعرف معرّض لمفاجآت غير منتظرة ، ومثلا فقد حدث عندنا بالفعل أخيرا هبوط failure فى إنتاج حقل المرجان ، وتوقف إنتاجه تماما لعدة أسابيع ، وهو ينتج ٥٣ ألف برميل كل يوم ، وكان ذلك لسبب فنى . فكيف تريدنى أن أتعهد لك بهذه الكمية سنويا وأنا معرض لمثل هذه الطوارئ ؟ ."

ثم قال "مصطفى خليل" لـ "موداعى" : "لماذا تريد أن تقيدنى بكمية محددة سنويا من البترول ، بينما أنا أعلم يقينا أن لديكم اتفاقا موقعا مع الولايات المتحدة تكفلت بمقتضاه

بتوفير احتياجاتكم من البترول لمدة ١٥ سنة ؟" ورد "موداعى" قائلا : "لأننى لا أريد أن أضع رقبتى تحت حذاء الأمريكان" .

وتعثرت المناقشة بين رئيس الوزراء المصرى ووزير الطاقة الإسرائيلى . وتدخل "عزرا وايزمان" لأول مرة قائلا للدكتور "مصطفى خليل" : "أنت بذلك تضطرنى للذهاب للرئيس السادات وبحث الأمر معه مباشرة" .

ولم يتمالك "مصطفى خليل" نفسه من أن يرد على "وايزمان" قائلا : "تفضل واذهب إلى الرئيس السادات من فوق رأسى . إنك تريد أن تذهب إليه لاعتقادك أنه سيوافق على شروط لم أقبلها كرئيس وزرائه ."

وخرج "وايزمان" ليطلب مقابلة الرئيس "السادات" . وسارع "مصطفى خليل" فاتصل بالرئيس "السادات" تليفونيا وشرح له الموقف قبل أن يقابله "وايزمان" ، قائلا له إنه "لا يستطيع أن يتحمل مسئولية تعهد سرى" . وطالت المحادثة التليفونية بين الاثنين لمدة ثلاثة أرباع الساعة ، وأثناءها قال "مصطفى خليل" للرئيس "السادات" بين ما قاله : "إن أى تعهد لإسرائيل بهذا الشأن لن يظل سريا ، وإذا أصبح علنيا فسوف يكون ذلك ضد قانون المقاطعة ، وهو قانون مازال قائما ، ومع أن فى النية عرض رفعه أمام مجلس الشعب فإن ذلك لم يحدث بعد" . وقال "مصطفى خليل" للرئيس إنه اقترح على "وايزمان" تسجيل عدة شركات لشراء البترول فى سويسرا بأسماء غير إسرائيلية ، فإذا رسا عليها المزاد طبقا للقواعد التى تضعها هيئة البترول المصرية ، كان بها . وكان الرئيس "السادات" خلال الحديث التليفونى الطويل مستمعا أكثر منه متكلما .

□

وقرر "بيجن" أن يزور مصر بنفسه بعد أن أبلغ من واشنطن بأن الرئيس "كارتر" سوف يجىء إلى المنطقة بنفسه ليتوسط فى محادثات جديدة بين مصر وإسرائيل تدفع باتفاقية "كامب دافيد" إلى معاهدة سلام كاملة .

ثم تقرر أن يجىء "عزرا وايزمان" إلى مصر ليمهد لمجىء "بيجن" . ولاحظ الدكتور "مصطفى خليل" أن "وايزمان" تجنب مقابلته فى هذه الزيارة ، وقصد إلى أسوان لمقابلة الرئيس "السادات" مباشرة دون أن يتوقف فى القاهرة ليتحدث مع رئيس الوزراء رغم صداقة وثيقة بين الاثنين .

ثم تلقى "مصطفى خليل" استدعاء من الرئيس "السادات" إلى اجتماع لمجلس الأمن القومى فى استراحته الواقعة خلف خزان أسوان ، وذلك بعد اجتماعه مع "وايزمان" ، والهدف أن يعرض على أعضائه مشروعا متكاملا لديه . وكانت المفاجأة الأكبر أن مشروع الرئيس "السادات" المتكامل احتوى على ثلاثة موضوعات :

أولها ـ موضوع توصيل مياه النيل إلى إسرائيل (وهو موضوع كان "مصطفى خليل" يتصور أنه فرغ منه) .

والثانى ـ موضوع تزويد إسرائيل بالبترول (وهو موضوع كان "مصطفى خليل" لا يزال يتفاوض فيه) .

والثالث ـ موضوع آخر طرأ على غير انتظار ، وهو اتجاه الرئيس "السادات" إلى إلغاء جامعة "الدول" العربية وإنشاء جامعة "للشعوب" العربية بدلا منها .[١٥]

ورأى الدكتور "مصطفى خليل" أن يذهب وحده إلى الاستراحة ليقابل الرئيس "السادات" ويسأله عن زيارة "وايزمان" ، لأن "وايزمان" جاء إلى أسوان وسافر دون أن يقابله . ورد الرئيس "السادات" بقوله : "إن أهم ما حمله إليه وايزمان هو قوله "إنك سوف تجد بيجن هذه المرة شخصا مختلفا عما عهدته" ." وسأله "مصطفى خليل" تلقائيا: "مختلف فى إيه يا ريّس ؟" ورد الرئيس "السادات" بأن "وايزمان" أكد له أنه "سيجد بيجن رجلا آخر مستعدا للتفاهم على كل شىء" .

ولم يشأ "مصطفى خليل" أن يجادل مع الرئيس "السادات" أكثر من ذلك ، وآثر أن ينتظر الاجتماع العام لمجلس الأمن القومى صباح اليوم التالى .

وفى تلك الليلة عرف "مصطفى خليل" أكثر عن تفاصيل المشروع الذى قرر الرئيس "السادات" عرضه على مجلس الأمن القومى . وعرف أيضا أن نائب الرئيس "حسنى مبارك" حاول إقناع الرئيس "السادات" بتغيير رأيه ، ولكنه أصر عليه .

وصباح اليوم التالى ، وفى اجتماع مجلس الأمن القومى ، عرض الرئيس "السادات" ما لديه . فعاد إلى موضوع المياه وموضوع البترول ، وتوسع أكثر فى موضوع إلغاء جامعة "الدول" العربية . وبين ما قاله إنها "لم تعد لها فائدة ، وإن إلغاءها أحسن من وجودها، وإنه إذا أرادت بقية الدول العربية أن تتمسك بها ، فليأخذوها بعيدا عن مصر" .

---

(١٥) تكشف فيما بعد أن ذلك كان طلبا إسرائيليا ـ أمريكيا يستند على إدعاء أن الجامعة العربية منظمة إقليمية قامت أساسا على استبعاد إسرائيل وحصارها ، وبما أن السلام قادم فإن أى تنظيم إقليمى يجب أن يضم إسرائيل أيضا فى إطار "الشرق الأوسط"!

٥

رونالد ريجان

" أنور السادات أعطاني كارت بلانش
(تفويض على بياض) "

(الرئيس "كارتر" لـ"مناحم بيجن" أثناء غداء في
الكنيست)

بعد أن فرغ الرئيس "السادات" من كلامه في اجتماع مجلس الأمن القومي ساد الجلسة صمت عميق . ووجد "مصطفى خليل" أن الواجب يقتضي عليه بأن يتكلم وإلا فإن الوقت ربما يفوت . ورفع يده في طلب الكلمة وقال موجها كلامه للرئيس "السادات" :

"إن سيادتك باستمرار تقبل أن يقول كل منا رأيه بصراحة . وأنا من يوم أن اقتربت من العمل السياسي تعودت أن أقول رأيي بصراحة . وأنا أعرف حدودي . أقول رأيي إلى حد معين . وسيادتك ترى أعلى وأبعد وملمّ بكل الموضوعات . وفي كل الأشياء التي لا تمس ضميري فأنا مستعد أن أقلب صفحة رأيي عندما أجد الرأي الآخر أصوب . ونحن تناقشنا في بعض هذه الموضوعات من قبل . وقد قلت لسيادتك إنني أريد أن أحافظ على وضعك كرمز وكأمل . ومن واجبنا أن نصدقك القول، والقرار النهائي لك كرئيس للجمهورية . لكنه إذا لم يتفق هذا القرار مع ضميري فالأمر لك . وتغيير الأشخاص مسألة سهلة على أي حال ."

وكان ذلك تلميحا إلى استعداد "مصطفى خليل" للاستقالة . وزادت درجة حرارة الجلسة . واستطرد "مصطفى خليل" يكمل وجهة نظره ، فبدأ بموضوع المياه مكررا حججه السابقة ، ثم انتقل إلى موضوع البترول مستعيدا تفاصيل مفاوضاته مع وزير الطاقة الإسرائيلي "موداعي" ، ثم وصل إلى موضوع إلغاء الجامعة العربية فقال : "إن مصر لا تملك إلغاءها وحدها ، وإنما تملك أن تنسحب منها . وإذا كان الرئيس ـ كما فهم منه ـ

يفكر فى إنشاء جامعة للشعوب العربية بدلا من جامعة للدول العربية فهذا حقه ، وهو أمر وارد . لكنه لا يستوجب إلغاء جامعة الدول العربية . ثم إن بقاء الجامعة العربية على أى نحو ، مهم من الناحية التاريخية . فالنظم تتغير ، وما هو مرفوض اليوم قد يكون مقبولا فى الغد ."

وكانت ملامح الرئيس "السادات" تزداد توترا ، خصوصا بعد أن بدا أن ما قاله "مصطفى خليل" يحظى بتأييد أغلبية من المشاركين فى اجتماع مجلس الأمن القومى .

وتمالك الرئيس "السادات" مشاعره ، ثم هز رأسه وقال إنه سوف يفكر فيما سمع. ثم أعلن انتهاء الجلسة .[(١٦)]

□

يوم ٧ مارس ١٩٧٩ وصل الرئيس "جيمى كارتر" إلى مصر والتقى بالرئيس "السادات". ورتب له الرئيس "السادات" زيارة بالقطار إلى الإسكندرية ، وطلب حشد أوسع الجماهير لاستقباله على أرصفة محطات السكة الحديدية من القاهرة إلى الإسكندرية ، مكررا بذلك ما فعله مع "نيكسون" ومتصورا أنه يزيد فرص "كارتر" الانتخابية بإظهار مقدار شعبيته فى مصر .

وحين فرغت الاستقبالات الحاشدة ، وجاء وقت الحديث فى استراحة المعمورة ، كان الرئيس "السادات" على استعداد لأن يعطى لـ "كارتر" carte blanche ـــ أى تفويضا مطلقا فى أن يصل إلى حل يرتضيه مع "بيجن"، وبما يضمن نجاح مهمته . وكان تعبير "carte blanche" هو التعبير الذى استعمله كل من الرئيس "كارتر" ووزير الخارجية "فانس" ومستشار الأمن القومى "برجينسكى" ـ فى وصف التفويض الذى أعطاه الرئيس "السادات" إلى الرئيس "كارتر" .

ويوم ١٠ مارس وصل الرئيس "كارتر" إلى إسرائيل ، ولم يكن "بيجن" فى عجلة من أمره . وحين حاول الرئيس الأمريكى أن يزحزح موقفه بالنسبة لكل القضايا المعلقة بين مصر وإسرائيل ، كان "بيجن" يهز كتفيه ويقول للرئيس "كارتر" إنه لا يرى داعيا

---

(١٦) كانت تلك الجلسة هى النهاية الفعلية لوزارة "مصطفى خليل" ، فقد أبلغه الرئيس "السادات" بعد ذلك فى ١٠ مايو ١٩٨٠ أنه ـ نظرا لدقة الأوضاع الداخلية ـ قرر تأليف وزارة جديدة برئاسته شخصيا . وقد تألفت هذه الوزارة فعلا يوم ١٤ مايو ١٩٨٠ .

للعجلة . ووصلت المناقشات فى إسرائيل إلى حد التطاول أحيانا على الرئيس الأمريكى . فحين وصل الحديث إلى موضوع إمداد إسرائيل بالبترول المصرى ، وطلب "كارتر" من الوفد الإسرائيلى أن يقدر صعوبة موقف "السادات" إزاء معاونيه وإزاء شعبه وإزاء البلاد العربية ، لم يكن هناك استعداد لدى أحد لسماع وجهة نظره . وحين أبدى "كارتر" ملاحظة قال فيها إن إسرائيل لديها فى كل الأحوال تعهد أمريكى باستكمال تزويدها بما تحتاجه من البترول ، إذا بـ "آرييل شارون" وزير الدفاع الإسرائيلى يرد على الرئيس الأمريكى قائلا : "إننا لا نستطيع أن نترك احتياجات إسرائيل من البترول لتكون تحت رحمة الولايات المتحدة الأمريكية ."

كان "بيجن" ووزراؤه يتصرفون تصرف أناس واثقين من أن الرئيس الأمريكى يحتاج إلى إسرائيل لكى ينجح فى انتخابات الرئاسة القادمة ، بأكثر مما تحتاج إسرائيل إليه لتوقيع معاهدة سلام مع مصر .

وعلى غداء فى "الكنيست" على شرف الرئيس الأمريكى ، قال "كارتر" لـ "بيجن" ما مؤداه "إن السادات أثبت أنه أكرم بكثير منه ، وأنه أعطاه carte blanche للوصول إلى اتفاق مع إسرائيل" .

ويقول "ويليام كوانت" إنه فى هذه اللحظة عرف "بيجن" أن الأمر كله أصبح فى يده ، فـ "كارتر" يملك تفويضا من الرئيس "السادات" بالوصول إلى اتفاق مهما كانت شروطه ، وفى نفس الوقت فإن "كارتر" فى حاجة إلى اتفاق لكى تنجح مهمته وتتحسن فرص إعادة انتخابه .

وطار "كارتر" من إسرائيل إلى مصر ، وفى مطار القاهرة أبلغ الرئيس "السادات" بما يراه مناسبا لتحقيق الاتفاق ، وترك له إقراره أو رفضه إذا أحس بأنه فوق ما يطيق .

ولم يطل تفكير الرئيس "السادات" فيما عرض عليه . وبعد برهة من الصمت والتفكير أبلغ الرئيس "كارتر" بموافقته قائلا له "إنه يوافق على كل شىء من أجله وليس من أجل بيجن" . وجلس الاثنان أمام جهاز تليفون فى استراحة الرئيس بالمطار وطلبا توصيلهما بـ "مناحم بيجن" فى القدس ، وأبلغه الرئيس "كارتر" بموافقة الرئيس "السادات" على ما عرضه عليه ، ثم ناول سماعة التليفون للرئيس "السادات" الذى حيا "بيجن" بحرارة أمام عدسات التلفزيون وميكروفونات الإذاعة . وانفتح الطريق أمام معاهدة سلام كامل بين مصر وإسرائيل .

وتم توقيع المعاهدة فعلا فى واشنطن وفى الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

□

ولم ينجح توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل فى استخلاص مدة رئاسة ثانية لـ"جيمى كارتر" ، وسقط فى الانتخابات سنة ١٩٨٠ أمام ممثل قديم من هوليوود هو "رونالد ريجان" .

وكان الرئيس "السادات" ضيق الصدر بكل شىء ومحبطا .

كان عليه أن يبدأ من جديد مرة أخرى ..

لقد بدأ مع "نيكسون" و"كيسنجر" ..

ثم حاول مع "فورد" و"كيسنجر" ..

ثم كانت تجربته الثالثة مع "كارتر" و"فانس" .

ولقد أعطى ما عنده وزيادة ليساعد كل واحد من الرؤساء الثلاثة فى انتخابات الرئاسة على أمل أن يعطيه أحدهم فى حالة نجاحه ، ولكن الثلاثة لم ينجحوا ، وهو ما زال معلقا بين السماء والأرض باتفاق منفرد بين مصر وإسرائيل ، واتفاق آخر يبدو وهما غير قابل للتحقيق فى شأن الحكم الذاتى للفلسطينيين .

وهو خلال ذلك كله لم يعط من أرصدة مصر وحدها ، وإنما أعطى من الرصيد العربى كله ، وأوله تلك الصلة على الجسر البرى بين مصر والشام — الزاوية الاستراتيجية الكبيرة لجنوب شرقى البحر الأبيض ، وهى مطلب الفاتحين ، وحلم القوميين .

ثم إنه بعد ذلك ساعد على سياسة كبح إيران والثورة الإسلامية فيها ، والمجازفة بعدائها حين سمح بإقامة الشاه المخلوع فى مصر ، وسمح للقوات الأمريكية أن تنطلق إلى عملية إنقاذ الرهائن المحتجزين فى السفارة الأمريكية من قاعدة قنا ، وهى العملية الفاشلة التى عرفت باسم "الصحراء رقم ١" Desert one ـ وقد تحملت مصر بسببها ـ إلى جانب تهمة التواطؤ ـ فضيحة جزء من الفشل .

وفوق ذلك كله فقد شجع قيام حرب بين العراق وإيران أنهكت قوى المنطقة كلها، ووضعت أطرافها جميعا على حافة الإفلاس .

وهو فى نهاية هذا كله لم يحصل على ما أراد أو بعضه . حصل على صلح منفرد بين مصر وإسرائيل ، وهو شىء كانت إسرائيل تطلبه من أول يوم لقيامها ، وتكرره بعد

كل صدام مسلح كبير أو صدام سياسى واسع . وكان طلبها له سرا وعلنا ، ومن أى سبيل ، وعن طريق أى وسيط .

وربما كانت المشاهد الدامية للحرب الأهلية فى لبنان هى التعبير المأساوى عن انفراط عقد العالم العربى عندما اختلت توازناته الدقيقة بخروج مصر من معادلة القوة فيه .

□

وفى نهاية ربيع سنة ١٩٨١ ، توجه الرئيس "السادات" مرة أخرى لزيارة الرئيس الأمريكى فى البيت الأبيض .

ولم يسترح الرئيس "السادات" لما رآه من أحوال "رونالد ريجان" . فقد أحس على الفور بأن الرجل أبعد ما يكون عن مشاكل الشرق الأوسط ، وإنه يقرأ من ورق فى يده ما هو مطلوب منه أن يقوله فى مفاوضاته مع الرئيس المصرى .

وكان أهم ما قاله "ريجان" إن "أعداء السلام نشطون فى مصر لمقاومة معاهدتها مع إسرائيل ، وهو أمر خطر على الرئيس السادات بمقدار خطره على السلام ، وإن المتطرفين الإسلاميين خطر على مصر بمقدار ما أكدوا خطرهم على إيران" .

وربما أحس الرئيس "السادات" أن كلام مضيفه الرئيس "ريجان" يوحى بمقارنة لا يريدها بينه وبين شاه إيران "محمد رضا بهلوى" . ولعله خطر له أن يثبت لنفسه وللآخرين أنه معدن من الرجال يختلف عن معدن "محمد رضا بهلوى" .

وعاد الرئيس "السادات" إلى مصر والعواصف تتجمع منذرة بخريف غاضب . وبالفعل فقد هبت عواصف خريف الغضب على مصر مع مجىء شهر سبتمبر ١٩٨١ .

وقرر الرئيس "السادات" غاضبا أن يواجه خريف الغضب ، فإذا هو يصدر أمره بحملة الاعتقالات الشهيرة فى سبتمبر ١٩٨١ . وإذا حملة الاعتقالات تطال كل القوى فى مصر لا تستثنى أحدا .

ولكن عاصفة الغضب كانت أقوى من سلطته .

وكانت المقادير تلعب لعبة الرموز إلى منتهاها .

فالجيش الذى كان الرئيس "السادات" يخشى أن ينقلب عليه في الفترة الأولى من توليه السلطة (١٩٧٠ - ١٩٧١) ...

والجيش الذى أطاع قراره بالعبور يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ...

والجيش الذى فرض أمره بحظر التجول يومى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ ...

..... كان هو نفس الجيش الذى انطلق فى مجاله ـ ومن أحد رجاله ـ ذلك الوابل القاتل من طلقات الرصاص المتدافعة نحو مكانه فى المنصة أثناء العرض العسكرى يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ .

كان يريد أكتوبر ١٩٧٣ أن يكون آخر الحروب العسكرية ...

وتحقق له ما أراد وأصبح أكتوبر ١٩٧٣ ـ حتى هذه اللحظة ـ آخر الحروب

ولكنه لم يكن يريد لأكتوبر ١٩٨١ أن يكون آخر العروض العسكرية ...

ولم يتحقق له ما كان يريد وأصبح أكتوبر ١٩٨١ ـ وحتى الآن ـ آخر العروض !

الوثـــــــــائق

ملحـــق

نص رسالة مقترح ارسالها
من الرئيس المصرى جمال عبد الناصر
إلى الرئيس أيزنهاور ، ٢٢ كانون الثانى / يناير ، ١٩٥٦

عزيزى السيد الرئيس :

إننى إذ اعرف رغبة العالم كله فى حفظ السلام واشاطره فيها ، فإنى اود ان اتوجه إليكم ، انتم الذين اصبحت إعلاناتكم الكثيرة من أجل السلم والعدالة معروفة جيدا لمواطنى . إن شعب مصر ليست لديه رغبة سوى أن ينمو ويتطور فى استمتاع سلمى بتراثنا القومى . ونحن إذ حصلنا منذ عهد قريب جدا على السيطرة الخالصة - أى ذات السيادة - على أراضينا ، لا يمكن ان تكون رغبتنا الآن هى نبذ الاستمتاع بها من أجل الغزو أو المغامرة العسكرية . ويعنى هذا أن مصر لا تضمر اى نوايا عدائية تجاه اى دولة أخرى ، ولن تكون أبدا طرفا فى حرب عدوانية . ويعنى هذا ، على وجه الخصوص ، أن مصر سوف تواصل بذل كل جهد ممكن كيما تضمن أن الحوادث العدائية على طول خط الهدنة بين مصر وإسرائيل لن تصبح سببا للحرب ، وإننى أؤكد لكم انه من ناحية مصر ، سيبذل كل جهد ممكن لمنع الحوادث نفسها .وعلاوة على ذلك ، فإن العقاب المناسب سينزل باى شخص يخضع للولاية المصرية تثبت مسئوليته عن ارتكاب سلوك غير سليم فى هذا الصدد. لقد كان إنشاء إسرائيل ، بدون أدنى شك ، أخطر تحد يمكن تصوره للانشغال السلمى للشعب العربى . وبرغم الإحساس بالظلم الذى سيبقى فيما بين أجيالنا ، فإن مصر قد أعلنت ، على اية حال ، قبولها لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بتقرير مصير فلسطين والمليونين من اللاجئين العرب الذين شردتهم إسرائيل . وقد سلّمت مصر بذلك ، وبانه من المستصوب فى نهاية الأمر تحقيق تفهم بين الدول العربية و إسرائيل يجلب السلم الدائم للمنطقة ، ويحترم الحقوق والأمانى الأساسية للشعب العربى .

وربما يكون الوقت قد حان الآن لكى نوضح بدرجة أكبر المبادىء التى يمكن على أساسها ، فى رأيى، تحقيق سلم دائم من هذا القبيل . ان القضية الأساسية هى قضية التسوية الاقليمية ، وإننى لعلى يقين بأن العدالة تتطلب أن تتخلى إسرائيل عن بعض الأرض التى تحتلها الآن لان ذلك يتيح لعرب آسيا وأفريقيا ان يرتبطوا معا على طريق مساحة من الأرض مستمرة وكبيرة خاضعة للسيادة العربية ويقطنها العرب .أما التعديلات الأخرى التى قد تكون مستصوبة لتحويل خطوط الحدود الحالية إلى حدود دائمة ، فإنه يمكن تحقيقها ، دون ريب ، على أساس تبادلى .

واعتقد أنه عندما يتم التوصل إلى حل عادل ومعقول للمشكلة الإقليمية ، فسيتبعه فورا الاتفاق على إعادة توطين اللاجئين العرب أو عودتهم إلى وطنهم . وأعتبر انه من الجوهرى ، على أية حال ، أن تعطى للاجئين الحرية فى اختيار العودة للوطن أو التعويض عن ضياع ديارهم وممتلكاتهم السابقة فى فلسطين . وإنه ليبدو لى أنه سيكون من الحكمة أن يمنح جميع اللاجئين الفرصة لاختيار الحصول على التعويض فورا إذا ما اختاروا ذلك فعلا ؛ أما بالنسبة لأولئك الذين يختارون العودة للوطن ، فإنه لابد وأن تؤخذ فى الحسبان الطاقة الاستيعابية لاسرائيل ، ويتعين أن تتم عملية العودة الفعلية للوطن على مراحل ، على مدى عدد مناسب من السنوات ، وفى الوقت نفسه ، يمكن البدء فى مشاريع مناسبة لإعادة التوطين .

وفيما يتعلق بالمركز المبدئى للقدس ، فإننى أشعر انه يتعين أن يكون لمملكة الأردن الحق فى اتخاذ القرار ، وإننى لن أعترض إذا ما اختارت مملكة الأردن أن تبقى على التقسيم الحالى للقدس . وغنى عن البيان أن ممارسة الحقوق الحربية من قبيل فرض الحصار والمقاطعة الثانوية سوف تتوقف فى تاريخ نفاذ اية تسوية متصورة آنفا؛ وفى حالة تقديم ضمانات مناسبة لتسوية مقبلة ، سيبدو أنه من الممكن تماما إنهاء ممارسة هذه الحقوق قبل الإعلان الفعلى عن التسوية . وبالنسبة لمسالة العلاقات التجارية المقبلة بين الدول العربية و إسرائيل ، فإننى أرى أن لكل دولة عربية مستقلة أن تقرر ذلك وفقا لرغباتها ومصالحها . ولا ادعى معرفة ما إذا كانت إسرائيل يمكن أن تسلم بملاءمة الاقتراحات الآنفة ، ولا يساورنى الاعتقاد فى الوقت الحاضر بان إسرائيل ترغب فى التماس الحلول السلمية . و إننى إذ اكتب إليك يا سيدى الرئيس ، تساورنى الرغبة فى أن أحيطكم علما باحتمالات التسوية السلمية التى يمكن ان اتصورها أنا وحكومتى والتى نضمرها بشغف ونؤيدها بالنسبة للدول العربية الأخرى .

وثيقة رقم (١)

نص خطاب مقترح مطلوب من الرئيس "جمال عبدالناصر" أن يوجهه إلى "أيزنهاور" ، ٢٢ يناير ١٩٥٦ . (وقد رفضه الرئيس جمال عبد الناصر في محادثاته مع أندرسون) .

بيان مقترح
بالمبادىء العامة التى توفر الأساس لحل النزاع العربى الإسرائيلى

النص التالى : بيـان بالمبادىء العامة يوفـر أساسا مرضيا لحل النقاط المتعـددة المختلف عليها بين الدول أو لأخرى من هاتين الدولتين.

أولا ـ الأراضى الإقليمية :

(الف) ـ إقامة سيادة عربيـة على إقليم كبير على نحو مرض يصل بين مصر والأردن ، ويشكل جزءا لدولة العربية و إسرائيل .

(بـاء) ـ إقامة حدود دائمة عن طريق إحداث تغييرات فى خطوط حدود الهدنة لأغراض من قبيل :

١ ـ استعادة قرى الحدود العربية المتاخمة للأراضـى الزراعية والبساتين التى كان يفلحها فى السابق سكان هذه القرى .

٢ ـ تحسين وسائل المواصلات .

٣ ـ تحسين الوصول إلى إمدادات المياه .

٤ ـ الترشيد العام للحدود .

ثانيا ـ اللاجئون

(الف) يتـوفر لـلاجئين العرب مـن فلسطين الاختيار بين العودة للـوطن والتعـويض عـن الملكية العقارية المفقودة .

(بـاء) تنتظيم العودة على مراحل لممارسة جميع حقوق والتزامات المواطنين الإسرائيليين .

(جيم) يمارس الـلاجئون الـذين منحـوا حق العـودة للوطـن جميع حقـوق والتزامـات المواطنين الإسرائيليين.

(دال) ينقل الـلاجئون الذيـن يختارون إعادة التوطين والتعـويض من مخيمات الـلاجئين ويعاد توطينهم باسرع وقت ممكن .

(هاء) تقديم المساعـدة من قبل المجتمع الدولى ، وربما برعاية الأمم المتحـدة ، من أجل إعادة توطين جميع اللاجئين .

ثالثـا ـ القـدس ـ صياغـة حلول لمشكـلات التقسيم الإقليمـى والإشراف على الأماكن المقـدسة المقبـولة للمجتمع العالمى .

رابعا ـ حالة الحرب ، والقيود الاقتصادية الناشئة عنها :

(ألف) تعترف الأطراف رسميا بانتهاء حالة الحرب .

(بـاء) وفى أعقاب انتهاء حالة الحرب هذه :

١ ـ ترفع المقاطعة الثانوية ـ أى وقف جميع التدابير التى اتخذتها الدول العربية لمنع التجارة مع إسرائيل من قبل البلدان غير العربية والشركات غير العربية .

٢ ـ إلغاء جميع القيود على الملاحة ، عدا القواعد البحرية المعتادة .

خامسا ــ التنمية الموحدة لوادى الأردن ـ تتفـق الدول المعنية على المقترحات المتعلقة بـالتنمية الموحدة لوادى الأردن التى تم وضعها فى أثناء المناقشات التى دارت مع السفير إريك جونستون .

وثيقة رقم (٢)

بيان مقترح بالمبادئ العامة التى توفر الأساس لحل النزاع العربى - الإسرائيلى . (وقد رفضه الرئيس جمال عبد الناصر فى محادثاته مع أندرسون ، فبراير ١٩٥٦) .

نص رسالة
مقترح ارسالها من الرئيس المصرى جمال عبد الناصر
إلى رئيس البنك الدولى للإنشاء والتعمير

١ ـ منذ عام ١٩٥٤ ، دارت محادثات عديدة بين البنك والممثلين المصريين بشأن تمويل البنك لمشروع السد العالى . وقد أرسلت بعثة من قبل البنك لدراسة جدوى واستصواب مشروع السد العالى من ناحية الجوانب التقنية، والاقتصادية ، والمالية . وقد أتمت البعثة عملها الميدانى فى شهر آذار / مارس ١٩٥٥، وفى ٣٠ آب / اغسطس بعث البنك إلى الحكومة المصرية تقريرا بعنوان (التنمية الاقتصادية لمصر) مقرونا بملاحظاته واقتراحاته . وخلال شهرى تشرين الثانى / نوفمبر وكانون الأول / ديسمبر ١٩٥٥ ، عقدت اجتماعات فى واشنطن بين ممثلى هيئة السد العالى وموظفى البنك بشأن عدد من الجوانب التقنية للمشروع ، وعلى وجه الخصوص الإجراء المتعلق بمنح العقود. وفى هذا الصدد ، تم التشديد من قبل الممثلين المصريين على ما يشكله بدء تشييد الأعمال الرئيسية من المشروع بمجرد أن يكون ذلك ممكنا ، من أهمية بالنسبة للاقتصاد المصرى .

٢ ـ وفى الوقت ذاته ، اكد وزير مالية مصر ، عند بحث تمويل هذا المشروع ، ضرورة أن يتوفر لمصر ضمان مناسب من العملات الأجنبية الكافية قبل الاضطلاع بالمشروع .

٣ ـ وفى هذا الصدد ، أبلغت حكومتا الولايات المتحدة الأمريكية ، والمملكة المتحدة ، حكومة مصر أنهما ترغبان فى أن تقدما كمنحة جانبا من احتياجات العملة الأجنبية للمشروع .

٤ ـ وقد أعربت حكومة مصر ، كما أوضح بالفعل وزير المالية المصرى ، عن رغبتها فى أن تضمن اشتراك البنك فى تمويل المشروع بالإضافة إلى منحة أو معونة من هذا القبيل .

وترجو حكومة مصر ، بالتالى ، الحصول على تأكيد من البنك بأنه سيقرضها مبلغا قدره مئتا مليون دولار أو ما يعادله من العملات الأخرى حسب الاقتضاء ، وذلك للمساعدة فى تمويل مشروع السد العالى . ويكون تمويل من هذا القبيل من العملات التى قد تكون متاحة لدى البنك وقابلة للاستخدام من قبل مصر من أجل النفقات المذكورة سابقا ، ويكون مفهوما أن تمويل البنك للمبلغ المذكور آنفا سيكون موضع اتفاق على شروط وأحكام مستندات القرض التى يجرى التفاوض بشأنها من أجل قرض واحد ، أو من حين لآخر من أجل سلسلة من القروض ، بعد التوصل إلى حل مرض للمشكلات القانونية التى تؤثر على مشروع السد العالى. ويكون مفهوما أيضا أن أى تمويل من هذا القبيل من قبل البنك سيكون موضع استعراض من جانب البنك فى ضوء جميع الظروف السائدة فى الوقت الذى ينظر فيه فى قرض أو قروض معينة ، وإن من بين الظروف التى ستؤخذ فى الاعتبار هى ما إذا كان البنك راضيا على نحو معقول عن أن العملات الأجنبية الإضافية وموارد العملة المحلية المطلوبة للمشروع ستكون متاحة حسب الاقتضاء وأن سياسات وأهداف حكومة مصر المبينة فى الفقرتين ٥و٦ أدناه قد تحققت وأنها محتملة التحقيق بدرجة كبيرة .

٥ ـ وإذ تضع حكومة مصر فى اعتبارها الحجم غير العادى للمشروع ، والذى يتضمن أعباء مالية ثقيلة وفترة طويلة من الإنشاء قبل إمكان تحقيق المنافع الكاملة له ، وبالنظر إلى الصعوبات التى يتعين التغلب عليها بغية تحقيق الإنجاز الناجح للمشروع ، فإنها تدرك ضرورة الحفاظ على سياسات مالية واقتصادية سليمة ، بما فى ذلك برنامج استثمارى يقر بأولوية مشروع السد العالى والحاجة إلى ضبط مجمل الإنفاق مع الموارد المالية التى يمكن

تعبئتها . كذلك تدرك حكومة مصر أن تنفيذ المشروع وإنجاز السياسات السالفة يتطلبان تخطيطا ، وتنظيما وإدارة على نحو خاص . ولذلك فإنها توافق على الإبقاء على هذه السياسات وان تتخذ وتنفذ تدابير مناسبة من أجل تحقيق الأهداف السالفة .

٦ ـ وتوافق حكومة مصر بوجه خاص على أن :

(الف) تتخذ وتطبق ، فى تقديم إسهامها المالى للمشروع وفى جلب الالتزامات المالية الخارجية ، سياسات متعلقة فى ضوء ظروف مصر ، وتكون محسوبة للحفاظ على قدرة مصر لخدمة الدين الخارجى الذى تحتاج إلى جلبه من أجل تنفيذ المشروع .

(باء) تخطط وتقوم بتنظيم وإدارة وتنفيذ المراحل المختلفة للمشروع كيما تضمن إنجازه الكفء الاقتصادى على أساس الخطط المزمعة فى الوقت الحاضر ، بما فى ذلك النص على المنافسة كأساس لمنح العقود ، وألا تحيد عن ذلك إلا فى حالة الضرورة الثابتة .

٧ ـ ترحب حكومة مصر بمشورة وتعاون البنك فيما يتعلق بالأمور المبينة فى الفقرتين ٥و٦ آنفا ، وتقترح استعراض هذه الأمور مع البنك من حين لآخر وتبادل وجهات النظر حولها .

٨ ـ تنضم حكومة مصر إلى حكومتى الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة فى مطالبة البنك بأن يعمل كقناة يتم من خلالها صرف الأموال المقدمة من الحكومتين الأخيرتين وفقا للمقترحات التى قدمتها الحكومتان .

٩ ـ وإذا كنت متفقا مع ما جاء آنفا ، يرجى إعطاء الحكومة توكيدا من البنك بأنه يوافق ، على أساس ما تقدم ، على أن يقرض حكومة مصر فى الوقت المناسب مبلغا يعادل مائتى مليون دولار أمريكى حسب الاقتضاء .

وثيقة رقم (٣)

رسالة مقترحة ليرسلها الرئيس "جمال عبدالناصر" إلى رئيس البنك الدولى للإنشاء والتعمير . (وقد رفضها الرئيس جمال عبد الناصر فى محادثاته مع أندرسون ، فبراير ١٩٥٦) .

OUTGOING TELEGRAM Department of State

04445

JUL 9 4 30 PM '63

ACTION: AMEMBASSY CAIRO 138

[redacted] CAIRO FOR AMBASSADOR

While we do not expect anything new in missile field to be displayed in July 23 parade, you should alert staff to report soonest anything which might reflect progress or change in UAR missile effort and which could be subject discussion during Israeli probe.

RUSK

DECLASSIFIED
E.O. 11652, SEC. 3(E), 5(D), 5(E) AND 11
State NLK-76-328 Appeal
BY [illegible] NARS, DATE 7-21-77

Drafted by: NEA:NE: PMDLehman/lmh 7/9/63

Telegraphic transmission and classification approved by: NEA - James P. Grant

Clearances: S/S - Mr. McKesson

DS-322

وثيقة رقم (٤)

صورة من الوثيقة رقم ٤٤٤٥ ـ ١٣٨ بتاريخ ٩ يوليـو ١٩٦٣ من برقية بعث بها وزير الخارجية الأمريكـى "دين راسـك" إلى سـفارته فـى القـاهرة يطلـب فيهـا مراقبـة العـرض العسـكرى السـنوى يـوم ٢٣ يوليـو وملاحظة أى جديد فيه بالنسبة للصواريخ .

DEPARTMENT OF STATE

AIRGRAM

SECRET

A-742 (LIMITED DISTRIBUTION)

AIR POUCH

TO : DEPARTMENT OF STATE 1965 APR 11 AM 9 32

REVIEWED by EGKovach DATE 3/13/91

FROM : Amembassy, TEL AVIV DATE: April 9, 1965

SUBJECT: Current status of the Dimona Reactor

REF : Deptel 930

"We are in the process of erecting a research reactor which will serve the needs of industry, agriculture, health and science....This reactor is dedicated entirely to peaceful purposes." (David Ben-Gurion in December 1960)

"In certain circumstances a virtuous woman may not want to appear virtuous." (Chaim Yahil in May 1963, referring to a US request to reassure President Nasser about the peaceful nature of activities at Dimona.)

"I desire to confirm Mr. Ben-Gurion's clear assurance on the character and purpose of the Dimona reactor." (Prime Minister Eshkol, August, 1963)

The quotations above are typical of at least a dozen unequivocal statements of reassurance coming from the top level of the Government of Israel. [ ]

[ ] As reinforcements for these good intentions, the intensity of USG opposition to nuclear proliferation has been forcefully brought home to Israel frequently and recently, together with the realization that the development of an Israel nuclear weapon would lead to sharp displeasure accompanied by severe curtailment of the American support in other fields which Israel needs so badly.

GROUP 3
Downgraded at 12-year intervals,
not automatically declassified.

SECRET
(LIMITED DISTRIBUTION)

FORM DS-323

Drafted by: SA:RTWebber:1-7-65 | Clearance and Approved by: DCM:-William N. Dale

Clearances: The Ambassador (in draft) | POL-:SEPalmer, Jr (in draft)

وثيقة رقم (٥)

صور لصفحات من تقرير السفارة الأمريكية فى إسرائيل رقم ٤٧٢ - أ يوم ٩ أبريل ١٩٦٥ ، والصفحة الأولى منه تشير إلى الشكوك الأمريكية فى مشروع "ديمونة" . وتشير الثانية إلى نوعية المنشآت الموجودة فى منطقة المفاعل . كما أن الصفحة الأخيرة تتحدث عن برنامج العمل المقرر للمفاعل حتى يكون جاهزا عبر أربع مراحل متعاقبة لإنتاج جهاز تفجير نووى .

High officials of the GOI have frequently admitted, however, that they are quite glad to "keep Nasser worried" on this subject. This element of psychological warfare is stated by Israeli officials to be the reason for the extraordinary security precautions which have surrounded Dimona from its inception. The extent to which this bluff is actually useful to Israel is debatable; it may even be counterproductive through creating a distrust stimulating the Arabs to greater efforts (nuclear and otherwise) against Israel. In any case, it seems unlikely that any large fraction of the $60 million already spent at Dimona can be justified in terms of the bluff value of the installation. It therefore seems desirable first to approach a study of Dimona from the point of view of its value as a research establishment devoted to the scientific needs of the nation.

Available information on the Dimona establishment - its history, facilities and staff - indicates clearly that, if military considerations are entirely omitted from the equation of motivation, it is not a sensible research project fitting into the total picture of the accomplishments, activities and needs of Israel's science. On the contrary, judging purely from this angle, it would seem to be a collossal blunder which has dissipated more than half of the total funds devoted to construction of facilities for research and development in the whole nation during the past six years.

If we regard Dimona as 10 percent bluff and 90 percent blunder, some baffling questions are answered. For example, why did all the members of the Israel Atomic Energy Commission (except Professor Bergmann) resign in 1959? The departing members included such distinguished scientists as Professor Giulo Racah and Amos de Shalit who were fully aware of the nation's great need for more adequate research facilities. It could be that these men refused to lend their names and reputations to such an expensive boondogle.

Similarly, the earlier public descriptions of Dimona (textile plant, science department of a new "University of the South," etc.) and the present security precautions (electric fence, trip wires, signs forbidding photography, exclusion even of most Israeli scientists) may be designed not so much as to fool the Arabs as to keep the highly articulate Israeli scientific community from realizing what a fatuous waste of money there has been.

If the men who originally authorized the Dimona project really had in mind the construction of a research establishment serving only the needs of industry, agriculture, health and science, it is not difficult to show that these intentions miscarried. We will attempt to outline two types of argument:

(1) We can study Dimona from the point of view of the ratio of capital investment per professional scientist, and compare this ratio with bona-fide research institutions elsewhere in Israel. To bring Dimona into line with the

Even though it is clear (see introduction) that Israel is firmly committed to using the Dimona facilities for peaceful purposes, it is interesting to speculate on the time schedule which might be followed in developing a nuclear weapon should the Government make an early decision to move in this direction. It seems probable that the following suggested schedule would be within the technical capacity of the Dimona Establishment and could be carried out without any noticeable stepping up of the level of activity.

Year	Activities
1965	Replace French fuel in reactor with Israeli (uncontrolled) fuel. Start construction of chemical separation plant. Complete preliminary survey of testing site.
1966	Start mining operations at testing site.
1967	Put chemical separation plant into operation. Complete mining operations at testing site.
1968	Assemble and test explosive device.

These tables lead to the conclusion that in addition to the minor motive of bluff and the somewhat more important one of gaining expertese in nuclear technique, the Israeli have now created a flexible basis of choice regarding the possibility of producing nuclear weapons.

(b)(1)
(b)(5)

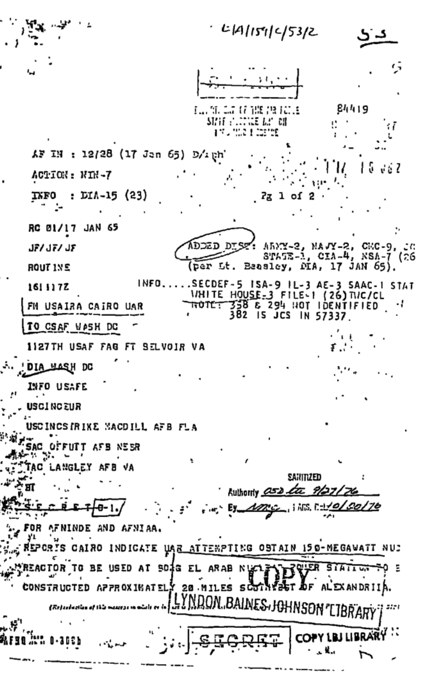
There were indications early this year that a delay may have been introduced in the development schedule of the Dimona Establishment. In January, 1965, both the plant for producing Uranium metal and the plant for converting this metal into fuel rods were in the process of being closed down, at least temporarily. It is not yet clear what significance should be attached to this delay, but we feel quite sure that it does not represent any softening in the fundamental determination of the GOI to "maintain an option" with regard to nuclear weapons.

(b)(1)
(b)(5)

The Embassy will continue to be alert to developments at Dimona and will report any items that seem significant.

FOR THE AMBASSADOR:

William N. Dale
William N. Dale
Charge d'Affaires, a.i.



CIA/151/C/53/2

84419

AF IN : 12/28 (17 Jan 65) D/sgh

ACTION: NIN-7

INFO : DIA-15 (23)

Pg 1 of 2

RC 01/17 JAN 65

JF/JF/JF

ADDED DIST: ARMY-2, NAVY-2, CMC-9, JC STATE-1, CIA-4, NSA-7 (26 (per Lt. Beasley, DIA, 17 JAN 65).

ROUTINE

161117Z

INFO.....SECDEF-5 ISA-9 IL-3 AE-3 SAAC-1 STAT WHITE HOUSE-3 FILE-1 (26) TWC/CL NOTE: 358 & 294 NOT IDENTIFIED 382 IS JCS IN 57337.

FM USAIRA CAIRO UAR

TO CSAF WASH DC

1127TH USAF FAG FT BELVOIR VA

DIA WASH DC

INFO USAFE

USCINCEUR

USCINCSTRIKE MACDILL AFB FLA

SAC OFFUTT AFB NEBR

TAC LANGLEY AFB VA

BT

SANITIZED

Authority ASD ltr 9/27/76

By NMG, NARS, Date 10/20/76

SECRET 0-1.

FOR AFNINDE AND AFNIAA.

REPORTS CAIRO INDICATE UAR ATTEMPTING OBTAIN 150-MEGAWATT NUC REACTOR TO BE USED AT BORG EL ARAB NUCLEAR POWER STATION TO BE CONSTRUCTED APPROXIMATELY 20 MILES SOUTHWEST OF ALEXANDRIA.

AF 80 JUN 0-3005

SECRET

وثيقة رقم (٦)

صورة من برقية السفارة الأمريكية فى القاهرة بتاريخ ١٧ يناير ١٩٦٥ إلى وزارة الدفاع ، والمخابرات ، وهيئة اركان الحرب المشتركة ، والأسطول الأمريكى فى البحر الأبيض ـ عن استعداد مصر لبناء مفاعل نووى يستطيع صنع أسلحة نووية .

AF IN :12728 (17 Jan 65)

PROJECT SUPPOSEDLY BEING DEVELOPED FOR DESALTING AND ELECTRIC POWER PURPOSES. EMBASSY INFORMS THIS OFFICE BIDS HAVE BEEN REQUESTED FROM 3 U. S. FIRMS; NAMELY, WESTINGHOUSE, GE AND AMF. ALSO WEST GERMANY AND UK HAVE BEEN ASKED TO BID WITH MARCH 1965 AS DEADLINE DATE. REPORTEDLY THIS SIZE REACTOR HAS POTENTIAL OF PRODUCING FISSIONABLE MATERIALS WHICH COULD BE USED FOR DEVELOPMENT OF ATOMIC WARHEADS.

AMBASSADOR BATTLE PRESENTLY IN US FOR CONSULTATIONS AND INTENDS DISCUSS MATTER WITH STATE.

GP-3

BT

INCOMING TELEGRAM *Department of State*

71

33 Action 1543

SECRET

Control: 15663
Rec'd: AUGUST 19, 1964
4:21 AM

SS Info

FROM: JIDDA

ACTION: SECSTATE 133, PRIORITY
CAIRO 31, PRIORITY
TAIZ 20, PRIORITY

043

INFO: AMMAN 16
BAGHDAD 6
DHAHRAN 95
LONDON 21
CINCSTRIKE/CINCMEAFSA FOR POLAD UNNUMBERED

DATE: AUGUST 18, 4 PM (SECTION ONE OF TWO)

PROTOCOL PHONED MORNING AUG 17 TO TELL ME IT WAS DESIRED I COME TO TAIF BY 4:15 P.M. PLANE SAME AFTERNOON. NO EXPLANATION. TICKETS SENT.

MET FAYSAL AT AL-SHUBRA PALACE 9 P.M. IN PRESENCE SAQQAF, PHARA'ON AND TWO AIDES. FAYSAL STATED THAT HE HAD WANTED TO SEE ME FOR GENERAL TALK BUT SOMETHING HAD JUST HAPPENED WHICH HE SHOULD COMMUNICATE TO ME AS PERSONAL FRIEND OF HIMSELF AND HIS COUNTRY AND AS AMBASSADOR OF FRIENDLY U.S. TWICE IN LAST FEW DAYS (AUG 13 AND 15 SUBSEQUENTLY VERIFIED AS DATES) THREE UAR MILITARY PLANES HAD INVADED SAUDI AIR SPACE SOUTH EAST OF JIZAN OVER AL-HARTH TRIBAL COUNTRY, ABU ARISH (OUTSIDE DZ) AND ORR KHUBA (IN DZ). THEY HAD CIRCLED OVER AREA AT LOW ALTITUDE, A CLEAR PROVOCATION. HE HAD ALSO JUST RECEIVED REPORT FROM INSIDE YEMEN THAT UAR TROOPS WERE MOVING NORTHWARD TOWARD SAUDI BORDER. IN REPLY MY PERSISTENT QUESTIONS HE HAD NO DETAILS BYRPKOER AS TO SIZE, ARMAMENT, EXACT LOCATIONS. (I ASKED IF HE HAD INQUIRED OF UNYOM SINCE THEIR CAMPS WERE IN THIS AREA. HE SAID HE HAD NOT YET AS NEWS TOO RECENT.) THESE DEVELOPMENTS CALLED TO HIS MIND RUMORS HE HAD PREVIOUSLY HEARD BUT NOT CREDITED THAT JORDAN, IRAQ AND UAR SINCE FIRST SUMMIT (JAN 1964) HAD FORMULATED TRIPARTITE AGREEMENT IN PRINCIPLE

SECRET

وثيقة رقم (٧)

صورة للصفحة الأولى من برقية السفير الأمريكى فى جدة (إلى وزارة الخارجية الأمريكية) عن محضر لقابلة له مع الملك فيصل — بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٦٤ .

Genève, le 6 Mars 1963

Monsieur le Professeur
Giorgio La Pira
Via La Marmora 5
Florence

Mon cher ami,

Je regrette que je ne vous ai pas vu il y a très longtemps. Je dois être vers le 20 Mars à New-York en rentrerai seulement début Avril à Paris, où j'ai maintenant un appartement. Fin Avril je dois être en Israel.

J'ai lu que vous avez été en Egypte et en Israel et que vous êtes optimiste quant à un règlement pacifique. Malheureusement je ne partage pas votre optimisme et j'ai beaucoup de doutes. J'ai été en contact, ces derniers mois, avec des représentants de l'Union Soviétique et j'ai eu un long entretien avec le Maréchal Tito.

De tous les côtés on suggère que je rencontre Heykal. J'ai lu que vous avez proposé que M. Eban le voie; Je ne crois pas que M. Heykal sera d'accord de se rencontrer avec le Ministre des Affaires Etrangères d'Israel, mais une telle entrevue serait beaucoup plus réalisable avec moi, qui n'occupe aucune position officielle dans le Gouvernement israélien. M.Astier de la Vigerie, un de ceux qui suggèrent une telle rencontre, a écrit à ce sujet à M.Heykal et a reçu une réponse favorable en principe. Croyez-vous pouvoir faire quelque chose dans cette direction? Le meilleur moment pour moi serait la mi-Avril, soit à Rome, soit à Paris.

Ecrivez-moi ce que vous pensez de cette idée. La situation se complique de semaine en semaine, et il faut faire le maximum pour trouver une base pour un arrangement. J'espère avoir votre réponse bientôt, et je vous prie de l'adresser encore à mon adresse à Genève-26 Route de Malagnou.

J'espère que vous vous portez bien et, dans l'espoir de vous revoir prochainement, je suis

très amicalement

Dr Nahum Goldmann

وثيقة رقم (٨)

صورة من خطاب "ناحوم جولدمان" إلى عمدة فلورنس الشهير "لابيرا" والذى يرجوه فيه أن يرتب لقاء بينه ("جولدمان") وبين "محمد حسنين هيكل" - بتاريخ ٦ مارس ١٩٦٨ .

Florence, April 4th. 1968

Excellency,

These days' great events set again in motion the mechanism (undetainable) of negóciation and peace (in Vietnam and in the whole world): therefore, this is the convenient time for resuming this "negótiable action" (triangular) also fob Egypt and Israel.

Resuming -with hope and faith- the theme of the meeting: Abba Eban is available! I know: Israel is so much guilty: nevertheless we must always hope and act again.

You could do so much.

What about Goldmann's letter?

Peace is unavoidable; war impossible; guerilla warfare useless: the only thing left is negociation, unavoidable instrument for the solution of world's problems.

Excellency, I wish you would try your utmost: our position regarding Israel is always that of the "open windows": my thesis of the meeting between Abba Eban and Heykal (or even at the highest level) seems to me ever more valid.

Hope against hope.

Pray for me.

La Pira

وثيقة رقم (٩)

صورة من الخطاب الذى بعث بـه "لابـيرا" عمـدة فلورانس إلى "جمال عبدالناصر" يعرض عليـه (فيـه) فكرة لقاء بين "أبا إيبان" و "محمد حسنين هيكـل" - بتاريخ ٤ أبريل ١٩٦٨ .



صورة رقم (   )

(تابع ٣)

ثالثا ــ ازدياد ارسال الاتحاد السوفييتى للاسلحة الى الدول العربية بمعدل يفوق الحدود المعقولة من حيث الكم والكيف .

رابعا ــ ازدياد اعتماد اسرائيل العسكرى والاقتصادى على الولايات المتحدة واعتماد الدول العربية على الاتحاد السوفييتى .

ومن هنا ــ كما قال جدعون رفائيل ــ يظهر الخطر بالنسبة لايجاد تسوية للموقف بواسطة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى .

ويقول جدعون " اننا مقيدون بخيوط لا يمكن السيطرة عليها بعد ذلك " .

والفكرة الثانية ، التى عرضها جدعون هى ، أن حكومة اسرائيل مصممة على أن تعمل ضد أى احتمال لقيام حرب جديدة ، وقد قدمت اسرائيل أمثلة كثيرة فى هذا الصدد ، وكانت تنتظر أى اشارة من الدول العربية وخاصة من السيد الرئيس .

وقال الوزير الرومانى أنه رسميا يكرر ما يلى نقلا عن جدعون رفائيل :

١ ــ أن الحكومة الاسرائيلية لديها الرغبة فى تسوية النزاع سلميا .

٢ ــ أنها فى مناسبات كثيرة طلبت الرجوع الى قرار وقف اطلاق النار الذى سيكون فى صالح العرب واسرائيل أيضا .

(يتبع)

وثيقة رقم (١٠)

صورة للصفحة الثالثة من محضر اجتماع بين وزير التجارة الرومانى و"جمال عبدالناصر" ، وفيه يبلغ الوزير الرومانى رسالة من الحكومة الإسرائيلية ـ نقلها " جدعون رافاييل" (مستشار "جولدا مائير") ـ إلى "جمال عبدالناصر" عن رغبة إسرائيل فى تسوية النزاع سلميا .

هناك الوضع السوفيتي كما الاتحاد السوفيتي [illegible] أكثر من مسلمي
أما بالنسبة للتعاون بين الروس والأمريكان فهناك يمكن هناك المزايا التي كل منهم
لمصلحة معينة المشاكل، وقد يكون كل منهما مصلحته الأخرى
الروس هنا محدودا جدا ولا نستطيع أن نستغني عنهم [illegible] ولكن قد حصلنا
هنا باستمرار، فلو خرجوا ما اهتم الأمريكان بحل المشكلة
نحن نريد حلا سلميا حقيقيا والروس يعرفون هذا
وهم أيضا يريدون حلا سلميا
ولكن يأتي وقتا معينا يقولون فيه هذا الدور السياسي يجب أن تقوم به
نستطيع أن نقول هناك محاولة للتفاهم
ولكن ليس هناك اتفاق على التفاصيل
ولدي نقطة أخرى: مسألة باسم الأوروبي (القضية)
الشرق الأوسط الروس من هنا منزعجة فإنهم يكرهون قد هزموا في العالم كله
ولذا فيجب [illegible] الروس بكل شيء و
[illegible] أن نراعي هنا مستوى [illegible] معقدون من جميع النواحي
ولكن زيارتنا بيرجينيف لوزارة الخارجية تقرأهم وتعلم حساسيتهم
ككل ما يمكن أن تم ننتج ما تسمعون أن الاتصال بين أمريكا وبيننا
فيجب أن نراعي حساسيتهم جدا، وهم لديهم تجاربهم في الصين وغيرها
نحن لسنا نعاملهم [illegible] أبدا أو نجعلهم يفكرون على [illegible] شيئا
وهنا مناقشة صريحة معروفة إذا تريد أن تقدم بيننا وبين الروس
فيجب أن نراعي هذا في استخدام دبلوماسيات
الأمريكان يريدون أن نقللوا من مساعدة السوفييت لنا
فحتى إذا خرجت أمامنا أشياء قد توحي لنا بأن الروس
متخذون مواقف معينة يجب أن نتحرز تماما في الأخذ لأنه
ح أنه كتصرف حقيقي في الواقع الهدف الأمريكي والإسرائيلي

وثيقة رقم (١١)

صورة للصفحة الثانية من محضر الاجتماع الذى عقده "جمال عبدالناصر" مع مجموعة مكتب وزير الخارجية وعدد من السفراء للنقاش المفتوح حول فكر استراتيجى ، والذى عقد فى استراحة المعمورة يوم ٩ أغسطس ١٩٧٠ ـ وهى بخط المستشار "أسامة الباز" .

٢٠/٩/٧٠



ديوان كبير الأمناء

- وقابلت [illegible] السفير [illegible]

[illegible] إسرائيل [illegible]

[illegible]

١ - إسرائيل لن تنسحب [illegible]
[illegible]

٢ - إسرائيل [illegible]

[illegible] الشهر [illegible]

[illegible] حل مسألة [illegible]

٣ - لذلك فإن إسرائيل مستعدة ان تعد اتفاقية [illegible]

[illegible]

٤ - ان إسرائيل مستعدة [illegible]

[illegible]

[illegible]

٥ - [illegible]

[illegible]

[illegible]

وثيقة رقم (١٢)

صورة من مذكـرة تحـوى رسـالة نقلهـا رئيـس وزراء رومانيـا إلى السـيد "علـى صـبرى" بعـد يومـين مـن رحيل "جمال عبد الناصر" كمـا كتبهـا وزيـر شـئون رئاسة الجمهورية - يبلغ فيهـا رسـالة مـن إسـرائيل عن استعدادها لإرسال مندوبين علـى أعلـى مسـتوى لبحث الموقف مع الجمهورية العربية المتحدة .

21 November 1973

<u>From:</u> Dr. Kissinger
<u>To:</u> Mr. Ismail

Message from Dr. Kissinger to Mr. Hafiz Ismail dated 20 November, 1973. :

I was delighted to receive Mr. Trone's detailed account of his conversation with you on November 15. We, too, place great stress on maintaining this presidential channel. My experience has shown that communications at this level often permit the exploration of ideas that are more difficult to discuss in formal Government-to-Government channels.

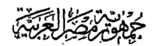
On this occasion, I especially want to use this channel to tell you how very much impressed I was with President Sadat's perception of the longer term issues with which all of us must deal in the present situation. I am convinced that there will be no peace in the Middle East unless the principal leaders there take a long view and are prepared to perserve in their pursuit of fundamental objectives regardless of shorter term turns in the course of events. Your President has clearly demonstrated this capacity, and a great deal now rests on his continued statesmanship.

I assume you will have seen my recent exchange of messages with Foreign Minister Fahmi. I have considered the suggestion that the opening of the peace conference be conditioned on success in the near future in talks on disengagement. My own view is that this would be a mistake and that, as I said to President Sadat, disengagement should be the first substantive subject dealt with at the Peace Conference. At that time, it would be possible to discuss some of the schemes that President Sadat mentioned in his conversation with me. I believe that some of those ideas are adaptable to Syrian conditions as well. In my view, the Peace Conference is the place where our influence can be most effectively used.

I would also like to add my further thought that it would be a mistake to advance in other forums at this time some of

وثيقة رقم (١٣)

صورة الصفحة الأولى من رسالة "هنرى كيسنجر" إلى "حافظ إسماعيل" بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ يؤكد فيها على أهمية قناة الاتصال السرية ، ويبدى فيها عدم موافقة الرئيس "السادات" على اقتراح وزير الخارجية المصرى بتأجيل مؤتمر السلام إلى ما بعد محادثات فك الارتباط .



برقية رمزية

من	جنيف	رقم البرقية ٩٩٨٦	مجموعة الوقت والتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٠
إلى	للتنفيذ		
	للعلم		

الى السيد الرئيس

من السيد الوزير

اجتمعت صباح اليوم الخميس ٢٠ ديسمبر بجروميكو فى مقر البعثة السوفيتية تحدثنا فيما يلى :

أولا : المسائل الاجرائية

- ذكر جروميكو انهم لا يعيرون اهمية كبيره لهذه المسائل وبالنسبة للغات فيرون استخدام اللغتين الانجليزيه والفرنسيه فقد كلغات رسمية ويقبلون استخدام اللغتين العربية والعبريه . ثم اثار موضوع تشكيل المؤتمر للجان الفرعية وبدئها العمل.
- اشرت الى انه ولو ان بعض هذه المسائل قد لا تهم دولة عظمى كالاتحاد السوفيتى فان لها اهمية بالنسبة لنا حيث قد يكون لها اثار على العمل فى المستقبل . ثم اشرت الى ان الموضوع بالنسبة لنا ليس موضوع احتفاليات وصور ومصافحات ودعايه وان اى محاولة للاحراج فى هذا الصدد من جانب السكرتاريه او الامريكان سيضطرنى الى مغادرة المؤتمر .
- بالنسبة للقاعة والجلوس اشرت الى اننا ذكرنا لسكرتارية الامم المتحدة انه يتحتم الاحتفاظ بمكان سوريا معدا سواء حضرت أم لا فقد تقرر الحضور فى أى وقت تراه .
- بالنسبة للغات قلت اننا يجب ان نأخذ كأساس لغات الامم المتحده الرسمية واننى اريد ان نستخدم اللغه الفرنسية فمن المحتمل ان

(يتبع)

سرى جدا

وثيقة رقم (١٤)

صورة من البرقية رقم ٩٩٨٦ التى بعث بها وزير الخارجية المصرى من جنيف عن مقابلته لـ "جروميكو" فى مقر البعثة السوفيتية بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٧٣ .

سرى جدا



برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٦٢٤٦-١٩٧١-٥٠٠٠٠

من	جنيــف	رقم البرقية	١٠٠٧٣	مجموعة الوقت والتاريخ	١٩٧٣/١٢/٢٢
إلى	للتنفيـــذ				
	للعلـــم				

الى السيد الرئيـــس

من السيد الوزيــــر

أجاب كيسنجر على سؤالى عن تقديره بالنسبة لنتائج الانتخابات الاسرائيليـة بما يلى :

١ ــ انه لايميل شخصيا ولايتحمل جولدا مائير وانما يغلب ان يفــوز حزبها وان تشكل هى الحكومة الجديدة ؛

٢ ــ وان كان يفضل آلــون شخصيا .

٣ ــ أما اذا انهزم حزب مائير وجاء حزب بيجين فيلزم ضغـــــط شديد عليـه وبأسلوب صــارم .

الوزيــر

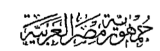
١٩٧٣/١٢/٢٢

٥

سرى جدا

وثيقة رقم (١٥)

صورة من برقية وزير الخارجية المصرى مـن جنيـف رقـم ١٠٠٧٣ بتـاريخ ٢٢ ديسـمبر ١٩٧٣ بشـأن تقديرات "كيسنجـر" بالنسـبة لنتـائج الإنتخابـات فى إسرائيل .



سرى جدا

برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ١٢١٤٦-١٩٧١-٥٠١١٠٠

من	جنيف	رقم البرقية ١٠٠٧٤	مجموعة الوقت والتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢
الى	للتنفيذ		
	للعلم		

من السيد الوزير

الى السيد الرئيس

طلبت من كيسنجر ان يشرح لى تقديراته بالنسبة لاحتمالات الموقف الداخلى فى امريكا فذكر الاتى :

١ – ان نيكسون سوف لايستقيل اطلاقا حتى اذا صدر قـــــــــــــرار EMPEACHMENT .

٢ – وانه يعتقد ان النفوذ الصهيونى PRESTIS والصحافـــــــــة الصهيونية وبعض الاخرين المتعصبين من هذا الموقف ان يكثفـــــوا الحملة ضده وأما نيكسون قوى وقادر ان يتخذ قرارات حاسمـــــة اذ انه عنيد .

٣ – الحزب الديمقراطى ضعيف .

٤ – ان كيسنجر سيعيد نيلسون روكفلر الذى تربطه به علاقات خاصة لتأييد وتقوية نيكسون .

٥ – اذا أمكن احراز تقدم فى الشرق الاوسط بخصوص فك الارتباط وبعد ذلك تهدئة الموقف بالنسبة للبترول ثم ينصب كل هذا لنيكســــون فسيقضى قضاء مبرما على معارضيه المطالبين ويقوى مركزه الـــى درجة كبيرة ولذلك فهو يعمل على الانتهاء من هذين الموضوعــــين سريعـــا .

٦ – استقالة ليرد شخصية اذ انه يحوى ويعمل على ترشيح نفســــه نائبا لرئيس الجمهورية فى الانتخابات المقبلة وفى رأيه انـــه

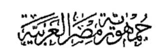
(يتبع)

سرى جدا

وثيقة رقم (١٦)

صورة من برقية وزير الخارجية المصرى مـن جنيـف رقم ١٠٠٧٤ بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ عن تقديرات "كيسنجر" بالنسبة للموقف الداخلـى فـى أمريكـا ، وتأكيده بأن "نيكسون" لن يستقيل .

سرى جدا



برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٢٤٦-١٩٧١-٥٠٠٠٠٠

من	رقم البرقية	مجموعة الوقت والتاريخ
إلى	للتنفيذ	
	للعلم	

(تابع ٢)

علق ايبان على كلام جروميكو بانه شعر ان موقف مصر حاسم فى هذه الخطه وانه ابرق للقدس بهذا وانه يعتقد ان تستجيب له .

٥ - قال جروميكو لايبان ان الخطه الثانيه تتعلق بالتفكير العام لسير المؤتمر واضاف انه يجب ان ينبع من مبدأ واحد اساسى هو انه بالرغم من اى منطق او اى اسباب تذكرها اسرائيل . فان الاساس هو عدم جواز الاستيلاء على الاراضى بالقوه وبالتالى وجوب انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى التى احتلتها . ختم جروميكو كلامه من هذه النقطه بانه اذا ارادت اسرائيل الوصول الى سلام حقيقى بانه لابد من الانسحاب الكامل واما اذا استمرت فى سياستها التوسعيه العسكريه التى تقضى بضم الاراضى العربيه فان الاتحاد السوفيتى سوف يقف مع الدول العربيه بكل مافى معنى هذه الكلمه .

٦ - رد ايبان بان الاحوال الداخليه والانتخابات فى اسرائيل هى التى تقف حائلا امام الكلام بصراحه الان . عقب جروميكو بان هذا امر يتعلق باسرائيل ولايتعلق بغيرها وانما الذى يهم الاخرين هو السلام الحقيقى .

٧ - ذكر فينوجرادوف ان اسرائيل لم تكن تتوقع ان يقبل جروميكو مقابلة ايبان .

٥

(يتبع)

سرى جدا

وثيقة رقم (١٧)

صورة للصفحة الثانية من برقية وزير الخارجية المصرى من جنيف رقم ١٠٠٨١ بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ عن نتائج مقابلة "جروميكو" مع "أبا إيبان".





سري جدا

برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ٦٢٤٦-١٩٧١-٥٠٠٠٠

من جنيف	رقم البرقية ١٠٠٧٥	مجموعة الوقت والتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢٢
إلى — للتنفيذ		
إلى — للعلم		

الى السيد الرئيس

من الوزير ...

حضر كيسنجر لمقابلتي صباح اليوم مع اجتماعه مع ايبان وذكر الاتي :

١ - اكد الاتفاق الذي تم بيني وبينه فيما يتعلق ببدء اللجنة العسكريه يوم ٢٥ ديسمبر وان الحكومه الاسرائيليه عندما تجتمع يوم الاحد القادم ستقرر ارسال العسكريين الى جنيف ليصلوا يوم الاثنين .

٢ - والى ان القابل جروميكو لاسأله عما تم بينه وبين ايبان سألت كيسنجر عما اذا كان ايبان اخبره بما تم فذكر ان السوفيت واسرائيل سيعاودون الاتصال الدبلوماسي الرسمي عندما يتم اول تقدم بخصوص فك الارتباط .

٣ - وحتى احضر كيسنجر ذكرت له انني اتوقع ان تحاول اسرائيل ان تعطي للسوفيت تنازلات بالنسبه للتحرك وفك الارتباط حتى يتحسن موقف السوفييت وحتى يفرج السوفيت عن مهاجرين اكثر وستستغل اسرائيل بطبيعة الحال تمشيا مع كل هذا موقف الكونجرس من الاتفاقيات السوفيتيه الامريكيه .

٤ - كان واضحا الاهتمام المفاجئ بهذه النقطه على كيسنجر وبانكس وسيسكو وكان رد فعل كيسنجر التلقائي انه اذا تم هذا فتكون نهاية اسرائيل قد قربت .

(يتبع)

سري جدا

وثيقة رقم (١٨)

صورة من برقية وزير الخارجية المصرى مــن جنيـف رقم ١٠٠٧٥ بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ يعـرب فيهـا عـن مخاوفـه لــ "كيسـنجر" مـن عــودة العلاقــات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل .

EGYPT'S ONLY HOPE - LIBYA

1. Egypt since 1967 has been paying a heavy price for its advocacy of Arab Unity. It is about time that Egypt should reap the benefits from that policy.

2. For any country to advance it needs land, labor and capital. Egypt has plenty of the first two, but its suffering has been due to its lack of capital; and Libya simply has it.

3. At present, Libya's cash reserves are in excess of 3.4 billion dollars and in 1974 - 1980 oil income should be at least 36 billion dollars or an average of 5.1 billion dollars annually.

4. With such a tremendous amount of capital, Egypt could buy all its military and industrial requirements; and it won't be long before Sudan joins such a union. The new nation could become a real power to be reckoned with.

5. Naturally, since the merger is not that of equal states, problems could arise. Having the same borders, it will be easier to solve these problems. But Egypt to continue as it is today, short of capital, will face more problems that could lead to worse tragedies to its people and the whole Arab World.

6. Therefore, unity with Libya is more important than any other problem facing Egypt today. No Sinai or any other issue will solve Egypt's problem as much as complete union with Libya. With such a strong nation, Egypt then does not have to beg the West for its Sinai but could dictate its terms.

7. Naturally, a strong Egypt will be a threat to U.S. interests in the whole Arab World. Therefore, the U.S. will pay any price to delay such a union.

8. Therefore, Saudi intentions of giving economic and political support to Egypt as a price for delaying or postponing the union, is really questionable. No doubt that country, for obvious reasons, will do anyting to block the merger.

9. Even its promise to cut its increase in production to 10% annually is completely misleading. Over the next few years a lot of oil will come from Iraq, Abu Dhabi, Libya, Alaska and North Sea. The following table shows estimated 1980 World production.

وثيقة رقم (١٩)

صورة من الصفحة الأولى للمذكرة التى سلمها الكولونيل "زيون" إلى الوفد المصرىفى جنيف بعنوان "أمل مصر الحقيقى : ليبيا" عن فوائد ضم ليبيا إلى مصر بدلا من تضييع الوقت فى مشكلة فلسطين .

January 28, 1974

MESSAGE FROM SECRETARY KISSINGER TO PRESIDENT SADAT
THROUGH FOREIGN MINISTER FAHMY

With respect to the consultations we discussed on matters of personal secuirty, we are prepared to send the following team of experts to Cairo immediately:

George Q. Keithalm, an expert in personal protection techniques;

Paul Lewis, a specialist in audio countermeasures;

Hugh Ward, a training specialist in personal secuirty.

In addition, an expert in physical security and explosives detection would join the team after the first few days.

In addition, we propose to send with the team mr. Alan D. Wolfe. Mr. Wolfe is an intelligence expert whom we would plan to assign, with President Sadat's approval, to our Interests Section/Embassy in Cairo. He would be coming at this time in order that your own experts can have the opportunity to meet him and make recommendations to you regarding his acceptability.

We would plan to have this team arrive in Cairo on February 2. However, if another date would be more convenient to you, we would, of course, make any adjustments desired.

وثيقة رقم (٢٠)

صورة من برقية "هنرى كيسنجر" إلى "أنور السادات" بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٧٤ يبلغه فيها بأسماء فريق الخبراء الموفد إلى مصر لبحث موضوع أمنه الشخصى ، وبها تولت الولايات المتحدة مسئولية أمن الرئيس المصرى مباشرة .

SECRET

January 17, 1974

In order to facilitate agreement between Egypt and Israel and as part of that settlement, and to assist in maintaining scrupulous observance of the ceasefire on land, air and sea the United States proposes the following:

1. That within the areas of limited armaments and forces described in the agreement, there will be: (1) no more than eight reinforced ballalions of armed froces and 30 tanks; (b) no artillery except anti-tank guns, anti-tank missiles, mortars and six batteries or howitzers of a caliber up to 122 mm. (M-3) with a range not to exceed 12 kilometers; (c) no weapons capable of interfering with the other party's flights over its own forces; (d) no permanent, fixed installations for missile sites. The entire force of each party shall not exceed 7,000 men.

2. That to a distance 30 kilometers west of the Egyptian line and east of the Israeli line, there will be no weapons in areas from which they can reach the other line.

3. That to a distance 30 kilometers west of the Egyptian line and east of the Israeli line, there will be no surface-to-air-missiles.

4. That the above limitations will apply as from the time the agreement on disengagement between Egypt and Israel is signed by the parties and will be implemented in accordance with the schedule of implementation of the basic agreement.

SECRET

وثيقة رقم (٢١)

صورة من الاقتراح الأمريكي الذى سلمه "هنرى كيسنجر" إلى " أنور السادات" ويتعلق بتخفيض القوات المصرية على الضفة الغربية لقناة السويس - بتاريخ ١٧ يناير ١٩٧٤ .

SECRET

U.S. PROPOSAL

In order to facilitate agreement between Egypt and Israel and as part of that agreement, and to assist in maintaining scrupulous observance of the ceasefire, the U.S. proposes the following:

1. That within the zones of limited armaments described in the agreement, there will be: (a) no more than ________ brigades of armed forces and ______ tanks, and (b) no weapons which can reach the line of the other side.

2. That in zones 30 kilometers west of the Egyptian line and east of the Israeli line, there will be no artillery that can reach the other line.

3. That in zones 30 kilometers west of the Egyptian line and east of the Israeli line, there will be no surface-to-air missiles.

4. That the above limitations will apply from the time the agreement of disengagement between Egypt and Israel is signed by the parties and will be implemented in accordance with the schedule of implementation of the basic agreement.

____

Egypt

____

Israel

From: The Rt. Hon. James Callaghan M.P.



HOUSE OF COMMONS
LONDON SW1A 0AA

8th February 1974.

My dear President,

I was very glad to have the opportunity of meeting you. I conveyed your message about troops to Mrs. Meir and she asked me to thank you for it. She asked me to tell you that she welcomes your proposal to rebuild the towns on the Suez Canal Bank and asked me to say two things to you: first that she, too, wants peace and, second, that she will carry out to the letter the observance of all agreements that are made.

You may be interested to hear that the impressions I conveyed to the Israel Government seem, according to them, to be in line with the opinion that Dr. Kissinger had formed. I explained your attitude very carefully, and I hope accurately, about the prospect for peace, emphasising both your desire for it and also the very great difficulties that lie in the way of its fulfilment.

The Israelis have some very hard decisions to take and progress will take time.

Mr. Wilson thanks you for your invitation to Egypt which he hopes to accept in due course.

Yours sincerely

Jim Callaghan

Muhammad Adwar Sadat,
President and Prime Minister of Egypt.

وثيقة رقم (٢٢)

صورة من خطاب "جيمس كالاهان" إلى "أنور السادات" بتاريخ ٨ فبراير ١٩٧٤ يبلغه فيه أنه تحدث مع "جولدا مائير" عن إعادة تعمير مدن القناة بناء على اقتراح الرئيس "السادات" .

١٩٧٤/١/٢٣

الى الدكتور هنرى كيسنجر

بعد أن انتهيت اليوم من زيارة السعودية و سوريا و الكويت و البحرين و قطر و ابوظبى و الجزائر و المغرب أود أن ألخص لك بعض نتائج هذه الزيارة :

١ – بالنسبة لطبيعة اتفاق فك الارتباط فلقد أوضحت المجهود الكبير الذى قمتم به و الدور البناء الذى اتبعته الولايات المتحدة الامريكية فى هذه الفترة و بينت انه اتفاق عسكرى بحت تنفيذا للبند (٢) من النقاط الستة.

٢ – أشير فى أثناء الزيارة فى سوريا و كذلك على مستوى البلاد العربية فك الارتباط على الجبهة السورية و أشعر أن هذه النقط تلقى اهتماما كبيرا على المستوى العربى لذلك اشرت فى جميع هذه البلاد الى التزامنا بالمساهمة فى فض الاشتباك على الجبهة السورية مشيرا كذلك الى تصريحاتكم فى أسوان التى تبين استعدادكم لانجاز هذا الموضوع و انك غيرت خط السير الى دمشق ثم اسرائيل كدليل على اهتمامكم بهذا الانجاز و فى نفس الوقت اود أن أبين شأنية أهمية العمل على ذلك على شكل سريع لانه يفيد القضية و فى اجتماعي فى سوريا أمكن مناقشة هذا الموضوع باتساع و اعتقد أن الجو مهيئ لاتخاذ خطوات ايجابية فى هذا الصدد.

٣ – بالنسبة لمشكلة الطاقة فلقد شرحت الموقف كاملا للدول المنتجة للبترول و بينت أن انتهاج الولايات المتحدة الامريكية لسياسة اكثر ايجابية بالنسبة للعرب يجب أن يقابله خطوات ايجابية من العرب و لقد لقى ذلك تفهما واضحا من الملك فيصل و كذلك الرئيس بومدين الا أن بعض الاصدقاء المخلصين من دول الخليج مع موافقتهم من حيث المبدأ فانهم طلبوا أن يقترن ذلك باتفاق فك الارتباط على الجبهة السورية.

٤ – اننى أشعر أن موضوع الطاقة يسير نحو الحل و اعتقد ان استكمال محادثاتك فى سوريا بالبدء فعلا و بسرعة فى المحادثات الخاصة بفض الاشتباك على الجبهة السورية سينجز سريعا ما اتفقنا عليه.

٥ – اننى أستطيع القول بان رحلتى للبلاد العربية و عقدى لمؤتمرات صحفية متعددة قد أدت اغراضها بنجاح و تبينت فى المنطقة الدور الذى قمتم به و كذلك شرحت سياسة الرئيس نيكسون و اعتقد أن الرأى العام العربى بعد هذه الرحلة صار متفهما تماما لذلك.

٦ – بالنسبة لمحادثات اسماعيل فهمى فى موسكو فانها حسب المعلومات التى وصلتنى اليوم تسير من وجهة نظرنا فى اطار سياستنا العامة .

٧ – اود أن أذكر لك انى ساجرى اتصالا بالسعودية بعد عودتى فورا لتنفيذ ما اتفقنا عليه.

٨ – و كذلك أود ان اؤكد اننى مرتبط بكل ما اتفقنا عليه مع أخلص تحياتى للرئيس نيكسون و لكم .

وثيقة رقم (٢٣)

صورة من خطاب "أنور السادات" إلى "هنرى كيسنجر" بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٧٤ بعد جولة قام بها "السادات" إلى عدد من الدول العربية لشرح السياسة الأمريكية فى المنطقة ، يطمئن فيها "كيسنجر" بأن مشكلة حظر البترول فى طريقها إلى الحل .

مقابلـــة

جلالة الملك فيصل مع الدكتور أشرف مـــــــــروان

يـــوم ١٥ مـــــــارس ١٩٧٥

١ — حضر المقابلة الامير فهد نائب رئيس الوزراء ، والامير تركـــــــي الفيصل مساعد الشيخ كمال أدهـــم ..

٢ — سلمت جلالة الملك رسالة السيد الرئيس المتعلقة بالاوضاع فى اليمن الجنوبية فذكر الملك انه مسعد للتجاوب وان يقابل فى منتصـــف الطريق مع الرئيس سالم ربيع .. وانه سيرسل رسالة الى السيد الرئيس .

٢ — شرحت له مباحثات السيد الرئيس مع وزير الخارجية الامريكية وانـــه حتى هذه اللحظة فان السيد الرئيس لا يعلم هل سيتم فصل القوات على الجبهة المصرية أم لا .. والى اى خطوط سيتم فصل القوات ، وقد وعد كيسنجر عند عودته من اسرائيل بتقديم مشروع جديد .

٣ — ذكرت أن السيد الرئيس قد طلب من وزير الخارجية الامريكية طلبـــات ثلاث هى :

أ — فصل قوات على الجبهة المصرية بحيث يشمل الممرات وحقـــــول البترول .

ب — ان يتم فصل قوات على الجبهة السوريـــــة .

ج — ان تعترف الولايات المتحدة الامريكية بمنظمة التحريـــــــر الفلسطينية وان يتم معها اتصال رسمـــــي .

ذكر الملك انه سيقوم بالضغط على كيسنجر عند حضوره لزيارة المملكة ..

٤ — شرحت للملك الموقف السورى المزايد .. وانهم غير صادقين فيمــــا يدعون ، وان السيد الرئيس حتى الان لا يستطيع ان يفهم منـــــاورات

(يتبع)

رقم (

التاريخ

(تابع ٧)

" ان بعض الشخصيات المصرية المسئولة تناولت الامــراء السعوديون ومنهم الامير فهد والامير سلطان بالتجريح وانهـــم لا يفعلون اى شيء الا اذا كان لهم مصلحة فيه والحصول علـــى العمولات .. ودللوا على ذلك بما ردده كثير من المسئولـــين المصريين حول عقد البترول الاخير بين المملكة ومصر وان هنـــاك عمولة كبيرة اخذها الدكتور رشاد فرعون والامير فهد ، وكذلـــك الملاحظات التى لا لزوم لها التى يذكرها السيد اسماعيل فهمـــى للسفير فؤاد ناظر .

وطلبوا منى ابلاغ السيد الرئيس بزيادة الاتصالات فـــى هذه الفترة بالذات حتى نقضى على اية حساسيات " ..

ح

وثيقة رقم (٢٤)

صورة من التقرير الذى كتبه الدكتور " أشرف مروان" عن مقابلته مع الملك "فيصل" وعدد من الأمراء السعوديين بتاريخ ١٥ مارس ١٩٧٥ .

صاحب الفخامه الاخ الرئيس محمد انور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد تلقيت رسالة فخامتكم المؤرخه في ١ ربيع الاول ١٣٩٥هـ الموافق ١٤ مارس ١٩٧٥ م التي حملها الي معالي الدكتور اشرف مروان .

ومع شكري وتقديري لما عبرتم عنه من مشاعر الاخوة الصادقة وما بذلتموه من جهود مخلصة حول الوضع في الجنوب العربي الا انني ارى ان زيارة اى مسئول في هذا الوقت وبدون تمهيد وتفاهم مسبق على الاسس لا تؤدى الى النتيجة المطلوبه ، وان موقفنا معروف وهو يتمثل في تأييد اى مسعى يحقق المصلحة الاسلامية والعربية التي يتمسك بها الجميع . ولا ارى مانعا من تعيين مندوب خاص ليلتقي بمندوب عنهم في اى بلد اوربي يتفق على تعيينه للبحث بصورة سريه في السبل التي توصل الى الاتفاق على ما يحقق ازالة الخلاف على اسس اسلاميه وعربيه تلتقي فيها مصلحة البلدين والامة الاسلامية والعربية .

سائلين المولى سبحانه ان يأخذ بايدينا جميعا ويسدد خطانا على طريق الخير وان يوفقنا لما فيه خير امتنا وعزتها واعلاء شأن الاسلام وتوحيد كلمة المسلمين على الهدى والرشاد .

مع صادق تمنياتي لفخامتكم بدوام الصحة والسعادة . والله يحفظكم ....



الرياض في ٤ ربيع الاول ١٣٩٥هـ .

الموافق ١٦ مارس ١٩٧٥ م .

وثيقة رقم (٢٥)

صورة من الخطاب الذى بعث به الملك "فيصل" إلى الرئيس "السادات" بتاريخ ١٦ مارس ١٩٧٥ يعرب فيه عن رفضه استقبال مندوب من اليمن الجنوبى لبحث المشاكل بين البلدين .

سكرتير الرئيس للاتصالات الخارجية

برقية رمزية

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ٨٦٠٨١-١٩٧١-١٠٠٠٠٠

من	جـــدة	رقم البرقية (ش/س/أ)	مجموعة الوقت والتاريخ
الى	للتنفيـذ		
	للعـلم		

من : السيد/ كمال أدهـــــم

تحياتــى :

فيما يلى ملخص للاحتجاج الامريكى ضد السعودية .

أولا – بأننى نقلت بعض المعلومات لم تحدث فى سوريـــا .

ثانيا – كيسنجر لم يقل ان عبدالحليم خدام هو أحسن وزير خارجية .

ثالثا – كيسنجر طلب من مصر بعدم اخبار سوريا بالمحادثات ولكنه ذهـــب الى سوريا وناقشهم فى كل شئ وعندما قامت السعودية باخبار مصـر بما حدث فى سوريا تكشف موقف كيسنجر الذى لم يكن مرتاحا فـــى الاصل لتبادل المعلومات ما بين السعودية ومصر .. وقد انتهـــز كيسنجر فرصة غضب اسماعيل فهمى لان كمال أدهم قال بأن كيسنجر يقدر عبدالحليم خدام ويعتبره أحسن وزير خارجية فى المنطقة ، وقد قـام اسماعيل فهمى بالاحتجاج بواسطة السفير الامريكى فى القاهرة . وقـد وصل الاحتجاج الى المملكة بواسطة سيسكو وقد رفض السفير الامريكـى فى جدة تسليم الاحتجاج لانه اعتبر أن الموضوع عربى بحت وليـــس من واجب امريكا التدخل فى الامور التى هى من شئون العرب أنفسهـم .

رابعا – وقد رد كمال أدهم على رسالة الأمريكان بأنه اذا كان هذا الموضوع قد أثار السيد اسماعيل فهمى فانه مستعد أن يعتـــــبر

(يتبع)

سري جدا

وثيقة رقم (٢٦)

صورة للصفحة الأولى من البرقية رقم ش/ س/أ التى بعث بها "كمال أدهم" وتتعلق باحتجاج أمريكى ضد السعودية بشأن تبادل المعلومات بين السعودية ومصر .

1. Sisco message

On 28 February I received a message that I was asked to deliver to you from Sisco. It originated in a complaint registered with Hermann Eilts by Ismail Fahmy. It said exactly the following:

" At the earliest opportunity, you should meet with K.A. to inform him that we have been disturbed by reports from the Egyptians of what he relayed to them regarding the Secretary's last visit to the Middle East.

" According to these accounts, K.A. is supposed to have said that:

(A) When the Secretary was in Riyadh, he showed King Faisal maps of the Sinai and discussed specific positions and terrain features;

(B) K.A. had been told by Foreign Minister Khaddam that the Secretary had made a geographic presentation in Damascus with maps of the southern Golan; and

(C) The Secretary had told Khaddam that he was the greatest Arab Foreign Minister.

" You should tell K.A. that these statements do not accord with the facts. No maps were shown to King Faisal or any other Saudis, nor were any specific geographic positions or terrain features discussed. Neither were any maps brought to Damascus, although President Assad at one point used a map to point to the location of Israeli settlements in the Golan Heights. At one point, in response to the Secretary's question for ideas on a next step on the Golan, Assad responded with the idea of total Israeli withdrawal from the heights, with the U.N. forces being stationed in the western part of the Golan, but this discussion was general in nature and without any reference to any maps or specific lines.

" As for the Secretary's reported characterization of Khaddam, this is equally untrue.

" You should tell K.A. that not only are these stories fanciful, but that they are unhelpful for the sensitive mission the Secretary is about to embark on in the Middle East. It is important that all the actors in the scene not be misled by erroneous accounts which serve only to create confusion and suspicion.

" You should inform Ambassador Akins of this message."

وثيقة رقم (٢٧)

صورة للتقرير الذى بعث به مدير محطة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى جدة إلى مديره حول الأزمة التى نشأت بسبب ما نقله "كمال أدهم" للرئيس "السادات" عن مباحثات "كيسنجر" فى المملكة العربية السعودية وفى سوريا .



فندق وكازينو شيراتون القاهرة
Cairo-Sheraton Hotel & Casino
SHERATON HOTELS AND MOTOR INNS
A WORLDWIDE SERVICE OF ITT

GALAE SQUARE, GIZA
P.O.B. 11, CAIRO, EGYPT
TELEPHONE 983000

I

- Il existe dans notre région, après la signature de l'accord intérimaire, des dangers très graves malgré les espoirs créés dans cette nouvelle situation.
- Le but ultime et la paix. Pour éliminer les facteurs qui pourraient ~~endanger~~ mettre en danger le processus des solutions, il faut un dialogue discret et direct qui ne pourrait avoir que des éléments positifs. Dans des rencontres avec une présence d'une troisième partie il existe (naturellement) des éléments qui ne sont pas toujours identiques avec les intérêts des deux parties ~~[illegible]~~ principales. Nous pensons que ces contacts pourraient éliminer des dangers futurs. Nous nous engageons de maintenir une discrétion totale et absolue dans tout



II

Contact entre les deux services ; les contacts pourraient servir de dialogue discret, direct, comme moyen d'échange d'idées en vue d'avancer la paix

– Domaines : Touts les sujets = professionnels, politiques et militaires.

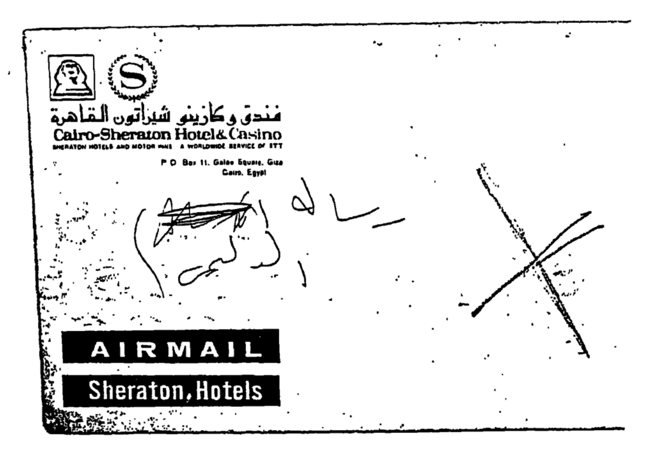
وثيقة رقم (٢٨ ـ أ)

صورة من نص الرسالة التي بعث بها الملك "الحسن" إلى الرئيس "السادات" مع مستشاره العسكري الجنرال "أحمد الدليمي" ، وهي عبارة عن رسالة من "رابين" إلى "السادات" وقد كتبها الجنرال " الدليمي" بخط يده بالفرنسية.

= توجد بناحيتنا، بعد توقيع الاتفاقية!...... أخطار
...... رغم الآمال التي نشأت عن ~~الحالة الجديدة~~
الوضعية الجديدة.
= إن السلام هو هدفنا الحاسم، ومن أجل تشجيع
العوامل التي من شأنها أن تعطي حلاً محلياً. الحلول التي
الخطر يتعين الحوار المتقدم المباشر الذي يضمن
عوامل (نتائج) إيجابية. إن التفاعلات (الاتصالات) تحضر لحرب
ثالثة توجد "أبعادها" عناصر ليست دائماً متطابقة
مع مصالح الطرفين المتنافسين.
لذلك ونعتقد أن هذه الاتصالات من شأنها تشجيع
الانفراج المقبلة.
"إننا" نتعهد بالحفاظ كلياً وقطعياً بالكتمان في كل اتصال
بين مصلحتينا. وهذه الاتصالات يمكنها أن تكون
حواراً مباشراً ذا فائدة لتبادل الأفكار من أجل
تقدم السلام
= الميادين: كل الأنواع: الاقتصادية والسياسية والعسكرية

وثيقة رقم (٢٨ ـ ب)

صورة من الترجمة العربية لنفس رسالة الملك "الحسن" إلى الرئيس " السادات" أيضا بخط يد الجنرال "أحمد الدليمي" ، وكان الرئيس "السادات" قد طلب نسخة من الرسالة باللغة العربية .



وثيقة رقم (٢٨ ـ جـ)

صورة من المظروف الذى حوى رسالة الجنرال "أحمد الدليمى" والتى كتبها فى غرفته بفندق شيراتون القاهرة .

ZZ MAY
DE AAP #383
Z 191800Z
FM THE WHITE HOUSE
TO ABDIIN PALACE
BT
SECRET - GOVERNMENTAL

.GOVERNMENTAL

MESSAGE FOR PRESIDENT SADAT

MARCH 19, 1976

DEAR MR. PRESIDENT:

I WANT TO CONVEY TO YOU MY ADMIRATION FOR THE ACTION YOU TOOK IN YOUR ADDRESS TO THE PEOPLE'S ASSEMBLY ON MARCH 14, WITH RESPECT TO THE SOVIET FRIENDSHIP TREATY. MY GOVERNMENT AND THE AMERICAN PEOPLE HAVE VIEWED THIS AS A COURAGEOUS ASSERTION OF THE SELF-RESPECT AND DIGNITY AND NONALIGNED COURSE OF THE EGYPTIAN NATION. YOU CAN COUNT ON OUR STRONG SUPPORT. THE POLICY OF MODERATION THAT YOU HAVE PURSUED, WITH US, THROUGH SO MANY DIFFICULT PERIODS IN RECENT YEARS WILL, I AM CONVINCED, CONTINUE TO BEAR FRUIT. I LOOK FORWARD TO REDOUBLING OUR JOINT EFFORTS FOR A JUST PEACE IN THE MIDDLE EAST.

I REMEMBER WITH WARMTH OUR MANY MEETINGS TOGETHER.

SINCERELY,

GERALD R. FORD

BT

NNNN

RGRG MATE QSL UR LIVE MSG AT 1815 " KKKK
RGRGRGRGR AND MATE THAT'S ALL FOR TODAY
TKS A LOT AND PLEASE HAVE A GOOD NIGHT !!!!! KKKKKK

RGRG MATE THKS MUCH KKKK

CUL AR

وثيقة رقم (٢٩)

صـــــورة لنص البرقية التى بعث بها الرئيس "فورد" إلى الرئيس "السادات" بتاريخ ١٩ مارس ١٩٧٦ عقب إلغاء الرئيس "السادات" لمعاهدة الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى يوم ١٤ مارس ١٩٧٦ .

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية

سري جدا

السيد الرئيس

تحية طيبة واحتراما وبعد

أبعث رفقه هذا مشروع رسالة ، ردا على الرسالة الأخيرة

الواردة لسيادتكم من الرئيس فورد بالطريق المباشر .

وتلاحظون أنني تعمدت عدم الإشارة إلى موضوع

المعاهدة بأسلوب مباشر ، غير أن مفهوم الرسالة واضح

وإذا وافقتم على مشروع الرسالة ، فيمكن إرسالها

للرئيس فورد بالطريق المباشر أيضا .

مع عظيم الاحترام

٢٠ مارس ١٩٧٦

إسماعيل فهمي

وثيقة رقم (٣٠)

صورة للرسالة التى أرفقها المستشار "أسامة الباز" بمشروع الرد على رسالة الرئيس "فورد"- وهى بخط المستشار " أسامة الباز" .

وثيقة رقم (٣١)

صورة من مشروع الرد على رسالة الرئيس "فورد" والذى أعده المستشار "أسامة الباز" .

March 21, 1976.

Dear Mr. President,

I have received with thanks your message dated March 19, 1976 and I seize this opportunity to reciprocate your sentiment of friendship. I take with special notice what you have said regarding the position of your Government and the American People insofar as the non-aligned course of our policy, which is the basis of the decisions we take in Egypt regardless of all risks which it may entail, as long as these decisions are in keeping with our basic philosophy of sparing no effort to preserve our dignity and full independence.

In this, regard, I took with special interest your words portraying your strong support to our policy. I am sure, Mr. President, that you agree with me that we should jointly exert every effort to push the process of peace, a just and durable peace.

Having said that, and with full awareness of the complexity of every problem involved and of the time needed to reach this goal, I am sure that the present situation, if left without serious progress may very well explode once again, because the area is pregnant with all the elements condusive to another explosion unless we both, and with firm determination, proceed to cope with the essentials and prerequisites of a just peace, including total withdrawal of Israeli forces from all Arab occupied territories and the restoration of the legitimate rights of the Palestinian People.

In this connection, and from my previous meetings with you, which I still remember with great warmth, and knowing your dedication to push the process of peace, I hope you share with me the view that your expected visit to the area within the coming few months is, under the circumstances, a political necessity, for it will afford you another opportunity to contact the parties concerned. This visit is, in my opinion, of particular importance because it will, as I hope clarify and in fact may crystalize some major points, without which any further move would be almost impossible.

Sincerely Yours

MOHAMED ANWAR EL SADAT

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

October 21, 1977

Dear President Sadat,

When we met privately in the White House, I was deeply impressed and grateful for your promise to me that, at a crucial moment, I could count on your support when obstacles arose in our common search for peace in the Middle East. We have reached such a moment, and I need your help.

Secretary Vance has provided clarifications to many of your questions regarding the procedures outlined in the United States working paper. There is adequate flexibility in the language to accommodate your concerns.

THE WHITE HOUSE
WASHINGTON

The time has now come to move forward, and your early public endorsement of our approach is extremely important - perhaps vital - in advancing all parties to Geneva.

This is a personal appeal for your support.

My very best wishes to you and your family.

Your friend,
Jimmy Carter

وثيقة رقم (٣٢)

صورة خطاب شخصي بخط يد الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" إلى الرئيس "السادات" .

فـــى

الكـتاب الثـــالث

من ثلاثية "المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل"

أوسلـــــــو ...

قبلهـــــــا و بعـــــــــدها

- ◻ لماذا رفضت إسرائيل أن تتفاوض مع منظمة التحرير؟
- ◻ كيف تفـاوضت منظمـــة التحـــرير مـــع إســـرائيل؟

الفصل الأول : حرب التوريط :

(فتح ـ وصف التل ـ الملك الحسن (٢) ـ أبو مازن ـ ستيفن كوهين)

الفصل الثانى : سراب إيرانى

(رضا بهلوى ـ طهران ـ ظروف ـ السلاح ـ أسرار)

الفصل الثالث : بحر السلام !

(المؤسسة ـ الكســندر هيج ـ ستيفن كوهين(٢) ـ جورج شـولتز ـ تونس ـ جورج شولتز (٢))

الفصل الرابع : التفاوض بالهمس !

(وليام كايسى ـ مصر ـ شامير ـ أطفال الحجارة ـ قنوات)

الفصل الخامس : صيحة "الخطر الإسلامى" !

(رابين ـ جيمس بيكر ـ حيدر عبد الشافى)

الفصل السادس : قناة أوسلو

(بيريز (٣) ـ أوسلو ـ أبو علاء ـ سان فرانسسكو ـ عرفات (٢)) .

الفصل السابع : وهكذا صنعوا السلام

(أوراق ـ كلينتون (٢) ـ الجنرال شاهاك ـ جاك نيريا ـ باريس)

الفصل الثامن: الأحلام تنتحر أيضا

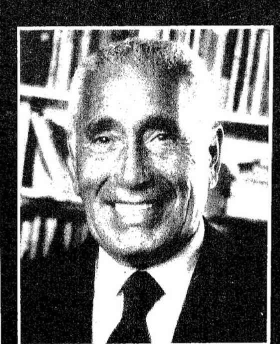
(المعابر ـ الحرم ـ صناعة النجوم ـ غزة ـ حديث الإفـلاس ـ الدار البيضاء ـ البوم الصور) .

رقم الايداع : ٥٦٩٦/ ٩٦
I.S.B.N. 977 - 09 - 0333 - 7

مطابع الشروق

القاهرة. ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف . ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب . ٨٠٦٤ ـ هاتف . ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

دار الشروق
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ رابعة العدوية
ص.ب : ٣٣ البانوراما ـ مدينة نصر
هاتف: ٢٦٢٣٣٩٨ ـ ٢٦٢٣٥٤٨
فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣
فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)



المفاوضات السّرّيّة بين العرب وإسرائيل

عواصف الحرب وعواصف السّلام

... وبشكل من الأشكال فإن خيار الاتفاق مع إسرائيل جرى تصويره فى ذلك الوقت وكأنه خيار معقول تستدعيه الظروف. وكان المنطق الذى رتب الحجج لهذا الخيار على النحو التالى:

- لقد جربنا العمل العربى المشترك ـ ولم يأت بنتيجة ـ أليس كذلك ؟
- ثم إننا جربنا السلاح السوفيتى فى الحرب مع إسرائيل وتفوقت بسلاح أمريكى ـ أليس كذلك ؟
- وكذلك فنحن جربنا مواجهة الولايات المتحدة وقد استطاعت أن تفرض نفسها علينا ـ أليس كذلك ؟
- وليس هناك سبيل إلى الولايات المتحدة إلا إذا تركناها تهندس شكل علاقات لا تجعلها حائرة بيننا وبين إسرائيل ـ أليس كذلك؟
- ولقد تعبنا جميعا فى كل تلك الخيارات، وصرفنا مالا وبذلنا دما، وهذه هى المحصلة ـ أليس كذلك ؟
- ولم يبق غير خيار واحد هو التعامل مع إسرائيل كأمر واقع يصعب إنكاره. ثم هو خيار لم نجربه على الإطلاق، وقد تكون هناك فائدة منه ـ ما الذى يمنع ؟!

محمد حسنين هيكل

دار الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ رابعة العدوية
ص ب : ٣٣ البانوراما ـ مدينة نصر
هاتف : ٢٦٢٣٣٩٨ ـ ٢٦٢٣٥٤٨
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

الغلاف للفنان حلمى التونى